ISSN: 2312-7449

السبط

Alssebt

مجلة علمية فصلية محكمة

تعنى بنشر الإرث الحضاري والثقافي والعلمي لمدينة كربلاء المقدسة

تصدر عن

الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

مركز كربلاء للدراسات والبحوث

عدد خاص بوقائع المؤتمر العلمي الدولي الثاني لزيارة الأربعين

السنة الخامسة / المجلد الخامس / العدد الثاني / ج١ / محرم ١٤٤١هـ - أيلول ٢٠١٩م

السبط
مجلة علمية فصلية محكمة

بسم الله الرحمن الرحيم

السبط

مجلة علمية فصلية محكمة

تعنى بنشر الإرث الحضاري والثقافي والعلمي لمدينة كربلاء المقدسة

تصدر عن

مركز كربلاء للدراسات والبحوث

في العتبة الحسينية المقدسة

عدد خاص بوقائع المؤتمر العلمي الدولي الثاني لزيارة الأربعين

السنة الخامسة / المجلد الخامس / العدد الثاني / ج١ / محرم ١٤٤١هـ - أيلول ٢٠١٩م

السبط

السنة الخامسة – المجلد الخامس – العدد الثاني

ج١/ محرم ١٤٤١هـ – ايلول ٢٠١٩م

مجلة علمية فصلية محكّمة تعنى بنشر الإرث الحضاري والثقافي والعلمي لمدينة كربلاء المقدّسة

عدد خاص بوقائع المؤتمر العلمي الدولي الثاني لزيارة الاربعين

.....

جمهورية العراق – محافظة كربلاء المقدسة

مركز كربلاء للدراسات والبحوث

العتبة الحسينية المقدسة

.....

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ببغداد

(٢٠٧٩) لسنة ٢٠١٥م

.....

المراسلات:

توجه جميع المراسلات الخاصة بالمجلة إلى:

مجلة السبط – مركز كربلاء للدراسات والبحوث

E-mail:

alsibt@hotmail.com

alssebt_k.center@yahoo.com

alssebt.k.center1@gmail.com

facebook: facebook.com/alssebt

www.c-karbala.com

ص.ب (٤٢٨) كربلاء

أرقام الهواتف:

٠٠٩٦٤٧٧١٩٤٩١٢١٠

٠٠٩٦٤٧٩٠٣٤٠٩٥٥٦

٠٠٩٦٤٧٨١٤١٨٧٦٢٥

التصميم والاخراج الفني:

عماد محمد

مهدي ناظم الكعبي

الهيأة الاستشارية

أ.د. علي راستبين

(الأكاديمية الجيوسياسية – فرنسا)

أ.د. محمد فريد عبد الله

(الجامعة الإسلامية – لبنان)

أ.د. صلاح حمزة عبد

(الجامعة المستنصرية – العراق)

أ.د. حسن عودة الغانمي

(جامعة المثنى – العراق)

أ.د. ياسر علي الخالدي

(جامعة القادسية – العراق)

أ.د. مازن حسن جاسم

(جامعة واسط – العراق)

أ.د. عمار عبودي نصار

(جامعة الكوفة – العراق)

أ.د. محمد يوسف الهيتي

(جامعة ديالى – العراق)

أ.د. زينب مرجان

(جامعة بابل – العراق)

أ.د. صباح رسول الجابري

(جامعة كربلاء – العراق)

أ.د. أكرم محسن الياسري

(جامعة كربلاء – العراق)

أ.د. فضل ناصر مكوع

(جامعة عدن – اليمن)

أ.د. حامد الظالمي

(جامعة البصرة – العراق)

أ.د. باقر محمد رضا الزجاجي

(جامعة أهل البيت – العراق)

أ.م.د. اسامة فاضل عبد اللطيف

(جامعة بغداد – العراق)

الإشراف العام:
سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي
(المتولي الشرعي للأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة)

رئيس التحرير:
الأستاذ عبد الأمير عزيز القريشي
(مدير المركز)

مدير التحرير:
أ. د. رياض كاظم سلمان الجميلي
(رئيس الهيأة الإستشارية)

سكرتير التحرير:
م. سمير خليل شمطُو

هيأة التحرير:
أ. د. صابرينا ليون ميرفن (جامعة السوربون)
أ. د. جيرالدين شاتلار (المعهد الفرنسي للشرق الأدنى)
أ. د. عدنان كريم نجم الدين (جامعة كربلاء)
أ. د. مكي عبد مجيد الربيعي (جامعة كربلاء)
أ. د. ضياء عبد الله الأسدي (جامعة كربلاء)
أ. د. حسن حبيب الكريطي (جامعة كربلاء)
أ. م. د. حيدر محمد عبد الله (جامعة كربلاء)
أ. م. د. مهدي وهاب نصر الله (جامعة كربلاء)
أ. م. د. سامي ناظم حسين المنصوري (جامعة القادسية)
أ. م. د. محمد وسام المحنّا (جامعة كربلاء)
م. د. جعفر علي عاشور (جامعة أهل البيت)
م. د. ثامر مكي علي الشمري (الجامعة المستنصرية)

المراجعة اللغوية:
أ. د. حسن حبيب الكريطي
ماجد حميد الخاقاني

اللغة الانكليزية:
د. مؤيد ناجي أحمد (الكلية التربوية المفتوحة - بغداد)

سياسة النشر في مجلة السبط:

مجلة السبط مجلة فصلية محكّمة، تصدر عن مركز كربلاء للدراسات والبحوث في العتبة الحسينية المقدسة، الحائز على شهادة الإعتماد الدولي من منظمة الثقافة والعلوم (اليونسكو- برنامج الذاكرة العالمية) وتستقبل البحوث والدراسات في مختلف الاختصاصات العلمية والإنسانية التي تبحث في الإرث الحضاري والثقافي لمدينة كربلاء المقدّسة لتكون مرجعاً علمياً لحفظ تراث المدينة وهويتها الدينية.

تدعوالمجلة جميع الباحثين في مختلف الاختصاصات العلمية والإنسانية للكتابة والتحقيق في إرث هذه المدينة العريقة وحضارتها، ببحوث ذات قيمة علمية ضمن إطار موضوعي بعيداً عن التحيّز والميول والتطرف والطائفية، لتحقيق الفائدة العامة لمجتمعنا.

ملاحظات عامة:

- يخضع ترتيب البحوث في المجلة لاعتبارات فنية تتعلق بهوية المجلة.
- إشعار الباحث بقبول بحثه خلال مدة أقصاها شهر من تأريخ تسليم البحث، ويخطر الباحث في حال عدم الموافقة على النشر، من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.
- لايجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيأة التحرير إلاالأسباب تقتنع بها هيأة التحرير ويتم ذلك قبل إشعاره بقبول بحثه للنشر.
- لا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

جميع الآراء الواردة في المجلة تعبر عن آراء كاتبيها وليس بالضرورة أن تعكس وجهة نظر المجلة.

تعليمات النشر في المجلة:

تُرحّب مجلة السبط بنتاجات السادة الباحثين من داخل العراق وخارجه، وتقوم بنشر بحوثهم عبر الاختصاصات الإنسانية المختلفة وفقاً للقواعد الآتية:

١. إن البحوث كلّها تخضع للتقويم العلمي من قبل هيأة التحرير، وجمع كبير من الأساتذة في مختلف الإختصاصات العلمية.

٢. أن يكون البحث المراد نشره متميزاً وجديداً في موضوعه، ومستوفياً لشروط المنهج العلمي المعتمدة.

٣. أن لا يكون البحث منشوراً في مجلة داخل العراق وخارجه، أومستلاً، أومقتبساً من كتاب، أو أطروحة، أو رسالة جامعية، أو منقولاً من شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)، على أن يقدّم الباحث تعهداً خطياً بذلك يُرفق مع البحث.

٤. أن يكون البحث سليماً من الأخطاء اللغوية والنحوية مع مراعاة الدقّة في الأسلوب بشكل صحيح.

٥. يلتزم الباحث بالشروط الفنية المتبعة في كتابة البحوث العلمية من حيث الترتيب وتنظيم البحث بمصادره وهوامشه في نهاية البحث، كما يجب مراعاة وضع الخرائط والصور والجداول في مكانها أينما وردت في متن البحث.

٦. يُسلَّم البحث إلى هيأة التحرير مطبوعاً على نظام **(word)** ورق **(A4)** مع قرص مدمج **(CD)** يتضمن مادة البحث ونمط الخط **(Times new roman)** وحجم الخط (١٤) للبحوث العربية و (١٢) للغة الانكليزية على أن لا تزيد صفحات البحث عن (٢٥) صفحة وما زاد على ذلك يتحمّل الباحث دفع مستحقّاته المالية، ولا تقلّ عن (١٠) صفحات.

٧. يجب وضع الهوامش والمصادر في نهاية البحث على أن يُتّبع في ترتيبها الطرق المتعارف عليها في كتابة المصادر العلمية، اسم المؤلف، اسم الكتاب، اسم المحقّق (إذا كان الكتاب محققاً)، رقم الطبعة، اسم المطبعة، مكان النشر، سنة النشر.

٨. على الباحث أن يرفق مع بحثه نبذة مختصرة عن سيرته العلمية، إذا كان الباحث يتعامل مع المجلة لأول مرة.

٩. أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على المعلومات الاتية: عنوان الباحث واسمه، وجهة عمله، ورقم الهاتف والبريد الاليكتروني، مع مراعاة عدم ذكر اسم الباحث أو الباحثين في متن البحث أو أي إشارة الى ذلك باللغتين العربية والانكليزية.

١٠. تسلم البحوث مباشرة الى مقر المجلة على العنوان الآتي: العراق – كربلاء المقدسة – حي البلدية– مركز كربلاء للدراسات والبحوث. أو أن تُرسل البحوث على البريد الالكتروني لمجلة السبط المحكمة: **alssebt_k.center@yahoo.com**

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

بسم الله الرحمن الرحيم

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development

No: الرقم: ب ت ع/ ١٣٩٠
Date: التاريخ: ١٠/٤/٢٠١٥

"بجيشنا والحشد الشعبي العراق القوي وامضي"

العتبة الحسينية المقدسة / مركز كربلاء للدراسات والبحوث

م / مجلة السبط

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

استنادا الى الية اعتماد المجلات العلمية الصادرة عن مؤسسات الدولة، وبناة على توافر شروط اعتماد المجلات العلمية لأغراض الترقية العلمية في "مجلة السبط "الصادرة عن مركزكم الموقر تقرر اعتمادها كمجلة علمية محكمة ومعتمدة للنشر العلمي والترقية العلمية

تقبلوا منا فائق الاحترام والتقدير

أ.د. غسان حميد عبد المجيد
المدير العام لدائرة البحث والتطوير وكالةً
١٤/٤/٢٠١٥

نسخة منه الى:
- قسم الشؤون العلمية/شعبة التأليف والنشر والترجمة
- الصادرة

العنوان : بغداد ـ شارع النضال ـ المجمع التربوي ـ بناية وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ـ طابق ٦
www.rddiraq.com
Email: gd_office@rddiraq.com

شهادة الاعتماد الدولي

لمركز كربلاء للدراسات والبحوث

من منظمة **اليونسكو** (برنامج الذاكرة العالمية)

تأريخ الأعتماد: ٢٨/ ١٠/ ٢٠١٤م

وقائع

المؤتمر العلمي الدولي الثاني لزيارة الاربعين

الذي أقامه المجلس الأكاديمي العلمي لزيارة الأربعين

في مركز كربلاء للدراسات والبحوث / العتبة الحسينية المقدسة

يوم ٨ /صفر الخير/ ١٤٤٠هـ، الموافق ١٨ / ١٠ /٢٠١٨م

١٤٤١هـ ٢٠١٩م

زيارة الأربعين معراج للإصلاح ومنهج للتربية الروحية

www.c-karbala.com

zyarat40@gmail.com

الإشراف العام على المؤتمر

المتولي الشرعي للعتبة الحسينية المقدسة

سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي (دام عزه)

رئيس المؤتمر

المغفور له سماحة السيد محمد علي الحلو (طاب ثراه)

مدير المؤتمر

الاستاذ عبد الامير عزيز القريشي

مدير مركز كربلاء للدراسات والبحوث

اللجنة العلمية للمؤتمر

ا.د. مازن حسن جاسم / جامعة واسط	رئيساً
ا.د. رياض كاظم الجميلي/ جامعة كربلاء - مستشار علمي	عضواً
ا.د. حسن حبيب الكريطي/ جامعة كربلاء - مستشار علمي	عضواً
أ.د. تحسين جاسم شنان/ جامعة ذي قار	عضواً
ا.د. إياد عبد الحسين صيهود/ جامعة كربلاء	عضواً
أ.د. ماجد عزيز الساعدي / جامعة ميسان	عضواً
أ.م.د. محمد عبد الله ناصر / جامعة بابل	عضواً
أ.م.د. عبد الحليم شكور محمد/ جامعة كركوك	عضواً
أ.م.د. كاظم شامخ محسن/ الجامعة المستنصرية	عضواً
ا.م.د. هزبر حسن شالوخ / جامعة ديالى	عضواً
أ.م.د. أركان رحيم / جامعة بغداد	عضواً
ا.م.د. ناجح جابر الميالي/ جامعة المثنى	عضواً
ا.م.د. علاء حسين عبد / جامعة النهرين	عضواً
أ.م.د علي عبد الحسن مجبل / جامعة الكوفة	عضواً
أ.م.د. خالد مرزوك / جامعة القادسية	عضواً

اللجنة التحضيرية للمؤتمر

ا.م.د مهدي وهاب نصرالله / جامعة كربلاء - مستشار علمي	رئيساً
ا.م.د. حيدر محمد الكربلائي / جامعة كربلاء - مستشار علمي	عضواً
م.د. ثامر مكي علي / الجامعة المستنصرية - مستشار علمي	عضواً
أ.م.د. رائد حمود عبد الحسين / جامعة ذي قار	عضواً
ا.م.د محمد علي حسين / جامعة ديالى	عضواً
أ.م.د. بلال نجم / جامعة بغداد	عضواً
أ.م.د. لازم حسن عبود ناشي / جامعة بابل	عضواً
أ.م.د. عمار علي اسماعيل / جامعة ميسان	عضواً
أ.م.د. عبد الهادي غالب / جامعة كركوك	عضواً
أ.م.د. حسام عبد الزهرة / الجامعة المستنصرية	عضواً
م.د. علي كاظم حسين / جامعة واسط	عضواً
الاستاذ علي الفريجي / السويد	عضواً
الشيخ محمد عبد الرضا الساعدي / هولندا	عضواً
السيد جمال الشهرستاني / العتبة الحسينية المقدسة	عضواً
السيد هشام العميدي / العتبة الحسينية المقدسة	عضواً
الحاج عبدالامير طه / العتبة الحسينية المقدسة	عضواً
حسنين عبد اللطيف علوش / مركز كربلاء للدراسات والبحوث	عضواً

اللجنة التنسيقية للمؤتمر

ا.د. محمد جواد الطريحي/ جامعة بغداد	رئيساً
أ.د. عبد الخالق خميس/جامعة ديالى	عضواً
ا.م.د. ابراهيم عباس / الجامعة المستنصرية	عضواً
أ.م.د. عدنان مالح ساجت/ جامعة ذي قار	عضواً
أ.م.د.حيدر عبد الجليل/ جامعة ذي قار	عضواً
م.د.حسن جابر العطا /جامعة بغداد	عضواً
م.د. عبد المحسن جواد/ جامعة الكوفة	عضواً
م.د. مثنى عبد الجبار/ جامعة بابل	عضواً
م.م. أمير كامل جواد/ مركز كربلاء للدراسات والبحوث	عضواً

لجنة العلاقات العامة والإعلام

ا.د. محمد يوسف الهيتي / جامعة ديالى	رئيساً
ا.د. مريم عبد الحسين / جامعة الكوفة	عضواً
ا.م.د. قاسم شعيب عباس / جامعة النهرين	عضواً
ا.م.د. حازم علاوي الغانمي / جامعة كربلاء	عضواً
ا.م.د. علي محمد الجابري / جامعة القادسية	عضواً
ا.م. سمير خليل شمطو / مركز كربلاء للدراسات والبحوث	عضواً
السيد مسلم عبد صكبان / العتبة الحسينية المقدسة	عضواً
الاعلامي توفيق الحبالي / محافظة كربلاء	عضواً
عماد محمد البيرماني / مركز كربلاء للدراسات والبحوث	عضواً

الاخراج الفني

مهدي ناظم اخوباشه الكعبي

التصميم

عماد محمد لفتة البيرماني

المحتويات

الكلمة الافتتاحية ٢٣

المحور الأول

الأبعاد الفكرية والعقائدية لزيارة الأربعين

المعطيات الدينية والاجتماعية لزيارة الأربعين ٢٧

أ. م. د. خليل خلف بشير

جامعة البصرة – كلية الآداب

زيارة الأربعين - قراءة في الأبعاد الروحية والثورية- ٣٩

أ. م. د. أنوار سعيد جواد / أ. م. د. بشرى حنون محسن

كلية العلوم الاسلامية/ جامعة كربلاء

الابعاد الفكرية والعقائدية لزيارة الأربعين ٥٣

أ. م. د. وليد عبد جبر الخفاجي

كلية الآداب – جامعة واسط

السعي الى التكامل الانساني واصلاح الامة في فلسفة زيارة الاربعين ٧٣

أ. م. د. أحمد بهاء عبد الرزاق / كلية التربية للبنات–جامعة الكوفة

م. م. فاطمة حسين العبيدي / كلية التربية–جامعة الإمام جعفر الصادق عليه السلام

مفاهيم ثورية في أربعينية الامام الحسين عليه السلام ٨٩

د. نابلس صلال التميمي م. إسراء مهدي شهيد

كلية العلوم الإسلامية – قسم اللغة العربية جامعة كربلاء

دور المبلّغ الديني في بثّ التعاليم الدينية بين الزائرين خلال زيارة الأربعين (دراسة ميدانية).....١٠٥

م. سمانة عزيز الساعدي
جامعة كربلاء – كلية الادارة والاقتصاد

زيارة الأربعين إثبات للتوحيد ونفي للشرك ١٢٥

أزهار جبر هادي / العتبة العلوية المقدسة – النجف الاشرف

المحور الثاني

الأبعاد الاجتماعية والأخلاقية لزيارة الأربعين

البيئة الاسرية وعلاقتها بالابعاد الاجتماعية والاخلاقية لزيارة الاربعين من وجهة نظر طالبات الجامعة ١٥٧

أ. د. سعاد سبتي الشاوي
كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة للبنات – جامعة بغداد

طقوس الحداد في زيارة الأربعين «المفهوم والوظائف مقاربة انثروبولوجية وظيفية.....١٨٣

أ. م. د. نورس إبراهيم عبد الهادي
قسم اللغة العربية – كلية العلوم الإسلامية – جامعة كربلاء

الأبعاد الإجتماعية لزيارة الأربعين (العمل التطوعي انموذجاً).....٢٠٧

أ. م. د. أمل سهيل عبد الحسيني / م. د. جبار محمد هاشم الموسوي
كلية التربية المختلطة–جامعة الكوفة / كلية الاداب–جامعة الكوفة

الأبعاد الإجتماعية والسياسية للزيارة الأربعينية وموقف الحكومة العراقية الملكية منها ٢٣١

م.د. أركان مهدي عبد الله السعيدي
مديرية تربية ذي قار

الابعاد الاجتماعية والاخلاقية لزيارة الاربعين ٢٥١

د. وفاء كاظم / كلية الكفيل – النجف الأشرف

د. نجاة مطر / قسم الارشاد الاسري التابع للعتبة الحسينية المقدسة

أثر زيارة الأربعين في إصلاح المنظومة الأخلاقية للمجتمع الإنساني..... ٢٧٥

م. م. رنا فرحان طاهر الكاظمي

كلية الامام الكاظم عليه السلام للعلوم الاسلامية الجامعة / أقسام الديوانية

البُعد الأخلاقي الإجتماعي لزيارة الأربعين بين النظرية والتطبيق ٢٩٣

نادين يحفوفي – جامعة المصطفى العالمية – ايران

المحور الثالث

المحور التاريخي والجغرافي في زيارة الأربعين

أثر زيارة الأربعين في نشوء وتطور المستقرات البشرية

(دراسة جغرافية باستخدام GIS) ٣١٩

أ. د. حسين عليوي ناصر الزيادي / قسم الجغرافية – كلية الآداب – جامعة ذي قار

م. م. حمزة عباس حمد / مديرية تربية محافظة المثنى

أثر زيارة أربعينية الامام الحسين عليه السلام في مقاومة نظام البعث

-أحداث صفر ١٩٧٧ انموذجاً- ٣٣٥

أ. م. د. سيف عدنان ارحيم القيسي

كلية الآداب – الجامعة العراقية

ستراتيجية حل مشكلة النقل في الزيارة الأربعينية (دراسة في جغرافيا النقل) ٣٤٩

م. د. حيدر عبود كزار

قسم الجغرافيا – كلية الآداب – جامعة القادسية

أُسس النهضة في الثورة الحسينية ٣٦٧

أ. د. محمد جواد محمد سعيد الطريحي / كلية العلوم الاسلامية - جامعة بغداد

أ. م. د. عمار باسم صالح / كلية العلوم الاسلامية - جامعة بغداد

المسار التاريخي لزيارة الأربعين (النشأة والتطور) ٣٨٣

د. محمد حميد السلمان / مملكة البحرين

بسم الله الرحمن الرحيم

الكلمة الافتتاحية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الهادي الأمين أبي القاسم محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين

وبعد..

لقد حظيت زيارة أربعينية الإمام الحسين ﷺ باهتمام بالغٍ على مدى تأريخها الطويل لما فيها من دلالات ومعانٍ كبيرة في نفوس المسلمين عامة، وأبناء الشعب العراقي خاصة، كونها جسدت مجموعةً من الصور الانسانية كإشاعة مبدأ التعايش السلمي بين الزائرين بمختلف ثقافاتهم وإنتماءاتهم الفكرية، ومدى التلاحم الثقافي والمجتمعي، ونكران الذات والتسابق في تقديم الخدمات لدى مختلف شرائح (مجتمع الأربعين)، حتى أضحت هذه الزيارة هوية ثقافية وحضارية لشعبنا العراقي المعطاء، الأمر الذي دعا مركز كربلاء للدراسات والبحوث في العتبة الحسينية المقدسة الى السعي الحثيث لتسجيل هذه الزيارة في منظمة اليونسكو العالمية كشعيرة دينية، وممارسة إجتماعية ضمن لائحة التراث العالمي غير المادي، بعد إكمال كافة الإجراءات المتعلقة بملف التسجيل الذي قُدم الى المنظمة الدولية للتصويت عليه مطلع العام القادم بإذنه تعالى.

وإيماناً من مركز كربلاء للدراسات والبحوث بأهمية دراسة زيارة الأربعين المباركة شرع بتأسيس مجلس علمي يعنى بدراسة وتحليل مظاهر هذه الزيارة، ومتطلباتها، وأبعادها، برؤية علمية تعتمد البحث العلمي سبيلاً لمعالجة المتغيرات المتعلقة بها، فانبثق هذا المجلس تحت عنوان (المجلس الأكاديمي العلمي لزيارة الأربعين المليونية) الذي ضمَّ في عضويته عدداً كبيراً من الباحثين والمفكرين من جامعات العراق المختلفة الحكومية منها والأهلية، وبتعاون مثمر وبنّاء مع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي كي يكون منبراً علمياً لتقديم الدراسات والبحوث والتوصيات المتعلقة بهذه الزيارة المباركة.

ومن أُولى منجزات هذا المجلس هو (المؤتمر العلمي الدولي لزيارة الاربعين المباركة) بنسخته الثانية، الذي ركّز على مجموعة من المحاور المتعلقة بالزيارة، لما فيها من انعكاسات على تهذيب السلوك الجمعي، وإعادة قراءته من زوايا متعددة.

لقد تسلَّمت اللجنة العلمية ما يناهز الـ(٨٥) بحثاً وورقة عمل، من داخل العراق وخارجه، توزعت على المحاور الرئيسة للمؤتمر، وبعد عرضها على عددٍ من الخبراء في المجلس الأكاديمي العلمي لزيارة الأربعين، تم قبول (٥٢) بحثاً، وورقة عمل، في ما تم رفض البحوث الأخرى لعدم انسجامها مع المحاور الرئيسة المؤتمر.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

اللجنة العلمية للمؤتمر

المحور الأول

الأبعاد الفكرية والعقائدية لزيارة الأربعين

المعطيات الدينية والاجتماعية لزيارة الأربعين

أ. م. د. خليل خلف بشير

جامعة البصرة – كلية الآداب

الملخص

مرّت على ثورة الحسين عليه السلام في كربلاء قرون عديدة، ونحن نشاهدها كل يوم تزداد رسوخاً وشمولية حتى أصبحت قضية عالمية فرضت نفسها بقوة على الصُعُد كافة، والمسألة ليست صدفة بل هي قضية تسير وفق تخطيط إلهي دقيق، فالإرادة الربانية كانت ومازالت ترعى هذه الثورة بكل تفاصيلها، واتخذت تلك الرعاية الربانية لصالح القضية الحسينية المباركة من خلال ربط الجماهير بالحسين وثورته بواسطة غرس الحب الحسيني في القلوب، وتسخير الطاقات لصالح القضية الحسينية فضلاً عن دفع كافة الأخطار التي أحاطت بها، وقد رأيت أن أبحث في زيارة الأربعين – تلك الزيارة التي أقضت مضاجع الغرب وأذنابهم – مفهومها وأبعادها ومعطياتها.

وقد تجلت معطيات هذه الزيارة المليونية المباركة والمؤيدة إلهياً من خلال الآتي:

١. ثقافة الولاء والبراءة: وتُعدّ ثقافة الولاء والبراءة من أعظم ثقافات عاشوراء وكربلاء، وهي ثقافة أساسية في بناء الشخصية الإسلامية فلا نجد في غير الإسلام ثقافة بمثل قوتها ومتانتها وإحكامها، وهذه الثقافة مبثوثة في زيارات أهل البيت عليهم السلام عامة وفي زيارات الإمام الحسين عليه السلام خاصة على أن هذه الثقافة هي ثقافة توحيدية منحدرة عن أصل التوحيد، وتأتي في امتداده الطولي، وكل ولاء مشروع يأتي في امتداد الولاء له سبحانه.
٢. استعراض القوى المؤمنة: يقرّ المراقبون الدوليون المترصدون بأنّ هذه الزيارة المليونية هي أكبر معهد ومعسكر لتدريب النفس البشرية على التضحية والفداء والعطاء بحيث لو أرادت أي دولة كبرى أن تعبئ شعبها، ولو لشرائح قليلة استعداداً لحرب أو حرب طوارئ فلا تستطيع أن تجند إلا القلة القليلة وبالترغيب والترهيب في حين أننا نجد الملايين من البشر في زيارة الأربعين يزحفون بشكل طوعي.
٣. العمل التطوعي: راقب الغربيون هذه الظاهرة والمظاهرة الحسينية عبر الأقمار الاصطناعية لمدة أسبوع أو أكثر وبث مباشر فانبهروا واعترفوا بأنّ الشيعة أكثر تحضراً بالمقايسة مع الأحداث التي تقع في نيويورك أو باريس.

٤. الإحساس العبادي الطويل: تتيح ممارسة زيارة الأربعين فرصة الشعور العبادي المتواصل مَثَلُها مَثَلُ الحج، وصيام رمضان إذ تنتظم هذه الممارسات ضمن شوط عبادي طويل وتتآزر نشاطاتها لتمنح الممارس وعياً وإحساساً وتفاعلاً عبادياً مستمراً فالزائر الماشي الى الإمام الحسين عليه السلام يشعر بالحضور القلبي والعقلي، ويعيش حالة من الوعي المستمر لما يقوم به، فقد تعهدت له النصوص الشرعية بأن يُثاب على كل خطوة يخطوها في طريق أبي عبد الله الحسين عليه السلام؛ لهذا تجد الجميع يحثّ الخطى دونما كلل وتعب للاستزادة من اقتطاف الأجر الذي ألمحت إليه النصوص الشرعية.

٥. الراحة النفسية والعقلية: تعد ظاهرة المشي في أثناء زيارة الأربعين فرصة حقيقية لمعالجة الأمراض التي أشرنا إليها، ولاسيما الأمراض النفسية مثل الكآبة والخوف، ويتميز علاج المشي في هذه الزيارة بعناصر لا تتوفر خارج نطاقه إذ يؤدي السلوك الجمعي دوراً ملحوظاً في فاعلية العلاج فلا شك أن مشاركتك للملايين من الناس في أداء هذه الممارسة سوف تختلف طبيعتها ونتائجها عن ممارستك للمشي بنحو فردي ومنعزل عن الآخرين فالمشي ضمن هذه المسيرة المليونية يزيد من ألفة الممارسة، ويمنح الشعور بالأمن، ويرفع من معنويات الممارس ببذل الجهد المضاعف فضلاً عن معطيات الزخم الجماهيري وانعكاساته على الصحة النفسية إذ تعزز مشاركة المشي مع الآخرين شعور الانتماء الاجتماعي، والألفة، والقرب من الآخرين بدلاً من الانطواء على الذات، والصراع مع مشاعر الوحدة والعزلة والوحشة، وعادة ما ينجم عن مشاركة المشي مع ذلك الجمهور الكبير صداقات حميمة، وحوارات قصيرة تترك آثاراً طيبة في النفس ما ينعكس على الفرد بأحاسيس الرضا والسعادة.

Religious And Social Results For The Arbaeen Pilgrimage

Prof. Dr. Khalil Khalaf Bashir

University of Basra - Faculty of Literatures

Abstract

It's had been many centuries since the revolution of Hussein "pbuh" in Karbala, as we see it becomes every day even more entrenched and comprehensive so it has become a global issue that strongly imposed itself at all levels. However, this wasn't a matter of coincidence, but an issue that goes according to an accurate divine plan. The heavenly will has been and still takes care of this revolution in all its details, therefore, this heavenly will has pushed the blessed Husseiniya issue even further by linking the masses with Al-Imam Al-Hussein and his revolution by instilling his love in the people's hearts , and harnessing the energies in favor of the Husseiniya issue as well as for repelling all the dangers surrounding it.

I saw that it's necessary to look into the concept and dimensions of the Arbaeen pilgrimage that shocked the West and its agents, as its data resulted in the walk made by millions of pilgrims from all around the world through the following milestones:

1. The culture of loyalty and repudiation: This culture is one of the greatest cultures of Ashura and Karbala, it is a basic culture in the construction of the Islamic personality, there is no culture but in Islam with such a strength, resistance and rigor. This culture is built within the pilgrimages of Imam Hussein "pbuh" and other Ahlul-Bayt "peace be upon them", in addition that this culture is a unified culture descended from the origin of monotheism, and comes in its longitudinal extension, and in every legitimate project comes in the extension of allegiance to Allah Almighty.

2. Review of believing powers: International observers acknowledge that this million-person pilgrimage is the largest institute and camp to train the human soul for sacrifice, redemption and giving, so that if any major country wanted to mobilize its people, even among few segments in preparation for a war, it can recruit only a few by intimidation or greed, while in the Arbaeen, we find millions of people trekking toward Karbala voluntarily.

3. Volunteerism: Westerners have observed this phenomenon via satellites for a week or more, as they were impressed and forced to admit that Shiites are more urbanized by comparison with events occurred in New York or Paris.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد الصادق الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعد: فقد مرّت على ثورة الحسين عليه السلام في كربلاء قرون عديدة، ونحن نشاهدها كل يوم تزداد رسوخاً وشمولية حتى أصبحت قضية عالمية فرضت نفسها بقوة على الصُعُد كافة، والمسألة ليست صدفة بل هي قضية تسير وفق تخطيط إلهي دقيق، فالإرادة الربانية كانت ومازالت ترعى هذه الثورة بكل تفاصيلها، واتخذت تلك الرعاية الربانية لصالح القضية الحسينية المباركة من خلال ربط الجماهير بالحسين وثورته بواسطة غرس الحب الحسيني في القلوب، وتسخير الطاقات لصالح القضية الحسينية فضلاً عن دفع كافة الأخطار التي أحاطت بها.

وقد رأيت أن أبحث في زيارة الأربعين – تلك الزيارة التي أقضت مضاجع الغرب وأذنابهم – مفهومها وأبعادها ومعطياتها، نسأل الله أن يوفقنا فيه ويجعله في ميزان حسناتنا يوم ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء/ ٨٨-٨٩).

المدخل:

زيارة الأربعين مفهومها، وأبعادها

لعل سر اختصاص المشي بزيارة الحسين عليه السلام يوم الأربعين يعود الى ثلاثة أمور هي[١]:

١. إنّ أول من سنّ هذه السُّنة الحسنة هو الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري، والناس يزورون الحسين عليه السلام في هذا اليوم تأسياً بهذا الصحابي الجليل، ((ولعل العلة في استحباب الزيارة في هذا اليوم هو أن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه وصل في مثل هذا اليوم من المدينة إلى قبره الشريف وزاره بالزيارة التي مر ذكرها، فكان أول من زاره من الإنس ظاهراً – فلذلك يستحب التأسي به))[٢]، وسميت بزيارة الأربعين ((لأنّ وقتها يوم العشرين من صفر، وذلك لأربعين يوماً من مقتل الحسين عليه السلام))[٣].

٢. حثّ الأئمة عليهم السلام على الزيارة في هذا اليوم، وجعلوها من علامات المؤمن. قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ((علامات المؤمن خمس: صلاة الإحدى والخمسين، وزيارة الأربعين، والتختم باليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم))[٤].

٣. في هذا اليوم التقى الإمام زين العابدين عليه السلام بالصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري بعد رجوع آل البيت من الشام الى كربلاء ولاقوا ما لاقوه من العذاب والعناء والظلم الشديد فالمواسون إنما يزورون الإمام الحسين عليه السلام في هذا اليوم مشياً على الأقدام مواساة لما جرى على عيال الحسين عليه السلام.

وقد أثبتت تلك الملايين في توجهها الصادق صدق المقولة الشهيرة (الإسلام محمدي الوجود، وحسيني البقاء)، وهي عبارة حبّ وعاطفة أطلقها عشاق ومحبو الإمام الحسين عليه السلام، فقد كانت المسيرة الاسلامية بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام قد اتخذت طابعاً وراثياً وانحرفت عن مبادئها التي أراد لها الله

سبحانه تعالى، وتوالى على رقاب المسلمين أراذل الخلق وأشرارهم، بيد إن الإمام الحسين عليه السلام بخروجه وثورته المباركة أثبت حيوية الإسلام وتصديه للظلم ورفضه للطاغوت، ولعل خروجه عليه السلام في الثامن من ذي الحجة وخلعه ثياب الإحرام للتوجه الى الجهاد ونصرة الحق أبلغ دلالة على أهمية النهج الحسيني فالحسين في ثورته أصرّ على القيم المحمدية في حين أصر أعداء الاسلام على النهج الطاغوتي[٥].

وقد تفردت زيارة الإمام الحسين عليه السلام بالتنوع والتعدد والكثرة التي لا شبيه لها مقارنة بزيارات المعصومين عليهم السلام جميعاً، على أنّ من الزيارات الموسمية التي يصل عدد الوافدين فيها الى الملايين مثل زيارة عاشوراء، وزيارة الأربعين، وزيارة الأول من رجب، وزيارة النصف من رجب، وزيارة النصف من شعبان، وزيارة ليالي القدر في شهر رمضان، وزيارة عيد الفطر، وزيارة عرفة، وزيارة عيد الأضحى فضلاً عن الزيارات العامة[٦]، ولعل لزيارة الأربعين خصوصية في كثرة الوافدين من مختلف بقاع العالم لذا ينظر المراقبون الدوليون الى هذا المهرجان العبادي الروحي التعبوي على وجل وخوف؛ لأن هذه الوفود والقدرة في التعبئة المليونية والسنوية لا تمتلكها أي دولة عظمى ولا وسطى ولا أخرى ولا الإسلامية بل حتى النظم الشيعية لا تمتلك هذه القدرة، وإنما الذي يمتلك هذه القدرة والوميض والمحرك هو الإمام الحسين عليه السلام بشكل طوعي بلا ترغيب ولا ترهيب بل فيه التضحية بالنفس والمال لاسيما والزائرون المشاة في تحدٍّ خطير تجاه الإرهاب الحاقد الأعمى البغيض[٧].

فالإمام الحسين عليه السلام الذي استشهد قبل ما يقرب من أربعة عشر قرناً مازال مسيطراً على النظم البشرية والمجتمع البشري أقوى من سيطرة أي نظام في العالم إذ يخرج زمام الأمر من يد الدولة، ويكون بيد الحسين عليه السلام، وهو ما قاله بعض المسؤولين من أنّ الحسين عليه السلام يحكم العراق خلال زيارة الأربعين، ولو أُطلق الفضاء للشعوب الأخرى لرأيناهم ينجذبون وينقادون للحسين وما تمليه مبادئ الحسين وقيمه والجو التربوي لسيد الشهداء لعاشت البشرية في الجنان، لأنّ الحسين عليه السلام يحكم القلوب الى الصفاء، وليست البشرية وحدها تنقاد له بل حتى الملائكة[٨] فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: ((...وليس من ملك ولا نبي في السماوات ولا في الأرض إلا ويسألون اللهَّ أن يأذن لهم في زيارة قبر الحسين عليه السلام ففوج ينزل وفوج يعرج))[٩].

ولعل أبرز ما يظهر العظمة والجلال في الشعائر الحسينية بعدان هما:

١. **البعد العقائدي**: ذلك لأنّ الشعائر الحسينية محمدية متصلة بسيد النبيين لقوله صلى الله عليه وآله ((حسين مني وأنا من حسين أحبّ الله من أحب حسيناً))[١٠]، والاتصال بالرسول منطق قرآني إذ يقول الله تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[١١]، وبذا تكون الشعائر الحسينية محمدية إلهية، وتمثل فعلاً استراتيجياً يهدف الى توحيد القلوب في سياق عولمة توحيد الله. قال تعالى ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾[١٢].

٢. **البعد العاطفي أو الوجداني**: وهو بعد لا ينفك عن حركة القلب في خط العقل، وهذه الحركة العقلانية هي العقيدة، وهي الحب. قال الإمام الباقر ((وهل الدين إلا الحب وهل الدين إلا

الحب قال اللهَّ تعالى ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[١٣] وقال ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الله فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[١٤] وقال ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾[١٥]))[١٦].

ويتجلى هذان البعدان (العقائدي والعاطفي أو الوجداني) في الشعائر الحسينية بالتنقل من الذكر والفكر، والحرارة في القلب، والمعرفة الى اللهج، والدمع، والنشيج والنحيب، والجزع بلا حدود، والتوثب في ساحات (يا ليتنا كنّا معك) وصولاً الى لقاء الله بتاج الشهادة، ووسام السعادة[١٧].

معطيات زيارة الأربعين

يمكن أن نقف على أبرز معطيات زيارة الأربعين على النحو الآتي:

أولاً: الولاء والبراءة: إذ تتقابل هاتان اللفظتان في أكثر زيارات الإمام الحسين عليه السلام، ومن ذلك زيارة الأربعين في قوله ((...، اللهم! إني أُشهدك أني ولي لمن والاه وعدو لمن عـاداه،...))[١٨]، وهو تقابل يفصح بشكل واضح وصريح عن ((موقف المؤمن في ساحة الصراع التي امتدت عبر العصور الى اليوم – ولاء لآل رسول الله وبراءة وعداء لأعدائهم، وليس بعد هذا الوضوح وضوح))[١٩].

ولعل مشاهد الولاء في زيارة الأربعين تتحدد في ثلاثة هي[٢٠]:

١. التسليم: ويمثل السلام والأمن والمحبة، والثقة المطلقة بالله، والموقف تجاه محور الولاية في قوله ((السلام على ولي الله وحبيبه، السلام على خليل الله ونجيبه، السلام على صفي الله وابن صفيه، السلام على الحسين المظلوم الشهيد، السلام على أسير الكربات وقتيل العبرات))[٢١].

٢. الشهادة بأنّ الإمام الحسين هو ولي الله وابن وليه، وصفيه وابن صفيه، وأنه الفائز بالكرامة والسعادة وطيب الولادة، وأنه سيد من السادة وقائد من القادة وذائد من الذادة، وأنه مُعطى مواريث الأنبياء ومجعولٌ حجة على الخلق في قوله ((اللهم ! إني أشهد أنه وليك وابن وليك وصفيك وابن صفيك الفائز بكرامتك أكرمته بالشهادة وحبوته بالسعادة واجتبيته بطيب الولادة وجعلته سيداً من السادة وقائداً من القادة وذائداً من الذادة وأعطيته مواريث الأنبياء وجعلته حجة على خلقك من الأوصياء))[٢٢].

٣. الموقف: في قوله ((وقلبي لقلبكم سلم وأمري لأمركم متبع ونصرتي لكم معدة حتى يأذن الله لكم، فمعكم معكم لا مع عدوكم...))[٢٣].

وضمن هذه المراحل الثلاث يعبّر الزائر عن ولائه للإمام الحسين عليه السلام في المعركة الكبرى التي وقف فيها سيد الشهداء في مواجهة الطاغية يزيد ينطلق فيها من جذور هذه المعركة التاريخية الى يومنا هذا.

وإذا كانت ممارسة البراءة من المشركين تمثل إحدى ممارسات الحج المهمة، لقوله تعالى ﴿أَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ الله بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (التوبة/ ٣) فإنّ ممارسة زيارة الأربعين تمثل أكبر تظاهرة إسلامية

للتعبير عن البراءة من المشركين والظالمين، فنهضة الإمام الحسين عليه السلام إعلان رافض للشرك والمشركين، وتحدٍّ واضح للظلم والظالمين[٢٤]، ويمكن تلمس مظاهر البراءة واللعن في ألفاظ زيارة الأربعين الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله: ((... اللهم! فالعنهم لعناً وبيلاً وعذّبهم عذاباً أليماً،... فلعن الله من قتلك ولعن الله من ظلمك ولعن الله أمة سمعت بذلك فرضيت به...))[٢٥].

ولعل من لُعِن في الزيارة ثلاث أمم وطوائف هي[٢٦]:

١. الطائفة الأولى التي باشرت قتال الإمام الحسين عليه السلام في قوله ((... فلعن الله من قتلك)).
٢. والطائفة الثانية في قوله ((...ولعن الله من ظلمك)) التي ظلمت الإمام الحسين عليه السلام وجارت عليه، ومكّنت منه فهي طائفة شملت كل أولئك الذين ظلموه وجاروا عليه بأية طريقة كانت.
٣. والطائفة الثالثة (الشريحة الراضية) في قوله ((.. ولعن الله أمة سمعت بذلك فرضيت به...))، وهي طائفة سمعت استنصار الإمام الحسين عليه السلام فآثرت العافية، ولم تنصره فهي طائفة سامعة لاستنصاره راضية بقتله لذا هي شريكة في قتله؛ لأنها رضت بفعل يزيد في قتله للحسين عليه السلام.

وتُعدّ ثقافة الولاء والبراءة من أعظم ثقافات عاشوراء وكربلاء، وهي ثقافة أساسية في بناء الشخصية الإسلامية فلا نجد في غير الإسلام ثقافة بمثل قوتها ومتانتها وإحكامها، وهذه الثقافة مبثوثة في زيارات أهل البيت عليهم السلام عامة وفي زيارات الإمام الحسين عليه السلام خاصة على ان هذه الثقافة هي ثقافة توحيدية منحدرة عن أصل التوحيد، وتأتي في امتداده الطولي، وكل ولاء مشروع يأتي في امتداد الولاء له سبحانه. قال تعالى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (المائدة/ ٥٥) على أنّ كل المقولات الثقافية الداخلة في الولاء والبراءة من مقولة التوحيد فهي جميعاً لله تعالى فالحب مثلاً من مقولات الولاء، ولا ولاء من دون الحب، ولكن لا يكون مشروعاً مقبولاً إلا إذا كان لله وفي الله، فضلاً عن ذلك إن للولاء وجهاً آخر لا يفارقه قط، وهو البراءة فأينما تحقق الولاء تحققت البراءة بإزائه: البراءة من أعداء الله وأعداء رسوله وأوليائه، وهما وجهان لقضية واحدة، والولاء الذي لا يقترن بالبراءة لعمري هو الولاء الساذج السطحي غير المقاوم[٢٧].

إن ثقافة الولاء والبراءة تعمق ارتباط الإنسان بالله تعالى وأنبيائه ورسله وأوصيائه، ومن ذلك تعميق ثقافتنا برسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، وبقدر ما يتم في نفوس المؤمنين تعميق الولاء في هذه الزيارات، يتعمق بالمقابل النفور والكراهية والعداء للظالمين والجبابرة والطغاة، والبراءة منهم ومقاطعتهم والتشهير بهم، والتمرد عليهم، ولعل استشعار الطغاة والجبابرة الخطر والتهديد لسلطانهم من ناحية الحشود الهائلة الزائرة، ومن ناحية مجالس العزاء والنياحة لم يأتِ من فراغ بل يجدون في القيم التي تختزنها القضية الحسينية ومفاهيم الولاء والبراءة التي تحملها نصوص الزيارات توعية سياسية واسعة وحركية للجمهور المستضعف المضطهد المغلوب على أمره الذي يجد في

هذه القيم والمفاهيم الوعي المطلوب الذي من شأنه أن يمكنه من اتخاذ الموقف والقرار، والخروج من نفوذ الاستكبار والقهر والاستبداد السياسي للحكام الظالمين، وإزالة جدار الرعب الذي يحجز الجمهور عن المطالبة بحقوقه وعن حقه في تقرير مصيره، وهذا ما يخافه السلاطين والملوك والرؤساء والأمراء من الزيارات الحسينية ومجالس العزاء والنياحة التي تقام في مختلف بقاع العالم إحياء لذكرى سيد الشهداء[٢٨].

ثانياً: استعراض القوى المؤمنة: المعروف أن الكثير من الدول والأحزاب والمؤسسات الاجتماعية والاقتصادية قد اعتادت أن تظهر إمكاناتها وقدراتها البشرية والمادية بواسطة استعراض جماهيري أو بشكل نشاطات عسكرية أو صناعية أو غير ذلك، فيبذل العاملون على تنظيم مثل هذه الاستعراضات الكثير من المال والوقت والجهد حرصاً منهم على إيصال رسائل الى الأصدقاء والأعداء من أجل التعريف والإعلان وتعزيز الثقة في نفوس أتباعهم والتهديد غير المباشر لمناوئيهم أو لمجرد الترويح والدعاية لمنتجاتهم الحديثة، والمؤمنون معنيون – كغيرهم من القوى الموجودة على الأرض – في إظهار قوتهم البشرية وطاقاتهم المعنوية عبر ممارساتهم المنسجمة مع الشريعة الإسلامية، وقد أسست الشريعة الإسلامية بنفسها لبعض الممارسات العبادية مثل: الحج، وصلاة الجمعة والجماعة، وممارسة الزيارة في أوقات خاصة، ومن بين هذه الممارسات زيارة الأربعين التي تستبطن هذا الدور بإيصال رسالتها الهادفة الى إظهار إمكانات المؤمنين وعشاق السلام من غير المسلمين المادية والمعنوية حيث نلمس تزايداً ملحوظاً في أعداد الزائرين فمثلاً في سنة ٢٠١٤ بلغ العدد ١٠ ملايين زائر بينهم ٥ ملايين من خارج العراق، ويتصاعد العدد بشكل مستمر وازدياد مطّرد مما يشكّل استعراضاً واضحاً للقوى المؤمنة من أتباع أهل البيت عليهم السلام ومن يشاركهم الاهتمام بمبادئ هذه الممارسة المباركة فقد وصفت ال بي بي سي البريطانية في عام ٢٠١٣م هذا الحشد المليوني المبارك بـــ (التنين الأسود) الممتد من البصرة الى كربلاء، وذلك لارتداء المشاركين اللباس الأسود حزناً على سيد الشهداء ولاتصال حركة السير دون ترك فواصل مكانية ما يرسم لوحة جماهيرية متلاحمة تعجز كل وسائل التصوير والفن عن تجسيدها وتمثيلها بما هي عليه حتى علّق أحد الغربيين على إحدى شبكات التواصل الاجتماعي بالقول: ((لو قُدِّر لهذا القائد – يقصد الإمام الحسين– أن ينهض بهذه الجماهير المليونية المتحمسة لكان قد احتلّ العالم كله))[٢٩]؛ ولهذا يقرّ المراقبون الدوليون المترصدون بأنّ هذه الزيارة المليونية هي أكبر معهد ومعسكر لتدريب النفس البشرية على التضحية والفداء والعطاء بحيث لو أرادت أي دولة كبرى أن تعبئ شعبها، ولو لشرائح قليلة استعداداً لحرب أو حرب طوارئ فلا تستطيع أن تجند إلا القلة القليلة وبالترغيب والترهيب في حين أننا نجد الملايين من البشر في زيارة الأربعين يزحفون بشكل طوعي ومتواصل ومتزايد[٣٠].

ثالثاً: العمل التطوعي: يحتل العمل التطوعي في البلدان المتطورة حيزاً كبيراً، ولا يقل الاهتمام به عن اهتمامهم بالعمل الرسمي بحيث يترتب على

إسهامات المتطوعين مكاسب اقتصادية واجتماعية وصحية ضخمة بيد أنه في زيارة الأربعين عمل صادر عن دوافع ذاتية دون أن تكون هناك يد للمحفزات الخارجية يدفعهم حبهم المقدس لسيد الشهداء فكلهم يتنافسون على بذل أقصى الجهد من أجل حب الحسين، والهدف هو نيل رضا الله فليس هناك مكافئات، ولا شهادات تقديرية، ولا إعفاءات من بعض الواجبات التي تحفز المتطوعين لخدمة سيد الشهداء غير الاعتبارات الأخروية المذكورة في روايات أهل البيت عليهم السلام[٣١].

ويروى أنّ مسؤول القوات المسلحة للشرق الأوسط للإدارة الأمريكية راقب هذه الظاهرة والمظاهرة الحسينية عبر الأقمار الاصطناعية لمدة أسبوع أو أكثر وبث مباشر فانبهر قائلاً: أنا أعترف أنتم – الشيعة – أكثر تحضراً بالمقايسة مع الأحداث التي تقع في نيويورك أو باريس[٣٢].

رابعاً: الإحساس العبادي الطويل: تتيح ممارسة زيارة الأربعين فرصة الشعور العبادي المتواصل مَثَلُها مَثَلُ الحج، وصيام شهر رمضان إذ تنتظم هذه الممارسات ضمن شوط عبادي طويل وتتآزر نشاطاتها لتمنح الممارس وعياً وإحساساً وتفاعلاً عبادياً مستمراً فالزائر الماشي الى الإمام الحسين عليه السلام يشعر بالحضور القلبي والعقلي، ويعيش حالة من الوعي المستمر لما يقوم فيه فقد تعهدت له النصوص الشرعية بأن يُثاب على كل خطوة يخطوها في طريق أبي عبد الله الحسين عليه السلام؛ لهذا تجد الجميع يحثّ الخطى دونما كلل وتعب للاستزادة من اقتطاف الأجر الذي ألمحت إليه النصوص الشرعية[٣٣] من ذلك مثلاً الرواية الواردة عن الحسين بن ثوير بن أبي فاختة، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ((يا حسين من خرج من منزله يريد زيارة قبر الحسين بن علي عليهما السلام إن كان ماشياً كتب الله له بكل خطوة حسنة ومحى عنه سيئة، حتى إذا صار في الحائر كتبه الله من المفلحين المنجحين، حتى إذا قضى مناسكه كتبه الله من الفائزين، حتى إذا أراد الانصراف أتاه ملك فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يقرؤك السلام ويقول لك: استأنف العمل فقد غفر لك ما مضى))[٣٤].

خامساً: الراحة النفسية والعقلية: إنّ ظاهرة المشي حافلة بالعديد من العناصر النفسية الإيجابية التي يمكن الإفادة منها في علاج الأمراض النفسية الصعبة إذ تقي من أمراض القلب والأوعية الدموية، ومرض السكر، والألزهايمر، والسمنة، وقد أثبتت الدراسات النفسية تأثير المشي بنحو خاص على اعتدال المزاج، ومعالجة أمراض الكآبة، وأعصاب الخوف من خلال مساعدة الجسم على توليد بعض العناصر الكيميائية المعروفة بالناقلات العصبية التي ينتج عنها الشعور بالراحة والفرح؛ لذا تعد ظاهرة المشي في أثناء زيارة الأربعين فرصة حقيقية لمعالجة الأمراض التي أشرنا إليها، ولاسيما الأمراض النفسية مثل الكآبة والخوف، ويتميز علاج المشي في هذه الزيارة بعناصر لا تتوفر خارج نطاقه إذ يؤدي السلوك الجمعي دوراً ملحوظاً في فاعلية العلاج فلا شك أن مشاركتك للملايين من الناس في أداء هذه الممارسة سوف تختلف طبيعتها ونتائجها عن ممارستك للمشي بنحو فردي ومنعزل عن الآخرين فالمشي ضمن هذه المسيرة المليونية يزيد من ألفة

الممارسة، ويمنح الشعور بالأمن، ويرفع من معنويات الممارس ببذل الجهد المضاعف فضلاً عن معطيات الزخم الجماهيري وانعكاساته على الصحة النفسية إذ تعزز مشاركة المشي مع الآخرين شعور الانتماء الاجتماعي، والألفة، والقرب من الآخرين بدلاً من الانطواء على الذات، والصراع مع مشاعر الوحدة والعزلة والوحشة، وعادة ما ينجم عن مشاركة المشي مع ذلك الجمهور الكبير صداقات حميمة، وحوارات قصيرة تترك آثاراً طيبة في النفس ما ينعكس على الفرد بأحاسيس الرضا والسعادة[٣٥].

الخاتمة

تجلَّت في هذا البحث معطيات هذه الزيارة المليونية المباركة والمؤيدة إلهياً من خلال الآتي:

١. ثقافة الولاء والبراءة: وتُعدّ ثقافة الولاء والبراءة من أعظم ثقافات عاشوراء وكربلاء، وهي ثقافة أساسية في بناء الشخصية الإسلامية فلا نجد في غير الإسلام ثقافة بمثل قوتها ومتانتها وإحكامها، وهذه الثقافة مبثوثة في زيارات أهل البيت عليهم السلام عامة وفي زيارات الإمام الحسين عليه السلام خاصة، على ان هذه الثقافة هي ثقافة توحيدية منحدرة عن أصل التوحيد، وتأتي في امتداده الطولي، وكل ولاء مشروع يأتي في امتداد الولاء له سبحانه.

٢. استعراض القوى المؤمنة: يقرّ المراقبون الدوليون المترصدون بأنّ هذه الزيارة المليونية هي أكبر معهد ومعسكر لتدريب النفس البشرية على التضحية والفداء والعطاء بحيث لو أرادت أي دولة كبرى أن تعبئ شعبها، ولو لشرائح قليلة استعداداً لحرب أو حرب طوارئ فلا تستطيع أن تجند إلا القلة القليلة وبالترغيب والترهيب في حين في زيارة الأربعين نجد الملايين من البشر يزحفون بشكل طوعي.

٣. العمل التطوعي: راقب هذه الظاهرة والمظاهرة الحسينية الغربيون عبر الأقمار الاصطناعية لمدة أسبوع أو أكثر وبث مباشر فانبهروا واعترفوا بأنّ الشيعة أكثر تحضراً بالمقايسة مع الأحداث التي تقع في نيويورك أو باريس.

٤. الإحساس العبادي الطويل: تتيح ممارسة زيارة الأربعين فرصة الشعور العبادي المتواصل مثلها مثل الحج، وصيام رمضان إذ تنتظم هذه الممارسات ضمن شوط عبادي طويل وتتآزر نشاطاتها لتمنح الممارس وعياً وإحساساً وتفاعلاً عبادياً مستمراً فالزائر الماشي الى الإمام الحسين عليه السلام يشعر بالحضور القلبي والعقلي، ويعيش حالة من الوعي المستمر لما يقوم فيه فقد تعهدت له النصوص الشرعية بأن يُثاب على كل خطوة يخطوها في طريق أبي عبد الله الحسين عليه السلام؛ لهذا تجد الجميع يحثّ الخطى دونما كلل وتعب للاستزادة من اقتطاف الأجر الذي ألمعت إليه النصوص الشرعية.

٥. الراحة النفسية والعقلية: تعد ظاهرة المشي في أثناء زيارة الأربعين فرصة حقيقية لمعالجة الأمراض التي أشرنا إليها، ولاسيما الأمراض النفسية مثل الكآبة والخوف، ويتميز علاج المشي في هذه الزيارة بعناصر لا تتوفر خارج نطاقه إذ يؤدي السلوك الجمعي دوراً ملحوظاً في فاعلية العلاج فلا شك أن مشاركتك للملايين من الناس في أداء هذه الممارسة سوف تختلف

طبيعتها ونتائجها عن ممارستك للمشي بنحو فردي ومنعزل عن الآخرين فالمشي ضمن هذه المسيرة المليونية يزيد من ألفة الممارسة، ويمنح الشعور بالأمن، ويرفع من معنويات الممارس ببذل الجهد المضاعف فضلاً عن معطيات الزخم الجماهيري وانعكاساته على الصحة النفسية إذ تعزز مشاركة المشي مع الآخرين شعور الانتماء الاجتماعي، والألفة، والقرب من الآخرين بدلاً من الانطواء على الذات، والصراع مع مشاعر الوحدة والعزلة والوحشة، وعادة ما ينجم عن مشاركة المشي مع ذلك الجمهور الكبير صداقات حميمة، وحوارات قصيرة تترك آثاراً طيبة في النفس ما ينعكس على الفرد بأحاسيس الرضا والسعادة.

الهوامش

(١) ينظر: المشي لزيارة الإمام الحسين عليه السلام وباقي الأئمة – دراسة في ضوء الموازين الفقهية، الشيخ حبيب عبد الله الساعدي، مجلة الإصلاح الحسيني، السنة الثانية، العدد ٦، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م، ص٢٥٥-٢٥٦.

(٢) بحار الأنوار/ المجلسي ٩٨/ ٣٣٤.

(٣) المصدر نفسه ٩/ ٣٠١.

(٤) الحدائق الناضرة / المحقق البحراني ٨/ ١٦٧.

(٥) زيارة الأربعين التاريخية: الإسلام محمدي الوجود حسيني البقاء، سعد خيون العبادي،

bic/ashuraa/8742 m.annabaa.org.

(٦) ينظر: ثقافة الزيارة عند أتباع أهل البيت – مقاربات تأملية في اتجاه فهم الآخر/ محمد عبد الرضا هادي الساعدي ٢١٠.

(٧) ينظر: أسرار زيارة الأربعين/ الشيخ محمد السند ١٤.

(٨) ينظر: المصدر نفسه ٣٢.

(٩) الوافي / الفيض الكاشاني ١٤/ ١٥١٩.

(١٠) بحار الأنوار ٤٣/ ٢٦١.

(١١) الآية ٧ من سورة الحشر.

(١٢) من الآية ٣٣ من سورة التوبة، ومن الآية ٢٨ من سورة الفتح، ومن الآية ٩ من سورة الصف.

(١٣) من الآية ٧ من سورة الحجرات.

(١٤) من الآية ٣١ من سورة آل عمران.

(١٥) من الآية ٩ من سورة الحشر.

(١٦) الوافي ٥/ ٨٢٦.

(١٧) ينظر: زيارة الأربعين مظهر حب الله تعالى، مقال: الشيخ حسين كوراني، مجلة شعائر، ع٨١، س٧، صفر ١٤٣٨هـ- تشرين الثاني ٢٠١٦م، ص٦.

(١٨) مصباح المتهجد/ الشيخ الطوسي ٧٨٩.

(١٩) في رحاب الإمام الحسين يوم عاشوراء/ الشيخ محمد مهدي الآصفي ١٨٢.

(٢٠) ينظر: في رحاب عاشوراء/ الشيخ محمد مهدي الآصفي ٢٣٣.

(٢١) مصباح المتهجد٧٨٨.

(٢٢) المصدر نفسه، المكان نفسه.

(٢٣) المصدر نفسه٧٨٩.

(٢٤) ينظر: ثقافة الزيارة عند أتباع أهل البيت٢٢٥.

(٢٥) مصباح المتهجد ٧٨٩.

(٢٦) ينظر: في رحاب عاشوراء ٢٤٥-٢٤٧.

(٢٧) ينظر: عاشوراء الحدث والمعنى / الشيخ محمد مهدي الآصفي ١١٦-١١٧.

(٢٨) ينظر: المصدر نفسه ١٢٢-١٢٣.

(٢٩) ينظر: ثقافة الزيارة عند أتباع أهل البيت ٢٢٨-٢٢٩.

(٣٠) ينظر: أسرار زيارة الأربعين ١٢-١٣.

(٣١) ينظر: ثقافة الزيارة عند أتباع أهل البيت ٢٣٠-٢٣٤.

(٣٢) أسرار زيارة الأربعين ٢٠.

(٣٣) ينظر: المصدر نفسه ٢٣٤.

(٣٤) كامل الزيارات ٢٥٣.

(٣٥) ينظر: ثقافة الزيارة عند أتباع أهل البيت ٢٣٧-٢٤٠.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. أسرار زيارة الأربعين، تقرير لأبحاث آية الله الشيخ محمد السند، بقلم: إبراهيم حسين البغدادي، ط١، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

٣. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، تحقيق: السيد إبراهيم الميانجي، محمد الباقر البهبودي، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٣ - ١٩٨٣م.

٤. ثقافة الزيارة عند أتباع أهل البيت - مقاربات تأملية في اتجاه فهم الآخر/ محمد عبد الرضا هادي الساعدي، ط٢، دار الهدى، مؤسسة الإمام الحسن عليه السلام، (د.ت).

٥. الحدائق الناضرة، المحقق البحراني، تحقيق وتعليق وإشراف: محمد تقي الإيرواني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، (د.ت).

٦. زيارة الأربعين التاريخية: الإسلام محمدي الوجود حسيني البقاء، سعد خيون العبادي،

bic/ashuraa/8742 m.annabaa.org.

٧. زيارة الأربعين مظهر حب الله تعالى، مقال: الشيخ حسين كوراني، مجلة شعائر، ع٨١، س٧، صفر ١٤٣٨هـ- تشرين الثاني ٢٠١٦م.

٨. عاشوراء الحدث والمعنى، الشيخ محمد مهدي الآصفي، دار المعارف الحكميّة، بيروت، لبنان، ٢٠١٣م.

٩. في رحاب الإمام الحسين يوم عاشوراء، الشيخ محمد مهدي الآصفي، ط٣، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت، دار التعارف، بيروت، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

١٠. في رحاب عاشوراء، الشيخ محمد مهدي الآصفي، تحقيق: مؤسسة نشر الفقاهة، قم المقدسة، (د.ت).

١١. كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، لجنة التحقيق، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي، سنة الطبع: عيد الغدير ١٤١٧هـ.

١٢. المشي لزيارة الإمام الحسين عليه السلام وباقي الأئمة - دراسة في ضوء الموازين الفقهية، الشيخ حبيب عبد الله الساعدي، مجلة الإصلاح الحسيني، السنة الثانية، العدد ٦، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.

١٣. مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي، ط١، مؤسسة فقه الشيعة - بيروت - لبنان، ١٤١١ - ١٩٩١م.

١٤. الوافي الفيض الكاشاني عني بالتحقيق والتصحيح والتعليق عليه والمقابلة مع الأصل ضياء الدين الحسيني «العلامة» الأصفهاني، ط١، طباعة أوفسيت نشاط أصفهان، مكتبة الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام العامة، أصفهان، أول شوال المكرم ١٤٠٦ هـ. ق ١٩ / ٣ / ٦٥ هـ. ش.

زيارة الأربعين

- قراءة في الأبعاد الروحية والثورية -

أ. م. د. أنوار سعيد جواد
كلية العلوم الاسلامية/ جامعة كربلاء

أ. م. د. بشرى حنون محسن
كلية العلوم الاسلامية/ جامعة كربلاء

الملخص

احتلت فاجعة الطف الخالدة حجماً زمانياً امتد من سنة (٦١هـ) وإلى يومنا هذا وسيستمر، وبعداً مكانياً لم يقف عند حدود أرض كربلاء وإنما امتد على كل أرض تشهد صراعاً بين قوى الحق وقوى الباطل حتى أصبحت (كل أرض كربلاء وكل يوم عاشوراء) كما نلحظ ذلك في الساحة والمشهد اليومي للأحداث. كان حرياً أن يحفظ التاريخ هذه الذكرى وأن يجددها كل عام، بل أن الباري عزَّ وجلَّ قد خصها بهذه الكرامة، جزاءً لما قدمته للإنسانية من تضحيات في سبيل الرسالة المحمدية، فكانت مثالاً تطبيقياً لمبادئ الرسالة الاسلامية، فكانت بحق مصداقاً لمقولة: (الاسلام محمدي الوجود، حسيني البقاء).

ومن ملامح هذا البقاء هو خصّ الامام الحسين بزيارة الأربعين من دون سائر الأئمة والأوصياء، لما تتضمنه هذه الخصوصية من أبعاد روحية ونفسية وحتى جسدية اثبتت نتائجها بشكل واضح وملموس في واقعنا الراهن اليوم في مقارعة قوى الظلم متمثلا بالفكر التكفيري لداعش.

وسيحاول هذا البحث أن يقف عند تلك الابعاد ويسلط الضوء عليها من خلال:

- الوقوف عند مفهوم الأربعين ودلالته، وخصوصية زيارة الأربعين للإمام الحسين عليه السلام.
- الدروس والعبر الدينية والانسانية والروحية المستقاة من زيارة الأربعين وأثرها في مواجهة التحديات الراهنة.

The Arbaeen Pilgrimage - A Reading in the spiritual and revolutionary dimensions

Prof. Anwar Saeed Jawad *Prof. Bushra Hanoun Mohsen*

College of Islamic Sciences / Karbala University

Abstract

The immortal tragedy of Karbala took on a temporal dimension extended from (61 Hijri) until the present day and will continue for the unseen future, and a spatially distance that did not stand at the borders of the land of Karbala, but extended on every land witnessing a struggle between the forces of good and the forces of evil, so it had earned the slogan of "Every land is Karbala and every day is Ashura", which we observe in the daily arena of events.

History should've kept this tragedy and renew it every year; it should be noted that Allah Almighty has singled it out with this dignity as a reward for the sacrifices made in it for the sake of the Muhammadiyah message; so it was an applied example for the principles of the Islamic message, and a live proof for the saying "Islam existed by Mohammadi, survived by Hussein".

One of the features of this survival, is that Imam Hussein was distinguished by the Arbaeen pilgrimage rather than the rest of Imams, due to what this feature has in spiritual, psychological and even Physical dimensions that proved their results in a clear and tangible way in our current reality during the fight against the forces of injustice represented by the Takfiri idiology of ISIS.

This search will try to stop by those dimensions and highlight them by explaining the concept of Arbaeen and its significance, and the position occupied by the Arbaeen pilgrimage to Imam Hussein "pbuh", and the religious, humanitarian and spiritual lessons learned derived from this pilgrimage and their impact on the confrontation of the current challenges.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين حبيب قلوب المؤمنين، المبعوث رحمة للعالمين أبي القاسم محمد صلى الله عليه وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وصحبه الأخيار المنتجبين.

لم تكن حادثة الطف حدثاً تاريخياً عابراً شأنه شأن الأحداث التي عصفت بتاريخ الانسانية منذ وجود آدمعليه السلام وإلى يومنا هذا، وستستمر إلى أن يرث الله الأرض ومَنْ عليها، وإنما تميزت هذه الواقعة بالخلود والبقاء لما خصت به، ولما وقعت من أجله، ذلك انها تخطت بوقائعها وأحداثها وشخوصها عتبات التاريخ، فلم تعد حدثاً تاريخياً عابراً وقع في زمان معين ومكان محدد، بل امتدت ابعادها ونتائجها الى واقعنا اليومي المعاصر لتشمل الانسانية بكل ابعادها ومراميها مسطرة بذلك أروع الصور في التضحية من أجل المبادئ، وأنبلها في التصدي للظلم والطغيان بجميع أشكاله وتنوع صوره عبر التاريخ.

ولما كانت هذه الفاجعة بهذا الحجم الزماني الممتد من سنة (٦١هـ) وإلى يومنا هذا -وسيستمر-، وبهذا البعد المكاني الذي لم يقف عند حدود أرض كربلاء وإنما امتد الى كل أرض تشهد صراعاً بين قوى الحق وقوى الباطل حتى اصبحت (كل أرض كربلاء وكل يوم عاشوراء) كما نلحظ ذلك في الساحة والمشهد اليومي للأحداث. كان حرياً أن يحفظ التاريخ هذه الذكرى وأن يجددها كل عام، بل ان الباري عزَّ وجلَّ قد خصها بهذه الكرامة، جزاءً لما قدمته للإنسانية من تضحيات في سبيل الرسالة المحمدية، فكانت مثالاً تطبيقياً لمبادئ الرسالة الاسلامية، فكانت بحق مصداقاً لمقولة: (الاسلام محمدي الوجود، حسيني البقاء). ومن ملامح هذا البقاء هو أنْ خصّ الامام الحسينعليه السلام بزيارة الأربعين من دون سائر الأئمة والأوصياء، لما تتضمنه هذه الخصوصية من أبعاد روحية ونفسية وحتى جسدية اثبتت نتائجها بشكل واضح وملموس في واقعنا الراهن اليوم في مقارعة قوى الظلم متمثلاً بالفكر التكفيري لداعش.

وسيحاول هذا البحث أن يقف عند تلك الأبعاد ويسلط الضوء عليها من خلال:

١. الوقوف عند مفهوم الأربعين ودلالته، وخصوصية زيارة الأربعين للإمام الحسين.
٢. الدروس والعبر الدينية والانسانية والروحية المستقاة من زيارة الأربعين وأثرها في مواجهة التحديات الراهنة.

مفهوم الأربعين ودلالته

مما لا يخفى على القارئ أو الباحث أو المتلقي ان لفظة (الأربعين) حملت من الخصوصية بمكان لما تحمله من دلالات تشير إلى كمال الشيء وتمامه.

وبهذا المفهوم ورد ذكرها في القرآن الكريم في أكثر من آية، كما في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي

إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنْ الْمُسْلِمِينَ﴾[1] في إشارة منه إلى وصول الانسان ((حد الكمال))[2].

وفي قصة موسى حيث واعده ربه أربعين ليلةً حتى يتلقى التوراة منه، حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمْ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾[3]، وفي موضع ثالث قال تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾[4] في إشارة منه إلى تمام الشيء أو الميقات.

وكذلك في إخباره عز وجل لموسى (عليه الصلاة والسلام) من تحريم دخول قومه بلد ((الجبارين أربعين سنة))[5]، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[6].

وبالرجوع إلى أحاديث الأئمة عليهم السلام ونصوصهم نجد أن للأربعين خصوصية مستمدة من القرآن الكريم في الدلالة على كمال الشيء وتمامه، فقد ورد عن الامام جعفر الصادق عليه السلام انه قال: ((إذا بلغ العبد ثلاثاً وثلاثين سنة فقد بلغ أشده، وإذا بلغ أربعين سنة فقد بلغ منتهاه))[7]. وفي موضع آخر قال عليه السلام: ((من حفظ من شيعتنا أربعين حديثاً بعثه الله عز وجل يوم القيامة عالماً فقيهاً ولم يعذبه))[8]، وفي رواية ((من حفظ من أحاديثنا....))[9]. بل نجد أبعد من ذلك من خصوصية جعلت (للأربعين) عندما جعلت من علامات المؤمن، كما في نص الإمام الحسن العسكري عليه السلام حيث قال: ((علامات المؤمن خمس: صلاة الاحدى والخمسين، وزيارة الأربعين، والتختم باليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم))[10]. ومن هذا نلحظ ان للفظة الأربعين أبعاداً دلالية وخصوصية سواء على مستوى القرآن أو الحديث، وهذا ما نجده في زيارة الأربعين، وما لها من خصوصية وتفرد.

لماذا الإمام الحسين عليه السلام؟

من الامور المعروفة والمتداولة اجتماعياً والمتوارثة من سنن التاريخ هي زيارة الفقيد بعد أربعين يوماً من وفاته تأسياً بآل بيت الرحمة (صلوات الله وسلامه عليهم) عند زيارتهم قبر سيد الشهداء، فكانت أول زيارة له. بل انه خص بالزيارة في كل مناسبة دينية، من دون سائر الأئمة عليهم السلام، كما في زيارته المخصوصة في يوم عرفة، وفي رجب وفي النصف من شعبان، وزيارة عاشوراء فضلاً عن زيارة الأربعين وغيرها مما ورد ذكرها في كتب الزيارات المعروفة[11].

ويبدو أن مأساة فاجعة الطف وما حملته بين طياتها من مآسي وآلام فاقت كلَّ فاجعة، فضلاً عن استشهاد الامام عليه السلام فيها وبالطريقة والكيفية التي لم يشهدها التاريخ ولم يعرف لها نظيراً، كانت هي السبب في خص الامام الحسين عليه السلام بالإحياء والزيارة الأربعينية من دون بقيّة أهل البيت عليهم السلام وتفرده بذلك، لما لقضيته من ميزة في الحفاظ على الرسالة السماوية كما أرادها الباري عز وجل وكما بعث بها نبيه صلى الله عليه وآله، ولذا قيل: (الإسلام بدؤه محمَّدي وبقاؤه حسينيّ).

فضلا عن ذلك ((أنّ قضيّة سيّد الشّهداء هي التي

ميّزت بين دعوة الحقّ والباطل،..... فما قاساه سيّدُ الشّهداء لتوطيد أسسِ الإسلام واكتساح أشواكِ الباطل عن صراط الشّريعة وتنبيه الأجيال على جرائم أهل الضّلال هو عين ما نهض به نبيُّ الإسلام لنشر الدّعوة الإلهيّة. فمن أجل هذا كلّه لم يجد أئمةُ الدين من آل الرّسول مندوحة إلاّ لفت الأنظار إلى هذه النهضة الكريمة لأنها اشتملت على فجائع تُفَطِّرُ الصخرَ الأصمَّ، وعلموا أنّ المواظبة على إظهار مظلوميّة الإمام الحسين تستفزُّ العواطفَ وتوجب استرقاق الأفئدة))[١٢]، فضلاً عن استلهام العِبر والدروس من هذه الفاجعة الأليمة، لذا كان لابد من اكمال دورها وتأثيرها في نفوس الناس من خلال إحيائها وإعادة استذكارها بعد مرور أربعين يوماً.

((ومن هنا لم يرد التحريض من الأئمّة على إقامة المأتم في يوم الأربعين من شهادة كلّ واحدٍ منهم حتى نبيّ الإسلام لكون تذكار كارثته عاملاً قوياً في إبقاء الرابطة الدينية، وأنّ لفت الأنظار نحوها حاجةٌ مُلِحّةٌ في إحياء أمر المعصومين..... لأنّ مصيبته أعظم المصائب بل تصغر كل مصيبةٍ أمام مصيبته))[١٣].

خصوصية زيارة الأربعين للإمام الحسين

لعل أبرز ما يميز زيارة الاربعين ويحيطها بالخصوصية هو ما تحمله من معاني استذكار الآلام والمصائب والمحن التي حلّت بالإمام الحسين وأهل بيته الكرام، ابتداءً من رجوع السبايا من الشام إلى العراق في العشرين من صفر من أجل دفن الرأس الشريف مع الجسد، وما قاسته من آلام السبي وفقدان الإمام وظلم السلطة واضطهادها. فكان هذا التاريخ يمثل رمزاً وإحياءً لكل مشاعر الحزن والأسى واستذكاراً لهذه الواقعة الأليمة.

ومن هنا جاءت الأحاديث والروايات في حث المحبين والموالين لسيد الشهداء على زيارته في جميع الأوقات بشكل عام وعلى زيارته في الأربعين على وجه الخصوص لما لهذه الزيارة من أهمية في توطيد مشاعر المحبة والولاء للحسين الشهيد واستذكاراً لما بذله من أجل الحفاظ على تعاليم رسالة جده المصطفى.

ولعل ما أسهم في تميز زيارة الأربعين وخصها بهذه الأهمية ما رواه زرارة عن الامام الصادق قال: ((قال أبو عبد الله: يا زرارة إن السماء بكت على الحسين أربعين صباحاً بالدم، وإن الارض بكت أربعين صباحاً بالسواد، وإن الشمس بكت أربعين صباحاً بالكسوف والحمرة، وإن الجبال تقطعت وانتثرت، وإن البحار تفجرت، وإن الملائكة بكت أربعين صباحاً على الحسين))[١٤].

هذا فضلاً عن عمل الإمام المعصوم علي بن الحسين ((السَّجّادُ وعقيلة الهاشميّينَ والسّبايا زاروا الإمامَ المظلومَ يومَ الأربعين، فزيارةُ الإمامِ السَّجّادِ يومَ الأربعينِ دليلٌ على الاستحباب، لأنّ الإمامَ معصوم عن الخطأ فكل تصرفاته وما يصدر عنه حكمة وصواب، ففِعْلُهُ وقولُهُ وتقريرُهُ حُجَّةٌ، ولو لم يكُن يومُ الأربعينِ مُستَحَبّاً لما فَعَلَهُ الإمامُ السَّجّادُ وعقائِلُ الوحيِ والطَّهارةِ صلوات الله عليهم أجمعين؟!))[١٥].

أما الإمام الحسن العسكري عليه السلام فقد خص زيارة الأربعين لسيد الشهداء عليه السلام من خلال جعله إياها واحدة من علامات المؤمن، حيث قال: ((علامات المؤمن خمس: صلاة الإحدى والخمسين، وزيارة الأربعين، والتختم باليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم))[١٦]. نلحظ في هذا الحديث كيف ان الامام عليه السلام ربط بين الأعمال العبادية الواجبة كالصلاة الواجبة والمستحبة وتعفير الجبين الناتج عن كثرة السجود للباري عز وجل وبين زيارة الأربعين للإمام الحسين عليه السلام، مما يشير إلى ان لهذه الزيارة – وبما تحمله من أبعاد ومضامين– أهمية خاصة في ترسيخ دعائم الدين الاسلامي وإحياء للرسالة المحمدية الخاتمة. ومن هنا نجد تأكيد الأئمة على إحياء شعيرة زيارة الأربعين كما أرادها الباري عز وجل، وكما حثت عليها نصوص الائمة عليهم السلام وأحاديثهم في فضل هذه الزيارة المباركة، حتى أنها عُدَّتْ ((من علامة إيمانهم وولائهم لسيد شباب أهل الجنة المنحور على مجزرة الشهادة الإلهية المثول في يوم الأربعين من شهادته عند قبره الأطهر لإقامة المأتم وتجديد العهد بما جرى عليه وعلى أهل بيته وصحبه من الفوادح العظيمة))[١٧] على يد قوى الظلم والكفر متمثلاً بالأمويين ومن تابعهم.

كما ان هذه الزيارة تُعَدُّ من علامات الإيمان لأن الانسان ينفعل بها أكثر من غيرها من الزيارات لما يتمثله فيها من الأحداث والوقائع التي جرت على أهل بيت النبوة عليهم السلام، وكأنه بذلك يعيش في قلب الواقعة، ومعنى هذا ان الانسان سيعيش جو الدموع والآلام والحزن على مصاب آل البيت. وهذا يُعدُّ مظهراً من مظاهر التودد والتقرب لأهل البيت عليهم السلام.

فهذه الزيارة فيها الدموع وفيها الآلام وفيها الحزن أكثر من غيرها لان المؤمن ينغمر بقلبه وكيانه ووجدانه وعواطفه بمآسي المأموم، وهذا هو الجو العبادي الذي تتضمنه الزيارة وتمثله لأنها تستشعر في قلب كل مؤمن أحداث الواقعة بكامل أبعادها ومآسيها وما حلَّ بسيد شباب أهل الجنة وولده وأصحابه وأهل بيته من قتل وسبي.

وبلغ الاهتمام بزيارة الأربعين أن خصَّها الامام الصادق بالدعاء للزائرين الذين يجاهدون أنفسهم في إحيائها، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الزائر يكون تحت رعاية الباري عز وجل ولطفه ورحمته، وهذا ما نقرأه في نصه:((**عن معاوية بن وهب قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وهو في مصلّاه فجلست حتى قضى صلاته فسمعته وهو يناجي ربه ويقول: «يا من خصّنا بالكرامة، ووعدنا الشفاعة وحمّلنا الرسالة، وجعلنا ورثة الأنبياء، وختم بنا الامم السالفة وخصّنا بالوصية وأعطانا علم ما مضى وعلم ما بقي، وجعل أفئدة من الناس تهوي إلينا، اغفر لي ولإخواني وزوار قبر أبي الحسين بن علي صلوات الله عليهما الذين أنفقوا أموالهم وأشخصوا أبدانهم، رغبة في برنا، ورجاء لما عندك في صلتنا، وسروراً أدخلوه على نبيك محمد صلى الله عليه وآله، وإجابة منهم لأمرنا، وغيظاً أدخلوه على عدونا، أرادوا بذلك رضوانك. فكافهم عنا بالرضوان، واكلأهم بالليل والنهار، وأخلف على أهاليهم وأولادهم الذين خلفوا بأحسن الخلف، واصحبهم واكفهم شر كل جبار عنيد، وكل ضعيف من خلقك أو شديد، وشر شياطين الإنس والجن**

وأعطهم أفضل ما أمَّلوا منك في غربتهم عن أوطانهم وما آثرونا على أبنائهم وأهاليهم وقراباتهم. اللهم إن أعداءنا عابوا عليهم خروجهم فلم ينههم ذلك عن النهوض والشخوص إلينا خلافاً عليهم، فارحم تلك الوجوه التي غيَّرتها الشمس، وارحم تلك الخدود التي تقلب على قبر أبي عبد الله عليه السلام، وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا، وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا، اللهم إني أستودعك تلك الأنفس وتلك الأبدان حتى ترويهم من الحوض يوم العطش». فما زال صلوات الله عليه يدعو بهذا الدعاء وهو ساجد، فلما انصرف قلت له: جُعلتُ فداك لو أن هذا الذي سمعته منك كان لمن لا يعرف الله لظننت أن النار لا تطعم منه شيئاً أبداً، والله لقد تمنيت أني كنت زرته ولم أحج، فقال لي: ما أقربك منه فما الذي يمنعك من زيارته؟ يا معاوية لا تدع ذلك، قلت: جعلت فداك فلم أدرِ أن الأمر يبلغ هذا كله. فقال: يا معاوية ومن يدعو لزواره في السماء أكثر ممن يدعو لهم في الأرض، لا تدعه لخوفٍ من أحد، فمن تركه لخوف رأى من الحسرة ما يتمنى أن قبره كان بيده، أما تحب أن يرى الله شخصك وسوادك فيمن يدعو له رسول الله صلى الله عليه وآله؟ أما تحب أن تكون غداً ممن تصافحه الملائكة، أما تحب أن تكون غداً فيمن يأتي وليس عليه ذنب فيتبع به؟ أما تحب أن تكون غداً فيمن يصافح رسول الله صلى الله عليه وآله))[١٨].

والنص بالرغم من طوله إنما يسلط الضوء على أهمية زيارة الامام الحسين عليه السلام في الأربعين وخصوصيتها والأبعاد الدينية والروحية المترتبة على الاهتمام بهذه الزيارة، مشيراً بذلك الى الصعوبات والمشاق المادية التي يتحملها الزائر في اثبات حبه وولائه لآل بيت النبوة والسير على نهجهم. فطريقهم هو الطريق إلى الله سبحانه وتعالى. ومن هنا جاءت الرعاية الالهية في حفظ هذه الشعيرة عبر مراحل التاريخ المختلفة لما تحمله من دروس وعبر وضحها الامام الصادق عليه السلام في حديثه مع معاوية بن وهب. وهذا ما سنحاول أن نقف عنده.

الدروس والعبر الدينية والانسانية والروحية المستقاة من زيارة الأربعين وأثرها في مواجهة التحديات الراهنة:

لم تكن حادثة الطف حدثاً تاريخياً عابراً سطرت وقائعه صفحات الزمن وأسطره، ولم تكن أرض كربلاء بقعة مكانية محددة في جغرافية البلدان، ولم يكن الحسين عليه السلام شخصاً يبحث عن سلطة وقيادة وحكم دنيوي، وإنما كان التاريخ والمكان والشخوص جميعها خاضعة لإرادة إلهية. ومن هنا كسبت سر وجودها وبقائها وخلودها.

ولعل هذا ما يفسر لنا هذا الاهتمام وهذه الخصوصية لإحياء شعيرة زيارة الأربعين على مدى التاريخ، ذلك أنها تعد من الشعائر الإلهية المقدسة التي جاءت نتيجة الصدق في العمل والغاية التي من أجلها خرج الامام الحسين عليه السلام في عاشوراء كربلاء ألا وهو الاصلاح في أمة جده النبي محمد صلى الله عليه وآله من الانحراف والفساد والوقوع في الزلل والخطأ وما آلت إليه الرسالة السماوية من الخروج عن النهج الرباني الذي خط لها على يد السلطة الأموية.

ومن هنا نالت هذه الزيارة الثواب العظيم والاجر الكبير والمنزلة الرفيعة لما تضمنته من دروس وعبر شملت الابعاد المادية والروحية، منها:

تجديد العهد لسيد الشهداء:

ان ما تشهده مدينة كربلاء من توافد الاعداد الكبيرة من الزائرين لأداء مراسم زيارة الاربعين على الرغم مما تتعرض له من ألوان العذاب على مر التاريخ، متمثلاً بتنوع اساليب القتل والاضطهاد والتفجير من قبل أعداء أهل البيت، ما هي الا مسيرات تأييد وتضامن هدفها تأكيد الولاء للمسيرة الحسينية الخالدة وتذكير النفوس بالمبادئ والقيم الرسالية والتعاليم الاسلامية التي من اجلها استشهد الامام الحسين عليه السلام. فكانت زيارة الاربعين تعبيراً صادقاً لاستذكار هذه التضحيات والسير على الدرب الذي عبَّده لهم سيد الشهداء بدمائه الزاكية.

وهذا البعد سبق أن أشار إليه الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عندما قال في الدعاء لهم: ((اغفر لي ولإخواني وزوار قبر أبي الحسين بن علي صلوات الله عليهما الذين أنفقوا أموالهم وأشخصوا أبدانهم، رغبة في برنا، ورجاء لما عندك في صلتنا، وسروراً أدخلوه على نبيك محمد صلى الله عليه وآله، وإجابة منهم لأمرنا، وغيظاً أدخلوه على عدونا، أرادوا بذلك رضوانك. فكافهم عنا بالرضوان))[19].

فالإمام عليه السلام في الوقت الذي يدعو فيه لزوار أبي عبد الله الحسين عليه السلام بالمغفرة لما بذلوه في إحياء زيارة الأربعين والتمسك بها لأثرها في التمسك بعترة أهل البيت وإدخال السرور على قلب الرسول محمد صلى الله عليه وآله، نراه يشير إلى ابعادها الاخرى من إخافة الظالمين وغيظهم، وهذا الدرس وهذه العبرة من الوعي العام في شيعة العالم واتباع أهل البيت وهم يخرجون بالملايين متحدين الموت والارهاب والشهادة من قبل أتباع بني أمية وقوى الظلم والضلالة والكفر. وهذا ما نشهده في كل زيارة أربعينية وكل موسم عاشورائي إذ نجد التحدي والصمود ضد الظالمين والطغاة من خلال ازدياد عدد الزائرين الذين يقدمون الأموال والأرواح من اجل نصرة قضية سيد الشهداء، مُتَحَدّينَ بذلك كل قوى الكفر ووسائل الارهاب من تفجير وتفخيخ من أجل السير على نهج الرسالة المحمدية متمثلة بالقضية الحسينية.

إن هذا السير الأربعيني وهذا الزحف المليوني وهذه العزيمة في مواجهة الظلم كان لها صدىً واسع في مواجهة قوى الكفر والضلال الداعشي وهو يحاول ان يفرض نفوذه على أرض المقدسات، فكان لأبناء الحسين عليه السلام السائرين على دربه المتبعين نهجه أثر في الوقوف بوجهه والتصدي له.

تذكير النفوس بالتعاليم الاسلامية

تعد شعيرة زيارة الأربعين لسيد الشهداء عليه السلام ركيزة أساسية من ركائز التمسك بالتعاليم الاسلامية، فأهل البيت عليهم السلام هم السبيل المؤدي الى الدين الاسلامي وهم الترجمان الحقيقي للإسلام قولاً وعملاً، وهذا ما نقرأه في الزيارة الجامعة للأئمة عليهم السلام: ((السلام على الذين مَنْ والاهم فقد والى الله، ومَنْ عاداهم فقد عادى الله، ومَنْ عرفهم فقد عرف الله، ومَنْ جهلهم فقد جهل الله، ومَنْ اعتصم بهم فقد اعتصم بالله،

ومَنْ تخلى منهم فقد تخلى من الله عز وجل))[٢٠].

فهم السبل السالكة والطريق المؤدي إلى معرفة الله عزَّ وجلَّ، وهذا ما سبق أن أشار إليه الامام جعفر الصادق عليه السلام في حديثه مع معاوية بن وهب، عندما قال: ((أرادوا بذلك رضوانك. فكافهم عنا بالرضوان))[٢١] ومعلوم ان محبة أهل البيت واتباع نهجهم والسير على خطاهم هو الطريق المؤدي إلى توحيد الله ومعرفته، فهم مدرسة -أهل البيت- يمثلون التوحيد، وان الطريق يؤدي إلى معرفة الله والاقرار بوحدانيته والتمسك بعبوديته إنما يمر عبر اتباع نهج مدرسة أهل البيت التي رسم معالمها ووضح نهجها الامام الحسين عليه السلام في نهضته وفي استشهاده، وان تخليد زيارة الاربعين إنما هو السبيل للتمسك بهم والسير إلى الله فـ(مَنْ عرفهم فقد عرف الله ومَنْ جهلهم فقد جهل الله).

ومن هنا جاءت زيارة الاربعين لتذكير النفوس وتعزيزها بالتمسك بوحدانية الله وتعاليم الاسلام المحمدي الأصيل في مواجهة إسلام معاوية والامويين ومن سار على نهجهم ممن أرادوا به الانحراف والتضليل خدمة لمصالحهم وترويجاً لأفكارهم المنحرفة الضالة، وهذا ما شهده الواقع الاسلامي من تحديات في الفكر والعقيدة.

مناسبة لتعزيز وحدة الامة

إن إحياء شعيرة زيارة الأربعين للإمام الحسين عليه السلام إنما هي مناسبة لتعزيز وحدة الامة الاسلامية، بكل طوائفها ومذاهبها، ذلك ان قضية الامام الحسين عليه السلام ونهضته وثورته لم تكن لفئة معينة أو طائفة محددة، وإنما كانت لأهداف اسلامية عامة، وإن مشروعه إنما هو مشروع أمة بأكملها ألا وهو (إصلاح الأمة الاسلامية) وهذا ما صرح به في قوله: ((أني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الاصلاح في امة جدي صلى الله عليه وآله، اريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردَّ علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين))[٢٢].

ومن هنا كانت زيارة الأربعين تمثل درساً من دروس الصلاح والإصلاح، وان هذا السير الكربلائي المقدس في هذه المناسبة إنما هو من أجل النصح والارشاد والاصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهي تمثل تحصيناً للنفس من الوقوع في الضلال وذلك من خلال الابتعاد عن كل ما من شأنه ان يؤدي إلى فساد الامة وانحراف المجتمع. وهذا ما تسعى إليه قوى الكفر والضلال من أجل هدم الامة الاسلامية واضعافها من خلال اشاعة مظاهر الفساد فيها بشكل أو بآخر وكذلك من خلال الطعن والتشكيك في المبادئ التي من أجلها استشهد سيد شباب أهل الجنة عليه السلام، موظفة من اجل تحقيق اهدافها كل ما أوتيت من امكانيات مادية وإعلامية من أجله، وهذا ما نستطيع أن نتلمسه من بعض وسائل الاعلام والفضائيات التي تحاول أن تبث روح التفرقة المذهبية والطائفية بين أبناء المجتمع الواحد، غير أن اتباع مدرسة أهل البيت ومحبيهم والسائرين على نهجهم لم ينههم ذلك عن الالتحاق بالزحف الحسيني المقدس في زيارة الأربعين، وربما

هذا ما سبق أن أشار إليه الامام الصادق عليه السلام عندما قال: ((اللهم إن أعداءنا عابوا عليهم خروجهم فلم ينههم ذلك عن النهوض والشخوص إلينا خلافاً عليهم))[٢٣].

تجديد معاني التضحية والفداء

لعل من أبرز الدروس والعبر المستمدة من زيارة الأربعين هو تجديد العهد بالسير على خطى الامام الحسين عليه السلام والتضحية بالغالي والنفيس من أجل المبادئ والقيم الرسالية التي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وآله، وضحى من أجلها الإمام عليه السلام. والمتتبع لتاريخ زيارة الاربعين منذ وصول سبايا أهل البيت عليهم السلام ولقائهم بجابر بن عبد الله الانصاري في العشرين من صفر عام ٦١هـ، والى يومنا هذا يلحظ كيف ان الولاة من الطغاة والظالمين حاولوا أن يمنعوا اقامة هذه الشعيرة ادراكاً منهم لما تحمله من مضامين وما تبعثه في النفوس من رفض لكل أشكال الظلم والقهر الانساني وخوفاً من زيارته عليه السلام لأنه يمثل الجذوة والقبس الذي يشعل الثورة ضد هؤلاء الطغاة على مر التاريخ ابتداءً من العصر الاموي مروراً بالعصر العباسي وما فعله المتوكل من القتل وقطع الأيدي والارجل لمنع هذه الزيارة وفرض الضرائب والغرامات المالية فضلاً عن العقوبات، وصولاً إلى يومنا هذا حيث التفجير والتفخيخ والقتل والارهاب وغيرها من مظاهر العنف من أجل اضعاف هذه المسيرة المليونية وهذه الشعيرة المقدسة.

لقد تناسى هؤلاء الطغاة ان هذه الزيارة هي تحت عين الباري عز وجل وفي رعايته، وهذا ما رسمه لنا حديث الامام الصادق عليه السلام عن شيعة الحسين ومحبيه، ((فكافهم عنا بالرضوان، واكلأهم بالليل والنهار، واخلف على أهاليهم وأولادهم الذين خلفوا بأحسن الخلف، وأصحبهم واكفهم شر كل جبار عنيد، وكل ضعيف من خلقك أو شديد، وشر شياطين الإنس والجن وأعطهم أفضل ما أملوا منك في غربتهم عن أوطانهم وما آثرونا على أبنائهم وأهاليهم وقراباتهم. اللهم إن أعداءنا عابوا عليهم خروجهم فلم ينههم ذلك عن النهوض والشخوص إلينا خلافاً عليهم))[٢٤]. في اشارة منه إلى أن زوار الامام الحسين في يوم الأربعين تحدوا الموت في خروجهم، وهذه هي ملامح مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وهذه هي تربية الامام الحسين عليه السلام. وما هذه الروح في التضحية والفداء التي نجدها اليوم في نفوس ابنائنا واخواننا من مجاهدي الحشد الشعبي ومن أبطال جيشنا وهم يقارعون قوى الظلم والكفر الداعشي إلا انعكاس لهذه التربية الحسينية الاصيلة، لقد تركوا الاهل والابناء وابتعدوا عن ديارهم مؤثرين طاعة الله ورسوله، سائرين في الدرب الذي رسمه لهم سيد الشهداء، متحدين بذلك الطغاة في كل زمان وفي كل مكان.

التمسك بالمبادئ والقيم الثورية النبيلة:

ان التمسك بإحياء زيارة الأربعين في الوقت الذي يلهب في النفوس حب التضحية والفداء فانه في الوقت ذاته يذكر بالمبادىء والقيم الثورية النبيلة التي تبعث الانسان إلى التضحية من أجلها، وهذا ما تجسده زيارة الأربعين فهي محطة استذكار وتجديد عهد بالمبادئ والقيم الخلقية التي يجب أن يتمتع بها

اتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام وكذلك التذكير بالمبادئ والقيم الثورية النبيلة. على ان هذا لا يعني أن هذه القيم الخلقية والمبادئ الثورية تظهر فقط في الزيارة الاربعينية لسيد الشهداء، وإنما نعني بها ان هذه الزيارة هي محطة تجديد عهد وولاء للمسيرة الحسينية الخالدة. ذلك ان الدنيا بمغرياتها تحاول أن تبعد الانسان –في معظم الاحيان– عن نفسه ومبادئه وقيمه، وأن تجعله عبداً لرغباته ونزواته وشهواته الدنيوية، فتأتي مناسبة زيارة الاربعين كل سنة لتجدد تمسك الانسان بالقيم والمبادئ والابتعاد عن الانحراف الذي قد يقع فيه نتيجة الانغماس في مظاهر الحياة الدنيوية. وهذا ما نشاهده اليوم في شبابنا المجاهد من أبطال الحشد الشعبي فقد وظفوا كل طاقاتهم الشبابية وامكاناتهم الجسدية من اجل الحفاظ على ارض البلد من أي اعتداء تعرض له، وخدمة للدين والمذهب الحسيني الذي تربوا ونشأوا عليه، لقد ترك هؤلاء الشباب الأبطال نعيم الحياة الدنيوية ومغرياتها من اجل الحفاظ على الدين الاسلامي ومن اجل الحفاظ على المقدسات الاسلامية كما فعل قائدهم ومعلمهم الامام الحسين عليه السلام من قبل.

لقد كانت ملحمة الأربعين رافداً معطاءً بكل معاني التضحية والايثار من اجل الحفاظ على المبادئ والقيم الرسالية النبيلة، نهل منه جميع محبي أهل البيت عليهم السلام في كل أرجاء الأرض، وليس بغريب أن ينالوا شرف دعاء المعصوم لهم، وكأنه ينظر الى صورهم ويطالع وجوههم التي احرقتها اشعة الشمس متخطين بذلك كل العقبات والصعوبات من اجل تحقيق الأهداف التي جاهد من أجلها صاحب الذكرى العطرة عليه السلام، حيث نقرأ قوله: ((فارحم تلك الوجوه التي غيرتها الشمس، وارحم تلك الخدود التي تقلب على قبر أبي عبد الله عليه السلام، وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا، وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا))[٢٥] على مر التاريخ والأزمان وهي تصيح (يا حسين) صرخة مدوية يمتد صداها إلى آخر الدنيا، وكأن الامام عليه السلام أراد من شيعته ومحبيه أن يصرخوا بملء وجودهم وأن يرفعوا رايات الحسين (هيهات منا الذلة) و (لبيك يا حسين) حتى ظهور مولانا الامام القائم المنتظر عجل الله فرجه الشريف.

وهذا ما نشاهده اليوم في ساحات الدفاع عن أرض الوطن، حيث رايات الحسين ترفرف خفاقة في كل ناحية وفي كل موضع وقف فيه أبناء الامام الحسين، وما هذا الصمود وما هذه التضحية وما هذا الايثار في الحفاظ على القيم والمبادئ إلا ثمرة من ثمار زيارة الأربعين، ودرساً من دروسها. فلا عجب بعد ذلك ان تشملهم العناية الإلهية وتحيط بهم الدعوات ليس في الأرض فقط من قِبل الأئمة عليهم السلام وإنما الملائكة أيضاً تدعو لهم في السماء، وهذا نص حديث الامام عليه السلام لمعاوية بن وهب يؤكد ذلك: ((فقال: يا معاوية ومن يدعو لزواره في السماء أكثر ممن يدعو لهم في الأرض، لا تدعه لخوف من أحد))[٢٦].

فهنيئاً لمن نال شرف زيارة الامام الحسين في الأربعين، وهنيئاً لمن تمسك بالقيم والمبادئ التي خطها الامام الحسين، وهنيئاً لمن شمله الالتحاق بمدرسة أهل البيت وركب سفينة النجاة.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة في رحاب أبعاد ومضامين زيارة الأربعين لسيد الشهداء الحسين عليه السلام نوجز أبرز ما تم التوصل إليه:

- حمل لفظ (الاربعين) مفهوماً ودلالة على التكامل والتمام في الشيء كما ورد ذلك في القرآن الكريم وأحاديث الأئمة المعصومين عليهم السلام.
- من هذا المنطلق جاءت الأعراف الاجتماعية المتوارثة لتحث على زيارة المتوفى بعد أربعين يوماً من تاريخ وفاته.
- تميز الامام الحسين عليه السلام من سائر الأئمة والمعصومين بخلود زيارة الأربعين لتاريخ استشهاده. كما جاء في الاحاديث عن استحباب إحياء شعيرة (زيارة الأربعين).
- حملت زيارة الأربعين للإمام الحسين عليه السلام دروساً وأبعاداً لازالت مضامينها وآثارها باقية في مواجهة التحديات.
- إن إحياء شعيرة زيارة الأربعين إنما هو إحياء لثورة الحسين عليه السلام وتجديد عهد وتذكير النفوس بالمبادئ الاسلامية والقيم الانسانية النبيلة.
- ان هذه الشعيرة المقدسة كانت ومازالت مصدر قوة لاتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام في مقابل أعدائهم الذين حاولوا على مدى التاريخ أن يحرفوا مسارها بشكل أو بآخر مستعينين بشتى الوسائل والسبل.
- ان ما يشهده الواقع اليوم من صراع بين قوى الكفر والضلال الداعشي وبين قوى الحق هو امتداد لثورة الحسين عليه السلام ونهضته، ومن هنا كانت شعيرة زيارة الأربعين رافداً معطاءً لكل معاني القوة والتضحية والايثار من أجل الدفاع عن أرض الوطن.
- ان ما تشهده زيارة الأربعين من تزايد في أعداد الزائرين واختلاف أماكنهم إنما هو بسبب الرعاية الالهية لها المسددة بدعاء المعصومين عليهم السلام. وستظل راياتها خفاقة تجوب عنان السماء حتى يبعث الله الامام القائم عجل الله فرجه الشريف.

الهوامش

(١) الأحقاف: ١٥.

(٢) التبيان في تفسير القرآن/ تأليف شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥- ٤٦٠هـ)، تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قصير العاملي، بيروت: دار احياء التراث العربي. المجلد التاسع: ٢٧٥.

(٣) البقرة: ٥١.

(٤) الأعراف: ١٤٢.

(٥) التبيان في تفسير القرآن: المجلد ٣/ ٤٩٠.

(٦) المائدة: ٢٦.

(٧) الميزان في تفسير القرآن / العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م ج١٨/ ٤٤٩.

(٨) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار/ تأليف العلم العلامة الحجة فخر الامة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي. ج٢/ ١٥٣.

(٩) م. ن.

(١٠) م. ن: ج٨٢/ ٧٥- ٧٦.

(١١) يُنظر: مفاتيح الجنان / الشيخ عباس القمي. بيروت دار إحياء التراث العربي. الطبعة الأولى: ٢٠٠٣. ص:٤٦٢- ٤٩٣.

(١٢)زيارة أربعين سيد الشهداء الامام الحسين عليه السلام/ مركز العترة الطاهرة للدراسات والبحوث.

(١٣)م. ن.

(١٤)بحار الأنوار: ج٤٥/ ٢٠٦

(١٥)زيارة أربعين الإمام الحسين عليه السلام أدلتها...أسرارها.. أهدافها / علي القطبي الحسيني / مؤسسة النور للثقافة والإعلام، مقالات: ١٥/ ٢/ ٢٠٠٩ م.

(١٦)م. ن: ج٨٢/ ٧٥- ٧٦.

(١٧)زيارة أربعين سيد الشهداء الامام الحسين عليه السلام/ مركز العترة الطاهرة للدراسات والبحوث.

(١٨)بحار الأنوار: ج٨٩/ ٨-٩.

(١٩)م. ن.

(٢٠)مفاتيح الجنان: ٥٦٤.

(٢١)بحار الأنوار: ج٨٩/ ٨-٩.

(٢٢)م. ن: ج٤٤/ ٣٣٠.

(٢٣)م. ن: ج ٨٩/ ٨.

(٢٤)م. ن.

(٢٥)م. ن.

(٢٦)م. ن.

المصادر والمراجع

١. **القرآن الكريم.**

٢. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار/ تأليف العلم العلامة الحجة فخر الامة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي.

٣. التبيان في تفسير القرآن/ تأليف شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥- ٤٦٠هـ)، تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قصير العاملي، بيروت: دار احياء التراث العربي.

٤. زيارة أربعين الإمام الحسين عليه السلام أدلتها...أسرارها.. أهدافها / علي القطبي الحسيني / مؤسسة النور للثقافة والإعلام، مقالات: ١٥/ ٢/ ٢٠٠٩ م.

٥. زيارة أربعين سيد الشهداء الامام الحسين عليه السلام/ مركز العترة الطاهرة للدراسات والبحوث.

٦. مفاتيح الجنان/ الشيخ عباس القمي. بيروت دار إحياء التراث العربي. الطبعة الأولى: ٢٠٠٣.

٧. الميزان في تفسير القرآن/ العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

الابعاد الفكرية والعقائدية لزيارة الأربعين

أ. م. د. وليد عبد جبر الخفاجي

كلية الآداب – جامعة واسط

الملخص

ان البحث في زيارة الأربعين كظاهرة ليست وليدة الحاضر وليست نتاج لحظات عابرة ومنعزلة عن الظروف والشروط الاجتماعية التي انتجتها، وانما هي وليدة ارهاصات تراكمت عبر واقع موضوعي امتد عمقاً في التاريخ العربي – الاسلامي وتجذرت في الذاكرة الشعبية وتداخلت فيها عوامل المكان والزمان بحيث كونت وعياً جمعياً تكوينياً امتد الى عمق الحاضر المعيشي لتظهر في شعائر وطقوس ومراسيم عبرت ومازالت تعبر عن عمق المأساة في ذاكرة المسلمين. فضلاً عن ان البنية الاجتماعية هي بنية دينية ولازالت كذلك. ومن منظور علم الاجتماع، كان التفكير الديني وما يزال الطريقة التي يفكر بها الناس في حياتهم الاجتماعية، وبخاصة في المجتمع العربي –الاسلامي الذي تأسس برؤية دينية وبقي كذلك، مع بعض الاختلافات الجزئية على مستوى الممارسة التي لا تقلل من اهمية الرؤية وفاعليتها في المجتمع.

احتلت ظاهرة الزيارة الاربعينية للإمام الحسين عليه السلام في العشرين من صفر من كل عام اهمية بارزة كشعيرة دينية تمثل رمزاً يرتبط بالرسالة الالهية لخاتم الانبياء والمرسلين النبي الاكرم ابي القاسم محمد صلى الله عليه وآله وكطقس موروث باهتمام المختصين في العلوم الدينية والانسانية وخصوصاً علماء الانسان والاجتماع المعاصرين، كون الظاهرة آخذة بالاتساع المضطرد لأنها خرجت من النطاق المحلي الى النطاق العالمي، وخصوصاً بعد سقوط النظام الشمولي في العراق عام ٢٠٠٣ وانهيار مؤسساته وأدوات حكمه، برزت ظاهرة أداء الزيارة في الاربعينية بشكل لافت للنظر، أذ أخذت بالتطور واتساع نسبة المشاركة المليونية في هذه الظاهرة، أذ تتداخل الثقافات المختلفة اثناء تأدية مراسيم الزيارة تداخلاً واضحاً. أذ اتسمت الظاهرة بطابع ديني واجتماعي وسياسي واقتصادي وأيضاً ثقافي، ومن الطبيعي أن تتسع دائرة الاهتمام بدراسة هذه الظاهرة ومعرفة دوافعها والأسباب التي أدت إلى اتساعها بهذا الشكل الكبير. ودراستها بشكل يوفر جانباً من الإحاطة بتلك الدوافع والأسباب.

إن الهدف الأساسي من البحث هو دراسة الظاهرة وقراءتها من الداخل على وفق منهج تحليلي لمعرفة العوامل والأسباب التي أدت إلى تفاقمها واتساعها بعد سقوط النظام عام ٢٠٠٣، واستقصاء العلاقات

الاجتماعية وما ينجم عنها أثناء المشاركة وممارسة عملية السير لمسافات شاسعة، حيث تنتقل العادات والقيم الاجتماعية والثقافية بين المجتمعات الفرعية المشاركة، كما يمكن التعرف على التوظيف السياسي والديني للظاهرة من قبل المؤسسات والحركات والأحزاب التي تدعم هذه الظاهرة لتشكل أكبر ظاهرة سلوك جمعي في العراق على مر العصور. أذ يعتقد علماء الأناسة (الانثروبولوجيون) بأن الموروثات الشعبية (الفولكلور) هي تقليد ومحاكاة لعادات وتقاليد شعبية موروثة وراسخة في المخيال الشعبي ولا يمكن تغييرها بسهولة، حتى لو تغيرت الاجيال والنظم الاجتماعية والاقتصادية، لان من خصائصها انها تنتقل شعورياً أو لا شعورياً من جيل الى آخر. وإذا حدث فيها اي تغير وتطور وتبدل، حسب المعطيات والحاجات والمؤثرات الداخلية والخارجية، فإنها لا تفقد خصوصياتها ومعانيها ونكهتها الشعبية، أو تغير مسارها وحركتها، أو أن تستغل بقوة، كونها راسخة في المخيال الشعبي، وبخاصة إذا كانت شعائر وطقوساً مرتبطة بمشاعر دينية ووطنية واجتماعية.

The Intellectual And Ideological Dimensions Of The Arbaeen Pilgrimage

Prof. Walid Abd Jabur Al-Khafaji

Faculty of literatures / Wasit University

Abstract

The research on the Arbaeen pilgrimage as a phenomenon is not a product of the present, neither a product of transient moments isolated of the social conditions and circumstances it produced, rather a result of arithmetic accumulated through an objective reality that has deepened in Arab-Islamic history and was rooted in the popular memory as well as it overlapped with time-space factors, so it created a collective consciousness that extended to the depth of the present life to appear in rituals, ceremonies and decrees that expressed and still express the depth of the tragedy in the memory of Muslims.

From the perspective of sociology, religious thought was and still is the way people think in their social life, especially in the Arab-Islamic society that was founded with a religious vision and remained so, with few partial differences in practice that do not underrate the importance of the vision and its effectiveness in society.

The phenomenon of the Arbaeen pilgrimage of Imam Hussein "pbuh" on the 20th of Islamic month of Safar each year, has assumed prominence as a religious ritual representing a symbol associated with the divine message of the last prophet Mohammed "pbuh", and as an inherited ritual that subjected to the attention of the contemporary specialists of religious and human sciences, as this phenomenon is steadily increasing as a result of its emergence from the local scope into the global one, especially after the fall of the totalitarian regime in Iraq in 2003 and the collapse of its institutions and tools of governance, so the Arbaeen pilgrimage has emerged remarkably, and has grown and participated by increasing number of beleivers on yearly basis, not to mention how different cultures are overlapping during the practicing of its ceremonies as this phenomenon has been characterized by a religious, social, political, economic and cultural nature, so it is natural that the circle of interest to study this phenomenon and knowing its motives and the reasons that led to its expansion, to be grown in such a large format, while studying it in such way will provide some of the knowledge neccesary for those motives and reasons.

The main objective of the research is to study this phenomenon and to read it from the inside according to an analytical approach to figure out the factors and reasons that led to its aggravation and expansion after the fall of the Baath regime in 2003, and to investigate the social relations and the result they produce during the participation in the Arbaeen walk from large distances, as the social and cultural traditions are exchanging among the different communities practicing this walk, as well as the ability to use the political and religious form of the phenomenon by the institutions, movements and parties that support this phenomenon to constitute the largest phenomenon of collective behavior in Iraq throughout the ages.

Anthropologists believe that folklore is an imitation to the traditions and of popular customs rooted in folk imagination and cannot be easily changed even if generations, social and economic systems were changed, because their characteristics are transmitting sensually or unconsciously from generation to another, and if there is any change or development according to the results, needs and influences, then they do not lose their specificities and meanings or even their popular flavor, because they are firmly rooted in the popular imagination, especially if they were rituals and ceremonies linked to religious, patriotic and social feelings.

المقدمة

ان البحث في زيارة الأربعين كظاهرة ليست وليدة الحاضر وليست نتاج لحظات عابرة ومنعزلة عن الظروف والشروط الاجتماعية التي انتجتها، وانما هي وليدة إرهاصات تراكمت عبر واقع موضوعي امتد عمقاً في التاريخ العربي – الاسلامي، وتجذرت في الذاكرة الشعبية وتداخلت فيها عوامل المكان والزمان بحيث كوَّنت وعياً جمعياً تكوينياً امتد الى عمق الحاضر المعيشي لتظهر في شعائر وطقوس ومراسيم عبَّرت ومازالت تعبّر عن عمق المأساة في ذاكرة المسلمين. فضلاً عن إن البنية الاجتماعية – وما زالت كذلك – هي بنية دينية. ومن منظور علم الاجتماع، كان التفكير الديني وما يزال الطريقة التي يفكر بها الناس في حياتهم الاجتماعية، وبخاصة في المجتمع العربي –الاسلامي الذي تأسس برؤية دينية وبقي كذلك، مع بعض الاختلافات الجزئية على مستوى الممارسة التي لا تقلل من اهمية الرؤية وفاعليتها في المجتمع [1].

احتلت ظاهرة زيارة الأربعين للإمام الحسين عليه السلام في العشرين من صفر من كل عام أهمية بارزة كشعيرة دينية تمثل رمزاً يرتبط بالرسالة الإلهية لخاتم الأنبياء والمرسلين النبي الاكرم أبي القاسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكطقس موروث باهتمام المختصين في العلوم الدينية والانسانية وخصوصاً علماء الانسان والاجتماع المعاصرين، كون الظاهرة آخذة بالاتساع المضطرد لأنها خرجت من النطاق المحلي الى النطاق العالمي، وخصوصاً بعد سقوط النظام الشمولي في العراق عام ٢٠٠٣ وانهيار مؤسساته وأدوات حكمه.

برزت ظاهرة أداء الزيارة في الأربعينية بشكل لافت للنظر، إذ أخذت بالتطور، واتساع نسبة المشاركة المليونية في هذه الظاهرة، إذ تتداخل الثقافات المختلفة أثناء تأدية مراسيم الزيارة تداخلاً واضحاً، إذ اتسمت الظاهرة بطابع ديني واجتماعي وسياسي واقتصادي وثقافي، ومن الطبيعي أن تتسع دائرة الاهتمام بدراسة هذه الظاهرة ومعرفة دوافعها والأسباب التي أدت إلى اتساعها بهذا الشكل الكبير، ودراستها بشكل يوفر جانباً من الإحاطة بتلك الدوافع والأسباب.

إن الهدف الأساسي من البحث هو دراسة الظاهرة وقراءتها من الداخل وفق منهج تحليلي لمعرفة العوامل والأسباب التي أدت إلى تفاقمها واتساعها بعد سقوط النظام عام ٢٠٠٣، واستقصاء العلاقات الاجتماعية وما ينجم عنها أثناء المشاركة وممارسة عملية السير لمسافات شاسعة، حيث تنتقل العادات والقيم الاجتماعية والثقافية بين المجتمعات الفرعية المشاركة، كما يمكن التعرف على التوظيف السياسي والديني للظاهرة من قبل المؤسسات والحركات والأحزاب التي تدعم هذه الظاهرة لتشكل أكبر ظاهرة سلوك جمعي في العراق على مر العصور، إذ يعتقد علماء الأناسة (الانثروبولوجيون) بأن الموروثات الشعبية (الفولكلور) هي تقليد ومحاكاة لعادات وتقاليد شعبية موروثة وراسخة في المخيال الشعبي ولا يمكن تغييرها بسهولة، حتى لو تغيرت الاجيال والنظم الاجتماعية والاقتصادية، لأن من خصائصها انها تنتقل شعورياً أو لا شعورياً من جيل الى آخر، وإذا حدث فيها اي تغير وتطور وتبدل

حسب المعطيات والحاجات والمؤثرات الداخلية والخارجية فإنها لا تفقد خصوصياتها ومعانيها ونكهتها الشعبية أو تغير مسارها وحركتها أو أن تستغل بقوة، كونها راسخة في المخيال الشعبي، وبخاصة إذا كانت شعائر وطقوساً مرتبطة بمشاعر دينية ووطنية واجتماعية[٢].

وتعد مراسيم زيارة الأربعين من أهم الموروثات الشعبية في العراق كونها تلعب دوراً فعالاً في المعتقدات الروحية، إذ تخلق أجواءً دينية وثقافية يمكن تسخيرها اجتماعياً وسياسياً، وبهذا الأداء تمتاز من كونها ظاهرة ذات طابع الديني الشعائري إلى كونها ظاهرة اجتماعية – سياسية – طقوسية لها خصوصية على المستوى المحلي والعالمي، وقد ارتبط أفراد المجتمع العراقي ارتباطاً روحياً بمأساة كربلاء إذ أضحى الحزن والعزاء أحد سمات الشخصية العراقية وخصوصاً لأبناء الوسط والجنوب.

وقد عرض الامام الحسين عليه السلام استراتيجية أعظم ثورة ونهضة مصيرية، في خروجه العظيم من المدينة الى كربلاء واستشهاده، وانعكست على حياة الامام السجاد عليه السلام التي كانت مليئة بالمقاومة واقتطاف ثمار ثورة عظيمة وحماسة صنعها الامام الحسين عليه السلام وضحى من أجلها وتحدى فيها طاغية زمانه الذي كانت نشوة انتصاره ظاهرية، وكان يتمادى في حالات الاستبداد والقهر التي اصطنعها ضد مخالفيه[٣].

والتحليل السوسيولوجي يؤكد لنا استمرار واتساع ظاهرة زيارة الأربعين كونها تعد شكلاً من أشكال الرفض والاحتجاج ضد الرؤية الايديولوجية الدينية الحاكمة على مر العصور التي ترسخت في الواقع الاجتماعي الذي يُعدُّ أصل تكوينها، إذ تحولت الى صرخة حق ألجمها السلطان الجائر. وهذا يشكل أحد الأسباب التي أدت الى اتساع نطاق زيارة الأربعين.

الإطار المنهجي: ويتضمن الآتي:

مشكلة البحث

تملك المجتمعات على اختلاف أديانها ومذاهبها معتقدات وأساليب للحياة تتميز بها عن غيرها وتشكل هويتها، ويعتبر الدين المنبع الأساس الذي تستمد منه المجتمعات هذه المعتقدات وهي تحاكي الواقع الثقافي والاجتماعي، وتعد الأساس الذي يحدد من خلاله ما هو مقبول ومرفوض في السلوك الإنساني.

ومن خصائص هذه المعتقدات أنها تمزج الواقع بالخيال فتكون تمثيلاً للفلكلور بكل مكوناته من أساطير وخرافات وحكايات شعبية قد لا يعرف المجتمع منشأها وقد لا تمت للدين بصلة لكنه يتمسك بها ويؤسس من خلالها طقوساً مستوحاة من التراث القديم ويشكل بذلك نسقاً خاصاً للتدين والثقافة الشعبية ينتقل بصورةٍ شفاهيةٍ بواسطة كبار السن الذين يتركون أثراً في ترسيخ وتقوية الممارسة الفعلية لهذه المعتقدات، ونظراً لأهميتها وارتباطها بالواقع الثقافي والاجتماعي والديني للإنسان، سعى البحث فيها والكشف عن الاسباب التي تدعو الى إعادة إنتاجها عبر مراحل زمنية مختلفة.

إن تراكم هذه الخبرات الإنسانية يُظهر خصائص وأصالة المجتمع الذي يتبناها وإن تمسك الأفراد بها يثبت مدى تجذرها بالسلوك ويظهر خواص روحية وثقافية مكونة نسقاً غيبياً معنوياً وقد أحاطها المجتمع بهالة من القداسة ليدعمها ويعزز قوتها.

يتناول هذا البحث ظاهرة زيارة الأربعين للإمام الحسين عليه السلام عند الشيعة من خلال تحليل جزيئاتها بكل أبعادها الاجتماعية والسياسية والدينية والاقتصادية والرجوع بالظاهرة إلى جذورها التاريخية والمراحل التي مرت بها وعلاقتها بالعوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وعليه تكمن مشكلة البحث بعدة تساؤلات يسعى الباحث الإجابة عنها هي كالآتي:

ماهي الأسباب الموجبة للمسلمين لإحياء ذكرى عاشوراء منذ قرون ولحد الوقت الحاضر؟

ماهي الاسباب التي أدت الى اتساع حجم الظاهرة وخصوصاً بعد سقوط النظام الشمولي عام ٢٠٠٣ مقارنة بالحقب السابقة؟

ما هي الدوافع التي تدعو ملايين الناس لتحمل عناء السفر والسير لمسافات شاسعة لأداء مناسك هذه الشعيرة؟

هل ساعدت قوة التأصيل الفقهي الديني للظاهرة ورمزيتها في ترسيخها كظاهرة غلبت تأثير الموروثات الشعبية من قيم وعادات وتقاليد؟

هل للظاهرة أبعادٌ فكرية وعقائدية وتاريخية وانعكاسات اقتصادية على الواقع الاجتماعي؟

أهداف البحث:

إن كل دراسة أو بحث علمي يسعى الى تحقيق هدفٍ أو مجموعة من الأهداف وهذا ما يجعلها إضافة علمية في ميدان التخصص، والبحث الحالي حدد أهدافه بالآتي:

١. تسليط الضوء على أبعاد الظاهرة الفكرية والعقائدية والتاريخية وانعكاساتها على الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي.
٢. بيان أسباب اتساع حجم الظاهرة وخصوصاً بعد سقوط النظام الشمولي عام ٢٠٠٣ مقارنة بالحقب التي سبقتها.
٣. توضيح قوة التأصيل الفقهي الديني للظاهرة ورمزيتها كظاهرة ساهمت في ترسيخها بشكل غلب تأثير الموروثات الشعبية من قيم وعادات وتقاليد.
٤. التوصل الى وضع مقترحات تساهم في تعضيد مراسيم الظاهرة المدروسة.

منهجية البحث

نظام من القواعد الصريحة الواضحة والإجراءات التي يُبنى عليها البحث، يراد بالمنهجية العلمية وتقوّم ادعاءات المعرفة بناءً عليها. كما يُعّرف الإطار المنهجي بأنه طريقة من طرائق البحث تتألف من مراحل عدة، يسير البحث العلمي المنتظم بحسبها عند بحثه أي مشكلة أو مسألة أو فرضية، واستخدم الباحث عدة مناهج علمية للإحاطة بمشكلة البحث وهي كالآتي:

أولاً: المنهج التاريخي:

وهو من المناهج المهمة المستخدمة بكثرة في الابحاث الاجتماعية، والباحث الذي يستخدم هذا المنهج ينطلق من المبدأ الذي ينص على ان لكل ظاهرة اجتماعية تاريخها فهي ليست وليدة اليوم بل لها تاريخ موغل في القدم[٤]. لذا يعتقد علماء التاريخ مثل ابن خلدون وكارل ماركس وتوينبي وهيجل بأننا لا نستطيع ان نفهم الحاضر دون دراسة الماضي، وفهم الماضي والحاضر يساعدنا على تنبؤ المستقبل[٥]، وبالتالي اشتقاق قوانين عامة تفسر مسيرة الظاهرة المدروسة[٦].

إنّ دراسة أيّ ظاهرة اجتماعية تستدعي مراجعة تاريخها لتحديد عوامل تطورها أو تغيرها وابتعاد الباحث عن السرد التاريخي، واعتماد الطريقة التحليلية وفق خياله السوسيولوجي وفهم المنظور الكلي للصورة التاريخية للفرد والمجتمع على ضوء ما تنطوي عليه من دلالات تاريخية.

يعتمد المنهج التاريخي على تتبع الحوادث التاريخية وسير تسلسلها ودراستها، أي جمع المعلومات والحقائق من خلال الوثائق والسجلات والمصادر التاريخية المتاحة لتتبع الدراسة موضوع البحث.

والمنهج التاريخي يوصف ويعرف بأنه الطريقة التي تساعد على تفسير الظواهر الاجتماعية بالرجوع الى خلفياتها التاريخية لتتبع نشأتها وتطورها التاريخي[٧].

ثانياً: المنهج الوصفي التحليلي:

إن الاسلوب الوصفي الاثنوجرافي يعرف بانه تلك الصيغة البحثية التي تستهدف الوصف الكمي او الكيفي لظاهرة اجتماعية، او مجموعة من الظواهر المترابطة، من خلال استخدام الادوات المعرفية لجمع البيانات[٨]. ويعتبر بعض العلماء إن المنهج الوصفي يجب ان يكون قاصراً او مختصاً ببحث الظواهر في الوقت الحاضر[٩]، وان الباحث من خلال استخدامه المنهج يسجل ويصف مظاهر السلوك ذات الدلالة الثقافية في مجتمع الدراسة، وإن هذا يتطلب قضاء فتره طويلة في الدراسة العميقة كما يتطلب الاقامة في المجتمع المدروس ومعرفة لغته[١٠].

تتميز الدراسة الوصفية بانها تستطيع ان تغني المعلومات والبيانات المتوفرة عن موقف اجتماعي، او ظاهرة اجتماعية بحيث توفر الظرف العلمي الملائم لدراسة أكثر عمقاً، وتتميز بشموليتها، واتساع إطارها وتركيزها على جمع الملومات الممكنة حول موقف معين وفق إطار محدد، وهذا يعني إنه يستطيع أن يفرز مشكلات جديدة للبحث وأن ينمّي الأُطر النظرية والمفاهيم القائمة.

ثالثاً: المنهج المقارن:

يستعمل هذا المنهج في دراسة المقارنة بين المجتمعات المتباينة أو الجماعات المختلفة التي تعيش في مجتمع واحد لتوضيح أسباب الشبه والاختلاف بين المجتمعات والجماعات وأول من استعمل هذا المنهج علماء اللغة في القرن الثامن عشر عندما قاموا بدراسة عدة لغات بغية المقارنة بينها والتوصل إلى الصفات المشتركة التي تربطها والتي تشير إلى اشتقاقها من أصل لغوي واحد، واستعمل هذا الاصطلاح خلال القرن التاسع عشر لتوضيح

الطريقة التي تستطيع استخراج أوجه الشبه بين المؤسسات الاجتماعية لاقتفاء جذورها المشتركة[١١].

كما إن هذا المنهج يقارن ويحدد ويميز الضروري من غيره واكتشاف العوامل الكامنة والضرورية لإحداثها[١٢]. ويستخدم هذا المنهج في مقارنة الظاهرة الاجتماعية في المجتمع نفسه ولكن عبر مراحل زمنية مختلفة[١٣].

نبذة تاريخية:

ان تجديد العزاء الحسيني في كل زمان ومكان لا يمثل إعادة الماضي وتكرار الخلاف، وانما هو في حقيقته تجسيد للصراع بين الحق والباطل الذي ما زال قائماً، وعلينا اتخاذ موقف ثابت وواضح منه. ولولا مصداقية الثورة الحسينية وشرعيتها لما بقيت في الذاكرة وأضحت رمزاً لصدق المبدأ والعقيدة، ومثلاً للتضحية والفداء من أجل المبدأ، وليست بداية الاحزان والعزاء.

إذ يعود تاريخ العزاء في بلاد ما بين النهرين إلى العصور القديمة التي سبقت واقعة كربلاء إذ كانت طقوس الموت والحزن والبكاء معروفة في المجتمعات والأديان الشرقية، ولا سيما في بلاد ما بين النهرين، إذ إنَ تراتيل البابليين ومناحاتهم على خرائب سومر وأكد وكذلك مناحات عشتار على فقيدها إله الربيع المقتول تموز في سومر القديمة، تذكرنا بنواح زينب على أخيها الحسين وليلى على ولدها علي الأكبر عليه السلام في كربلاء[١٤].

وليس غريباً أن تنتقل طقوس البكاء بين الأجيال لتجعل من الشخصية العراقية ميالة للعزاء والنواح، فهذه الطقوس لها جذور تاريخية في العراق قبل واقعة عاشوراء واستشهاد الإمام الحسين.

إن ثقافة البكاء مرتبطة بالإنسان العراقي منذ القدم، وإنَ واقعة كربلاء شكلت عودة هذا الفرد إلى طقوسه التي اعتاد عليها في العصور البابلية التي كان الحزن والبكاء يشكلان طابعها الجوهري، وهذا ما يؤكده ايردمنس «في المقارنة التي أجراها بين طقوس الموت والبكاء على الإله تموز» (ادونيس) التي كانت تقام سنوياً في سومر وبابل وبين طقوس العزاء على الحسين عليه السلام كل عام في أغلب المدن العراقية. إنَ الاحتفالات التي كانت تجري في شارع الموكب في بابل من أجل تموز تلقي – بحسب «ايردمنس ضوءاً– يساعد على مقارنتها بما كان يجري أيام عاشوراء من بكاء ونواح وتراتيل حزينة، وقد أكد «ايردمنس» أن هذه الطقوس هي استمرار لطقوس الربيع التي كانت تقام من أجل الإله تموز، وأنّها استمرت في حران والموصل حتى القرن الحادي عشر وكذلك الثالث عشر الميلاديين في شمال العراق بشكل بسيط ومحوَّر[١٥]. كانت الاحتفالات بذكرى معركة كربلاء قد انطلقت منذ قرون طويلة ومرت بمراحل التطور والبلورة حتى بلغت شكلها النهائي، وعلى الرغم من صعوبة التدقيق في معرفة الحقبة التاريخية التي شهدت نشوءها، إلا انه من الممكن اقتفاء آثار بعض الشعائر من خلال الوقوف على الحقبة التاريخية للحدث التأسيسي لاستشهاد الإمام الحسين، في حين يعود نشوء صور العزاء بشكلها الحالي إلى حقب تاريخية مختلفة.

تُعَدُّ المآتم الحسينية اليوم من أكبر الشعائر الدينية في العالم، منذ تأسيس الأئمة للمآتم الحسيني بوصفه شعيرة دينية، وذلك عبر توفير الأرضية المناسبة لسن المآتم من الإمام زين العابدين وبناء أركان المآتم في عهد الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، واتساع دائرة العزاء في عهد الإمامين الكاظم والرضا عليهما السلام، وبناء على التقاليد المتبعة في المجتمعات البشرية تقيم أسرة القتيل المآتم عليه، ولم يكن أهل بيت الإمام الحسين عليه السلام استثناء من ذلك، بل اتسعت دائرة مآتم الإمام الحسين عليه السلام لما له من صلة بالنبي صلى الله عليه وآله ومكانة اجتماعية، حتى أقام له الناس ولا سيما الصحابة والتابعين المآتم، وسُمّيَ عام استشهاده عام الحزن[١٦].

يروى أنَ أول مآتم للعزاء على الإمام الحسين بعد استشهاده ونخبة من أهل بيته وأصحابه في واقعة كربلاء كان في ساحة القتال عند غروب شمس العاشر من محرم بعدما وجدوا الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه مضرجين بدمائهم، ثم أقيم المأتم الثاني في الشام عند وصول الأسرى من أهل بيت الإمام عليه السلام إلى مجلس يزيد إلى بيته[١٧] وبعد عودة السبايا من الشام إلى المدينة برفقة الإمام علي بن الحسين عليه السلام أقامت عائلة الإمام الحسين مأتماً آخر.

عن بشير بن حذلم، قال: لما قربنا من المدينة نزل علي بن الحسين فحطّ رحله وضرب فسطاطه، وانزل نساءه وقال يا بشر رحم الله أباك، لقد كان شاعراً فهل تقدر على شيء منه «يعني الشعر»؟ قلتُ: بلى يا ابن رسول الله إني شاعر قال: ادخل المدينة وانعَ أبا عبد الله الحسين قال بشر: فركبت فرسي وركضت حتى دخلت المدينة فلما بلغت مسجد النبي رفعت صوتي بالبكاء وأنشأتُ:

يـا أهـل يـثـرب لا مـقـام لـكـم بها
قُـتِـلَ الحـسـين فـأدمـعـي مـدرارُ
الجـسـم مـنـه بـكـربـلاء مـضرج
والـرأس منه على القناة يُـدارُ[١٨]

وهكذا بدأت مآتم العزاء تقام حزناً على الإمام الحسين عليه السلام من قبل بني هاشم وام سلمة وام البنين زوجة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وبكاء آل عبد المطلب وحداد أهل البيت وبكاء التوابين ونواحهم على قبر الحسين في طريقهم إلى قتال أهل الشام، وغير ذلك من مراسم للعزاء[١٩]. وكان أول من سنّ البكاء والعزاء شعيرةً دينية هو الإمام علي السجاد عليه السلام الذي سكن المدينة بعد استشهاد أبيه الحسين، وانتهز جميع الفرص لإحياء ذكرى واقعة كربلاء، فكان يبكي آلماً إذا أراد شرب الماء، وكان بكاؤه على مرأى الناس ومسمعهم، حتى طلبوا منه الكف عن البكاء خوفاً على صحته، كما كان يدعو الآخرين للبكاء على الحسين، وعدّ ذلك سبيلاً لدخول الجنة ونيل الأمان من الله سبحانه، وحين بدأت إمامة الإمام الباقر عليه السلام كان قد مر على واقعة كربلاء ثلاثة عقود، وظهر في الساحة جيل جديد لم يذكر شيئاً عن واقعة كربلاء، كما حدثت ثورات ووقائع أخرى في هذه العقود، مثل ثورة التوابين، وثورة الزبير، وثورة المختار، إلا أنَ تلك الحوادث المؤلمة ومقتل قتلة الحسين على يد المختار، لم تؤدِ إلى تركِ الإمام الباقر عليه السلام واقعة كربلاء يطويها النسيان، بل كأبيه، انتهز كل فرصة لإحياء ذكرى سيد الشهداء وواقعة كربلاء، ويعني ذلك انه سعى لسن المأتم الحسيني شعيرة دينية[٢٠]. إذ يعتقد

«باستروف» بأن طقوس العبادة وزيارة الاضرحة المقدسة والتراتيل الدينية الحزينة، التي كان الكهان يقومون بها في بابل القديمة، تشبه الى حد بعيد ما يجري في احتفالات عاشوراء التي تقوم أساساً على نفس فكرة الشفاعة والانقاذ[٢١]. ثم توالت مجالس العزاء التي كان يقيمها الأئمة من ولد الحسين على مر العصور، إذ كانوا يعطون الهدايا ويهبون الهبات للشعراء لكي يرثوا جدهم الإمام الحسين، ويوجد كثيرٌ من الأحاديث والروايات الواردة عنهم باستحباب البكاء على الحسين وأهل بيته مقابل ضمانات بالثواب والأجر، لا مجال لذكرها جميعها هنا، تلافياً لإطالة البحث، لكن العزاء بوصفه طقساً أخذ شكله وطابعه التراجيدي في الاحتفالات الشعائرية الرمزية في القرن السابع الميلادي بعد قيام «التوابين» بأول حركة مقاومة ضد الحكم الأموي للأخذ «بثارات الحسين» بعد أن شعر أهل الكوفة بالندم المرير لمقتل سبط رسول الله وعلي وفاطمة الزهراء، تلك الحركة التي كوّنت -على أغلب الاحتمالات - أول نواة للاحتفال بذكرى استشهاد الحسين يوم عاشوراء، إذ كان بعض المناصرين لأهل البيت يذهبون إلى كربلاء للتجمع حول قبر الحسين لإظهار الندم وطلب المغفرة لتقاعسهم عن نصرته في واقعة كربلاء[٢٢]. وهناك مصادر تاريخية تؤكد أنَ المختار بن يوسف الثقفي الذي قاد حركة «التوابين» ورفع شعار «يا لثارات الحسين» كان أول من أقام احتفالاً تأبينياً في داره في الكوفة بمناسبة يوم عاشوراء وانه أرسل بعض النادبات إلى شوارع الكوفة للندب على الحسين[٢٣]، ولعل الصراعات الدامية التي وقعت بين التنظيمات الشيعية الثورية من جهة، والحكم الأموي والعباسي من جهة اخرى، ساهمت ببلورة ونشأة شعيرة العزاء، إذ أخذ الشيعة بقيادة زمرة التوابين في السنوات الأولى لاستشهاد الحسين مواجهة السلطة وتحديها، كذلك بدأت حملة الزيارة إلى قبر الحسين في كربلاء رداً على حملات الاضطهاد التي شنتها تلك السلطات، وقد تحولت كربلاء منذ ذلك الحين إلى مزار[٢٤] يأتيه عدد كبير من المسلمين الشيعة، وهكذا أخذ العزاء يترسخ في المجتمع الشيعي عاماً بعد آخر ماراً بانعطافات مهمة تراوحت بين المنع والسماح به، إذ سَجّلت العديد من السنوات منعاً لإقامة العزاء وكانت أول مسيرة عزاء بعد هذا الانتعاش هو موكب الشيخ محمد باقر أسد الله (المتوفى عام ١٨٤٠ م) في الكاظمية، أما في كربلاء فقد كان آية الله الشيخ محمد جواد البلاغي (توفي عام ١٨٤٦م) أول من أقام المواكب الحسينية يوم عاشوراء وعنه أخذت حتى توسعت ووصلت إلى ما هي عليه اليوم[٢٥].

أما بعد انهيار الحكم العثماني في العراق عام ١٩١٧م فقد اتبع الحكام الجدد (حقبة الحكم الملكي) سياسة التحبيب والترغيب، إذ أخذوا برعاية المواكب الحسينية بصورة خاصة، إلى الحد الذي أغلقت الحكومة الانكليزية ملهى ليلياً يقع بالقرب من مرور المواكب الحسينية احتراماً لحرمة عاشوراء، كما حضر الملك فيصل الأول بنفسه مجلس عزاء أُقيم باسمه أكثر من مرة. لكن سياسة الحكم الملكي لم تستمر طويلاً إذ سرعان ما انتبهت إلى خطورة بعض الشعائر الدينية، فأقدمت على اتخاذ إجراءات احتياطية بشأنها، ففي

عام ١٩٢٨ منعت الحكومة إقامة المواكب الحسينية، غير أنها رفعت المنع في العام التوالي، ورجعت إلى ما أقدمت عليه عام ١٩٣٢، فمنعت مواكب الكاظمية من أداء مراسيمها خلال عشرة محرم، غير أن نهاية الستينيات وبداية السبعينيات مثلت نقطة تحول مهمة في تاريخ مراسيم العزاء الحسيني حيث أخذت الاحتفالات بالتطور والازدهار والانتشار بشكل واسع ولافت للنظر، لا سيما عام ١٩٦٨ إذ أظهرت الحكومة العراقية تسامحاً مع مراسيم العزاء الحسيني. وفي بداية السبعينيات وصلت الاحتفالات في شهري محرم وصفر إلى ذروتها، حتى أخذت طابعاً شعبياً تسبب في إثارة حفيظة الحكومة ودفعها لاتخاذ إجراءات عدة حاولت من خلالها الالتفاف حول المواكب الحسينية للضغط على القائمين بها وتقييد حركتها ومراقبتها، بل استغلالها. ومع بداية الحرب العراقية الإيرانية عام ١٩٨٠، بدأ تاريخ انحسار العزاء الحسيني، إذ تم منع جميع أنواع مراسيم العزاء وفي جميع أنحاء العراق[٢٦].

الأبعاد الفكرية والعقائدية لزيارة الأربعين

ترتبط الأبعاد الفكرية والعقائدية ارتباطاً وثيقاً بمراجعة شرعية العزاء الحسيني وتُعزى إلى أمرين، الأول منهما هو التأسي بالأئمة من ولد الحسين عليه السلام بعد واقعة الطف، والأمر الثاني هو موقف الفقهاء الشيعة من الظاهرة وتقديمهم النصوص الفقهية التي تؤصل لهذه الظاهرة شرعياً واجتماعياً، حتى عدَّها العوام من الناس من الواجبات الفقهية، وتكمن في أمرين: الأول التأصيل الروائي، إذ لا يخفى أنَ هناك كماً هائلاً من الروايات الواردة عن أئمة الشيعة في ثواب العزاء والنواح وممارسة بقية الشعائر الحسينية المتعلقة بواقعة كربلاء، وبحسب تلك الروايات فإنَ النبي صلى الله عليه وآله قد أوصى في روايات عديدة بإقامة المآتم على الإمام الحسين والبكاء عليه، وعُدَّ هذا الأمر من أهم العبادات، وموجباً للتقرب إلى الله عز وجل. ويمكننا ملاحظة ذلك بوضوح من خلال مراجعة الروايات المنقولة عن الأئمة وفقهاء الدين مثل الروايات الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام، والإمام الرضا عليه السلام، وكلمة الإمام السجاد عليه السلام قبل دخول المدينة، وزيارة الناحية المقدسة لصاحب الزمان عجل الله فرجه. يقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام في رواية منقولة عنه: «كل الجزع والبكاء مكروه، سوى الجزع والبكاء على الحسين»، ويقول الإمام علي الرضا عليه السلام: «ان يوم الحسين أقرح جفوننا وأسبل دموعنا وأذلَّ عزيزنا بأرض كرب وبلاء»[٢٧]. كما رويّ عن الإمام الصادق قال: وانه – يعني الإمام الحسين – لينظر إلى من يبكيه فيستغفر له ويسأل أباه الاستغفار له ويقول أيها الباكي لو علمت ما أعدّ الله لك لفرحت أكثر مما حزنت وانه ليستغفر له من كل ذنب وخطيئة[٢٨]. والثاني هو التأصيل الفقهي، إذ لم يُشبَع أمرٌ مستحبٌ في الشريعة الإسلامية بفتاوى الفقهاء، كما أُشبِعَ العزاءُ على الإمام الحسين عليه السلام، فقد كُتبت البحوث والدراسات والفتاوى من أجل استمرار هذه الشعيرة الإسلامية التي يرى الشيعة أنها من الأمور المهمة التي تودي إلى استمرار الدين وديمومته ومواجهة الظلم والباطل. يقول الشيخ المفيد أحد كبار علماء

الشيعة وله دور كبير في تدوين المعتقدات الشيعية عن عاشوراء وضرورة إقامة العزاء فيها: يتجدد في هذا اليوم حزن أهل البيت وشيعتهم، وعلى الشيعة الامتناع عن الملذات فيه، كما أوصى بذلك أئمتهم، وأن يقيموا المآتم، ويأكلوا كما يأكل أهل العزاء[٢٩].

إنَ هناك جملة من الفتاوى الشرعية التي تؤصل لهذا الطقس، وارتأى الباحث اختيار بعضاً منها شواهدَ لتدعيم فكرة الاشتغال الفقهي لتأصيل العزاء بوصفهِ شعيرة دينية، لتقديم دراسة مختصرة عن دلالاتها وتوظيفها لهذه الشعيرة، ومن أهم هذه الفتاوى: هي الفتوى الشهيرة لآية الله العظمى الشيخ ميرزا حسين النائيني إلى أهالي البصرة وهو يحرضهم على العزاء، اذ يعتمد كثيرٌ من فقهاء الشيعة على هذه الفتوى التي يؤسسون عليها أحكامهم الشرعية في جواز العزاء ويعدونها منطلقاً مهماً لفتاواهم، نورد بعضاً مما جاء فيها من دلالات تؤكد على استحباب العزاء[٣٠]: «خروج المواكب العزائية في عشرة عاشوراء ونحوها إلى الطرق والشوارع مما لا شبهة في جوازه ورجحانه وكونه أظهر مصاديق ما يقام به عزاء المظلوم وأيسر الوسائل لتبليغ الدعوة الحسينية إلى كل قريب وبعيد، لكن اللازم تنزيه هذا الشعار العظيم عما لا يليق بعبادة مثله من غناء او استعمال آلات اللهو والتدافع في التقدم والتأخر بين أهل محلتين ولو اتفق شيء من ذلك فذلك الحرام الواقع في البين هو المحرم ولا تسري حرمته إلى الموكب العزائي ويكون كالنظر إلى الأجنبية حال الصلاة في عدم بطلانها»[٣١].

تعد هذه الفتوى مفتاحاً شرعياً من الميرزا النائيني للعزاء بوصفه أظهر المصاديق لتبليغ الدعوة، وبالرغم من توقعه بسريان بعض الأخطاء وتسربها إلى ظاهرة العزاء إلا أنَ ذلك لا يمنع الجواز، بل يبرر المفتي الشيعي ذلك، إذ يعد العزاء أكبر وأهم من كل الأخطاء التي ترتكب بظله، وفي هذا الكلام دلالة واضحة على أهمية العزاء عند الفقهاء الشيعة.

وينتقل الميرزا النائيني إلى نقطة أخرى من الفتوى إذ يقول: «لا إشكال في جواز اللطم بالأيدي على الخدود والصدور حدّ الإحمرار والإسوداد بل يقوى جواز الضرب بالسلاسل أيضاً على الأكتاف والظهور إلى الحد المذكور، بل وإن أدى كل من اللطم والضرب إلى خروج دم يسير على الأقوى»[٣٢].

هكذا يأخذ العزاء تفاصيله عند الميرزا النائيني حدّ الإدماء ويقع هذا الرأي الفقهي ضمن الآراء التي يعدها البعض متطرفة وسنأتي على ذكرها في بحث لاحقٍ، وتقابلها آراء أخرى أقلّ اندفاعاً ودعوة إلى الإدماء، وإذ كان الخطاب الفقهي الشيعي بهذا الشكل من الدعوة إلى إقامة العزاء فإنَ استمرار هذه الظاهرة سيكون متواصلاً ينبع من هذه الفتاوى، ويتأكد ذلك المعنى حينما ننتقل إلى فتوى أخرى في السياق نفسه، إذ يَعدُّ علماء الشيعة أنَ فتوى النائيني سندٌ فقهيٌ لهم لذلك توالت توقيعاتهم الفقهية على هذا النص الفتوائي، يقول الميرزا الشيرازي ما نصه «ما ذكره الميرزا النائيني في هذه الورقة – إشارة إلى فتواه – صحيح إن شاء الله تعالى»[٣٣].

ويؤكد أكثر من هذا المعنى المرجع السيد محمود الشاهرودي إذ يقول في فتواه: «ما حرره شيخنا العلامة – أي النائيني – في هذه الصحيفة، هو الحق المحقق عندنا» [٣٤].

ويمكن سرد أسماء الفقهاء الشيعة الذي أمضوا هذه الفتوى تجنباً للتكرار اذ تشترك فتاواهم جميعها فيما ذهب إليه المحقق النائيني وهم:

السيد حسين الموسوي الحمامي والشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء المظفر الشيخ محمد حسن والشيخ محمد كاظم الشيرازي والسيد جمال الدين الكلبايكاني وغيرهم من فقهاء الشيعة.

إنَ ذكرنا لهذا التسلسل من المراجع الشيعة هو لتأكيد التأصيل الفقهي للعزاء، فهذه الظاهرة ليست فقيرة فقهياً وإنما تستند إلى عشرات الفتاوى الفقهية التي تمنحها الشرعية وتجعلها قابلة للبقاء والتواصل، إذ لم يكن النص الفقهي السابق للشيخ النائيني وما تبعه من آراء فقهية لمراجع الشيعة وحيداً في هذا المجال بل هنالك العديد من النصوص التي شرعنت العزاء وأصّلَت بقاءه، منها ما كتبه المصلح العلاّمة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في كتابه «الآيات البينات» إذ يقول: «الجزع والبكاء في المصائب مهما عظمت قبيح مكروه كشق الجيوب على الفقيد، وخمش الوجوه محرَّمٌ في الأشهر ولكن صادق أهل البيت (أي الإمام جعفر الصادق) في حديث وثيق يقول «على مثل الحسين فلتشق الجيوب[٣٥]، ولتخمش الوجوه ولتلطم الخدود» ويستند أغلب هؤلاء الفقهاء إلى سير وأحاديث واردة عن أئمة أهل البيت بتحبيذ هذا النوع من الشعائر والطقوس، إذ يروي الشيخ كاشف الغطاء وهو من أكبر علماء الشيعة في النجف «أن الإمام الحجة الغائب يقول في زيارة الناحية: فلأندبّنك صباحاً ومساء ولأبكينّك بدل الدموع دما، وقد سبقه إلى ذلك جدُّه الامام زين العابدين عليه السلام ففي بعض روايات العلاّمة المجلسي على ما يعلق ببالي من زمن متقادم (والكلام للشيخ كاشف الغطاء)، أنَّ زين العابدين كان أحياناً إذا قُدم اليه قدح فيه ماء بكى حتى يملأه دما وعلى هذه الوتيرة فاسحب وجر سائر الأعمال التي يؤتى بها بقصد الحزن والتوجع لفاجعة الطف»[٣٦].

وتستمر شرعيّة هذه الشعائر والطقوس في كل العصور المتأخرة للمرجعية الدينية لعلماء الشيعة، إذ لا مجال لذكرها جميعها بل نكتفي ببعض الإشارات ذات الدلالة على موضوع البحث، فالمرجع الشيعي السيد عبد الأعلى السبزواري يشرعن العزاء بهذه الفتوى:» إنَّ من أهم وسائل النجاة وأوثق أسباب التوسل إقامة الشعائر الحسينية وتعظيمها وإدامتها فإنّها من شعائر الله جلّت عظمته[٣٧].

أما المرجع السيد محمد صادق الروحاني فهو يرى أبعد من أسلافه الفقهاء اذ يعتقد بالوجوب الكفائي لهذه الشعائر فيقول في فتواه: إقامة الشعائر بشتى أنحائها من أفضل القربات الإلهية والوسائل المطلوبة إلى الفوز العظيم بل هي من الواجبات الكفائية[٣٨].

ولو أجرينا قراءة سريعة لمجمل الخطاب الفقهي الذي أشاعته هذه الفتاوى الدينية وغيرها مما لم نذكره تلافياً للإطالة والخروج عن جوهر البحث،

لوجدنا أنّ العامل المشترك بين كل هذه الخطابات هو الاستحباب القريب إلى الوجوب لإقامة هذه الشعائر والطقوس وهذا ما يجعل المسلمين الشيعة في تواصل دائم لإقامة مثل هذه الشعائر التي تسربت إلى عقائدهم عن طريق هذه الفتاوى المتكئة على سير وأقوال وأحاديث الأئمة الإثني عشر. إنّ الحوزة العلمية تشجع على هذه الطقوس لأنها جزء من الثقافة والهوية الشيعية، لذلك يجمع فقهاء الشيعة على مساندة الشعائر الحسينية بسلسلة من الأحاديث والفتاوى التي تحث عامة الناس على القيام بممارستها.

وفيما يخص الرمزية في زيارة الأربعين، يرى علماء الاجتماع ومنهم «تيرنر» الذي أكد في تعريفه للرمز بأنه شيء متفق عليه بالإجماع العام على أنه يمثل أو يستدعي شيئاً آخر بشكل طبيعي من خلال امتلاك صفات مماثلة، او من خلال الارتباط في الواقع او الفكرة[٣٩].

أثمر عمل تيرنر في مجال الطقوس والشعائر عن تجاوز الاخفاقات العلمية للعلماء الذين سبقوا في هذا المجال كان الفعل الاساسي عند تيرنر هو التعامل مع الرموز الشعائرية والممارسات الشعائرية وبالتالي جمع ما بين المجرَّد والمجسَّد بمعنى آخر منحته فرصة ملاحظة الافعال وأن يرصد آراء الأفراد وتأويلاتهم ما يخص رموزهم الشعائرية ولهذا كشف التأثير المتبادل بين الرموز بوصفها أفكاراً والشعائر بوصفها ممارسات وهذا تم عن طريق تحليل مضمون التأثير بين الإثنين وتصنيف الرموز المدروسة الى مهيمنة ووسيلة لكي يحدد نوع التأثير ومضمونه[٤٠].

فالرمز في الذاكرة الشيعية مكانة مقدسة لشخص الامام ضمن بُعدين هما البعد الايماني ويمثل والتاريخي، وهذا ما يجعلنا نكتشف ان هناك نوعاً من التقابل قائمٌ بين التاريخ الشيعي والذاكرة الشيعية ينبع من خصوصية مفهوم رؤية العالم عند الجماعة الشيعية، وهو مفهوم اختزالي يدل على مجمل المعتقدات التي تشترك في الايمان بها جماعة من المتكلمين التي تتصل بالعالم، وبعلاقتهم به، لذلك تظهر دلالة هذا المفهوم (رؤية العالم) ارتباطه العضوي بالمعنى الذي تحمله الجماعة عن نفسها، والذي تتمثل دلالاته في طقوسها وشعائرها ومعتقداتها، وهذا ما يشير الى ان الأيقونة تنجز لأجل استخدامها في التعزيز التاريخي لخصوصية الجماعة الشيعية.

والمحافظة على وحدة الجماعة وتماسكها عن طريق التغذية السردية التي تدعم قوة الايديولوجيا التي تستمد خصائص بنائها الاجتماعي من الطقوس وبالذات من معنى طقوس التشابيه وليس التصاوير، ولهذا نجد أن سلوك أفراد الجماعة الشيعية ينحو منحيين، إذ نلاحظهم أنهم في الحياة اليومية يأخذ سلوكهم الطابع الفرداني، اما في تأدية الطقوس والشعائر فهم ذي سلوك جماعاتي، لاسيما ان التاريخ ينظر له كأسلوب يهتم بتنظيم الماضي من أجل عدم تحوله الى أثقال ترهق كواهل الانسان، وهنا نواجه التساؤل: مَنْ ينظّم تاريخ الجماعة الشيعية، الماضي ينظّم الحاضر أم الحاضر ينظّم الماضي؟ هذه الاشكالية التاريخية منعت الرمز من ان يتحول الى رمز ثقافي خالٍ من البعد الايديولوجي ويهتم بالجانب الفني والجمالي، لذلك فالجماعة الشيعية عندما تبصر الرمز

تتخطى موضوعها الفني انما هي تتحول ذهنياً الى الواقعة التاريخية المرتبطة بها.

وبهذا يتم تجاوز الذاكرة وتكريس النزعة التاريخية التي ترى ان التحليل التاريخي لمعتقدات البشر وافكارهم ونظمهم الاخلاقية واساليب معيشتهم هو الوسيلة الوحيدة لتفسير مثل هذه الظواهر لذلك لا يؤمن صاحب النزعة التاريخية بوجود حقائق حتمية او ضرورية غير تاريخية تتعلق بتركيب الحيوية الانسانية[٤١].

ان الاختلاف الاساسي بين مفهومي الذاكرة والتاريخ عند الجماعة الشيعية من خلال معنى الرمز هو ان الذاكرة تعتمد الانتقائية والاختيار مع التعديل. اما التاريخ فهو غائيٌ يمارس القصدية عن طريق المعاني التي تحملها الايديولوجيا، هذا الاختلاف جعل الرمزية الشيعية تركز في اغلب الاحيان على ايقونة الراية دون العلم مع تحويل (العلم) الى راية كون أن الراية مرتبطة بمعنى الجماعة اما العلم فهو مختص بالتعبير عن معنى الدولة، وهنا نلاحظ ان معاني الرمزية الشيعية تعاملت مع الذاكرة كجزء ضامر يستخدم فقط في تكوين الشكل الفني لصور الايقونة. اما التاريخ فلقد جعلته الإطار العام الذي تصاغ في اثناء سيرته معالم الطقوس والشعائر، وهذا التباين من قبل الرمزية الشيعية عزز الاختلاف ما بين الذاكرة الشيعية والتاريخ.

ويرتبط الرمز بطقوس العزاء أذ لا يمكن اكتمال فهم معنى الرمز بأشكاله المتنوعة دون فهم وتحليل الطقس الشيعي الذي ينقسم الى بعدين، الاول: تجسيدي مادي ملموس والذي يسمى (التشابيه) والبعد الثاني: صوري متخيل يطلق عليه تصاوير الائمة وتقع الايقونة في البعد الثاني عند مراجعة كلمة طقس تعني عادات وتقاليد مجتمع معين كما تعني كل انواع الاحتفالات التي تستدعي معتقدات خارج الإطار التجريبي[٤٢].

من هنا لا يمكن ملاحظة الطقس لذاته كونه غير خاضع للجانب التجريبي ولكن يمكننا استيعاب معاني الطقس من خلال رصد حركته والآثار التي تترتب عليه من استحضارات التهيؤ قبل القيام به وسلوكيات تظهر اثناء ممارسته وبعد الانتهاء منه، ومركز الفعل في تأدية الطقس هو الجسد إذ تؤدى به الكثير من الفعاليات وتمارس عليه العديد من النشاطات الطقوسية هذا التداخل ما بين الطقس والجسد جعل أغلب الطقوس، تنحو إلى جانب القرباني الذي يماثل فعل التضحية الأولى التي ينتج عنها الطقس وتكرست عليها ممارسته وعليه تكمن قوة الطقس في إثبات استمرارية الحدث التاريخي المعروف عند الجماعة الشيعية والمعلن من خلال طقوسها وشعائرها الدينية.

فالطقس يميل أساساً من خلال تكرار واستدامة القواعد التي تثبته الى تكريس ديمومة الحدث الاجتماعي او الاسطوري الذي أوجده، فهو استناداً الى ذلك إعادة خلق وتحسين لماض غامض غالباً، لكنه يأخذ معناه عند الذين يستخدمونه على انه فعل ديني[٤٣].

نلاحظ التالي ان الرموز الرئيسة للائمة عليهم السلام، إذ كانت رمزية الإمام علي تمثل رمزاً مهيمناً يمتلك حضوراً فاعلاً في نمط الثقافة الشيعية والذي منها

تبدأ صياغة السلوك الثقافي ونماذجه، ولكن بتأثير التحولات السياسية والاجتماعية التي مرت بها الجماعة الشيعية انتقلت ايقونة الامام علي من النمط الرمزي المهيمن الى النمط الوسيلي على العكس من رمز الامام الحسين عليه السلام الذي امتاز بثبات النمط الرمزي المهيمن، أما رمزية العباس عليه السلام فهي ثابتة على النمط الوسيلي كذلك رمزية الامام الرضا عليه السلام ذات نمط وسيلي، وانفردت رمزية الامام المهدي عجل الله فرجه عن باقي الرموز ما عدا رمزية الامام الحسين عليه السلام في حملها النمط الرمزي المهيمن.

محاولات تقويض الظاهرة

جاءت اولى محاولات تشويه مراسيم عاشوراء واستغلالها من قبل ممثلي السياسة البريطانية في العراق بهدف الوقوف أمام تيار الافكار الاشتراكية والمبادئ الشيوعية، ففي عام ١٩٤٩ كتب ضابط الاستخبارات البريطانية مستر راي في رسالة وجهها الى مدير الشرطة السرية في العراق قال فيها بأن الشيوعية لا تقتلع من جذورها بالطرق البوليسية وحدها وإنما بتطبيق اجراءات تصحيحية من بينها المعالجة الدينية، فالشيوعية معادية للدين اصلاً، بالرغم من ان الشيوعيين في العراق بذلوا جهدهم بعدم إثارة مسألة الدين، فان ذلك يفيد الحكومة، ومن اجل التقرب من الشيعة الذين يشكلون أكثرية السكان، وكذلك الاستفادة قدر الامكان من العزاء الحسيني[٤٤].

وكان واضحاً ان هدف الانجليز هو التدخل غير المباشر في مراسيم العزاء الحسيني وتمرير بعض الاهداف السياسية التي رسموها هذا من جانب، ومن جانب آخر كسب ود بعض القائمين على تلك المراسيم وكذلك البسطاء من الناس والظهور بمظهر المؤيد والداعم لهذه الشعائر والطقوس الدينية، خصوصاً بعد ان تكرر منعها من قبل عدد من الولاة العثمانيين الذين حكموا العراق، ومن ثم كسب تأييد وثقة الشيعة في الوقت نفسه، خلق خلافات وصراعات سياسية واجتماعية وطائفية ايضاً، وتحويل وجهة النضال الوطني المشترك لعموم فئات المجتمع باتجاه أهداف أُخرى.

ومن منظور سوسيولوجي، فإن أية ظاهرة اجتماعية كانت أم دينية، لا يمكن لها أن تستمر مالم تجد لها تربة خصبة تنمو فيها، وتوفر الظروف الاجتماعية والسياسية والنفسية التي تغذيها لتمكنها من البقاء والاستمرار أجيالاً متتابعة أيضاً.

وعلى مرّ الحقب الزمنية حاولت تيارات مناهضة للثورة الحسينية تشويه هذه الشعائر ومراسيمها، من خلال إثارة البلبلة حول بعض طقوس المواكب وبخاصة ممارسات التعذيب والجلد الذاتي، وقد تنبه العلماء المتنورون والمجتهدون الكبار والمصلحون وعدد من المثقفين الذين دعوا الى ضرورة تغيير وتطوير وتطهير ما دخل الى مراسيم العزاء الحسيني من ممارسات سلبية وتحويلها الى تظاهرات فكرية ومهرجانات حضارية متقدمة[٤٥].

ومهما تحصنت مراسيم العزاء الحسيني ضد محاولات التشويه والاستغلال فلابد لها من ان تقع فيها بعض التجاوزات من قبل افراد او جماعات،

مع ما تملكه من صمامات أمان داخلية تجعلها قادرة على التقليل من توظيفها واستغلالها بشكل يسئ الى اهدافها النبيلة.

النتائج:

١. تمثل زيارة الأربعين شعيرة مقدسة كونها تمثل رمزاً ذا أثر فاعل في مباني الثقافة الشيعية وإنها وسيلة تكميلية لإتمام الملامح العامة للطقس الشيعي.

٢. يدخل الرمز في سياق دعم الزخم المعنوي لمعنى الطقس بمعنى إنها تضيف تعزيزاً تاريخياً ونفسياً

٣. دفع فعل الطقس وشموليته الى إظهار قوة زيارة الأربعين كونها تمثل رمزاً مقدساً في التعبير عن إحدى معاني الثقافة الشيعية.

٤. ساهمت زيارة الأربعين في زيادة روح التماسك الاجتماعي بين افراد المجتمع العراقي بمختلف أطيافه، وانفتاحها نحو المجتمع الانساني الأكبر لأصالة رمزها المقدس.

٥. كان لزيارة الأربعين دور كبير في الانفتاح على الثقافات الاخرى وانتقالها من صفة المحلية الى صفة العالمية.

٦. اكتسبت زيارة الأربعين بعداً اقتصادياً نتيجة التكاتف الاجتماعي بين محبي آل البيت عليهم السلام في انها توفر كل الاحتياجات الغذائية والصحية واللوجستية التي يحتاجها الزائرون.

٧. اتسمت زيارة الأربعين بطابع اجتماعي وديني وسياسي واقتصادي وثقافي، وهذه الابعاد المختلفة لهذه الظاهرة تُعزى للتأييد الالهي كونها ثورة ضد الظلم والظالمين على مر العصور.

٨. خروج زيارة الأربعين من نطاق المحلية الى النطاق العالمي على المستوى الانساني يحررها من قيود الوصف بأنها عادات وتقاليد موروثة.

٩. اتساع حجم زيارة الأربعين بعد سقوط النظام البائد الذي حاربها بشتى السبل كونها ثورة ضد الطغيان وهذا الاتساع يشكل دافعاً لملايين الناس لتحمل عناء السفر والسير لمسافات شاسعة لأداء مناسك هذه الشعيرة كونها تحمل التأييد الالهي لاستمرارها قرون من الزمن وهذا خير مصداق على هذا التأييد.

١٠. يفسر هذا التزايد المضطرد في حجم الظاهرة كونها تعد أحد وسائل الخلاص في اليوم الآخر وطلب الشفاعة، إذ تتحول هذه المراسيم الى وسيلة للتقرب الى الائمة من اهل البيت عليهم السلام المقربين الى الله تعالى.

١١. حققت زيارة الأربعين كونها ظاهرة لم يشهد لها التاريخ مثيلاً، مبدأ التكافل الاجتماعي وتحقيق فائض في الايرادات المالية في خزينة الدولة حسب رأي المختصين في علم الاقتصاد.

المقترحات:

١. ضرورة تقليص بُعد المسافة بين موكب وآخر على طول الطريق الرابط بين النجف وكربلاء لتوفير خدمة اوسع للزائرين.

٢. التركيز من قبل المنابر الحسينية على تحصين مراسيم العزاء الحسيني وخصوصاً مراسيم زيارة الأربعين وحمايتها من محاولات التشويه والاستغلال والانحراف عن اهدافها السامية.

٣. نشر أعداد أكبر من مواكب التوعية الدينية

والارشادية للرجال والنساء والهدف من الزيارة على طول الطريق اثناء اداء الزيارة الى كربلاء.

٤. تفعيل دور وسائل الاعلام بالأهداف السامية لزيارة الأربعين كونها تمثل ثورة ضد الباطل على مر العصور.

٥. على المسؤولين العمل على نشر مخبرين سريين لمراقبة الحالات التي تستهدف الزوار او السلوكيات التي تسئ لمراسيم الزيارة وقدسيتها.

٦. العمل على بث ثقافة عالمية زيارة الأربعين وإنها غير مقتصرة على طائفة دون اخرى كون ثورة الامام الحسين عليه السلام جاءت لتصحيح الانحراف الذي اصاب الرسالة المحمدية والدين الاسلامي.

الهوامش

(١) الحيدري، ابراهيم، تراجيديا كربلاء: سوسيولوجيا الخطاب الشيعي، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٩، ص١١.

(٢) الحيدري، ابراهيم، المصدر السابق، ص٧.

(٣) زنجاني، عباس حميد، الفكر السياسي في الاسلام: المبادئ والاطر العامة، تعريب: ضياء الدين الخزرجي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، بيروت، ٢٠١٠، ص٣٨٦.

(٤) ابن خلدون، المقدمة، دار العلم، بيروت، ١٩٧٨، ص١٧٢.

(٥) المصدر نفسه

(٦) المصدر نفسه، ص١٧٣

(٧) محسن، حميد جاعد، أساسيات البحث المنهجي، ج١، شركة الحضارة للطباعة والنشر، بغداد، ٢٠٠٤، ص٧٦.

(٨) حافظ، ناهدة عبد الكريم، مناهج البحث العلمي، بغداد، ٢٠٠٧، ص٢٠.

(٩) الفوال، صلاح مصطفى، منهجية العلوم الاجتماعية، دار الهنا للطباعة والنشر، القاهرة،١٩٨٢، ص٥٨.

(١٠) محجوب، محمد عبده، وحيدر ابراهيم، ومحمد عباس ابراهيم، مجدي حميدة، دراسات سوسيوانثروبولوجية، بلا جهة وسنة طبع، ص١٦٣.

(١١) الجوهري، عبد الهادي، قاموس علم الاجتماع، مكتبة نهضة الشرق، مصر، ١٩٨٣، ص ٢٢٥.

(١٢) عبد الباقي، زيدان، قواعد البحث الاجتماعي، مطبعة السعادة، القاهرة، ط٣، ١٩٨٠، ص٤٤١.

(١٣) حافظ، ناهدة عبدالكريم، مصدر سابق، ص٣٤.

(١٤) الحيدري، ابراهيم، تراجيديا كربلاء: سوسيولوجيا الخطاب الشيعي، مصدر سابق، ص٣٢٢.

(١٥) المصدر نفسه، ص٣٢٣.

(١٦) الخوارزمي، مقتل الحسين، ج ٢، مكتبة المفيد، قم، ايران، ص ٤٠.

(١٧) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، دار صادر، بيروت، لبنان، ط ٥ ص ٤٨٩.

(١٨) الاعرجي، محمد رضا، أحسن الجزاء في إقامة العزاء على سيد الشهداء، مؤسسة التاريخ العربي، ٢٠٠٩، ص ١٧٣.

(١٩) الجويني، محمد صالح، تاريخ المأتم الحسيني، مجلة نصوص معاصرة، عدد ٩، السنة الثالثة، قم، ايران، ٢٠٠٧، ص ٧٨.

(٢٠) المصدر نفسه.

(٢١) الحيدري، مصدر سابق، ص٣٢٥.

(٢٢)المصدر نفسه، ص ٩٠.

(٢٣)ابن قتيبة، الامامة والسياسية، دار النهضة، ط ٢، القاهرة ١٩٧٢، ج ٢، ص ١٣٠.

(٢٤)روبير بندكتي، الشعائر بين الدين والسياسة، دار مصر المحروسة، القاهرة، مصر، ٢٠٠٥، ص٩.

(٢٥)الوردي، علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج٢، دار الكتاب الاسلامي، قم، ايران، ٢٠٠٥ ص ١١٨.

(٢٦)روبير بندكتي، مصدر سابق، ص ٩٨.

(٢٧)القمي، الشيخ مهدي حسينيان، الشرعية الدينية للمأتم الحسيني، مجلة نصوص معاصرة، العدد/ ٨، السنة الثانية، ٢٠٠٧، قم، ايران، ص ١٦٦س.

(٢٨)العزاوي، حيدر، ومضات حسينية، مؤسسة عاشوراء، قم، ايران،٢٠٠١، ص ١٢٧

(٢٩)المدرسي، هادي، الشهيد والثورة، مطبعة اهل البيت، قم، ايران، ١٩٩٨، ص ٢٦٥.

(٣٠)الجويني، محمد صالح، مصدر سابق، ص ٨٨.

(٣١)الاعرجي، محمد رضا، مصدر سابق، ص ٣٦٠.

(٣٢)المصدر نفسه.

(٣٣)المصدر نفسه.

(٣٤)المصدر نفسه، ص ٣٦٢.

(٣٥)المصدر نفسه، ص ٣٦٦.

(٣٦)المصدر نفسه.

(٣٧)المصدر نفسه، ص ٣٦٨.

(٣٨)المصدر نفسه.

(٣٩)الأسود، السيد حافظ، الانثروبولوجيا الرمزية: دراسة نقدية مقارنة للاتجاهات الحديثة في فهم الثقافة، منشأة المعارف، الاسكندرية، ٢٠٠٢، ص١٠٢.

(٤٠)مجموعة مؤلفين، موسوعة النظرية الثقافية، مصدر سابق، ص٨٨.

(٤١)المصدر نفسه، ص١٠٢.

(٤٢)طوالبة، نور الدين، الدين والطقوس والتغيرات، منشورات عويدات، بيروت وباريس، ١٩٨٨، ص٣٤.

(٤٣)ابن منظور، لسان العرب، ج١٦، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٩٩٨، ص ٤١٣.

(٤٤)الحيدري، مصدر سابق، ص٤٣٣.

(٤٥)المصدر نفسه، ص٤٤٥.

السعي الى التكامل الانساني واصلاح الامة في فلسفة زيارة الاربعين

أ. م. د. أحمد بهاء عبد الرزاق
كلية التربية للبنات-جامعة الكوفة

م. م. فاطمة حسين العبيدي
كلية التربية-جامعة الإمام جعفر الصادق عليه السلام

الملخص

ان ثورة الامام الحسين عليه السلام هي ثورة تغييرية لأنها انطلقت من اجل تغيير الانسان في مفاهيمه وفقاً لتعاليم الاسلام واهدافه، وهذا ما دعا الامام الحسين عليه السلام الى ان يقوم خطيباً من مراحل رحلته الى كربلاء وهو يواجه الجيوش التي جاءت لمقاتلته ليحذرهم ويرشدهم لتغيير مفاهيمهم منطلقاً من كلام الامام علي عليه السلام: (لا تكن عبد غيرك وقد خلقك الله حراً)، من اجل تصحيح المفاهيم التي انحرفت في اذهان الناس، والتي انحرف الواقع من خلالها، باعتبار قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.

لا يمكن ربط زيارة اربعينية الإمام الحُسَين عليه السلام بسياقاتها التاريخية حصراً، مثلما لا يمكن فك ارتباطها عن ذلك التاريخ، فهي الثورة الإصلاحية الحية التي تفجرت لتصحح مسار الانحراف في الأمة الإسلامية، ومنهلا للعطاء الانساني، ورافدا حياً وحقيقياً للدروس والموعظة والعبر، واستمر صداها يتخطى القرون عابراً الآفاق نحو المستقبل.

كما لا يمكن ربطها بالإسلام حصراً، مثلما لا يمكن فك ارتباطها عنه وهي جاءت حاملة لمبادئه، باذلة التضحيات في سبيله. فهي ثورة إنسانية لكل أبناء البشرية، منبثقة عن الإسلام الذي هو دين الإنسانية المنزل من رب العالمين جميعاً، وإليهم جميعاً، في كل زمان ومكان.

إن تاريخية زيارة الإمام الحُسَين عليه السلام في الاربعين لا تعني ارتباطها بالماضي حصراً، وإن كانت قد حدثت فيه فعلاً ضمن مفهومنا المعاصر، بل إن تاريخيتها تعني أزلية استمرارها. كما هي أزلية وجود الظلم والفساد، وأزلية تحقيق الإصلاح. مثلما أن ثوريتها تعني ضرورة وحتمية السعي نحو الإصلاح والتكامل الانساني حتى وإن بلغت التضحيات ذروتها.

للشريعة المحمدية المقدسة غايات وأهداف جليلة في مقدمتها السير ببني آدم إلى الكمال الإنساني والسعي الحثيث لإصلاح الامة التي غلبها الظلم ومظاهر الاضطهاد وقد أوجدت لذلك سبل بينتها وطرائق أوضحتها منها التمسك بالثقلين الكتاب العزيز والعترة الهادية صلوات الله عليها كما نص على ذلك حديث الثقلين المتواتر ومنها كذلك ما ورد في الزيارات الشريفة إن الأئمة المعصومين سلام الله عليهم أبواب الله تعالى التي منها يؤتى، وإنهم سفن النجاة فمن اقتفى أثرهم واتبع نهجهم وتمسك بهم أمن من الغرق والهلاك ووصل إلى بر الأمان حيث السعادة الأبدية والرضا الإلهي.

The Pursuit for Human Integrity and Reforming The Nation in The Philosophy of The Arbaeen Pilgrimage

Prof. Ahmed Baha'a Abdul-Razzaq
College of Education / Kufa University

Lecturer. Fatima Hussein Al-Obeidi
College of Education / Imam Jaffar Al-Sadiq University

Abstract

The revolution of Imam Hussein is a revolutionary uprising because it was launched to change the concepts of the human being according to the teachings and objectives of Islam, which is what drove Imam Hussein "pbuh" to be a preacher through the stages of his journey to Karbala facing the armies that came to fight him while he was warning and guiding them to change their concepts based on the words of Imam Ali "pbuh" like "Do not be a slave when Allah has created you free", in order to correct the wrong concepts in the minds of people according to the Koranic phrase "Allah Almighty does not change the condition of a people until they change what is in themselves."

The Imam Hussein's Arbaeen pilgrimage cannot be linked to its historical contexts only, just as it cannot be disassociated from that history, for it the reform revolution that broke out to correct the path of deviation in the Islamic Ummah, and the source for humanitarian giving, as well as its effect as a real and living guide for lessons and exhortations that passes the horizons towards the future.

The Arbaeen pilgrimage cannot also be linked exclusively to Islam, just as it cannot be disassociated from it as it came with its purest principles, and sacrificed everything in its path. It is a humanitarian revolution for all human kind, emanating from Islam that is the religion of humanity from Allah Almighty to them all, in every time and place.

The historic form of Imam Hussein's Arbaeen pilgrimage does not mean its association with the past exclusively, even thourg it has occurred within it according to our contemporary concept, but its historic form means its eternity of continuity, just like the eternity existence of injustice and corruption in the world, and the eternity of pursuit for reformation and human integration even if it came with maximum sacrifices.

The Islamic commandments delivered by prophet Muhammad, has great goals and objectives, foremost of which are the quest to take human kind into perfection and to reform the nation that has been overcome by injustice and oppression, which I created ways to explain these purposes through the adherence to two supreme beacons: The holy Quran and Ahl al-Bayt "peace be upon them" as they are the gates to Allah, and the lifeboats that save whoever board them.

المقدمة

ان ثورة الامام الحسين(عليه السلام) هي ثورة تغييرية لأنها انطلقت من أجل تغيير الانسان في مفاهيمه وفقاً لتعاليم الإسلام وأهدافه، وهذا الذي دعا الامام الحسين(عليه السلام) الى أن يقوم خطيباً في مرحلة من مراحل رحلته الى كربلاء وهو يواجه الجيوش التي جاءت لمقاتلته ليحذرهم وليعظم ويرشدهم لأن المسألة أنه كان يريد أن يغير مفاهيمهم، ومفهوم الحرية الذي انطلق من كلام الامام علي(عليه السلام): ((لا تكن عبد غيرك وقد خلقك الله حراً))، فانطلق به الامام(عليه السلام) من أجل تصحيح المفاهيم التي انحرفت في أذهان الناس، والتي انحرف الواقع من خلالها، باعتبار قوله تعالى: ﴿إِنَّ الله لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ الرعد: ١١.

لا يمكن ربط زيارة أربعينية الإمام الحُسَين(عليه السلام) بسياقاتها التاريخية حصراً، مثلما لا يمكن فك ارتباطها عن ذلك التاريخ، فهي الثورة الإصلاحية الحية التي تفجرت لتصحح مسار الإنحراف في الأمة الإسلامية، وغدت منهلاً للعطاء الانساني، ورافداً حياً وحقيقياً للدروس والموعظة والعبر، واستمر صداها يتخطى القرون عابراً الآفاق نحو المستقبل.

كما لا يمكن ربطها بالإسلام حصراً، مثلما لا يمكن فك ارتباطها عنه وهي جاءت حاملة لمبادئه، باذلة التضحيات في سبيله، فهي ثورة إنسانية لكل أبناء البشرية، منبثقة عن الإسلام الذي هو دين الإنسانية المنزل من رب العالمين جميعاً، وإليهم جميعاً، في كل زمان ومكان.

إن تاريخية زيارة الإمام الحُسَين(عليه السلام) في الأربعين لا تعني ارتباطها بالماضي حصراً، وإن كانت قد حدثت فيه فعلاً ضمن مفهومنا المعاصر، بل إن تاريخيتها تعني أزلية استمرارها. كما هي أزلية وجود الظلم والفساد، وأزلية تحقيق الإصلاح. مثلما أن ثوريتها تعني ضرورة وحتمية السعي نحو الإصلاح والتكامل الانساني حتى وإن بلغت التضحيات ذروتها.

إن للشريعة المحمدية المقدسة غايات وأهدافاً جليلة في مقدمتها السير ببني آدم إلى الكمال الإنساني والسعي الحثيث لإصلاح الامة التي غلبها الظلم ومظاهر الاضطهاد، وقد أوجدت لذلك سبل بينتها وطرائق أوضحتها منها التمسك بالثقلين الكتاب العزيز والعترة الهادية صلوات الله عليها كما نص على ذلك حديث الثقلين المتواتر، ومنها كذلك ما ورد في الزيارات الشريفة إن الأئمة المعصومين(عليهم السلام) أبواب الله تعالى التي منها يؤتى، وإنهم سلام الله عليهم سفن النجاة فمن اقتفى أثرهم واتبع نهجهم وتمسك بهم أمن من الغرق والهلاك ووصل إلى بر الأمان حيث السعادة الأبدية والرضا الإلهي.

ان الإمام الحسين(عليه السلام) سفينة النجاة العظيمة والسريعة وفق الأحاديث الشريفة بل هو سلام الله عليه سفينة الكمال.

ان الشريعة المقدسة طالما بعثت المسلمين إلى التكامل المعنوي عبر الماديات وتحمل الصعوبات والمشاق وكأفضل مثال لذلك السفر لحج بيت الله الحرام كفرض واجب على كل مستطيع واستحباب

الحج لمن حج سابقاً، وجعلت لذلك الثواب العظيم وذات الأمر نجده في زيارات مراقد المعصومين سلام الله عليهم ابتداء برسول الله ﷺ حتى الإمام الهادي والعسكري عليهما السلام، لكننا نجد عند استقراء الروايات الشريفة أن لزيارة سيد الشهداء تميُزاً خاصاً وثواباً فاق الجميع بل فيها إشارة إلى التكامل الإنساني موضع البحث.

والجدير بالذكر ان زيارة سيد الشهداء عليه السلام في الاربعين – وهي بهذا الثواب العظيم – لابد لها من تكامل أولي واستعداد ذاتي حتى يوفق الشخص لزيارته، فنلاحظ ان الرواية الشريفة هدفت الى جمع المؤمنين على حب الحسين عليه السلام.

وخلاصة الأمر إنَّ من كان في كربلاء المقدسة الظرف المكاني وفي يوم الأربعين الظرف الزماني فقد جمع عاملي التكامل المنشود شرط الاستعداد المسبق للتكامل لاسيما حب الله ورسوله وأهل بيته وكذا أن يكون عارفاً بحقهم أي الجانب العلمي، فمَنْ يكون له ذلك يكون قاب قوسين من التكامل المقصود.

أولاً: العقل الاصلاحي للثورة الحسينية وأثره في التكامل الانساني:

لقد جعل الله سبحانه وتعالى العقل الأساس فيما يمكن أن يدركه من قاعدة القضايا ومن تفاصيلها، فقد روي عن الامام محمد الباقر عليه السلام: ((ان الله خلق العقل فقال له أقبل فأقبل، ثم قال له أدبر فأدبر، ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقتُ خلقاً هو أحب إليَّ منك، ولا أكملك إلا فيمن أحب، أما إني إياك آمر، وإياك أنهى، وإياك أثيب))[1].

فالعقل يمثل الطاقة الفطرية الروحية التي تنفتح على كل القضايا في منطق الفطرة بحيث إن الانسان عندما ينفتح على القضايا بفطرته فإنه يصل اليها، وبذلك يلتقي بالحقيقة في موقع اليقين وهذا هو الحجة لله على خلقه[2]، وهناك حركة للعقل في موقع آخر وهو من خلال الثقافة، ومن الطبيعي إن هذا العقل التجريبي الثقافي يترك مساحة بين اليقين والظن، لأن الوسائل التي يحصل عليها لا تصل به الى الحقيقة فلا يبقى هناك سؤال يفرض نفسه على العقل[3].

وانطلاقاً من هذه الأهمية فإن العقل كما يذكره الامام الصادق عليه السلام: ((حجة الله على العباد النبي، والحجة فيما بين العباد وبين الله العقل))[4]، فهو الحجة التي تدرك بها وجود الله تعالى ورسالة رسوله ﷺ، والكثير من حقائق الحياة من خلال الفطرة العقلية الصافية التي تنفتح على الحقيقة من أقرب الطرق، والحجة التفصيلية فيما بين الله وبين العباد وهو النبي ﷺ لأنه يبلغهم ما لا يملك العقل معرفته والخوض فيه من تفاصيل التشريع وما الى ذلك مما لا يرفضه العقل في ذاته ومما يدعو العقل للالتزام به من خلال ما يدركه من وجود الله ورسالة الرسول ﷺ[5].

ودون شك فثمة علاقة وثيقة بين العقل والاصلاح عند الامام الحسين عليه السلام، فهو عندما انطلق من أجل تغيير الواقع على اساس استقامة الخط، لأن الواقع انحرف فأراد الامام عليه السلام ان يرسم معاملة للامة الاسلامية، حيث قال: ((أيها الناس ان رسول الله ﷺ قال من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً

لحرم الله ناكثاً لعهد الله يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان، ثم لم يغير بقبول ولا فعل كان حقيقاً على ان يدخله مدخله))[٦]، فالذي يحكم بإسم الاسلام لا يمكن ان يكون ظالماً للناس: «ان الله يأمر بالعدل والاحسان»[٧]، ولا يمكن ان يكون ناكثاً بعهده لأن الله يقول: «وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها»[٨]، ولا يمكن ان يخالف سنة رسول اللهﷺ لأن الله يقول: «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا»[٩]، ولا يمكن ان يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان لأن الله يرفض الظلم لعباده، ولذلك كان رسول اللهﷺ يقول حاولوا ان تغيروا الحاكم الذي يتصف بهذه الصفات لأنه سوف يهدم قواعد الاسلام في حكمه ذلك ان مثل هذه العناوين التي تتمثل في الحكم تقف في الضد من عناوين الاسلام الحقيقية[١٠].

ويوجه الامامؑ الانظار الى الواقع في تلك الفترة لإحداث عملية مقارنة بين الخط والواقع: ((ألا إن هؤلاء القوم قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله، وحرموا حلاله))[١١]، فالامامؑ هو من يحمل الاسلام عقلاً وقلباً وحركة ومنهجاً انفتح به على قضايا الانسان مما يريد الله له ان يتحرك فيه من أجل عملية تغيير شاملة للواقع الراهن.

إذن فالامور تفرض التحرك الذي قال عنه الامامؑ: ((لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وانما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر))[١٢]، وهذا يعني أن الحسينؑ يحدد نوعية هذا التحرك على شكلين: الأول أن تكون منطلقة من مواقع ذاتية ومن خلال طموح ذاتي، أو أن تنطلق لتؤكد الظلم في مواجهة العدل، وتركز الفساد في مواجهة الاصلاح، وهذه حركة يرفضها الامامؑ لأنها غير شرعية، ولذلك أراد ان يضع في عنوان حركته انها ليست لظلم القيادة او الشعب وليست لإفساد الواقع بخلق الفرقة والتمزق في مواقع الحق، ولا هي ذاتية تنطلق من حالة طمع وطموح يريد ان يرضي الذات على حساب الرسالة[١٣].

ثم أكد نوعية حركته فمن خلال عنوان ((الاصلاح في أمة جدي)) يوحي بأن قضية أنْ يعيش المجتمع الاسلامي الفساد في كل مجالاته تفرض أن تكون هناك حركة من أجل الاصلاح، ولذلك تحرك على أساس هذا الواجب الشرعي في أنه إذا كان هناك فساد في الواقع فلا بد أن تنشأ حركة في مواجهة هذا الفساد، وان لا نعيش التخدير للواقع ولا التجميد لحركتنا وطاقتنا، وان يشعر كل من يعيش في المجتمع لا سيما قياداته الشرعية حركة تغيير هذا الواقع من الفساد الى الاصلاح[١٤].

فالفساد يمكن ان يؤدي الى تقويض الدين ومحو معالمه: ((فإن السُّنَّة قد اميتت، وان البدعة قد احييت))[١٥]، فالحسينؑ هو شاهد على عصره بمقتضى الآية الكريمة التي يكون فيها أظهر أفرادها: «وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً»[١٦]، وذلك لأن قوام الاسلام يعتمد على اقتفاء الرسولﷺ، والعمل بما جاء به قوله تعالى: «وما آتاكم الرسول

فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا»[١٧]، وقال أيضاً «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة»[١٨].

فانتشار البدع وتعطيل السُّنَّة كما في الحديث: ((ما أحد ابتدع بدعة إلا ترك بها سُنة))[١٩] تؤدي كما قال عنها أمير المؤمنين عليه السلام: ((إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع، وأحكام تُبتدع، يخالف فيها كتاب الله، يتولى فيها رجال رجالاً، فلو أن الباطل خلص لم يخف على ذي حجة، ولو أنَّ الحق خلص لم يكن اختلاف، ولكن يؤخذ من هذا ضغث، ومن هذا ضغث، فيمزجان فيجيئان معاً، فهنالك استحوذ الشيطان على أوليائه، ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى))[٢٠].

وحينما تصل حالة الابتداع والخروج عن الدين حداً يمكن أن يعطل السنن الشرعية التي قام الاسلام من أجل ارسائها وترسيخها في المجتمع، فإن المسلم يكون من واجبه الشرعي مواجهة تلك البدع والقضاء عليها، فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ((إذا ظهرت البدع في امتي، فليظهر العالم علمه، فمن لم يفعل، فعليه لعنة الله))[٢١]، ذلك لأن حفظ الدين وحمايته من أهم الواجبات الشرعية انطلاقاً من مبدأ المسؤولية العامة الذي يشير اليه الحديث الشريف: ((كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته))[٢٢]، ولهذا فإن مدى الانحراف الذي آلت اليه الامور بعد تولي يزيد بن معاوية للحكم كان كبيراً لأن صفاته وسلوكياته المستهترة سلبت منه أدنى صفات الصلاح التي يمكنه من خلالها قيادة الامة، فهو رجل فاسق، فاجر، شارب للخمر، قاتل للنفس المحترمة[٢٣]، إذن السماح لشخص يحمل هذه الصفات يعني بالضرورة القضاء على الاسلام، وهو ما أعلنه الامام الحسين عليه السلام صراحةً بقوله: ((على الاسلام السلام إذا ابتليت الامة براعٍ مثل يزيد))[٢٤].

وبلا ريب فإنّ سكوت الحسين عليه السلام ومبايعته ليزيد سيعتبر مساهمة منه في هدم الاسلام، لأن الرسول صلى الله عليه وآله يقول: ((من أتى ذا بدعة فعظَّمه، فإنما يسعى في هدم الاسلام))[٢٥]، ومثل هذا لا يكون من الامام عليه السلام لأنه سبط الرسول صلى الله عليه وآله المؤسس، وابن الامام علي عليه السلام الباني والمشيّد لهذا الكيان الشامخ، فمن المستحيل أن يقبل الامام عليه السلام ضياع الاسلام والشعائر الالهية، لذلك أقدم عليه السلام على حركته بمقاومة يزيد وهو القائل: ((إني لا ارى الموت الا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برماً))[٢٦].

كان واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم مقومات ثورة الامام عليه السلام، ويُعدُّ من أهم الفرائض الاسلامية بل بتعبير الحديث الشريف: ((أسمى الفرائض))[٢٧]، بعد أن سلب الامويون الناسَ حريتهم وعطلوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلم يعد أحد يستطيع ابداء رأيه فيما يخص صلاح المجتمع وأوضاعه، فعندما طلب معاوية بن أبي سفيان من (الأحنف بن قيس) أن يبدي رأيه بشأن ولاية عهد يزيد قال جملة معبرة: ((نخافكم إن صدقنا، ونخاف الله إن كذبنا))[٢٨]، ولهذا انطلق الامام عليه السلام لبناء الحياة الكريمة في الاسلام بعد ان انهارت دعائمها أيام الحكم الاموي، فقد أصبح المعروف في عهدهم منكراً والمنكر معروفاً، ومما

قالهعليه السلام في هذا المجال أمام أصحابه وأهل بيته يوم الطف: ((الا ترون الى الحق لا يعمل به، والى الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء ربه))[٢٩].

ولم يكن الامامعليه السلام يطمع بالنصر او الاستيلاء على مقاليد الحكم والسلطة والنفوذ، بل أراد من خروجه الحفاظ على معالم الدين الاسلامي وإصلاح المجتمع ونصرة المظلوم بقوله: ((اللهم انك تعلم انه لم يكن ما كان منا تنافساً في سلطان ولا التماساً من فضول الحطام ولكن لنرد المعالم من دينك ونظهر الاصلاح في بلادك ويأمن المظلومون من عبادك ويعمل بفرائضك وسننك واحكامك، فإن لم تنصرونا وتنصفونا قوي الظلمة عليكم وعملوا على اطفاء نور نبيكم، وحسبنا الله وعليه توكلنا، واليه أنبنا واليه المصير))[٣٠].

اذن إنه ع قام بمسؤولية صيانة رسالة الامة التي اوجدها وخلفها النبيصلى الله عليه وآله[٣١]، اضافة الى قيامه بتحمل أعباء إصلاح المجتمع من خلال الهداية والرعاية للبشر دينياً ومعنوياً وانسانياً واخروياً بمقتله وشهادته، فكان النبراس الافضل الذي يضيء للاجيال طريقهم باستمرار[٣٢].

كان الامام الحسينعليه السلام وبقية أهل البيتعليهم السلام هم اول من فهم حقائق الاسلام ونطق بها وكانوا الأقدر على تجسيد هذه المفاهيم وتحويلها الى واقع وانموذج في وقت كثر فيه المتكلمون وقل فيه الفاعلون: ((إن الثورة الكربلائية لم تكن تهدف الى تغيير الجوانب المادية فقط، بل تغيير البنيان الفكري والاجتماعي والسياسي والاقتصادي بأسره، وإذا كان الكثير من المسلمين قد قتلوا في الحروب والفتن التي جرت في البلدان الاسلامية فإن ذلك لم يؤثر في المسلمين مثلما أثرت شهادة الحسين))[٣٣].

استهدفت ثورة الامام الحسينعليه السلام القضايا المصيرية لجميع الشعوب، فلم ينشد في ثورته الخالدة أي مطمع سياسي او نفع مادي، وانما استهدف المصلحة الاجتماعية واهتم بأمر الناس جميعاً ليوفر لهم العدل السياسي والاجتماعي، لذلك خلدت قصته واخذ الناس يقيمون له الذكرى مقتبسين منها الايمان بالله والعبر والعظات التي تنفعهم في ميادين حياتهم جميعها[٣٤].

جسدت ثورة الإمام الحسينعليه السلام قيم ومبادئ وحقوق الأمة ومنها الإصلاح، حيث أكد فيها على ضرورة الاهتمام بإصلاح شؤون الأمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية من خلال توعية الأمة بمواصفات الحاكم العادل القائم بالعدل الذي يسوس الناس بالقرآن والسنة ويحترم آراءهم ومعتقداتهم ويؤمن بالشورى في الحكم وتولي الحكم من هو أهلٌ لها، وعدم المساومة على الحق، والالتزام بالاتفاقيات والعهود، ودعم سيادة القانون، وجعلها مقياساً لقيمة الحاكم ومشروعية حكمه وهذا ما أرادهعليه السلام بقوله: ((ولعمري ما الإمام إلا الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الداين بدين الحق، الحابس نفسه على ذات الله))[٣٥].

كما تضمنت معالم تلك النهضة تمتين أواصر الثقة بالمعتقدات من خلال طرح الصحيح منها إلى الأمة، والتأكيد على وحدة الأمة ومنع إثارة التفرقة والعنصرية والطائفية والقبلية والقومية كأساس

للتمييز بين الناس[٣٦]، وقد وضع الامام عليه السلام شروط الكفاءة والاستقامة في تولي شؤون الأمة وتسيير مهام الحكم والسياسة فيها، فضلاً عن ممارسة حق النقد والبيعة والنصح والتوجيه ومناقشة سياسة الحاكم، وهذا ما أكده الحسين عليه السلام عندما قال: ((إنا أهل بيت النبوة، ومعدن العلم، ومختلف الملائكة، بنا فتح الله وبنا يختم، ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله))[٣٧].

واستطاع الإمام الحسين عليه السلام أن يوقظ الضمير الإنساني ويؤثر فيه باتجاه القيم الحقة، والانتصار لها، وتحقيقها على أرض الواقع، كونها لم تحدّد بدين أو مذهب أو قومية معيّنة، بل كانت للإنسانية جمعاء[٣٨].

وقد اكد الإمام عليه السلام على أهمية طريق الحرية وعدم الانسياق وراء الحاكم الظالم مهما كانت الاسباب، وعدم العيش كالعبيد، بل دعا عليه السلام الى ان يكون الناس احراراً في دنياهم، وقد انطلق بأهدافه هذه معلناً الحرب على الظلمة بقوله ((ألا وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر))[٣٩]، مذكراً بان دعواته الإصلاحية هي ليست للتنافس على الخلافة وإنما لإيجاد أرضية لعمل الحق مقابل الباطل جاهراً قوله «اللهم إنك تعلم إنه لم يكن ما كان منا تنافساً في سلطان، ولا التماساً من فضول الحطام، ولكن لنرى المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، ويأمن المظلومون من عبادك، ويعمل بفرائضك وسنتك وأحكامك»، من هنا فإن ثورته عليه السلام جاءت من أجل حرية الناس وصيانة كرامتهم الإنسانية، ورفض الذلة التي اتبعها الطغاة من الأمويين وأتباعهم في تعاملهم مع الناس[٤٠].

فقد دأب بنو أمية منذ توليهم زمام السلطة السياسية في الأمة الإسلامية على انتهاك كل ما هو مقدس بموازين الشرع الإسلامي واستهانوا بالقيم الإنسانية قبل الإسلامية، وكان حكمهم من أسوء أنظمة الحكم في كل الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية، فها هو الحاكم الأموي يزيد بن معاوية يمسك زمام السلطة بعد أبيه ليذيق الأمة خلال ثلاث سنوات الويلات ويأمر بقتل جميع من يعارض حكمه وسلطانه وفي مقدمتهم الإمام الحسين وسبي عياله وتعمد الإساءة له ولأهل بيته، لذا جاءت ثورة الإمام الحسين عليه السلام للإصلاح السياسي والاقتصادي والسياسي والاجتماعي والديني في الدولة الإسلامية[٤١].

وينبغي على المنصف أن يفرق بين الإسلام وتطبيقه السليم على يد المعصوم خليفة السماء في الأرض، والانحراف الذي حصل بعد تولي بني أمية السلطة، وما رافق ذلك من عدوان على الحقوق والحريات تحت راية من يدَّعي زورا الإسلام، ولا يلومن أحد إلا نفسه بعد العاشر من المحرم سنة ٦١هـ لتقصيره في الوقوف جنب الحق وجنب آل الرسول الذين أرادوا للأمة ان تنهض من غفوتها وتثور على الحكم الاستبدادي المغتصب المتمثل بيزيد ومن سار في فلكه إلى قيام الساعة، فقد حاول الإمام الحسين استنهاض

الأمة من سباتها إلا انه اصطدم بالغدر والمكر وإنكار أبسط الحقوق الإسلامية بل أنه واجه يوم العاشر من المحرم عدواً لا يمت للإنسانية بصلة[٤٢].

وقد شحنت كربلاء إرادة الامة بالعزيمة الراسخة بما بلورت من الاحاسيس الخيرة في الانسان، ذلك لأن لهذا الانسان مخزوناً كبيراً من العقل والارادة والعاطفة، وهو غالباً ما يرحل عن هذه الدنيا قبل ان يستفيد من هذا المخزون الضخم[٤٣].

ان من اهداف رسالات السماء ومصلحي البشر إثارة دفائن العقول وشحذ وتحريك الارادة والعاطفة، واستخراجها من باطن الانسان الى واقعه، وهذا ما فعلته ملحمة كربلاء بالضبط، فقد كانت هي الطليعة والقدوة لجهد الانسان في تفجير مخزونه الارادي والعقلي والعاطفي[٤٤].

فالحسين عليه السلام إمام والإمام حكيم والحسين عليه السلام تلميذ النبوة، فهو ذو دراية واسعة، إمام محنك مسدد خطّط وحلّل الامور، وأدرك الربح والخسارة، وسجل الخطوط الاولى في ذهنيته، واعطاها للدنيا لتقرأ هذه الصحائف الحمراء عنوانها هؤلاء بنو أمية الذين أباحوا المحرمات[٤٥].

ان الامام الحسين عليه السلام إمام حلل خصومه ومقاتليه تحليلاً صعباً، وكشفهم وعرّف الاجيال طباعهم، نحن لا نقول: ان الامام الحسين عليه السلام أطاح بالدولة الاموية وهدم عروشها وأراح الامة منها ومن جبروتها، وانما نقول: ان الامام الحسين عليه السلام الانطلاقة الاولى والتجربة الاولى للكفاح والاصلاح والنهضة لهذه الامة، فقد وضع الامة في مسار ثوري، وأشار لها لتسلك ذلك الطريق الذي يوصلها الى الوجود الدائم فهو النذير الذي أنذر الحكام الامويين، واعطى للامة جرعة الى الطريق السوي إن هي أرادت أن تبقى امة ويكتب لها النجاح في دنيا الامم[٤٦].

ثانياً: زيارة الاربعين وتجسيد القيم الاسلامية والانسانية:

إن ما قدمه الامام الحسين عليه السلام في معارضة حكم يزيد بعد موت معاوية لعنهم الله، وفضح حكومته الزائفة بخروجه عليه قائلاً «إني لم أخرج أشراً، ولا بطراً ولا مفسداً، ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهي عن المنكر فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق، وهو خير الحاكمين»[٤٧]، يعدُّ موقفاً تاريخياً يجب ان يخلد لكونه حجة بالغة في اثبات ظلم بني امية وأتباعهم ومن مهد لهم على ذلك، وهناك ثلاثة عوامل رئيسة تخلد هذه الواقعة وهي:

الأول: فضل موقف الامام الحسين عليه السلام بعدم انحراف الاسلام عن جادته مجرداً عن مظلوميته وما جرى عليه من أحداث مهولة.

الثاني: تعرض قضية الامام الحسين عليه السلام الى محاولات تعتيم وتضليل وتشويه على مر التأريخ، والقتل والتهجير والتعذيب لشيعة اهل البيت عليهم السلام على مر العصور.

الثالث: عظمة مصيبة الامام الحسين عليه السلام التي واجه فيها ما أبكى السماء دماً وما اعظمها من مصيبة تلك التي وصفتها الروايات بلا يوم كيومها[٤٨].

ولذلك يتوافد شيعة أهل البيت عليهم السلام الذين اصبحت من علاماتهم هذه الشعائر الحسينية الى زيارة الامام الحسين عليه السلام لإحياء ذكراه وإثارة انتباه الناس لما قدمه الامام الحسين فضلاً عن تجديد العهد معه سلام الله عليه واستثمار هذا التحشد المليوني في نشر الثقافة الحسينية التي تأسست على نبذ العنف والذل، وشجعت على رفع القيم والمبادئ الانسانية السامية(٤٩).

ان لعاشوراء وزيارة الأربعين سراً لا يفهمه الا ذو حظٍ عظيم، فها هي تمر علينا موسماً بعد موسم، فهي مدرسة ننهل من معينها، فتجدد الايمان فينا وتحفزنا على العمل، وهي مدرسة يتعلم فيها الجميع رجالاً ونساءً، شباباً وأطفالاً وشيوخاً الدروس تلو الدروس، وما أكثر دروس كربلاء التي لا تنتهي. فهذا هو سر زيارة الاربعين التي كانت ولازالت مدرسة عابرة للزمن جاءت الينا من عبق التاريخ لتكون خير دليل ومعين ومبين لتعاليم الاسلام الاصيلة، لهذا كلما انتمينا الى مدرسة عاشوراء، تمثل هذا تعلقاً بالاسلام وحباً بالقرآن والتزاماً بالطاعات(٥٠).

تأتي خصوصية إقامة الشعائر الحسينية في يوم أربعين الامام الحسين عليه السلام المصادف في العشرين من صفر كونها تشكل إحياءً لنهضة الامام الحسين الاصلاحية وتعاليمه الاخلاقية ومبادئه النبوية فإن قضية سيد الشهداء هي التي ميزت بين دعوتي الحق والباطل ولولا نهضة الحسين ووقوفه بوجه الظلم والطغيان الاموي لكاد الاسلام يندثر حتى قيل: الاسلام محمدي الوجود حسيني البقاء، وما قام به الامام الحسين في نهضته الاصلاحية كان امتداداً لدعوة الرسول صلى الله عليه وآله لنشر الاسلام وهو الامتداد الطبيعي للنبي صلى الله عليه وآله بنص حديث الرسول: حسين مني وانا من حسين(٥١).

وتأتي خصوصيتها أيضا في استذكار الفاجعة التي جرت على أهل البيت عليهم السلام في يوم عاشوراء وما صاحبها من المآسي والآلام وتعريف الناس بجور بني امية وأذنابهم. كما تتزامن إقامة الشعائر الحسينية في يوم الاربعين مع ذكرى رجوع الرأس الشريف من الشام الى العراق، ودفنه مع الجسد الطاهر في يوم العشرين من صفر كما جاء في الروايات، وتسمى هذه الذكرى ((مَرَد الراس)) فتقام الشعائر استذكاراً لهذه الحادثة الاليمة فتتجدد الأحزان(٥٢)، ومنذ ذلك اليوم وهو العشرين من صفر أصبح هذا التاريخ مشهوداً فتتوافد مئات الآلاف من الزائرين الى كربلاء لزيارة الامام الحسين وإقامة الشعائر وتجديد هذه الذكرى المؤلمة(٥٣).

قطع محبو أهل البيت عليهم السلام ولا زالوا يقطعون مسافة عشرات أو مئات بل حتى ألفاً وأكثر من الكيلو مترات مشياً على الأقدام لزيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، مشكلين أكبر مسيرة في العالم أكدتها وسائل الإعلام المحايدة وواجهت التحديات من قبل الإعلام المخالف وافقدت – المسيرة – قدرة التضليل عليها لما لها من شيوع اكتسح الساحة الاعلامية(٥٤).

وهنا يسال السائل ما المغزى من قطع هذه المسافات لزيارة الحسين عليه السلام مشياً على الاقدام؟ فهم يتحملون المصاعب التي قد تودي بحياتهم من قبل المعادين لهذه الشعيرة المقدسة ناهيك عن المجازفة من قبل المريض والمُسن واصحاب الاحتياجات

الخاصة وغيرهم، ما بعث الحيرة في العقل في مصدر هذه الارادة[٥٥].

والجواب على هذا السؤال لا يصعب على من اطلع على واقعة كربلاء التاريخية ولو سطحياً، لان المطلع عليها يلتمس منها مبادئ انسانية وضربة تاريخية شلت الحراك المبتغي حرف الاسلام عن جادته، كيف لا وقد غرس الامام الحسين عليه السلام تلك المبادئ وسقاها بدمائه ودماء أهل بيته عليهم السلام[٦٥].

وعليه فإن المسير مشياً على الاقدام لمسافات طويلة جداً وتحمل المشقة والصعاب، الهدف منه تثبيت هذه المبادئ ولذلك فإن زيارة الاربعين تعتبر جبهة من الجبهات المدافعة عن الانسانية التي تعتمد على سلاح المسيرة السلمية لنقل تلك الرسالة الانسانية.

ثالثاً: المضامين الانسانية والتربوية والاخلاقية في مسيرة زيارة الاربعين

في كل سنة تهل علينا زيارة وملحمة خالدة من ملاحم العشق الحسيني وهي ملحمة عظيمة وعالية المضامين ألا وهي زيارة الأربعين التي تمثل قمة العشق الحسيني، وهذا العشق الحسيني ليس خاصاً بالموالين فقط بل أصبح عشقاً يمتد من الموالين لأهل البيت إلى ديننا الإسلامي ليعم كل البشرية ولتصبح راية الإمام الحسين عليه السلام راية تلتف حولها كل الطوائف والمذاهب والأديان ولتغدو هذه الراية السامية والشريفة راية إنسانية توحد العالم كله من مشرقه إلى مغربه ومن شماله إلى جنوبه وليرتفع الصوت الحسيني الهادر وكل شعاراته ومقولاته في العالم أجمع ولتتخذ هذه الشعارات والمقولات دليلاً ومنهج عمل لكل إنسان يؤمن بقيم ومنطق العدالة والحق ولتصبح شعارات إنسانية ترفع من قبل المظلوم على كل ظالم ومتجبر وطاغي ولتمثل أعلى قيم الانتصار لقيم العدالة والحق على قيم الظلم والباطل[٥٧].

من هنا فإن زيارة الأربعين زيارة إيمانية سامية نورانية المضامين في كل قيمها النورانية وتمثل لكل زائر مؤمن إضافات وإفاضات إلهية عظيمة تعطيه زخماً عالياً في التزود بالأيمان والتوحيد وهي مسألة مهمة يجب أن يتزود منها العبد المؤمن في وقتنا الحاضر في ضوء ما يواجهه المسلم وكل العباد من تحديات تريد النيل من إيمان العبد وحرفه عن وجهة ديننا الحنيف، الدين المحمدي الذي لا لبس فيه ولا غموض وهو دين الحق والإنسانية لتصبح زيارة الأربعين محطة توقف مهمة للمؤمنين في التزود بالنفحات الإيمانية والتمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، ولتصبح غاية الوصول إلى الضريح الشريف لأبي الأحرار سيدي ومولاي أبي عبد الله الحسين عليه السلام وأخيه أبي الفضل العباس عليه السلام ومسير السبايا لأهل بيت النبوة وما ارتكبت فيه من مآسي وفواجع لهذه الذرية الطيبة لأشرف خلق الله هي (عِبرة وعَبرة) وتذكر مسير مواكب الإباء لذراري أهل بيت النبوة وما لاقوه من ظلم وإجحاف بحق هذا البيت السامي وكذلك تذكر كل المواقف الخالدة والشجاعة لعقيلة الطالبيين سيدتي ومولاتي العقيلة زينب عليها السلام[٥٨].

ولتكن هذه الملحمة الخالدة لزيارة الأربعين نقطة مضيئة تشع بتألقها على مدى التاريخ ولتمثل محطة مهمة من المحطات الإيمانية في الفكر الإنساني ولتشكل بؤرة من بؤر وحدة الفكر الإنساني بمختلف أطيافه وأفكاره ولتبقى نقطة في الدين باعتباره محطة مهمة من محطات المحافظة على ديننا الحنيف أراد الطلقاء من بني أمية وبني العباس ومن جاء من بعدهم عبر تاريخنا القديم والحاضر أن يحرفوا هذا الدين العظيم عن مساره ويشوهوا ذلك الدين العظيم الذي أتى به خير خلق الله نبينا الأكرم سيدنا ومولانا محمدﷺ برسالة محمدية سامية وعظيمة المعاني في الإنسانية والفكر لذا حاول كل النواصب والمبغضين لأهل البيت من سلالات مجرمة محو هذه الرسالة بالقتل والذبح والسبي وممارسة أعلى قيم الإجرام والوحشية بكل خسة ولؤم وقذارة ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون[٥٩].

بقيت «فاجعة كربلاء» خالدة إلى يوم القيامة، عند كلّ مجتمع يمتاز بالوعي والإدراك، وفهم المفاهيم والقيم الإنسانية، وكلّما ازداد البشر نُضجاً وفَهماً أقبل على دراسة وتحليل هذه الفاجعة بصورة أوسع، والتفكير حولها بشكل أشمل، والكتابة عنها بتفصيل أكثر. وقد شاء الله تعالى أن يبقى هذا الملفّ مفتوحاً لدى العقلاء المؤمنين، ويُجدّد فتحه في كل عام، بل في كل يوم، لتحليل ودراسة جزئيّات هذه الفاجعة.

ومن هنا نلاحظ إن مشاية الأربعين لهذه الزيارة الخالدة في ازدياد وقد حاول كل الطواغيت على مر التاريخ إطفاء جذوة هذه الزيارة من خلال القمع للزوار وقتلهم والتمثيل بهم بأسلوب التهديد المجرم والذي يخلو من إي مضامين إنسانية وبشرية من الطواغيت في الأولين والآخرين لأن يزيد ومعاوية وبني أمية موجودون في كل زمان ومكان وما يحدث من فواجع وإرهاب وقتل على الهوية من قبل الإرهابيين من داعش القاعدة ومَنْ لَفَّ لفهم لهو خير دليل على ما نقول. ولهذا كان من الضروري التأكيد على إيمانية هذه الزيارة وإنسانيتها وأنها زيارة سلمية بحتة تدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن غايتها ترسيخ قيم الإيمان والتوحيد وتركيز العقائد الإسلامية للرسالة المحمدية الصحيحة[٦٠].

ولذا جاءت توجيهات مرجعيتنا الرشيدة ممثلة بسماحة المرجع الأعلى آية الله السيد علي السيستاني (دام ظله الوارف) التي تدعو إلى المحبة والتسامح والتي نقتبس جزءً منها حيث أكد سماحته:

«وعليه فإنّ من مقتضيات هذه الزيارة: مضافاً إلى استذكار تضحيات الإمام الحسينؑ في سبيل الله تعالى هو الاهتمام بمراعاة تعاليم الدين الحنيف من الصلاة والحجاب والإصلاح والعفو والحلم والأدب وحرمات الطريق وسائر المعاني الفاضلة لتكون هذه الزيارة بفضل الله تعالى خطوة في سبيل تربية النفس على هذه المعاني تستمر آثارها حتى الزيارات اللاحقة وما بعدها فيكون الحضور فيها بمثابة الحضور في مجالس التعليم والتربية على الإمامؑ»[٦١].

وأكد أيضاً: فالله الله في الصلاة فإنها كما جاء في الحديث الشريف عمود الدين ومعراج المؤمنين إن قُبلت قُبِلَ ما سواها وإن رُدّت رُدَّ ما سواها، وينبغي الإلتزام بها في أول وقتها فإنّ أحبّ عباد الله تعالى إليه

أسرعُهم استجابة للنداء إليها، ولا ينبغي أن يتشاغل المؤمن عنها في اول وقتها بطاعةٍ أخرى فإنها أفضل الطاعات، وقد ورد عنهم عليهم السلام: (لا تنال شفاعتنا مستخفّاً بالصلاة). وقد جاء عن الإمام الحسين عليه السلام شدّة عنايته بالصلاة في يوم عاشوراء حتى إنّه قال لمن ذكرها في أول وقتها: (ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلّين الذاكرين)[٦٢].

ولهذا كانت الصلاة من اهم ألأمور التي يجب التركيز عليها في كل زيارة من زياراتنا لأنها تمثل الوسيلة التي تقربنا إلى الله سبحانه ولأنها كانت من الأمور التي أكد علينا أهل بيت بدءاً من نبينا الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وإلى باقي أئمتنا المعصومين عليهم السلام وكانت من وصاياهم في التأكيد على الصلاة ووجوب على إقامتها في وقتها وبشروطها، ولهذا بادرت مرجعيتنا الرشيدة بإقامة محطات إيمانية للجواب على استفتاءات الزوار وتعلميهم كل الأمور التي تخص الزيارة والتي وجهت بها مرجعيتنا الرشيدة وأهمها الصلاة وحتى قام المبلغون بتلقين الزائر كيفية إقامة الصلاة وكذلك قراءة سورة الفاتحة وقسم من السور لكي تقبل صلاته لأنها إن قبلت قُبلَ ما سواها وان ردت رد ما سواها، وهذه من أبلغ الدروس والمواعظ الإيمانية في أن مذهب أهل البيت هو قائم على الدين المحمدي الأصيل الذي جسده خير تجسيد أئمتنا المعصومون عليهم السلام والموالون[٦٣].

ان ظاهرة وممارسة الزيارة المباركة فرصة التعبير الحر عن الهموم والمآسي التي تواجهها الامة والتي غالباً ما يتم تجاهلها من قبل الاعلام العالمي. ولا تحظى بتفاعل المجتمع الدولي نتيجة النفاق السياسي وجفاف المبادى الانسانية داخل منظوماتها الحاكمة. ان الظلم الذي تتعرض له الامة الاسلامية ولاسيما اتباع أهل البيت عليهم السلام يشبه طوفاناً من الشر المتطاير بالعدوان والمكر والخبث. ظلمٌ لم يترك مسرباً من مسارب الحياة الا وخنقه مما يحتم على الامة ان تعبر عن ظلامتها بحجم ماحلَّ بها وان كان ذلك من المستحيل. فما حلَّ من ظلم خارج نطاق التعبير، وليس ثمة وسيلة للتعبير الجماهيري عن هموم الأمة وشكواها مثل وسيلة زيارة الاربعين المباركة حيث يتسنى للشعوب وللافراد اطلاق الشكوى بنحو جماهيري يسمعه العالم[٦٤].

فزيارة أربعينية الامام الحسين عليه السلام تكشف عن حالة من التعافي الايجابي الكبير في جسد أتباع أهل البيت عليهم السلام في حقل السلوك الاجتماعي حتى أمكن القول ان ظاهرة زيارة الاربعين تمثل عاملاً اخلاقياً لانتاج السلوك الايثاري، ومختبرات عظيمة لفحص واختبار ودراسة السلوك الانساني المتعلق بالبذل والتعاون وتقديم المساعدة الى الاخرين. وتمثل زيارة الاربعين مهرجاناً انسانياً عظيماً للتلاقي الحضاري والتعارف الثقافي الإيجابي، سواء كان بين الحضارات والثقافة الواحدة أو بين حضارات وثقافات متنوعة، مهرجاناً تنظمه الجماهير المؤمنة بنفسها ولا تتدخل السياسة والانتماءات العرقية والفئوية في نشاطاته على الاطلاق، وإن أغلب المشاركين في ممارسة زيارة الاربعين هم من أصحاب الثقافة التي تصنف على انها ثقافة جمعية شديدة الترابط بين اعضائها، ويلاحظ بان الناس ولاسيما المتطوعين لخدمة الزائرين يسعون لتقديم المساعدة الى الغرباء بالدرجة الاولى ويتفانون

في البذل والاستجابات الانسانية الطيبة دون ان يلتفتوا الى هوية الاخرين.

إن حالة الانغلاق في ممارسة السلوك الاجتماعي الايجابي متمثلة في سلوك جمهور زيارة الأربعين فالانفتاح على مساعدة الآخرين عند هذا الجمهور حالة الى مقاربة دراسية مستقلة، لما فيها من حقائق ومعطيات هامة. وبما ان السياق قد وصل بنا الى هذه المسألة مع تطلع الجميع الى غفران الذنوب ببركة زيارة سيد الشهداء وهو تطلع موضوعي وعدت به العديد من النصوص الشرعية، والمحصلة لزيارة الاربعين هي ان عملية المشي ضمن اطار ممارسة الزيارة تتضمن العناصر والابعاد النفسية التي هي في غاية الاهمية وهي في الجملة من الممارسات التفاعلية وليس عملية جسمية صامتة تعتمد على حركة الرجلين واليدين، حيث تشترك العناصر العقلية والنفسية المتانة عن التواصل مع الله والاخرين في مشهد تفاعل مستظل بمناجاة السماء ومكسو بطهر التراب الملامس لأقدام الزائرين ومضمَّن بأنفاس عشاق كربلاء مع تردد موسيقى الندب الولائي الهادرة في أجوائه بـ(ياحسين). تشترك كل تلك الاشياء لتمنح هذه الممارسة طابعاً روحياً متميزاً غير قابل للتقليد والاستنساخ ولا تعرض عليه ما تعرض على الممارسات الحياتية من قبل الاشباع والملل والقدم، وهي في الوقت نفسه وصفة علاجية مجربة للعديد من امراض الروح.

وابرز معطيات هذا الارث لزيارة الاربعين قد حانت مع لحظة انطلاق الفتوى المقدسة حيث وجدنا عبر التتبع الدراسي ان معظم المتطوعين من الحشد الشعبي هم من الجمهور الحسيني ولاسيما جمهور ثقافة زيارة الاربعين المباركة فان الحشد الذي نشهده في مسرح زيارة الاربعين العظيمة هو نفس الحشد الذي استجاب لنداء المرجعية الشريفة فقد انعكست بركات هذه الزيارة بالذات على تحشيد أبناء الحشد ومواصلة تدفق الزخم المعنوي والمادي لديهم بنحو ملفت للغاية[٦٥].

الخاتمة

إن إحياء الشعائر الحسينية وتقوية المجالس تمثل الطريق الناجح لبناء الاستقرار الاخلاقي والنفسي للشخصية الانسانية، كما أنها تشكل حصناً منيعاً للحفاظ على الهوية الاسلامية أمام عواصف العولمة ورياحها العاتية، كما فعل سيدنا وامامنا الخالد الحسين بن علي عليه السلام حين وقف ضد الظلم الاموي وقدم روحه وأرواح ذويه وصحبه الأكرمين قرباناً على مذبح الحرية في سبيل الله.

فقد اعطى الامام الحسين عليه السلام لله تعالى كل شيء وبلا حدود وقدم التضحيات التي لم يشهد التاريخ ولن يشهد مثيلاً لها، فكان عطاؤه بلا حدود وبلا نهاية فكان علينا ان يكون عطاؤنا للامام الحسين عليه السلام ومشاركتنا ومواساتنا بلا حدود وحتى نكون بمستوى الحب والولاء للعظمة الحسينية.

ان العظمة التي نجدها في الامام الحسين عليه السلام لا نجدها في أي شخص آخر على مر التاريخ، وهذه العظمة انما جاءت لأن الامام الحسين عليه السلام تفانى في الله. وان هذه العظمة هي عظمة الهية لذا تكون باقية. إذن عظمة سيد الشهداء الامام الحسين عليه السلام هي من عظمة

الله (سبحانه وتعالى) فعلينا ان نربط أنفسنا بالله وبهؤلاء الاطهار الذين ارتبطوا بالله سبحانه وتعالى.

قد لمسنا آثار تأثير انشطة زيارة الاربعين على المشاركة بنحو لا يقبل الشك وانها المصداق الاكبر لترجمة المضمون المتقدمة فشعاراتها ونشاطاتها وتداعياتها التي تملأ زمان ومكان الممارسة تعمل على تحذير الولاء في وجدان وعقل الانسان الموالي وتهبه زخماً هائلاً من الاصرار والثبات والمقاومة.

وما بقاء جمهور اتباع اهل البيت عليهم السلام في الحياة وحضوره الفاعل واعتراف الاخر بقوة دوره الا من بركات حزمة من الاسرار الالهية والتخطيطات الحكيمة لقادة التشيع وزيارة الاربعين المقدسة واحدة من بين تلك الاسرار الالهية العظيمة التي جسدت جميع من اثار وبركات.

ان زيارة الاربعين تقودنا الى القول بان هذه الممارسة المباركة قد تحولت الى استعراض موسمي للعزة والعدل والحرية، استعراض يفصح عن الحالة الثورية والفدائية لعشاق سيد الشهداء عليه السلام بنحو سلمي لا اثر فيه للعنف والكراهية والتحريض، بل أن أدواته وشعاراته سلمية انسانية مستفيدة بالضوابط الشرعية والقانونية وملتزمة بوسائل التعبير المتحضرة. انها ثورة اخلاقية لا يمكن احصاؤها من شأنها ان تسعف الانسان المعاصر من أخطار الأزمة الاخلاقية التي تعصف به منذ قرون.

السلام عليك يا أبا عبد الله وعلى الأرواح التي حلت بفنائك، السلام عليك يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حياً.

الهوامش

(١) الصدوق: أمالي الصدوق، ص٣٠٤-٣٠٥.

(٢) فضل الله: الندوة، ٤/ ٥٦.

(٣) المصدر نفسه والصفحة.

(٤) الكليني: الكافي، ١/ ٢٥.

(٥) فضل الله: الندوة، ٤/ ٥٨.

(٦) المجلسي: بحار الانوار، ٤٤/ ٦٦٩.

(٧) سورة النحل: آية ٩٠.

(٨) سورة النحل: آية ٩١.

(٩) سورة الحشر: آية ٧.

(١٠) فضل الله: الندوة، ٦/ ٢١١

(١١) المجلسي: بحار الانوار، ٤٤/ ٣٨٢

(١٢) الخوارزمي: مقتل الحسين، ١/ ١٨٨.

(١٣) فضل الله: الندوة، ٣/ ١٥٨.

(١٤) المصدر نفسه والصفحة.

(١٥) الطبري: تاريخ، ٣/ ٢٨٠.

(١٦) سورة البقرة: آية ١٤٣

(١٧) سورة البقرة: آية ١٤٣

(١٨) سورة الاحزاب: آية ٢١.

(١٩) الكليني: الكافي، ١/ ٧١.

(٢٠) المصدر نفسه، ١/ ٥٤.

(٢١) المصدر نفسه والصفحة.

(٢٢) المجلسي: بحار الانوار، ٧٢/ ٣٨.

(٢٣) ابن اعثم: الفتوح، ٥/ ١٤؛ الطبرسي: اعلام الورى، ١/ ٤٣٥. ويزيد ليس فقط شارب الخمر المحرمة وانما مدمن عليها. ينظر: الجاحظ: التاج، ص١٥١؛ الذهبي: دول الاسلام، ١/ ٢٩.

(٢٤)ابن نما: مثير الاحزان، ص١٥.

(٢٥)الكليني: الكافي، ١/ ٥٤.

(٢٦)الحراني: تحف العقول، ص ١٧٤.

(٢٧)الكليني: الكافي، ٥/ ٥٥؛ ومما يؤثر عن أمير المؤمنين عليه السلام: ((لا تتركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم)). ينظر: نهج البلاغة، ٢/ ٨٦.

(٢٨)ابن الاثير: الكامل، ٣/ ٥٠٨.

(٢٩)ابن عبد ربه: العقد الفريد، ٤/ ٣٨٠؛ الخوارزمي: مقتل الحسين، ٢/ ٥.

(٣٠)الحراني: تحف العقول، ص ١٥٠ – ١٥١.

(٣١)الشاهرودي: الثورة الحسينية، ١/ ١٠.

(٣٢)الصدر: محمد صادق، أضواء على ثورة الحسين عليه السلام، ص١١٢.

(٣٣)الطويل: تاريخ العلويين، ص٤٤.

(٣٤)القرشي: حياة الامام الحسين بن علي، ١/ ١٤-١٥.

(٣٥)الحلي: معالم المنهج الاصلاحي، ص ١٢٢.

(٣٦) البيشوائي: سيرة الائمة الاثني عشر، ص ١٤٤.

(٣٧)المطهري: الملحمة الحسينية، ص ١٠٥.

(٣٨)المقرم: مقتل الامام الحسين عليه السلام، ص ٢١٧.

(٣٩)المدرسي: الامام الحسين عليه السلام مصباح هدى وسفينة نجاة، ص ١٢١.

(٤٠)الحلي: معالم المنهج الاصلاحي، ص ١٤٤.

(٤١)القرشي: موسوعة، ١٣/ ٢٩٨.

(٤٢)صبحي: نظرية الامامة، ص٢٩١.

(٤٣)المدرسي: الامام الحسين عليه السلام، ص ١٢٦.

(٤٤)المصدر نفسه والصفحة.

(٤٥)الحلي: معالم المنهج الاصلاحي، ص ١٤٦.

(٤٦)مجموعة باحثين: عاشوراء النص والوظيفة، ص ٤٠٣.

(٤٧)القرشي: حياة الامام الحسين بن علي، ١/ ١٤-١٥.

(٤٨)محمد مهدي الآصفي: عاشوراء الحدث والمعنى، ص٩٣.

(٤٩)الحلي: معالم المنهج الاصلاحي، ص ١٤٧.

(٥٠)المدرسي: الامام الحسين عليه السلام، ص ١٢٧.

(٥١)المطهري: الملحمة الحسينية، ص ١٠٥.

(٥٢)المصدر نفسه والصفحة.

(٥٣)المدرسي: الامام الحسين عليه السلام، ص ١٢٨.

(٥٤)الآصفي: عاشوراء الحدث والمعنى، ص٩٧.

(٥٥)المصدر نفسه، ص ٩٨.

(٥٦)الحلي: معالم المنهج الاصلاحي، ص ١٤٩.

(٥٧)المصدر نفسه والصفحة.

(٥٨)الاسدي: المواقف الاجتماعية، ص١٤٤.

(٥٩)المدرسي: الامام الحسين عليه السلام، ص ١٢٦.

(٦٠)المصدر نفسه، ص ١٢٨.

(٦١)الحلي: معالم المنهج الاصلاحي، ص ١٥٠.

(٦٢)الاسدي: المواقف الاجتماعية، ص١٤٥.

(٦٣)الآصفي: عاشوراء الحدث والمعنى، ص٩٩.

(٦٤)الحلي: معالم المنهج الاصلاحي، ص ١٥٥.

(٦٥)الآصفي: عاشوراء الحدث والمعنى، ص٩٩.

مفاهيم ثورية في أربعينية الامام الحسين عليه السلام

د. نابلس صلال التميمي
كلية العلوم الإسلامية – جامعة كربلاء

م. إسراء مهدي شهيد
كلية العلوم الإسلامية – جامعة كربلاء

الملخص

تتطلع مختلف الديانات إلى المدونة العلوية على أنها منهج ثوري، والتزام نادر بالمبدأ، لذا كانت الثورة الحسينية على الظلم ثورة ثقافية برهنت للعالم أن الموت بداية للحياة، ومشروع للبقاء، فقد مهدت الثورة لانتصار أعظم عمره بعمر التاريخ، لأن السلام الذي حققته الثورة فيما بعد سلام متفرد لا يتحقق لا بحل شفرة الموت تلك الشفرة التي كانت مع ثورة الإمام عليه السلام وأصحابه ممن رفضوا معادلة الموت/ السلطة.

لهذا جاء البحث رحلة امتنان وانتماء الى أصل الحياة مع سيدي أبي عبد الله الحسين، كما أعده خطوة في طريقي الطويل نحو معركة الطف عبر زمن رمزي سمح لي بالمشاركة في رحلة البحث عن الحقيقة لأن الموت فيها معركة الطف يُعدُّ عاملاً متكاملاً في وجود الحياة لأنه كان متوقعاً ومقبولاً بأمانة ورغبة.

لذا جاء البحث على ثلاثة مباحث، اختص المبحث الأول بمعنى الثورة الإصلاحي، أما المبحث الثاني فقد عرض التمثَل والاستدماج الديني في معركة الطف، أما المبحث الثالث فقد وقف على البعد الاستشرافي للثورة.

Revolutionary Concepts in The Imam Hussein's Arbaeen

Dr. Nablus Sallal al-Tamimi *Lecturer. Asra'a Mahdi Shahid*

Faculty of Islamic Sciences / Karbala University

Abstract

The various religions are looking to the Alawite code as a revolutionary approach and as a one-of-the-kind commitment to principle, so the Hussein revolution against injustice was a cultural revolution showed the world that death was only the beginning of life and a project for survival.

This revolution paved the way for a greater victory that aged as the history itself, because the peace achieved by the revolution afterward, was a unique peace that can be achieved only by cracking the code of death. The code that was carried within the revolution of Imam Hussein and his companions.

For those reasons, this research has come as a journey of gratitude and belonging to the origin of life with Imam Hussein "pbuh", as we also consider it as a step in our long journey towards the battle of Karbala in a symbolic time that allowed us to participate on the quest for the truth.

Therefore, the research came on three topics, the first one concerned the reformist meaning of the revolution, and the second one has presented the religious reincarnation and integration in the battle of Karbala, while the their topic has reviewed the supreme dimension of the revolution.

المقدمة

قال تعالى ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ البقرة: ١٩٣، كما قال تعالى ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ آل عمران: ١٠٤.

من هذا المنطلق كانت الثورة الحسينية، وخرجت تنادي تأكيداً للرسالة المحمدية وثباتاً عليها، بعد أن قاموا من راموا السلطة وعشقوا التسلط على رقاب الناس تحريفه ليكن رافداً في مصالحهم، لكن أبت الكلمة وانتفض الدم أمام ظلم الظالمين، فكان الموت للإمام اختياراً وليس خياراً، لأنه أدرك الموت بهذه المعركة، كما ادرك بقاء الدين، بل كانت معركة الطف حفاظاً على منبر الرسول.

لذا جاءت نهضة الإمام الحسين نهضة صادقة فيها استشعر المسلم روح الإيمان الصادق وعزة النفوس وكرامة الأهل وهو جانب مهم من أسباب قيام الثورة، أما الواقع حينها فقد تمثل في العيش تحت الضيم والظلم وتقويض الهوية الإسلامية واستبدالها بهويات كانت تتصارع من أجل الوصول إلى السلطة وهذا من أكبر الاسباب وأشدها تأثيراً على الهوية الإسلامية وهي الهوية القبلية التي حاربها الإسلام وحاول إذابتها فما كان من قريش إلا الانتفاض على الهوية الإسلامية تعنتاً وظلماً، فقد بقيت تلك الهوية تصارع بصمت مقنَعة تحت تسميات عدة تتربص الفرص للظهور مرة أخرى، وكأنها كانت تستولد تسمية ملائمة وظرف أكثر ملائمة لتنمو من جديد.

لكن ثورة الإمام كانت حداً فاصلاً منعت نمو الفساد في الهوية الإسلامية الأصلية فشَّرعت الموت من أجل الحياة وهو مفهوم استوعبته العامة والخاصة حينها لأن الحدث كان يتطلب مخرجاً من مزلق الظلم الذي ساق الناس كالأنعام وتسلط على رقابهم وضمائرهم.

فكان هذا البحث خطوة للكشف عن مفهوم الثورة والبعد الاستشرافي الذي نهضت من أجله ثورة الإمام، عسى أن يوفقنا الله لمرضاته ملتمسين عفوه ونعمته.

التمهيد:

في معنى الثقافة الثورية

يلتقي العنوان مع المتن في مهمة لا تخرج عن أُطر الواقعية، إذ لا يمكن عدَّ البحث في ثورة الإمام الحسين مجرد حدث وقع في إطار زمني ثم خمد وحقق الانتصار على صعيد حدوث الحدث فقط.

ليس هذا ما حصل في ثورة الإمام الحسين عليه السلام، بل امتد الحدث وتوالد عبر عصور لاحقة وصولاً إلى ايامنا هذه، لهذا يمكن عدَ الثورة الحسينية رمزاً إنسانياً ينبض بالتعبير الايجابي وما زال الى اليوم.

فالمقصود بالثقافة هُنا **Revolation**: ((كل ما فيه استثارة للذهن وتهذيب للذوق وتنمية لملكة النقد والحكم لدى الفرد أو في المجتمع،وتشمل على المعارف والمعتقدات والفن والاخلاق وجميع القدرات التي يسهم بها الفرد او في مجتمعه ولها طرق ونماذج عملية وفكرية وروحية))[1] وتدخل الثورة التي قام بها الإمام الحسين ضمن

هذه المعطيات فهي مبدأ حافظ على رقيه وديمومته منذ زمن وقوع الثورة وما زال الى اليوم رغم ان ((مفهوم الثقافة يتضمن عنصراً معيارياً))[٢] لكن ثقافة الثورة عند الإمام الحسين بعيدة عن هذا تماماً، لكونها قيمة معنوية خالصة ومفهوماً جديداً للعيش الحر. جعل أهم العناصر التي يتشبث بها الإنسان على المحك ويأتي في مقدمتها ((الحياة)) إذ قدَم الإمام حياته لتثبيت الدين وترسيخ مفهوم الإيمان الحقيقي.

إذن فالثقافة هُنا تدل على (مجموعة من المعارف والمهارات التقنية والذهنية وانماط التصرف والمخالفة التي تُميز شعباً عن سواه من الشعوب)[٣] وعليه تكون الثورة ((نقطة تحول في حياة المجتمع لقلب النظام البالي وإحلال نظام تقدمي جديد محلّه، وهي بهذا تتميز عن الانقلاب الذي يتلخص في نقل السلطة من يد إلى أُخرى))[٤] والنقطة التي تحول بها المجتمع الإسلامي هي معركة الطف، وما تركته للمسلمين من أرث سياسي واجتماعي وديني بقي نموذجاً يُحتذى به إلى اليوم لأنه من الملائمة والحيوية ما جعله نموذجاً لكل مجتمع مهما كانت توجهاته الدينية والسياسية والاجتماعية، فهي ((مدرسة لطلائع الأمة والمصلحين الذين ينشدون إصلاح أمتهم ومجتمعاتهم ويبحثون عن السبل التي توصلهم الى تحقيق أهدافهم وأخذ أمتهم الى سبيل الخير، وذلك لما تحويه هذه الحركة الإلهية المقدسة من رؤى وبصائر يمكن لمن طالعها وتأمل فصول أحداثها أن يهتدي الى مجموعة النظم والاستراتيجيات التي اعتمدها الامام الحسين عليه السلام من حركته ونهضته كيما يستنير بها في معترك العملية الاصلاحية))[٥] وهذه هي القيم التي روُجت له الثورة الحُسينية وثقفت الانسانية عليها لضمان العيش الحر والكرامة التي تُلائم الانسان باختلاف انتمائه وجنسيته أو دينه فهي ثورة عالمية لم يشهد التاريخ مثيلها إلى اليوم.

المبحث الأول

الاتجاه الإصلاحي للثورة

لا يمكن عدَ الثورة الاصلاحية التي قام بها الامام الحسين ثورة نوعية، بل شمولية في أصدق وصف لها، ومما يصدق هذا القول الفترة التي احتضنت الثورة ومهدت لها، مما اعطى الثورة بعداً شمولياً لم يكن محصوراً في الاسلام أو العرب، بل الانتشار الواسع الذي كانت علية الثورة حققت هذه الشمولية التي نتحدث عنها، ثم أن ظرفها وزمن ولادتها جعلاها أكثر عمقاً، فهي ـ الثورة ـ كانت تنمو وتتكامل منذ زمن بعيد قبل إعلانها، فقد عاصر الامام الحسين زمن معاوية وسياسته، كما عاصر زمن يزيد، وقبل هذه الفترة كان لديه عليه السلام وعياً عميقاً بالمعنى الشرعي للثورة، فقد عاش الامام مع الرسول صلى الله عليه وآله في طفولته وصباه وكان مشهد المعارضة حاضراً أمامه وما كان يُعانيه الرسول من المشركين أيضاً معاصرته لحكم أبي بكر، وأيام الخليفة عمر بن الخطاب وعثمان والإمام علي عليه السلام ثم عهد الإمام الحسن[٦] الذي نجح في التخطيط السياسي لثورة أخيه الإمام الحسين، هذا دليل اليقظة السياسية المبكرة لذا كان الإمام الحُسين متابعاً الإمام الحسن بكل خطوة، هذه المتابعة هيأت الشعب المسلم للانتقام من النظام ولو بعد حين،

وكانت يقظة الإمام الحسن وحدها كفيلة بصنع القرار السياسي[٧].

لقد هبَ على الأرض ربيعٌ ثوريٌ غيَّر كثيراً من المفاهيم وأقلق كثيراً من الثوابت في التاريخ الحديث إلا أن للمسالة وقفة تأريخية قديمة يشهد التاريخ بريادتها للإمام الحسين تلك هي معركة الطف، فالإمام عليه السلام ((إنما خرج لطلب الإصلاح في الأمة وهو ربيب النبوة، فسيرته في النهضة والإصلاح منهج يُقتدى، وخطابه ومواقفه تشكل معالم هادية لكل حُر غيور على مصلحة أمته ومجتمعه))[٨].

ومن هنا كانت ثقافة الثورة ثقافة حُسينية وجهها الآخر الإصلاح، فقد ظهرت ببعد استنشق الحياة من خلال الموت، فكانت إصلاحا للدين والأمة... ولكن هل لهذا المفهوم ترهل مكَّنه من التمدد ليشكل في نهاية الأمر معنى مغايراً لحقيقة الإسلام على ما روَج له البعض؟

قطعا لا، لأن الإسلام -بعده ديناً- لم يكن فاسداً لإجراء الإصلاح عليه من خلال الثورة التي قام بها الإمام الحُسين، بل كانت السلطة السياسية هي من شوهت أبرز ملمح إسلامي جاهد الرسول صلى الله عليه وآله من أجل تحقيقه في المجتمعات وهو العدالة الاجتماعية، وعليه يمكن توضيح مفهوم (الإصلاح) في الثورة الحُسينية بعدة نقاط وفقا للسياق التأريخي الذي جاءت به الثورة والنتائج التي توافرت عليها فيما بعد:

١. نقصد بالاصلاح (الفهم)، أو إصلاح الفهم، إذ يجب أن يكون فهمنا للثورة الحُسينية فهماً حقيقياً لأهدافها ودوافعها، وهذا الفهم سيجعل من مفهوم الإصلاح مفهوماً واسعاً وواقعياً، وضمن أكبر وأهم الأهداف التي سعى لها الإمام في ثورته ونادى بها (تثبيت دين الله) وليس تمرداً على السلطة أو طمعاً بها كما روجت له بعض الجهات، ومما يدل على ذلك أن الإمام لم يدعُ الناس لبيعته عندما خرج من مكة ونزل المدينة بل ثورة ورفضاً للظلم والطغيان[٩].

٢. مسألة شرعية تتعلق بالإمام الحُسين توجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

فقوله تعالى ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا الله وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾[١٠] فرسالة الله التي تُشير لها الآية الكريمة عدم الخضوع للظلم، وتأسيس الحرية للعالم وعدم الخضوع للظالم، فقد خرج معاوية في عهد الإمام الحسن عليه السلام عن ضوابط الشريعة الإسلامية واكمل هذا الخرق يزيدٌ عندما تسلم السلطة وهنا وجب وضع حدّ فاصلٍ للظلم وإعادة الثقة بمفاهيم آمن بها المجتمع الإسلامي أهمها العدالة، لذا رفض الإمام الحسين الخضوع ليزيد بمبايعته لأن مبايعته تعني القبول بالخرق الذي أصاب المفاهيم الإسلامية وتثبيته.

٣. إناطة الأدوار إلى اصحابها ولاسيما في الجانب السياسي، الذي كان النواة الحقيقية للإصلاح لأن الأمة مرتبطة بقادتها وهنا وجب الرجوع للجانب الشرعي وتسلم السلطة السياسية من قبل الامام الحسين وتطبيق المنهج الاسلامي الذي دافع عنه الامام الحسين لم يكن تمسكه

بالخلافة إلا من خلال أحقيته فيها، إذ قال: ((فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن ردَّ عليَّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين))[١١] فالإمام عليه السلام كان مصراً كل الإصرار على تصحيح الفهم، فحديثه يدل على أنه ترك أمر خلافته لله وحده يحكم بينهم بالحق ولم يتعنت أو يتوعد أو يستبد برأيه[١٢].

إذ كان عليه السلام يشكل الخط المعارض للحكم حينها ومما يدلل على ذلك عدم استظهار النية لثورة مسلحة في بادئ الأمر أو إعداد جيش من العامة لإسقاط الحكم مع انه عليه السلام يمتلك القناعة التامة بعدم جواز استمرار حكم بني امية للأمة الإسلامية وبحتمية المواجهة ولكن وفق مراحلها الشرعية وذلك من خلال الكثير من الأحاديث التي وردت عنه عليه السلام، فقد ردد عليه السلام حديث رسول الله صلى الله عليه وآله كثيراً، إذ ذكر عن جده قوله: ((إذا بلغ بنو العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا دين الله دغلاً، ومال الله دولاً، وعباد الله خولاً))[١٣].

هذا من جانب، ومن جانب آخر، فقد كان على الإمام مسؤولية دينية حتمية لم يستطع دون إبلاغها مهما كان ثمن سكوته فقد شكل المشروع الأموي تهديداً حقيقياً للإسلام وهنا كان من الواجب الشرعي على الإمام مواجهة هذا المشروع وإيقافه وإن استمر بلا مواجهة فعلى الإسلام السلام كما قال عليه السلام في كلمته المشهورة لمروان بن الحكم: ((وعلى الإسلام السلام إذا بُليت الأمة براعٍ مثل يزيد)) مما يمكن ملاحظة المبدئية المتفردة التي يُظهرها الإمام في التمسك بالدين وقواعده ودقائقه وهو القائل في معركة الطف: ((لا والله لا أُعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفر فرار العبيد))، فقد نشأ الإمام الحُسين على هذه المدرسة وجعلت منه رائداً لها وقائداً لم يشهد له التاريخ زلة يقف عندها مبغضوه، فقد جسد للتأريخ أروع ما كانت الإنسانية تتفاخر به، ولاسيما انه عليه السلام كان يعلم بموته في معركة الطف، كما يعلم بقضية السبي التي ذكرها فقال: ((شاء الله أن يراهُن سبايا))، فقد جسد المبدئية القصوى في ثورته خير تجسيد من أجل إصلاح الفهم الذي لحق بالإسلام جراء تمسك بني أمية ومن لفَّ لفهم بالحكم تشويهاً لتعاليم الإسلام ولحقيقية منبر الرسول صلى الله عليه وآله بالجور والظلم.

وكان لمبدأ الحُسين عليه السلام الأثر الواضح في تعرية السلطة الأموية ومنع تنامي تجربتها ونمذجتها على مستوى السلطة الدينية والسياسية في العالم الإسلامي، إذ رأى الإمام عليه السلام ((الخطورة كانت تتمثل في أن تُقدم التجربة الأموية على أساس أنها نموذج للتجربة الإسلامية على مستوى السياسة والاجتماع والاقتصاد... بحيث تصبح تلك التجربة أحد أبواب فهم الإسلام وتندرج على أساسه انها صفحة من صفحات كتابه))[١٤].

ومن هنا نكتشف ان ثقافة الإصلاح التي قام بها الإمام الحسين أصبحت ثقافة عامة لكل شعب ولكل عصر لأنها كانت ضمن ما جاء به القرآن الكريم، وبالتالي فهو - الإصلاح - من الملائمة والمناسبة ما يصلح للمجتمعات الإنسانية وهذا رداً على على من ينتقد التجربة الإسلامية، وانتصاراً لأصحاب المقاربة النقدية الإسلامية التي وجهت جهدها لإظهار نجاعة التعاليم الإسلامية للعالم الإنساني

بغض النظر عن الدين أو التوجه الطائفي، رغم وجود عقليات سُخرت للحيلولة دون هذه المقاربة ويستلفتنا في هذا الصدد الصراع المدمر بين المذاهب الإسلامية نفسها الذي أصبح شفرة حادة تشوه وجه الإسلام الحقيقي.

المبحث الثاني

الاستدماج الديني

لم تكن الثورة الحسينية بعيدة عن الدين الإسلامي أو غير متوافقة معه، بل من أعظم أهدافها حفظ الدين والتمسك به وبتعاليمه خلافاً لما عرضه الجانب المناهض للثورة، لذا لو أمعنا النظر في المفاهيم الإسلامية التي عكستها الثورة نجدها على ثرائها وعمقها نادرة جداً مع الظرف الحربي والسياسي الذي عاشه الإمام، كما لا ننسى أن الجانب المناهض للثورة كانت غايته تسقيط الإمام الحسين وأتباعه دينياً وسياسياً واجتماعياً، لذا كانت أساليبه مغالطية يمكننا عرضها في خضم الحديث عن الظروف التي مرَت بها الثورة والكشف عن عمق الاستدماج الديني الذي شكلته الثورة بقائدها وأتباعه.

مرت الثورة بمرحلة لا يمكن إغفالها للرأي العام، وهي مرحلة العلن التي خاض غمارها الإمام مع أتباعه لوصول الأمر الى أشده في الفساد الذي أخذ يبعث حالة التدهور الفكري والاجتماعي في المجتمع العربي بعد عصر النبيﷺ، فكان الحكم تحت أشد الناس فساداً وعنجهية واستهتاراً بقيم الإسلام، حينها كانت كلمة الإمام الفصل التي قضَّت مضاجع المفسدين وهزت عروشهم وأخذت بتخبطم وهي قوله عليه السلام: ((إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي (رسول اللهﷺ)، إذن الفساد الذي أشار إليه الإمام كان سارياً في الأمة نفسها لا الحكم فقط، لذا جاءت التعبئة الدينية مخرجاً ناجعاً للإمام في تحشيد الناس وترغيبهم في الثورة على الظلم والفساد وبيان آثاره اجتماعياً وفكرياً وسياسياً وعقائدياً، ومن هذا الاستدماج ما نلاحظه في خطابه لأعدائه وأتباعه.

فمن خطابه لأعدائه هادفاً إلى تغيير مسار الانحراف الذي أصابهم ووضع حداً للفساد الذي أخذ ينخر مفاصل المجتمع بسبب جهلهم وتعنتهم، قوله عليه السلام حينما أخذت الثورة بمرحلتها الأخيرة وأخذ أعداء الامام بالهجوم على معسكر الإمام وحرق الخيام التي أخذت بالإنحسار بسبب النار -وهو موقف حرج-: (فأقبل القوم يجولون حول بيت الحسين، فيرون الخندق في ظهورهم والنار تضطرم في الحطب والقصب الذي كان أُلقي فيه، فنادى شمر بن ذي الجوشن بأعلى صوته: يا حُسين أتعجلت بالنار قبل يوم القيامة؟ فقال الحُسين عليه السلام: من هذا كأنه شمر بن ذي الجوشن؟ فقالوا: نعم، فقال له: يا ابن راعية المعزى أنت أَولى بها صليا ورام مسلم ابن عوسجة أن يرميه بسهم فمنعه الحُسين عليه السلام من ذلك. فقال دعني حتى أرميه فأن الفاسد من أعداء الله وعظماء الجبارين، وقد أمكن الله منه، فقال له الحسين عليه السلام: لا ترمه فأني أكره أن أبدأهم بقتال)[١٥].

في النص معجمان، يتصارعان من أجل تقديم رؤية إنسانية خيمت على الواقع التاريخي الذي احتضن الحدث، الأول يتمثل في الجهة السالبة التي تتمثل في السلطة الأموية وبشاعة اساليبها في الحفاظ

على السلطة، أما الجانب الأخر فيتمثل في الجهة الموجبة متمثلة بشخص الإمام الحسين عليه السلام وأتباعه ممن كان لهم الحظ في المشاركة ونيل شرف المقاتلة بجانب الإمام عليه السلام في واقعة الطف، الحدث في هذا النص يدور في الواقع بين الشر والخير لذا لم تختف من النص مؤشراتهم، بل هي من أكدت عمق الاستدماج الديني الذي أظهرت الثورة، يُقدم الجانب الأول الحدث بنتيجة مغالطية وهي دخول الإمام الحسين النار ـ كما أفرزه النص على لسان الجانب السالب ـ وهو حكم فيه مكر واستفزاز للمخاطبين في واقعة الطف كما أنه حوار لم يلتزم بشروط المحاورة مع تناقض اطرافه، فما الجريمة التي أدت الى الحكم على الإمام بالنار يوم القيامة كما جاء على لسان شمر بن ذي الجوشن في النص؟ محاربة الفئة الضالة وإصلاح الأمة التي أخذت تنصاع مطيعة خانعة للسلطة الأموية، وبالنظر الى الشخصية التي يدور حولها الحدث ـ شخصية الإمام الحسين عليه السلام شخصية واقعية يمكن للعامة الحكم عليها بالنقيض لما جاء على لسان شمر بن ذي الجوشن، لكن الوظيفة النفسية التي كانت هدف المخاطب لم تكن ناجعة على مستوى المحادثة لأنها لم تجر المحادثة الى مستوى مغالطي كما كان متوقعاً من المخاطب، فكان الافتتاح فاشلاً لم يؤد التفاعل المرجو الذي يأخذ بالمحادثة مأخذاً جاداً كما في دور شمر بن ذي الجوشن في النص، فالفعل الكلامي الذي قصد انجازه شمر بن ذي الجوشن بدأ القتال وقتل الإمام عليه السلام لكن لم يُنجز هذا الفعل بفضل الاستدماج الديني الذي جعل عملية التواصل فاشلة للطرف السالب في الحوار وناجعة للطرف الموجب أي الإمام عليه السلام، ولأن هناك علاقة بين الفعل الكلامي والفعل الاجتماعي لم يكن التفاعل على مستوى انجاح عملية التواصل (فكل فعل اتصالي يتطابق الى حد كبير مع الهدف منه)[١٦] للرد الذي جاء على لسان الإمام الحسين عندما رام مسلم بن عوسجة رمي شمر بن ذي الجوشن: أني أكره ان أبدأهم بقتال، مع اعتداء شمر بن ذي الجوش على الإمام والتجاوز اللفظي والعقائدي الديني الذي ذكره شمر بن ذي الجوش، لكن رد الإمام كان حد فاصلا يشهد بزيف الآراء التي تبناها معاوية ومن كانوا معه للحفاظ على السلطة، إذا لم يحمل خطابه عليه السلام هوية فردية تفرز غاية شخصية أو توجه خاص بل كل ما دار عليه الخطاب هو تفنيد رأي شمر بن ذي الجوش والرجوع في أمره إلى الشريعة الإسلامية مع اعتدائه وتجاوزه.

ونلاحظ هذا المبدأ في جميع خطاباته عليه السلام للفئة الضالة التي حاربت من أجل تشويه الدين وجرف الناس الى التردي الذي كان يقود الناس قبل فجر الإسلام، لأنه عليه السلام يمثل في تلك المرحلة أخلاق الإسلام في عقائده وتشريعاته التي تبغي إلى تهذيب النفس وإصلاح المجتمع والرقي بالأخلاق إلى أرفع المستويات والمنازل وأكرمها، وهذا ما ظهر في ممارساته عليه السلام[١٧] ومن ذلك قوله وهو يخاطب الناس من أجل نصرة الإسلام: ((إيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجِلوني حتى أعظكم بما لحق لكم عليَ، وحتى أعتذر إليكم من مقدمي عليكم، فإن قبلتم عذري، وصدَقتم قولي، وأعطيتموني النصف، كنتم بذلك أسعد، ولم يكن علي سبيل، وإن لم تقبلوا مني العذر، ولم تعطوا النصف من أنفسكم أجمعوا أمركم

وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غُمة ثم اقضوا إليَ ولا تُنظروني إن وليَي اللهُ الذي نزَل الكتاب وهو الذي يتولى الصالحين))[١٨] المعركة التي كانت بانتظار الإمام عليه السلام لم تكن معركة متكافئة بل من كان معه من أهل بيته وصحابته لا يتجاوز المئة كما ذكرت بعض المصادر بينما ما كان في جبهة معاوية كان بالآلاف ومع ذلك نلمح الاستدماج الديني الذي كان عليه الإمام عليه السلام ولم تكن لغة القوة هي المهيمنة على الموقف على حرجة وحدته، فقد أوكل الإمام عليه السلام أمره إلى الله يحكم بينه وبين القوم الظالمين ولم يتخذ سُبلاً أخرى في خطابه لتحرير الناس من ضلالتهم التي كانت مسيطرة على عقولهم في الوقوف بجانب معاوية ونصرة البيت السفياني، بل كان موقف الإمام من بيعة يزيد موقفاً واضحاً غير قابل للمناقشة أو المهادنة وقولته المشهورة كافية للدليل على ذلك، إذ قال عليه السلام: ((ومثلي لا يُبايع مثله))[١٩] مع ما فعله يزيد بسائر معارضيه من التنكيل والقتل، مضافاً الى ذلك ما قام به من فضائع لم يستطع التاريخ إنكارها أو التغاضي عنها من قتل الحسين وسبي الناس أمام الناس،إلى رمي الكعبة بالمنجنيق ووصولاً إلى واقعة الحرة التي أوكل قيادتها لمسلم بن الذي احتل المدينة ثلاثة أيام يستبيح فيها العرض والمال وانتهاك حرمة هذا البلد الذي احتضن أشرف الخلق ((النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم)) بشكل لم يسبق له مثيل[٢٠] تعدى إجرامه وخبثه وحقده على الإسلام بأن طال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في واقعة الحرة بأن قال: والله لأمحو اسم محمد أن يُذكر[٢١] في خبر تعهر يزيد وخروجه عن الإسلام ينقل لنا صاحب تذكرة الخواص عندما خرج أهل المدينة على يزيد مع الحُسين عليه السلام: (وبايعوا – أي أهل المدينة – عبد الله بن حنظلة الغسيل، وكان حنظلة يقول: يا قوم والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نُرمى بالحجارة من السماء رجل ينكح الأمهات والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة ويقتل أولاد النبيين)[٢٢] ولعدم أهلية يزيد بالحكم مع وجود الإمام الحُسين عليه السلام رفضه اهل المدينة كما قامت مكة بهذا بعد أن جرَ جيش معاوية على المدينة الخراب والقتل في أهلها، لكن فحش يزيد ومعاوية لم يردعهم من أن يفعلوا بمكة ما فعلوه بالمدينة فخرج جيش بأمر من معاوية وكان حينها يحتضر من مرض أصابه ـ لعنه الله ـ بقيادة مجرمه السفاح مسلم بن عقبة، ومات معاوية بعد أن استخلف الحصين بن نمير على قيادة الجيش الذي ناوش عبد الله الزبير وهو في الحرم، ورمى الكعبة بالنيران حتى احترقت الكعبة[٢٣] هذا ما كان عليه دين معاوية ويزيد وما نشروه بين الناس من خوف وتردي فكري وعقائدي جعل أغلب الناس مُسيرين لما يرده حتى لو كان مخالفا للإسلام، عكس التيار المناهض للسلطة الأموية المتمثل بحركة الإمام الحسين وأتباعه ممن آثروا الموت على الذلة والخنوع مع يقينهم بالموت الذي كان ينتظرهم، بل شكل التمسك بالدين مظهراً من مظاهر هذه الثورة التي التزمت بكل ما كان يحفظ للدين هيبته وللإسلام روحه، وهذا واضح في الكثير من الأحداث التي رافقت الثورة منها عندما رام الإمام الحُسين الخروج من مكة إلى العراق بعث له اهل الكوفة وفادتهم ينصبونهم إماماً عليهم، حينها قرر الإمام الخروج

من مكة إلى العراق، وهنا تظاهر البعض بأنه من الناصحين للإمام فدعاه للإقامة في مكة ومنهم عبد الله بن الزبير، إذ يُروى أن رجلاً كان يطوف بالكعبة أنه سمع عبد الله بن الزبير يُنادي الإمام ويسره بشيء، فالتفت الإمام عليه السلام إلى الناس وقال: ((أتدرون ما يقول ابن الزبير؟ فقلنا لا ندري، جعلنا الله فداك! فقال: قال: أقم في هذا المسجد اجمع لك الناس، ثم قال الحسين: والله لأن أُقتل خارج منها بشبر أحب إلي من أن أُقتل داخلا منها بشبرٍ، وأيم الله لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا فيَ حاجتهم، والله ليعتدُنَ عليَ كما اعتدت اليهود في السبت))[٢٤].

الإمام في هذه الخبر يظهر مدى الفساد الذي صار إليه الحكم كما يُظهر فضاعة الحال التي وصلت الدولة بحكم البيت الاموي، لأن الكعبة من حرم الله يأمن بها كل من على هذه الأرض ولا يجوز لأحد استباحة هذه الحرمة، لكن التردي الاخلاقي جعلت من اليقين خرق هذه الحرمة من قبل معاوية ويزيد ومما يدلل على ذلك حرق الكعبة في واقعة الحرة، كما أمر يزيد عمرو بن سعد في معسكر عظيم في موسم الحج قبل ثورة الإمام أن يُناجز الحُسين عليه السلام ويقتله أن تمكن وإلا قتله غيلة، بل تجاوز الأمر أن دس في ذلك الموسم ثلاثين رجلاً من أتباعه أمرهم بقتل الإمام بكل وسيلة متاحة حتى لو كان متعلقاً بأستار الكعبة[٢٥]، والامام وسط كل هذه الدسائس والمؤامرات لم يجعل الإسلام أو الدين ثاني أولوياته بل عرض نفسه وأهل للموت من أجل الإسلام ورفض البقاء في مكة حفاظاً على حرمة هذا المقدس وهنا يكمن الاستدماج الديني الذي كان عليه الإمام الحُسين، فأصبح ثقافة إسلامية تنال التقدير والاحترام على مر العصور، فكانت نهضة عاشوراء نهضة لإحياء سُنة النبي صلى الله عليه وآله والدفاع عنها، ونقلها إلى حيز التطبيق في حياة المسلمين، لأن تعاليم النبي صلى الله عليه وآله قد أُهملت آنذاك، كما أن البدعة قد أُحييت وظهرت[٢٦].

المبحث الثالث

الاستشراف في الثورة الحُسينية

من الخطأ أن نفهم الاستشراف بأنه جنس أدبي مخصوص، بل هو آلية تدخل في جميع الخطابات مهما كان توجهها أو نوعيتها، ويُعد الإمام الحُسين من مرجعيات الخطاب الثقافي الإسلامي، لذا رأت الباحثتان من الضرورة بمكان أن تقفا على أهم استشرافاته التي مثلت - تأريخياً - منعطفاً لفهم المدرسة العلوية ودليل إعجازي يُحسب للثورة الحسينة التي دفعت الكثير للإقتداء بها وألهمتهم الوعي الجاد المثمر من أجل فهم الواقع والوقوف عند أهم مفاصله إشكالاً، لكن الاستشراف الذي وقف عنده الإمام الحسين استشرافٌ لم يكن تنبؤياً، بل كان استشراف يقيني مُسند بما قاله الرسول صلى الله عليه وآله، إذن كان عن علم غايته دفع الواقع ومنع الثورة من التأزم داخل دائرة الموت، بالنظر إلى ماهية الاستشراف الذي هو نوع من الفعل الإيجابي[٢٧].

وما شهدناه في الثورة كان غاية الحقيقة، فقد استشرف الإمام الحدث قبل وقوعه وجعل الموت غاية من اجل الحياة وهو تكنيك أرعب معارضيه

وأربك سيرهم، فقتل الإمام في معركة غير متكافئة سيخلق منه بطلاً يُنصفه التاريخ وتركه يعني انتصاراً حقيقياً له لما كان لهعليه السلام من قبول عند العامة، لذا جاءت موضوعة البيعة ليزيد خياراً خاسراً أو قل روقة تصرح بمدى الخسران الذي يشكو منه البيت الاموي إزاء البيت العلوي.

كل الأحداث التي جرت للإمام قبيل معركة الطف تحيل النظر والإهتمام لأقواله التي عكست ظاهرة فريدة وهي استشرافية الموقف، والسير مع هذا الاستشراف بشكل استثمر معه الإمام الموقف لصالح المعركة، وأول مظاهر هذا الاستشراف أقوال الرسولصلى الله عليه وآله التي كانت حاضرة مع الحسينعليه السلام، ومنها تلك الاقوال التي كانت تؤكد على مقتله والكيفية التي تجرت بها المعركة، ونحن هنا أزاء موقف لا تستطيع حكمتنا البشرية استيعابها بتفاصيلها لأنها تصيبنا بالدهشة من عظمة شخص الامام وقدرة صبره، فقد قلب مفهوم الموت ليكن مفهوما جديد للحياة، وهذا بالفعل يحتاج الى طاقة هائلة وحكمة تفرد بها الإمام.

ومن أهم استشرافاته لموته ما جاء على لسان الإمام السجادعليه السلام: ((خرجنا مع الحسينعليه السلام فما نزل منزلاً ولا ارتحل منه إلا ذكر يحيى بن زكريا وقتله، وقال يوماً: ومن هوان الدنيا على الله أنَ رأس يحيى بن زكرياعليه السلام أُهدي إلى بغيٍّ من بغايا بني إسرائيل))[٢٨].

النص على خطورته يستشرف موت الإمامعليه السلام، مع حدث مفصلي في واقعة الطف هو حمل الرأس الشريف على الرماح والطواف به بين مدن العراق والشام وهنا لا يمكن القول أن هذا الاستشراف تنبؤي بل هو واقعي كان هدف الإمام من ذكره تهيئة بيته وأصحابه لقتله وللمعركة نفسها، وتكاد تكون المقاربة التي طرحها الإمام بينه وبين يحيى بن زكريا مقاربة بين الحق والباطل الذي خضع لها التأريخ وقرَب أطرافها لكن الحُسينعليه السلام حقق الشهادة التي كانت تخيف أعداءه وترهبهم إذ ((إن فلسفة الشهادة في سبيل المبدأ والعقيدة كانت، في الوقت ذاته، توكيداً للكرامة الإنسانية، التي أدت في الأخير إلى مجازفة أخلاقية تمثلت بالرفض والتحدي واتخاذ موقف ثوري أعاد إلى الإنسان المهان. ومن هنا، فإذا خسر الحُسين الرهان بقتله، فإنه كسب، في الحقيقة والواقع، الرهان عبر رغبته في التضحية والاصرار على تنفيذها، حيث حمل قدره بيده ومضى، حتى الشهادة))[٢٩] فقد تحولت الشهادة مع الإمام الحسين إلى فلسفة للحياة لأنها كانت نزاع بين الحق والباطل، انتصر الحق محرراً معه الإنسان على مر العصور.

ومن استشرافه أيضاً قوله لابنه علي الأكبرعليه السلام: ((يا بني، إني خفقتُ برأسي خفقة، فعنَ لي فارسٌ على فرسه وهو يقول: القوم يسيرون والمنايا تسير إليهم، فعلمت أنها أنفسنا نُعيت إلينا))[٣٠].

سايكولوجيا عندما تكون النفس قريبة من الموت لا تكون قوية لكن هذه المعادلة قلبتها الثورة الحسينية وهذا واضح جداً من خلال الاستشراف الذي رافق الثورة من بداياتها مع الإمام الحسن حتى اعلانها مع الإمام الحسين، فلا يمكن لأحد من البشر انتظار الموت والتهيئة له على نحو ما وجدنا

الإمام الحسين عليه، لهذا حمل الاستشراف فلسفة خاص للموت رافقت الأجيال وقدمت لهم رموزاً للتعبيرعن الذات وحمايتها من التراخي والضياع، فمقولة الحُسين عليه السلام: ((لا أرى الموت إلا سعادة، ولا الحياة مع الظالمين إلا برما))[٣١] وربما ساعد هذا الاستشراف على خلق معركة جديدة ليزيد وأعوانه لم تكن بالحسبان للإجرام الذي كان يسيس كل شيء بالدولة هو ظهور شخصيات انقلابية خلال المعركة أو قُبيلها مثل شخصية الحر الرياحي[٣٢] الذي رجع لإنسانيته رافضاً ما كان عليه معسكر يزيد من جرم متحرراً من هذا الظلم فثمة مقاربات عديدة حدثت بفعل استشرافي لم تختف آثاره في معركة الطف كقوله السابق مقرناً الموت بالسعادة، والحياة بالذلة والهوان لاشتمالها على الباطل.

((خُـط المـوت على ولـد آدم مخط الـقـلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف وخير لي مصرع أنا لاقيه، كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات، بين النواويس وكربلاء، فيملأنَ مني أكراشا جوفاً، وأجربةً سُغباً، ولا محيص عن يوم خُط بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفّينا أجور الصابرين))[٣٣].

يوسف ويعقوب في النص ثنائية واقعية تحمل معنى إيجابي للإنتظار، والمقاربة التي اشتمل عليها النص بين يوسف ويعقوب والإمام الحُسين وأهله (جده وأبيه) تقع في عدة محاور، الأول الظلم الذي لحق بيوسف عليه السلام بأبعاده عن أبيه، قصراً وحقداً من أخوته وطمعاً، كذلك الإيمان الذي كان يتحلى به يوسف والإمام الحُسين، وكان سلاحه أرعب معاديه وقض مضاجعهم، إذ تمثل في الصبر والخضوع لأمر الله عزَ وجلَ... أما أهم محور هو انتصار الحق والمبدأ في النهاية لكل من الإمام الحُسين والنبي يوسف عليهما السلام، وإن كان بموت الحُسين ذلك لأن موته حقق شهادة نوعية قفزت فوق الممكن فحققت رمزاً لصدق المبدأ والعقيدة، ولـولا مصداقيتها وشرعيتها لما دخلت قلوب المسلمين وغير المسلمين وتجذرت في مخيالهم[٣٤].

الخاتمة والنتائج

لقد وقف البحث على جملة من النتائج أهمها:

١. المعنى الإصلاحي للثورة الحُسينية وكيف شكلت الثورة مدخلاً ثقافياً للمسلمين، إذ لم يكن الإسلام فاسداً مما تطلب إجراء الإصلاح عليه، بل خرجت الفئة الحاكمة المتمثلة بالبيت السفياني عن تعاليم الإسلام حتى بات لا يُعرف من الإسلام إلا اسمه للفساد الذي استشرى بالدولة والمجتمع وللضرر الاخلاقي والاجتماعي والديني ((العقائدي)) الذي لحقه يزيد ومعاوية واتباعهم بالإسلام.

فكانت الثورة سلاحاً ناجعاً لمنع تنامي الفساد ودفـع الـنـاس للإنتفاض عـلى المفسدين وتعرية أساليبهم... لهذا كانت الثورة ثورة عامة صلحت لكل أمة ولكل شعب.

٢. لم يكن للثورة أية أساليب خارج إسلامية، بل مع حراجة الموقف وصعوبته ما زال الحُسين عليه السلام متمسكاً بالإسلام وتعاليمه حتى مع أعدائه وذلك للإستدماج الديني الذي رافق الثورة

وشكل أحد أهم مظاهرها من أجل الإسلام ونصرته.

٣. ومن مظاهر الثورة الاستشراف الذي كان له بعد روحي استمد منه الحُسين عليه السلام واصحابه القوة والإصرار على مقاومة أهل الطغيان والوقوف بوجههم وقلب معادلة الموت لصالحهم، فتحولت الشهادة إلى فلسفة جديدة تؤكد على كرامة الإنسان وحريته.

الهوامش والمصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

(١) المعجم الفلسفي، تصدير ابراهيم مدكور، مجموعة من الباحثين، مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية ـ القاهرة، ١٩٨٣، د، ط، ص٥٨.

(٢) م. ن والصفحة.

(٣) المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين ـ بيروت، ط٢، ١٩٨٤، ص٨٠.

(٤) المعجم الفلسفي، ص٥٨.

(٥) استراتيجيات النهضة الحسينية في الإصلاح والتغيير السياسي، ماجد السادة، ط١، ٢٠٠٧، ص١١.

(٦) يُنظر: الإمام الحُسين رائد الحركة الإصلاحية. دراسة مقارنة بين حركة الإمام الحسين عليه السلام وحركة الأنبياء والأئمة الأطهار عليهم السلام في الاهداف والنماذج والنتائج، سماحة السيد صدر الدين القبانجي، شركة الأعلمي ـ بيروت، ط١، ١٤٣٢ـ ٢٠١١، ص١٥٣.

(٧) يُنظر: الإمام الحُسين عملاق الفكر الثوري... دراسة في المنهج والمسار، د. محمد حسين الصغير، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٢، ص١٤.

(٨) الحُسين منهج الإصلاح والتغيير، حسن موسى الصفار، القطيف – المملكة العربية السعودية، ط١، ٢٠١٣، ص٦.

(٩) يُنظر: أسباب نهضة الإمام الحُسين، إعداد مركز تُراث كربلاء، مطبعة دار الكفيل للطباعة والنشر،كربلاء، ط١، آيار، ٢٠١٣، ص٤١.

(١٠) سورة الأحزاب، ٣٩.

(١١) بحار الأنوار ج٤٤، الشيخ محمد باقر الحُسيني، تحقيق وتصحيح لجنة من العلماء والمتخصصين، مؤسسة الأعلمي، ص٣٣٠.

(١٢) يُنظر: الإمام الحسين رسالة إصلاح، الشيخ حسن الراضي، دار المحجة البيضاء، ط١، ٢٠٠٦، ص٧٩.

(١٣) سير أعلام النبلاء، محمد بن احمد الذهبي، ج٣، ص٤٧٨، نقلا عن مجلة الإصلاح الحُسيني، العدد الثامن، السنة الثانية، ٢٠١٤.

(١٤) الإصلاح الديني، الشيخ محمد شُقير العاملي، تنقيح الشيخ وسام شقير، دار الهادي، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠١، ص١٢.

(١٥) بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي، تحقيق لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، مج٢٣، ج٤٥، ص٦.

(١٦) الوصائل في تحليل المحادثة... دراسة في استراتيجيات الخطاب، د. خليفة الميساوي، عالم الكتب الحديث، أربد – الأردن، ط١، ٢٠١٢، ص٢٦٨.

(١٧) يُنظر: القيم الأخلاقية في الفكر التربوي الإسلامي المعاصر، وسام علي، دار الصادقين، العراق ـ النجف الأشرف، ط١، ٢٠١٢، ص٦٥.

(١٨) تاريخ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٧١، ج٥، ص٤٢٤.

(١٩) بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي، تحقيق لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٨. ج٤٥، ص٩.

(٢٠)الإمامة والسياسة، ج١، ص١٧٩؛ فضلا عن ذلك لم تكتف السلطة الأموية بقتل الناس وكل من كان له هوى علوي بل أخذت تؤسس لمدرسة فكرية تسيطر من خلالها على عقول الناس وتقدم لهم مشروعية عملها السياسي والديني اللذان كانا في تلك الفترة وجهان لعملة واحدة، وقد قطعت أشواطاً في بنائها لتلك المدرسة من خلال وضع بعض الأحاديث في مدح معاوية وذم أمير المؤمنين من لعنه على المنابر لسنين طويلة دون ورع أو رهبة من هذه الشخصية العظيمة واهل بيته بشكل عام، ومن تلك الأساليب نشر بعض المذاهب الفكرية والترويج لها من قبيل مذهب الإرجاء والجبر اللذان يساعدان تلك السلطة على الوقوف على مبررات لكافة أعمالها حتى لو كانت مخالفة للإسلام والدين.. يُنظر: الإصلاح الديني... هل كان هدفا للإمام الحسين؟، ص٤١.

(٢١)يُنظر: أعلام النبلاء، الذهبي، الإتحاف بحب الأشراف، عبد الله الشبراوي الشافعي، ط١، دار الكتب الإسلامي، الباب الثاني.

(٢٢) تذكرة الخواص، السبط بن الجوزي، منشورات ذوي القُربى، ط١، ايران، ١٤٢٧هـ، ص٣٦١.

(٢٣)يُنظر: تاريخ اليعقوبي، أحمد بن يعقوب، دار صادر ـ بيروت، ج٢، ص٢٥١.ويُظر: العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، شرح وترتيب وفهرسة إبراهيم الابياري، تقديم د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ج٤، ص٣٥٧.

(٢٤)جمل من أنساب الأشراف، البلاذري، تحقيق د. سهيل زكّار، د. رياض زركلي، دار الفكر ـ بيروت، ط١، ١٩٩٦، ج٣، ص٣٧٥.

(٢٥)يُنظر: حول نهضة الإمام الحُسين، السيد محمد رضا الجلالي الحائري، مطبعة الزوراء ـ كربلاء، د.ط، د.ت، ص٢١.

(٢٦)المباني القرآنية لنهضة عاشوراء، مجلة الإصلاح الحُسيني، مركز الدراسات التخصصية في النهضة الحُسينية، النجف الأشرف ـ العتبة الحسينية المقدسة، العدد الخامس، سنة الثانية، ٢٠١٣، ص٤٧.

(٢٧)يُنظر: الاستشراف.. ماهيته وأهميته، محمد بن سعيد بن صالح، مجلة الرياض،العدد ١٥٤٠٦، ١٩ رمضان ـ ٢٩ أغسطس، ٢٠١٠.

(٢٨)الإرشاد، ج٢، ص١٣٢.

(٢٩)تراجيديا كربلاء.. سوسيو لوجيا الخطاب الشيعي، إبراهيم الحيدري، دار الساقي، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٩٩، ص١٦.

(٣٠)تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، ج٤، ص٣٠٨.

(٣١)تحف العقول، ابن شعبة الحراني، دار القارئ، ط٢، ٢٠٠٩، ص ٢٤٥.

(٣٢)يُنظر: الشخصية الشريرة في المسرح الحسيني، د. علي محمد ياسين، مجلة المسرح الحُسيني، تصدر عن وحدة المسرح الحُسيني في العتبة الحُسينية المقدسة، السنة الرابعة، رجب ١٤٣٧، آيار ٢٠١٦، ص٤٧.

(٣٣)مثير الأحزان،محمد بن جعفر بن نما الحلي، ص٢٩.

(٣٤)يُنظر: تراجيديا كربلاء، ص١٦.

٣٥. النهضة الحسينية في الإصلاح والتغيير السياسي، ماجد السادة، ط١، ٢٠٠٧.

٣٦. الإصلاح الديني، الشيخ محمد شُقير العاملي، تنقيح الشيخ وسام شقير، دار الهادي، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠١.

٣٧. الإرشاد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد، تحقيق دار المفيد ـ مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

٣٨. الإمام الحُسين رائد الحركة الإصلاحية..دراسة مقارنة بين حركة الإمام الحسين عليه السلام وحركة الأنبياء الأئمة الأطهار عليهم السلام في الاهداف والنماذج والتنائج، سماحة السيد صدر الدين القبنجي، شركة الأعلمي ـ بيروت، ط١، ١٤٣٢ـ ٢٠١١.

٣٩. الإمام الحسين رسالة إصلاح، الشيخ حسن الراضي، دار المحجة البيضاء، ط١، ٢٠٠٦.

٤٠. الإمامة والسياسة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ابن قتيبة)، تحقيق خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١.

٤١. بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي، تحقيق لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٨.

٤٢. تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٨.

٤٣. تاريخ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٧١.

٤٤. تاريخ اليعقوبي، أحمد بن واضح، علق عليه محمد صادق بحر العلوم، النجف، مطبعة الحيدرية، ١٩٦٤.

٤٥. تذكرة الخواص، السبط بن الجوزي، منشورات ذوي القُربى، ط١، أيران، ١٤٢٧هـ.

٤٦. تراجيديا كربلاء.. سوسيو لوجيا الخطاب الشيعي، إبراهيم الحيدري، دار الساقي، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٩٩.

٤٧. تحف العقول، ابن شعبة الحراني، دار القارئ، ط٢، ٢٠٠٩.

٤٨. جمل من أنساب الأشراف، البلاذري، تحقيق د. سهيل زكّار، د. رياض زركلي، دار الفكر ـ بيروت، ط١، ١٩٩٦.

٤٩. الحُسين منهج الإصلاح والتغيير، حسن موسى الصفار، القطيف – المملكة العربية السعودية، ط١، ٢٠١٣.

٥٠. سير أعلام النبلاء، الذهبي، الإتحاف بحب الأشراف، عبد الله الشبراوي الشافعي، ط١، دار الكتب الإسلامي.

٥١. العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، شرح وترتيب وفهرسة إبراهيم الابياري، تقديم د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان.

٥٢. القيم الأخلاقية في الفكر التربوي الإسلامي المعاصر، وسام علي، دار الصادقين، العراق ـ النجف الأشرف، ط١، ٢٠١٢.

٥٣. المعجم الفلسفي، تصدير ابراهيم مدكور، مجموعة من الباحثين، مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية ـ القاهرة، ١٩٨٣، د،ط.

٥٤. المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين– بيروت، ط٢، ١٩٨٤.

٥٥. مثير الأحزان، محمد بن جعفر بن نما الحلي.

٥٦. الوصائل في تحليل المحادثة. دراسة في استراتيجيات الخطـاب، د. خليفة الميساوي، عالم الكتب الحديث، أربد ـ الأردن، ط١، ٢٠١٢.

المجلات والدوريات:

١. الشخصية الشريرة في المسرح الحسيني، د. علي محمد ياسين، مجلة المسرح الحُسيني، تصدر عن وحدة المسرح الحُسيني في العتبة الحُسينية المقدسة، السنة الرابعة، رجب ١٤٣٧، آيار ٢٠١٦.

٢. المباني القرآنية لنهضة عاشوراء، مجلة الإصلاح الحُسيني، مركز الدراسات التخصصية في النهضة الحُسينية، النجف الأشرف – العتبة الحسينية المقدسة، العدد الخامس، سنة الثانية، ٢٠١٣.

٣. الاستشراف. ماهيته وأهميته، محمد بن سعيد بن صالح، مجلة الرياض،العدد ١٥٤٠٦، ١٩ رمضان ـ ٢٩ أغسطس، ٢٠١٠.

دور المبلّغ الديني في بثّ التعاليم الدينية بين الزائرين خلال زيارة الأربعين

(دراسة ميدانية)

م. سمانة عزيز الساعدي

كلية الادارة والاقتصاد – جامعة كربلاء

الملخص

إن قضية الارشاد وهداية الناس ودعوتهم الى الله تعالى كانت من الاسس التي قامت عليها مناهج ورسالات الانبياء، وقد أكد القرآن الكريم والأحاديث الشريفة على أهمية تبليغ الدين الاسلامي والعمل به في كل زمان ومكان باعتباره مسؤولية المسلمين عموماً والمتخصصين في العلوم الدينية بشكل خاص، الذين إن أخلصوا في عملهم التبليغي كان لهم موقع الانبياء والمبلّغين لرسالات الله. وعن الامام الصادق عليه السلام: «من تعلّم العلم وعمل به وعلمهُ لله دعي في ملكوت السماوات عظيماً».

والتبليغ وظيفة شريفة ومسؤولية ثقيلة لا يمكن الاستهانة بها، خصوصاً في هذا العصر الذي تزداد فيه الحاجة اليه، وينتظر من المبلّغ الديني ان يبذل قصارى جهده في تبيين المبادئ الاسلامية وتثبيتها والدفاع عنها لتحصين المجتمع من المؤثرات الخارجية التي تخترقه لأن الإعلام المضاد قد بلغ أقصى مداه، فيجب تفويت الفرصة على الاعداء في الوصول الى أهدافهم المشؤومة ومخططاتهم الخبيثة. وأن عدم العمل به يجعل الناس تعمل المنكر ولا تردع عنه من قبل العلماء مما يؤدي الى تدمير المجتمع.

والناس(الزائرون)، هم ميدان وموضوع العملية التبليغية وليسوا هم الهدف، فالهدف هو إقامة الحجة، والمبلّغ لديه الرغبة في هدايتهم ويعتبرها قضية لا تنفصل عن وجدانه، بل تزداد عنده كلما ازداد التحاماً معهم وحباً لهم.

في السنوات الاخيرة، وبفضل دور المرجعية الدينية متمثلاً بالعتبات المقدسة برز الى المجتمع مجموعة من المبلّغين الفضلاء وكان لهن دور متميز في بث التعاليم الدينية خلال الزيارات المليونية (الأربعينية).

ولبيان دور المبلّغ الديني في بث التعاليم الدينية بين الزائرين خلال زيارة الأربعين تم استخدام أحد الاساليب الاحصائية (اسلوب التحليل العاملي) وذلك بالاعتماد على نتائج استمارة استبيان بلغ عددها (٢٠٠) استمارة وتم توزيعها على الزائرين خلال زيارة الأربعين للسنة الماضية ١٤٣٩هـ، حيث لخصت البيانات في ستة عوامل رئيسة وكان لها تأثير مباشر وغير مباشر.

The role of the preacher in spreading the religious teachings among pilgrimages during the arbaeen (field study)

Lecturer. Samana Aziz Al-Saadi

Faculty of Management and Economics / Karbala University

Abstract

The guidance of people and calling them for Allah Almighty, was of the foundations on which the teachings and messages of the prophets were stood for, the Holy Quran and Hadiths emphasized the importance of delivering those teachings and working by them at all times and places as a responsibility to Muslims in general and to the clerks in particular, those who done their part in preaching, would have the status of prophets who delivered the word of Allah before. As Imam al-Sadiq "pbuh" once said: "Whoever learns knowledge and works by it and teaches it to others, they will be named in the kingdom of heaven as a great individual".

The preaching is a noble task and a heavy responsibility that cannot be underestimated, especially in this age where it needed the most. The preacher is required to put every efforts they have to clarify the Islamic principles and to prove them in order to immunize the society from external influences trying to penetrate it. So, the enemies shouldn't be given the opportunity to reach their evil goals.

The pilgrims are the field and the subject of the preaching process, but they aren't the goal. The goal is to establish the argument, as the preacher has the desire to guide them as an issue that is not separated from their conscience, but it even increases within them whenever they came together.

In recent years, and thanks to the role of the supreme religious authority represented by the holy shrines in Iraq, a group of pious preachers emerged in the community and had a distinct role in the dissemination of religious teachings during the Arbaeen pilgrmage.

To illustrate the role of the religious preacher in spreading the religious teachings among pilgrims during the Arbaeen walk, a statistical method (Factor Analysis Method) was used, depending on the results of a special statistical questionnaire that its data was collected during the Arbaeen of last year (1439 Hijri), where the data were summarized in six main factors that had a direct and indirect impact in the illustration of the role of the preacher in delivering the religious teachings among pilgrims during this walk.

الفصل الاول

المقدمة

أن الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى لا تعتبر من المسائل البسيطة التي يمكن تحريكها في الساحة العلمية والفكرية بشكل بسيط وساذج، بل هي من المسائل التي تحتاج الى ثقافة إسلامية متنوعة ومعرفة سياسية واجتماعية واقعية والى مؤهلات شخصية معينة، لأن قضية تغيير أفكار ومشاعر الناس والدخول الى حياتهم يتطلب السيطرة على مواقع التأثير في وعي الذات من خلال الاسلوب والمضمون والظروف الموضوعية المحيطة بالواقع ومن خلال الرصد الدقيق للمؤثرات التي يمكن ان تتحول الى عناصر ايجابية في هذا المجال أيضاً. وبما إن الشر والفساد والانحراف الذي يهدد الإنسان كان ولايزال موجوداً على مرِّ العصور، فإن المُنذِرين كانوا موجودين دائماً، قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[1].

وقد كان آدم عليه السلام أول مبلّغ وحجّة على الخلق، وأن آخر الحجج هو الامام المهدي عجل الله فرجه الشريف.

مشكلة البحث

يعتبر التبليغ الديني من القضايا الهامة في عالم اليوم ويكتسب أهميته وخطورة دوره في حياة المسلم من حيث أنه يعتبر العامل الاساسي في تكوين الشخصية الاسلامية للفرد المسلم وللأسرة وكذلك للمجتمع المسلم والدولة، وذلك بإيصال المفاهيم الاسلامية والأحكام الشرعية من خلال التربية والتعليم إضافة الى الاعلام وأساليبه الحديثة.

وأن عدم الاهتمام بأمر التبليغ الديني يعني ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مما يؤدي الى تدمير المجتمع حيث يفعل الناس المنكر ولا يُردعون عنه من قبل العلماء فيكون مصيرهم الدمار والهلاك.

هدف البحث

يهدف هذا البحث الى بيان دور المبلّغ الديني في بث التعاليم الدينية بين الزائرين خلال زيارة الأربعين باستخدام أحد الاساليب الاحصائية (اسلوب التحليل العاملي) وبالاعتماد على نتائج استبيان احصائي خاص بذلك تم إجراؤه خلال زيارة الأربعين للسنة الماضية ١٤٣٩هـ.

الفصل الثاني

الجانب النظري

وتضمَّن هذا الفصل ثلاثة مباحث:

المبحث الاول

التبليغ الديني

التبليغ لغة: بمعنى بلغ بلاغاً، أي تبليغاً، وهو ما يتوصل به الغاية. والبلاغ: بيان يذاع في رسالة ونحوها[2].

التبليغ اصطلاحاً: عرض وإيصال التعاليم والارشادات السماوية الى الناس[3]، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن

لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّه يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[٤].

تاريخ التبليغ الديني

أكد القرآن الكريم على أن المبلغين الاوائل (الانبياء)[٥] عندما جاءوا لتبليغ رسالات الله، كانوا يعلمون بأنهم سوف يُعذَّبون ويُقتَلون فكانوا يحتسبون الله في ذلك، فبعض الأنبياء تحمل عبء هداية قومه سنين طويلة وهو صابر، فيما واجه البعض منهم أعتى الملوك والفراعنة لإخراج قومه من الظلمات إلى النور، متمثلاً بنبي الله موسى عليه السلام، والبعض الآخر ساح في الأرض من أجل إيصال الكلمة الإلهية إلى جميع الناس متمثلاً بنبي الله عيسى عليه السلام. اما رسول الله صلى الله عليه وآله فقد بُعث في مجتمع عبثت فيه الجاهلية، وتحمل لسنين عديدة أعباء تعليم هذه الأمة لإخراجها من الجهل، فتعلم منه الكثير وانتشروا في البلاد الاخرى وقاموا بنشر الدين الإسلامي بينهم وهدايتهم، وإلى يومنا هذا يستعين المبلّغون بالصبر والتوكل على الله لإنجاح عملية التبليغ.

أن أول من قام بعملية التبليغ، الله تعالى عندما بلّغ آدم عليه السلام بتعاليمه وحذّره من الشيطان، الذي قام فيما بعد بالتبليغ المضاد وبلّغهُ تبليغاً كاذباً يخالف تعاليم الله تعالى. وقد عمل آدم عليه السلام على تبليغ أولاده مما علّمه الله تعالى وحذّرهم من الشيطان، ثم قام أولاده من بعده بهذه المهمة الجسيمة، واستمر التبليغ من قبلهم الى أن ختم الله تعالى مسيرتهم بالنبي محمد صلى الله عليه وآله. ولا يزال مستمراً بالأئمة والعلماء الذين هم ورثة الانبياء.

وعليه فقد مرَّ التبليغ الديني بمراحل تاريخية تطور فيها وفقاً لمقتضيات الظروف البشرية زمانية ومكانية وكذلك وفقاً للإمكانات البشرية من حيث مستوى الإدراك ومستوى التفكير، ومن حيث الطاقات البدنية والقدرات الآلية وفي حدود المتاح[٦].

التبليغ الديني في نصوص القرآن الكريم

ذُكرت كلمة التبليغ وما اشتُق منها (٢٧) مرة في **القرآن الكريم**[٧] وهنالك مصطلحات أخرى لها علاقة بمعنى التبليغ وهي:

أ. الدعوة: قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾[٨].

ب. الإرشاد: قال الله تعالى: ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾[٩].

ج. التبشير: قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[١٠].

د. التبليغ: قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا الله﴾[١١].

وعليه فإن التبليغ القرآني يعني إيصال حقيقة التوحيد والاسلام الى اذهان الناس واخراجهم من ظلمات الجهل.

عموماً التبليغ يعني تعليم الناس احكام الدين الاسلامي والمعارف الالهية وتبشيرهم بالجنة ونِعَم الله سبحانه وتعالى وترغيبهم للحصول على رضاه وتحذيرهم من مخالفة أوامره بالإضافة الى دعوتهم الى الاعتقاد بأصول الدين والعمل بفروعه[١٢].

التبليغ الديني في الأحاديث الشريفة

وردت العديد من الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام عليهم السلام تحث على تبليغ الدين وأكدت

هذه الروايات على المنزلة الرفيعة التي يتمتع بها المتصدي لهذا العمل واعتبرتهم كالأنبياء من حيث الوظيفة في التبليغ، حيث قال رسول الله ﷺ: «رحم الله خلفائي، فقيل: يا رسول الله، من خلفاؤك؟ قال ﷺ: الذين يحيون سنّتي ويعلّمونها عباد الله».

عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: لما كلّم الله عز وجل موسى بن عمران عليه السلام، قال موسى: إلهي ما جزاء من دعا نفساً كافرة إلى الإسلام؟ قال: يا موسى آذن له في الشفاعة يوم القيامة لمن يُريد.

عن الزهراء عليها السلام عن رسول الله ﷺ: سمعت أبي يقول: إن علماء شيعتنا يُحشرون فيُخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم وجدّهم في إرشاد عباد الله[١٣].

عن الصادق عليه السلام أنه قال: إذا كان يوم القيامة بعث الله عز وجل العالم والعابد فإذا وقفا بين يدي الله عز وجل قيل للعابد: انطلق إلى الجنة، وقيل للعالم: قف اشفع للناس بحسن تأديبك لهم.

عن العسكري عليه السلام أنه قال: ألا فمن كان من شيعتنا عالماً بعلومنا وهذا الجاهل بشريعتنا المنقطع عن مشاهدتنا يتيم في حجره، ألا فمن هداه وأرشده وعلمه شريعتنا كان معنا في الرفيق الأعلى[١٤].

الاستدلال على وجوب التبليغ الديني

يعتبر التبليغ الديني مسؤولية عامة يُمكن أن يُحققها بعض الناس وبذلك تسقط عن الآخرين، وهذا ما يصطلح عليه فقهياً بالواجب الكفائي، حيث تتقدم فئة من الناس (ممن لديهم الكفاءة للتعلم وبهم الكفاية للتبليغ) الى إيصال صوت الحق وإيضاح معالم الرسالة السماوية وبيان أحكامها الى الناس جميعاً في أي ارض كانت أو لأي شعب في العالم، فإذا تقدمت هذه الفئة من الناس وحققت ذلك تكون المهمة المطلوبة (التبليغ) قد أنجزت وسقطت عن الآخرين. وهذا ما أكد عليه القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[١٥].

وتسمى آية النفر التي منها يمكن الاستدلال على وجوب تعلم وتعليم الاحكام الاسلامية من اجل ارشاد الناس الذين لا يعلمون وجوباً كفائياً على الدوام. ويعتبر التبليغ الديني واجباً عينياً للأنبياء عليهم السلام ولكل من يضطلع بمهمة مواصلة نهجهم من الاوصياء والائمة عليهم السلام[١٦].

وهذا ما أكد عليه القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[١٧].

أهداف التبليغ الديني

يهدف التبليغ الديني الى ايصال الناس الى الكمال الانساني على صعيد الفرد أو المجتمع، ومن اجل هذا الهدف بُعث الانبياء وأُنزلت الكتب السماوية. ولبلوغ ذلك لابد من التدرج من خلال مجموعة أهداف مشخصة ومحددة من الناحية العملية نابعة من تعاليم الدين الاسلامي ومنها:

أ. الدعوة الى التوحيد: قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾[١٨].

ب. التذكير بالمعاد: قال الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[١٩].

ج. إحياء القلوب والارواح: قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[٢٠].

د. التبشير والانذار: قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[٢١].

إضافة الى أهداف أخرى كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وايقاظ وإثارة الفطرة والعقل والتعليم والتزكية[٢٢].

المبحث الثاني

المبلّغ الديني

المبلّغ الديني[٢٣]: هو الشخص المستعد للتعليم والتحصيل في الحوزات العلمية للقيام بالتبليغ الديني على اختلاف شؤونه:

١. تبليغ الأصول بالأدلة العقلية والنقلية عن طريق البيان والكتابة.

٢. تبليغ الفروع باستنباطها من مداركها وعرضها للعمل.

٣. التبليغ بالنفر الى البلاد وابلاغ الدين الى الناس بواسطة ارتقاء منابر الخطابة والوعظ.

٤. التبليغ بواسطة وسائل الاتصال السمعية والمرئية والانترنت والفضائيات.

٥. التبليغ بواسطة النشرات والمجلات وتأليف الكتب والرسائل والاطروحات.

عوامل نجاح المبلّغ الديني

إن نجاح أو فشل المبلّغ في تحقيق الهدف من التبليغ يعتمد على العوامل التالية:

١. دافع المبلّغ

إن الدافع الذي ينطلق منه المبلّغ لممارسة عملية التبليغ[٢٤] هو الشعور بالمسؤولية إضافة الى الاستفادة من الخبرات والوسائل المتاحة والتي تهوّن أمامه المصاعب، وكلما كان الدافع اقوى كان الامل بالنجاح أكبر، والذي يقوي ذلك الدافع وجود النصوص القرآنية والحديثية التي تعتبر التبليغ واجباً الهياً والمبلّغ مندوباً عن الله وتبين بركات ذلك العمل على المبلّغ وعلى الناس عموماً.

٢. محتوى التبليغ

كلما كانت رسالة المبلّغ منسجمة مع الموازين العقلية والفطرية، وكان المبلّغ يتمتع بثراء فكري وثقافة اسلامية واسعة واستفادة من التقنيات والوسائل الحديثة، كان نجاحه وتأثيره على نفوس الناس وإفادتهم اكبر[٢٥].

٣. صفات المبلغ

يرى الاسلام ضرورة توفر مجموعة من الصفات في المبلّغ الناجح والتي بها يتبوأ المكانة الحقيقية كامتداد لطريق الانبياءﷺ في الدعوة الى الله تعالى والقيم الانسانية والاسلامية، ومنها:

أ. الصفات الاخلاقية

إن ميزان الشخصية الاسلامية هو الاخلاق وبه يمكن نشر الدين الاسلامي ومن هذه الصفات[٢٦].

- التوكل على الله: على المبلّغ أن يأخذ بالأسباب الطبيعية والوسائل الظاهرية لتحقيق أهدافه في التبليغ ثم يتوكل على الله ويطلب منه أن يمده بالتوفيق والعناية الغيبية.
- الاخلاص: إن ما يقوم به المبلّغ من وظيفة شرعية مقدسة يجب أن تكون خالصة لله تعالى وخالية من شوائب الرياء.
- الشجاعة: على المبلّغ أن يكون شجاعاً في طرحه لأن الضعف والهوان يؤديان الى ايقاف عملية التبليغ.
- ومن الصفات الأُخرى للمبلّغ: الصبر، الصدق، التواضع والصدر الواسع الذي به يواجه اصنافاً مختلفة من الناس.

ب. الصفات العلمية

على المبلّغ أن يتحلى بمجموعة من الصفات العلمية ومنها:

- التفقه في الدين: أن يكون على قدر وافٍ من العلم في مجالات متعدّدة: كالفقه، العقائد، القرآن الكريم، وعلوم العربية، ويبلغ الاسلام الصحيح بحيث لا يسلك طريق أصحاب البدع والجهل.
- دوام التحصيل العلمي: أن يستمر في التحصيل العلمي لزيادة قدرته العلمية والعملية لأن العلم في تطور مستمر.
- المعرفة بالزمان والمكان: أن يتطرق إلى الموضوع المناسب في الزمان والمكان المناسبين، لأن أغلب الناس يعتمدون على المبلّغين في مواسم التبليغ في أخذ العلوم والمعارف والتوجيهات[٢٧].

ج. الصفات العملية

على المبلّغ أن يراعي مجموعة من الصفات العملية ومنها[٢٨]:

- القدوة الحسنة: أن يتوافق قوله وفعله، وأن يمتلك التأثير على الناس وأن تكون كلمته نافذة الى القلوب.
- الزهد في الدنيا: أن لا يستهويه حطام الدنيا والتطلع الى ما في أيدي الناس، وانما يرجو ثواب الله والدار الاخرة.
- الأمانة على الشريعة: أن يكون دقيقاً في نقله للأحكام الشرعية والنصح في الأداء وإبلاغ الأمانة بأحسن وجه بعيداً عن التساهل والتسامح والتهاون.

٤. وسائل التبليغ

يحتاج المبلّغ الى أساليب ووسائل مناسبة تساهم في نجاح عملية التبليغ، والتي لا يمكن حصرها بكيفية واحدة، ولا سيما في عصر التطور التكنولوجي والتقنيات الإعلامية والإلكترونية ومنها:

أ. وسائل شفوية تقدم بشكل مباشر

يعتبر الكلام اقوى وسيلة لتحقيق الاهداف الثقافية والسياسية والاجتماعية على امتداد التاريخ والتي بها يوصل المبلّغ رسالته الى الناس وبأشكال متنوعة منها[٢٩]:

- المحاضرات، الندوات والمؤتمرات.
- المواعظ والقصص.
- الحوار التلفزيوني والإذاعي أو في الإنترنت.
- السينما والمسرح.

ب. وسائل تقدم بالكتابة وبشكل غير مباشر

- البحوث والمقالات والرسائل العلمية.
- الكتب والموسوعات والدراسات التخصصية.

إضافة الى وسائل الإعلام وشبكات الاتصال الثقافي والمعرفي الحديثة[٣٠] التي هي اليوم أكثر تأثيراً من الاساليب العسكرية والاقتصادية ومنها:

- البرامج والمضامين الإلكترونية (الانترنت).
- الحملات الإعلامية والإعلانية.

وعليه **فالمبلّغ الناجح** هو الفنان البارع الذي يستخدم الاساليب الفاعلة والمؤثرة ويتجنب الاساليب العقيمة في ايصال الرسالة الحقيقية الى الناس، ثم ان فاعلية الكلام لا تمثل شيئاً في مقابل فاعلية العمل، وقد أكد أئمة أهل البيت عليهم السلام على التبليغ بالعمل أكثر من التبليغ بالقول لما له من تأثير اعجازي في اجتذاب الناس نحو الاسلام والقيم الاسلامية[٣١].

قال الصادق عليه السلام: «كونوا دعاة الناس بغير ألسنتكم، ليروا منكم الورع والاجتهاد والصلاة والخير فإن ذلك داعية».

المبحث الثالث

المضمون التبليغي

المضمون التبليغي[٣٢]: هو المادة الدينية التي يعدّها المبلّغ الديني ليقدمها الى الناس ليعرّفهم بالأحكام الشرعية وتوجيههم بطريقة صحيحة بغية خلق التغيير الإيماني والسلوكي من خلال التأثير الايجابي والفعّال فيهم وكسب محبتهم وثقتهم ومن ثم التزامهم الاختياري بالأحكام الشرعية.

أهمية المضمون التبليغي

تبرز أهميته من خلال كونه حلقة وصلٍ بين المبلّغ والناس فهو ميزان صلاح المجتمع وفساده باعتباره العنصر الأهم في البناء الفكري والسلوكي للمسلم بالإضافة الى أنه يرتبط بشكل مباشر بمبدأ الهداية والتزكية.

ضوابط المضمون التبليغي

يجب على المبلّغ الديني أن لا يستصغر عمله التبليغي ولا ينظر اليه كالنشاطات الاخرى، فهو عمل جاد وحساس وأن أيّ انحراف فيه يؤدي الى نتائج عكسية مما يؤدي بالمخاطب الى النفور من الدين بدلاً من حُبه والعمل به. وعليه هنالك بعض الامور الضرورية التي يجب مراعاتها ومنها:

١. إتقان الكلام وإحكامه ويتحقق الإتقان في التبليغ في ظل التفرغ والمطالعة.
٢. الإقناع على المدى الطويل والسعي لإطالة مدى تأثيرات العمل التبليغي.
٣. مواكبة مقتضيات الزمان من خلال إدراك

المتطلبات الآنية وتشخيصها وتلبيتها وفق التكليف الديني.

٤. مراعاة الأهم ثم المهم (الاولوية)، إي يجب أن يتطابق مضمون الكلام مع الحاجات الفورية والأولية للناس.

٥. مراعاة الاعتدال وتفادي الإفراط في أي اتجاه كان سوى كان في الجهات الأخلاقية أو الجهات السياسية.

٦. إعتماد إسلوب التحاور اللين، والابتعاد عن التكفير والاتهام.

التبليغ الحسيني

يعتبر التبليغ الحسيني من أنجح الاساليب التبليغية[٣٣] واكثرها نفعاً في ايصال الافكار الاسلامية وترسيخها في اذهان المسلمين حيث استطاع ان يحفظ خط أهل البيت عليهم السلام من التحريف أو الاندراس رغم كل ما تعرض له من صعوبات، اضافة الى بعض الاخفاقات من قبل المبلّغ كتقديم مادة تبليغية غير علمية تقترب من الاسطورة أو لا تتناسب مع الزمان والمكان والمناسبة، وكذلك خروج بعض المبلّغين عن الهدف السامي للتبليغ والبحث عن المكاسب الدنيوية الزائلة.

دور المبلّغ الحسيني في بث التعاليم الدينية خلال زيارة الأربعين

أن الناس عموماً والزائرين خصوصاً، هم ميدان وموضوع العملية التبليغية وليسوا هم الهدف، فالهدف هو إقامة الحجة، أما هدايتهم بالفعل فقد تتحقق وقد لا تتحقق، لكن المبلّغ الديني يعتبر الرغبة في هداية الناس (الزائرين) هي قضية لا تنفصل عن وجدانه، بل تزداد عنده كلما ازداد التحاماً معهم وحباً بهم فهم عيال الله وعباده. والمبلّغ الحسيني لا يختلف كثيراً عن أي مبلّغ اسلامي آخر من ناحية امتلاكه للمؤهلات العلمية والثقافية، إضافة الى امتلاكه جمهوراً من المخاطبين متعدد الثقافات، وهنالك خصوصية يحملها المبلّغ الحسيني تتمثل في ما يعرضه على المخاطبين من فكر ومنهج الأئمة عليهم السلام عامة ومنهجية الامام الحسين عليه السلام في طلب الاصلاح، ثم أنه يقدم نفسه على انه ينتمي اليهم والى خطهم شكلاً ومضموناً، وهذا يؤدي الى أن تتضاعف مسؤوليته عندما يعرض الاسلام الاصيل المتمثل بصفات الائمة عليهم السلام وهديهم، علومهم، ومحاسن كلامهم. عن عبد السلام بن صالح الهروي، قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول[٣٤]: «رحم الله عبداً أحيا أمرنا، فقلت له: وكيف يحيي أمركم؟ قال يتعلم علومنا ويعلّمها الناس، فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا».

الفصل الثالث

الجانب العملي

عيّنةالدراسة: تم الاعتماد على المصدر الميداني لجمع البيانات عن الظاهرة المدروسة «دور المبلّغ الديني في بث التعاليم الدينية بين الزائرين خلال زيارة الأربعين»، حيث تم جمع البيانات في فترة زيارة الأربعين للعام الماضي ١٤٣٩هـ أثناء مرور الزائرين بالمدن المخصصة لهم، حيث أمكن جمع (٢٢٥) استمارة، وبعد استبعاد الاستمارات غير مكتملة

الاجابة والتي كان عددها (٢٥) استمارة، كانت الصالحة للتحليل (٢٠٠) استمارة.

وأن استمارة الاستبيان اللازمة لجمع البيانات والمعلومات حول الظاهرة موضوعة الدراسة قد تكونت من عدة اسئلة تم التوصل لها بعد الاستشارات من جهات متعددة لها علاقة بالموضع.

وقد روعي عند وضع هذه الاسئلة في استمارة الاستبيان ان تكون بشكل واضح لتسهيل عملية فرزها وتبويبها واستخلاص نتائج الدراسة منها.

وقد بلغ العدد الإجمالي للأسئلة ٢٥ سؤالاً مثلت عيّنة الدراسة وكالتالي:

- الجنس
- التحصيل العلمي
- هل سبق أن التقيت بأحد المبلّغين أو المرشدين الدينيين؟
- هل تعتقد بأن التبليغ الديني أمرٌ أساسيٌ هامٌ؟
- هل تعتقد بأن التبليغ الديني يجب أن يقوم به شخص معين؟
- هل تعتقد بأن على المبلّغ الديني أن يراعي المستوى المعرفي للمتلقين؟
- هل استجابة الناس للمبلّغ الديني تعتمد على حبهم له؟
- هل باعتقادك أن كبار السن أكثر استجابة للتبليغ من الشباب؟
- هل تعتقد بان وسائل التواصل الاجتماعي لها دور في بث التعاليم الدينية القيّمة؟
- هل المبلّغ الديني له دور في التأثير بالمجتمع؟
- هل يصاب المبلّغ الديني بالإحباط لعدم استجابة الناس له؟
- هل على المبلّغ الديني الاهتمام بالأحداث الآنية وبيان احكامها الشرعية؟
- هل تعتقد بان الناس يهتمون بالإصغاء لما يطرحه المبلّغ الديني؟
- هل تصدق بما يثار من اشاعات حول المبلّغ الديني؟
- هنالك قنوات فضائية دينية تهدف الى ارشاد وتوعية الجيل الجديد، هل تعتقد بأنهم يستجيبون لذلك؟
- هل يتعرض المبلّغ الديني للإهانة من قبل بعض الناس؟
- هل يخص التبليغ الديني فئة او طائفة معيّنة في المجتمع؟
- هل تعتقد بان كسب مودة الناس عامل من عوامل نجاح المبلّغ الديني؟
- هل اتباع أساليب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يساعد في نجاح رسالة التبليغ؟
- هل باعتقادك ان على المبلّغ الديني اتباع اسلوب التدرج لإيصال الرسالة التبليغية؟
- هل ثقافة المبلّغ الديني ومعرفته لبعض اللغات عامل أساسي في نجاح عمله التبليغي؟
- هل هنالك عدد كافي من المبلغين الدينيين لتغطية طريق الزائرين؟
- هل باعتقادك ان المبلّغ الديني يركز على فئة الشباب أكثر من باقي الفئات؟
- هل تعتقد ان تعصب المبلّغ الديني في التوجيه والإرشاد ينفر المتلقي؟

- هل تعتقد بان المبلّغ الديني يحقق هدفه من خلال عملية التبليغ؟

مفهوم التحليل العاملي

التحليل العاملي[٣٥] هو أحد انواع تحليلات متعدد المتغيرات التي تقوم بدراسة مجموعة من المتغيرات وتفسير العلاقة بينها من خلال الارتباطات بين تلك المتغيرات، وذلك بالاعتماد على ارجاع مسببات تلك الارتباطات الى اقل عدد من العوامل التي يتم من خلالها وصف المشاهدات ببساطة ووضوح وذلك للتخلص من مشكلة تعدد العلاقات الخطية إن وجدت بين المتغيرات المدروسة.

النموذج العاملي

يتكون النموذج الرياضي للتحليل العاملي من **(p)** من المتغيرات لعيّنة حجمها **(n)** على اساس دالة خطية مؤلفة من **(k)** من العوامل المشتركة حيث **(k<p)** و**(p)** من متوسطات المتغيرات **(p)** من العوامل الوحيدة لكل متغير اي ان:

$$X=AF+U+\mu$$

- **X** متجه عشوائي بالمتغيرات ومن الرتبة **(p×1)**
- **μ** متجه اوساط المتغيرات ومن الرتبة **(p×1)**
- **F** متجه العشوائي للعوامل المشتركة ومن الرتبة **(k×1)**
- **U** متجه عشوائي للعوامل الوحيدة ومن الرتبة **(p×1)**
- **A**: مصفوفة تحميلات العوامل وهي من درجة **(p×k)**

الفرضيات الاساسية للتحليل العاملي

الفرضية الاولى:

تفترض وجود ارتباطات بين مجموعة من المتغيرات ناتجة عن وجود عوامل مشتركة فيما بينها، ويهدف التحليل العاملي الى تفسير هذه الارتباطات بعوامل تكون أقل من المتغيرات المستخدمة وأن هذه العوامل يمكن تمثيلها بالقيمة المعيارية في حالة افتراض **(k)** من العوامل كما في العلاقة التالية:

$$Z_{ji} = a_{j1} F_{1i} + a_{j2} F_{2i} + ... + a_{jk} F_{ki} + U_{ji}$$

حيث أن:

- Z_{ji}: القيمة المعيارية للمشاهدة **(i)** بالنسبة للمتغير **(j)**
- a_{jk}: تحميل العامل **(k)** بالنسبة للمتغير **(j)**
- F_{ki}: القيمة المعيارية للمفردة **(i)** بالنسبة للعامل المشترك **(k)**
- U_{ji}: القيمة المعيارية للمفردة **(i)** بالنسبة للعامل الوحيد الخاص بالمتغير **(j)**

وبما ان Z_{ji} بالصيغة المعيارية فان تباينها هو الواحد، ويتكون من ثلاث تباينات هي:

١. **تباين العوامل العامة (التباين المشاع)**: هو ذلك الجزء من التباين الذي يرتبط مع بقية المتغيرات ويحسب من معاملات العوامل العامة ويرمز له بالرمز h_j^2 ويمثل:

- $h_j^2 = a_{j1}^2 + a_{j2}^2 + ... + a_{jk}^2$
- $0 \le hj^2 \le 1$

٢. **التباين الخاص**: هو ذلك الجزء من التباين الذي لا يرتبط مع أي متغير ويرمز له بالرمز bj^2 وهو

جزء من تباين العامل الوحيد ويمثل:

- $bj^2 + pj^2 = uj^2$

حيث أن:

- bj^2: التباين الخاص بالمتغير (j)
- pj^2: تباين الخطأ
- uj^2: تباين العامل الوحيد

٣. **تباين الخطأ**: هو ذلك الجزء من التباين الناتج من خلال حدوث أخطاء في سحب العيّنة أو قياسها أو أي تغيرات اخرى تؤدي الى عدم الثبات.

يشترك كل من التباين العام والتباين الخاص في تكوين التباين المعتمد ويمثل:

$$b_j^2 + h_j^2 = v_{ji}^2$$

الفرضية الثانية:

تفترض وجود ارتباط بين متغيرين ويمكن حسابه على أساس طبيعة وتأثير تحميلات وتشبعات العوامل المشتركة ويمكن تقدير مصفوفة الارتباط بين المتغيرات كالتالي:

$$R = AA'$$

حيث أن:

- **R**: مصفوفة الارتباط.
- **A**: مصفوفة تحميلات العوامل.

طرق التحليل العاملي

هنالك عدد من طرق التحليل العاملي، منها:

١. الطريقة القطرية

٢. الطريقة المركزية

٣. الطريقة المركزية باستخدام متوسط الارتباطات

٤. طريقة المكونات الأساسية

في هذا البحث تم الاعتماد على طريقة المكونات الرئيسة، وهي من أكثر طرق التحليل العاملي شيوعاًنظراًلدقة نتائجها بالمقارنة ببقية الطرق. ومن مزاياها أنها تؤدي إلى تشبعات دقيقة وأن المصفوفة الارتباطية تختزل إلى أقل عدد من العوامل المتعامدة غير المرتبطة.

حيث يتم حساب مصفوفة الارتباط للبيانات ثم التشعبات التي تبدأ بحساب المتجه الذاتي المقابل لأكبر قيمة والذي يمثل مقدار مساهمة العامل الاول حيث ان مجموع القيم الذاتية يعبر عن التباين، وتتناقص القيمة الذاتية من عامل لآخر حسب الترتيب، فالعوامل الاولى تكون ذات قيم ذاتية أكبر مما يليها، فاذا كانت أكبر من واحد فتقبل كعامل والا فترفض كعامل.

ان تفسير العوامل مهم في التحليل العاملي حيث تشكل موجهات مستقلة خطياً وهذه الموجهات تشكل نظام المحاور المتعامدة حيث تنتشر المتغيرات متمثلة بنقاط احداثيات تشير الى تشبعات العوامل، وبطريقة التدوير المتعامد يتم التوصل الى أفضل تشبعات للعوامل من خلال قيمة التباين المرجح بواسطة مقدار التباين المفسر.

نتائج التحليل العاملي

بعد اجراء المسح الميداني على عيّنة البحث، تم استخدام الحاسب الالكتروني حيث استخدم البرنامج الجاهز (SPSS)، ولما كانت متغيرات البحث مصنفة فقد تم وضع رمز لكل مستوى من مستويات المتغيرات وكالاتي: (٥)- أتفق بشدة، (٤)- أتفق، (٣)- محايد، (٢)- لا أتفق، (١)- لا أتفق بشدة.

وقد تم اختبار ثبات وصدق الاستمارة باختبار (كرون باخ - الفا) بمصداقية قيمتها (٠,٨٤). وعليه تم استخدام اسلوب التحليل العاملي لتحديد المتغيرات التي تؤثر بصورة مباشرة او غير مباشرة في بيان دور المبلّغ الديني في بث التعاليم الدينية بين الزائرين خلال زيارة الأربعين، وبعد تحليل مصفوفة الارتباط المختزلة بالمتغيرات بواسطة طريقة المكونات الرئيسة فقد ظهر ان هنالك ستة عوامل رئيسة مؤثرة تمثلها عدد القيم القاعدية التي هي أكبر من واحد كما في الجدول رقم (١).

جدول رقم (١)

القيم القاعدية ونسب التباين للعوامل

العوامل	القيم القاعدية	نسبة تباين العوامل	النسبة التراكمية
١	٣,٣٤١	١٥,١٨٥	١٥,١٨٥
٢	٣,٠٠٥	١٣,٦٥٨	٢٨,٨٤٣
٣	٢,٤٨١	١١,٢٧٨	٤٠,١٢١
٤	٢,٠٦٥	٩,٣٨٥	٤٩,٥٠٦
٥	١,٨٤٠	٨,٣٦٥	٥٧,٨٧١
٦	١,٦٢٦	٧,٣٩١	٦٥,٢٦٢

وعلى الرغم من ان هذه العوامل المستخلصة تشكل نسبة مختلفة من التباين لكنها مهمة في تأشير المتغيرات المؤثرة. ولغرض معرفة هذه العوامل والمتغيرات المؤثرة فيها وتقييم هذه المتغيرات من خلال درجة تحميلاتها في كل عامل، سوف يتم تفسير كل عامل من هذه العوامل من خلال مصفوفة تحميلات العوامل المدورة كما في الجدول رقم (٢).

جدول رقم (٢)

مصفوفة تحميلات العوامل المدورة

المتغير	العامل					
	١	٢	٣	٤	٥	٦
x٤	.٤٢٦	.٦٦٠	-.٠٣٠	.٠٦٦	.١٤٨	.٠١٦
x٥	.٢١٦	.٧٧٦	.٠٠١	.٠٧١	.٠١٦	.٠٨٢
x٦	.٠٥٩	.٨٥٦	.١٨٠	.٠٥٠	.٠٥٧	-.٠١٥
x٧	.٠٥٢	.٨٢٧	.١٦٩	.١٠٠	-.٠٦٠	.١٣٩
x٨	.٤٦٨	.١٨٤	.١٠٤	.٤١٢	-.٠٣٦	-.٣٨٥
x٩	.٧٣٤	.٢٨٣	.٠٦٤	-.٠٧١	.٠٢٤	.٠٠٥
x١٠	.٧٣٥	.٢٨٧	.١٠٠	-.٠٨٢	.٠٨٨	-.٠٤٩
x١١	.٢١٨	.٠٩٠	-.٠٤٤	.٦٧٤	.١٩٨	-.٢٧٩
x١٢	.٦٧٦	.٢٠٢	.٢٥٩	.٠١٤	.١٠٦	-.٠١٣
x١٣	.١٧٠	.٤٤١	.١٥٠	-.٢٨٩	.٢٩٩	.٣٧٦
x١٤	-.٠٩٢	.١٣٣	.٠٦٤	.٦٢٦	.٣٤٧	.٢٥٩
x١٥	.٣٩١	.١٢٧	.١٤١	-.٠٩٧	.١٩٤	.٦٥٢
x١٦	.٠١٨	.٠٠٩	.١٢٨	.٨١٨	.٠٦٩	.٠٩١
x١٧	.٠٠٢	.١٥٣	.٢٦٨	.١٦٨	-.١٤٨	.٧٥٥
x١٨	.٧٥٧	-.١٢٩	.١٧٧	.١٧١	.١٤٩	.١٤٨
x١٩	.٦٤٣	.٠٤١	.١٢٥	.١٤٨	-.٠٠٢	.٢٣٥
x٢٠	.١٥٣	.٠٥٨	.٠٩٦	.١٢٧	.٨٨٩	-.٠٢٨
x٢١	.٠٩٧	.٠٣٥	.١٧٨	.٣٨١	.٧٦٤	.٠٤٠
x٢٢	.١٠٦	.٠٨٢	.٦٧١	.٠٦٠	.٠٥٢	.٢١٧
x٢٣	.٠٩٤	.٠٥٧	.٧٨٠	.٠٨٦	-.٠٤٣	.١٥٤
x٢٤	.١٣٥	.٠٩٤	.٧٣١	.٠٢٥	.٢٦٩	-.٠٧٥
x٢٥	.٢٣٦	.١٠١	.٧١٥	.٠٠٨	.٠٦٤	.٠٦٠

العامل الاول

يعد هذا العامل من العوامل الرئيسة التي تساهم في بيان دور المبلّغ الديني في بث التعاليم الدينية بين الزائرين خلال زيارة الأربعين حيث انه يقوم بتفسير(١٨٥ , ١٥) من التباين الكلي ويطلق على هذا العامل عامل (دور المبلّغ الديني في التأثير بالمجتمع) الذي يؤثر بشكل مباشر، ومن الممكن ملاحظة المتغير (كسب مودة الناس) الذي يظهر بتشبع عالي (٠,٧٥٧) مما يؤكد على علاقته القوية بعامل (دور المبلّغ الديني في التأثير بالمجتمع) أي كلما كان المبلّغ قادراً على كسب مودة الناس ادى ذلك الى نجاح دوره في التأثير بالمجتمع وبالتالي بث التعاليم الدينية. اما بالنسبة للمتغير (وسائل التواصل الاجتماعي) الذي يظهر بتشبع مقداره (٠,٧٣٤) فهو يؤكد على علاقته بعامل (دور المبلّغ الديني في التأثير بالمجتمع) حيث يظهر ان هنالك الكثير من الناس تستخدم وسائل التواصل الاجتماعي (مواقع المراجع أو رجال الدين الفضلاء) للحصول على الاجابة عن تساؤلاتها.

اما بالنسبة للمتغير (اهتمامه بالأحداث الآنية) الذي يظهر بتشبع مقداره (٠,٦٧٦) حيث يظهر انه كلما كان المبلّغ يهتم بالأحداث الآنية التي يتعرض لها المجتمع أثر ذلك في نجاحه في عمله التبليغي.

اما بالنسبة للمتغير (اتباع اساليب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر) الذي يظهر بتشبع مقداره (٠,٦٤٣) نجد ان له علاقة بعامل (دور المبلّغ الديني في التأثير بالمجتمع) حيث نجد ان المبلّغ الديني باتباعه لهذا الاسلوب سيكون له دور في التأثير في المجتمع وبالتالي بث التعاليم الدينية بين الناس.

العامل الثاني

يفسر هذا العامل (١٣,٦٥٨) من التباين الكلي ويأتي بالمرتبة الثانية من حيث الاهمية النسبية ويشمل كل من المتغيرات: مراعاة المستوى المعرفي للمتلقين وبتشبع مقداره (٠,٨٥٦)، والمتغير: مدى حب الناس له وبتشبع مقداره (٠,٨٢٧)، ويمكن أن يطلق عليه عامل (شخصية المبلّغ وقوة تأثيره) والذي يؤثر بشكل مباشر وغير مباشر في بيان دور المبلّغ الديني في بث التعاليم الدينية بين الزائرين خلال زيارة الأربعين حيث أن لشخصية المبلّغ العلمية والعملية دوراً في قوة التأثير على المتلقي وبالتالي بث التعاليم الدينية بين أفراد المجتمع بصورة عامة والزائرين بشكل خاص.

العامل الثالث

يفسر هذا العامل (١١,٢٧٨) من التباين الكلي ويأتي بالمرتبة الثالثة من حيث الاهمية النسبية ويشمل كلاً من المتغيرات: التركيز على فئة الشباب وبتشبع مقداره (٠,٧٨٠)، والمتغير: اتباع اسلوب التوجيه والارشاد وبتشبع مقداره (٠,٧٣١)، ويمكن أن يطلق عليه عامل (رؤية المبلغ) والذي يؤثر بشكل مباشر وغير مباشر في بيان دور المبلّغ الديني في بث التعاليم الدينية بين الزائرين خلال زيارة الأربعين حيث أن لرؤية المبلّغ دوراً من خلال التركيز على

الفئة عمرية اكثر من غيرها وخصوصاً فئة الشباب واتباع اسلوب التوجيه والارشـاد معهم لتحقيق الهدف من عملية التبليغ بشكل عام.

العامل الرابع

يفسر هذا العامل (٩,٣٨٥) من التباين الكلي ويأتي بالمرتبة الرابعة من حيث الاهمية النسبية ويشمل كل من المتغيرات: تعرض المبلّغ للإهانة من قبل بعض الناس وبتشبع مقداره (٠,٨١٨)، والمتغير: اصابته بالإحباط لعدم استجابة الناس له وبتشبع مقداره (٠,٦٧٤)، والمتغير: تصديق الاشاعات التي تثأر حول المبلّغ وبتشبع مقداره (٠,٦٢٦)، ويمكن أن يطلق عليه بعامل (تقييم المجتمع للمبلغ) والذي يؤثر بشكل مباشر وغير مباشر في بيان دور المبلّغ الديني في بث التعاليم الدينية بين الزائرين خلال زيـارة الأربعين حيث يظهر هذا العامل أن المجتمع يرفض ما يثار من اشاعات حول المبلّغ وكذلك يرفض تعرض المبلّغ للإهانة من قبل بعض الافراد مما يؤدي الى عدم احباط المبلّغ والقيام بعمله التبليغي بدافع معنوي عالي من المجتمع.

العامل الخامس

يفسر هذا العامل (٨,٣٦٥) من التباين الكلي ويـأتي بالمرتبة الخامسة من حيث الاهمية النسبية ويشمل كل من المتغيرات: اتباع المبلّغ إسلوب التدرج في ايصال الرسالة التبليغية وبتشبع مقداره (٠,٨٨٩)، والمتغير: معرفة المبلّغ بعدد من اللغات وبتشبع مقداره (٠,٧٦٤)، ويمكن أن يطلق عليه بعامل (اسلوب التبليغ) الذي يؤثر بشكل مباشر وغير مباشر في بيان دور المبلّغ الديني في بث التعاليم الدينية بين الزائرين خلال زيـارة الأربعين حيث يظهر هذا العامل الأسلوب الذي يتبعه المبلّغ الديني كأسلوب التدرج في ايصال الرسالة التبليغية الى أفراد المجتمع بصورة عامة وكذلك مقدار ما يتمتع به من ثقافة عالية ومعرفة بعدد من اللغات التي من خلالها يمكن الاجابة على اسئلة الزائرين وخصوصاً ايام زيارة الأربعين حيث يتوافد الكثير من الزائرين ومن دول مختلفة وبلغات مختلفة.

العامل السادس

يفسر هذا العامل (٧,٣٩١) من التباين الكلي ويـأتي بالمرتبة السادسة من حيث الاهمية النسبية ويشمل كل من المتغيرات اختصاص التبليغ بفئة معيّنة من المجتمع وبتشبع مقداره (٠,٧٥٥)، والمتغير: القنوات الفضائية وبتشبع مقداره (٠,٦٥٢)، ويمكن أن يطلق عليه عامل (اعلام التبليغ) والذي يؤثر بشكل مباشر في بيان دور المبلّغ الديني في بث التعاليم الدينية بين الزائرين خلال زيارة الأربعين حيث يظهر هذا العامل الاهتمام بإرشاد وتوعية أفراد المجتمع وذلك عن طريق وسائل عديدة منها القنوات الفضائية وما تقدمه من برامج موجهة عامة واخـرى خاصة تخص فئة الشباب والجيل الجديد وذلك لما يتعرض له من هجمات فكرية، وفي اثناء زيارة الأربعين تنشط القنوات الفضائية في ذلك من خلال النقل الحي المباشر وبث اللقاءات مع المبلغين.

الفصل الرابع

الاستنتاجات والتوصيات

الاستنتاجات:

١. إن اسلوب التحليل العاملي أظهر مجموعة من العناصر الكامنة التي يصعب الكشف عنها والتي كان لها تأثير مباشر وغير مباشر في بيان دور المبلّغ الديني في بث التعاليم الدينية بين الزائرين خلال زيارة الأربعين.

٢. لخصت طريقة المكونات الاساسية (احد طرق التحليل العاملي)، البيانات الى ستة عوامل رئيسة تفسر (٢٦٢, ٦٥) من نسبة التباين.

٣. أن العامل الرئيس هو العامل الاول والذي يمثل (دور المبلّغ الديني في التأثير بالمجتمع)، أما العامل الثانوي فكان العامل الثاني والذي يعبر عن (شخصية المبلّغ وقوة تأثيره)، حيث كان لهما تأثير مباشر في بيان دور المبلّغ الديني في بث التعاليم الدينية بين الزائرين خلال زيارة الأربعين.

٤. هنالك عوامل اخرى كالعامل الثالث والذي يعبر عن (رؤية المبلغ)، والعامل الرابع ويعبر عن(تقييم المجتمع للمبلغ)، والعامل الخامس ويعبر عن (اسلوب التبليغ) والعامل السادس ويعبر عن (اعلام التبليغ)، كان لكل هذه العوامل تأثير مباشر وغير مباشر في بيان دور المبلّغ الديني في بث التعاليم الدينية بين الزائرين خلال زيارة الأربعين.

التوصيات:

١. اهتمام الجهات المعنية بما تم التوصل اليه من نتائج علمية خلال البحث والتي تخدم العملية التبليغية.

٢. دعم المبلّغ الديني من قبل الجهات المعنية لما يقوم به من دور مهم في توعية المجتمع بصورة عامة والجيل الجديد بشكل خاص.

٣. توفير الوسائل الاعلامية الحديثة التي تساعد في تحقيق الهدف من عملية التبليغ الديني كالقنوات الفضائية وما تقدمه من برامج موجه عامة واخرى خاصة تخص فئة الشباب والجيل الجديد وذلك لما يتعرض له من هجمات فكرية، وفي اثناء زيارة الأربعين يجب أن تنشط هذه القنوات الفضائية من خلال النقل الحي المباشر وبث اللقاءات مع المبلغين والزائرين.

٤. عمل مكتبة الكترونية تحوي بيانات جميع الباحثين للاستفادة منها في البحوث المستقبلية.

الملحق

بسم الله الرحمن الرحيم

أعزاءنا الزائرين

نرجو منكم تعبئة الاستبيان ادناه ليتسنى لنا دراسة دور المبلّغ الديني في بث التعاليم الدينية بين الزائرين خلال زيارة الأربعين، من خلال وضع علامة (√) في المربع المناسب. شاكرين تعاونكم ومقدرين دعمكم من اجل الوصول الى رضاكم.

الباحثة: سمانة عزيز

تدريسية في جامعة كربلاء

١. الجنس: ذكر ☐ انثى ☐

٢. التحصيل العلمي: ابتدائي ☐ اعدادي ☐ جامعي ☐ عليا ☐

٣. هل سبق وان التقيت بأحد المبلغين أو المرشدين الدينيين؟

- نعم ☐ كلا ☐

٤. هل تعتقد بأن التبليغ الديني أمرٌ أساسيٌ هامٌ؟

- موافق بشدة ☐ موافق ☐ محايد ☐ غير موافق ☐ غير موافق بشدة ☐

٥. هل تعتقد بأن التبليغ الديني يجب ان يقوم به شخص معين؟

- موافق بشدة ☐ موافق ☐ محايد ☐ غير موافق ☐ غير موافق بشدة ☐

٦. هل تعتقد بأن على المبلّغ الديني أن يراعي المستوى المعرفي للمتلقين؟

- موافق بشدة ☐ موافق ☐ محايد ☐ غير موافق ☐ غير موافق بشدة ☐

٧. هل استجابة الناس للمبلغ الديني تعتمد على حبهم له؟

- موافق بشدة ☐ موافق ☐ محايد ☐ غير موافق ☐ غير موافق بشدة ☐

٨. هل باعتقادك ان كبار السن اكثر استجابة للتبليغ من الشباب؟

- موافق بشدة ☐ موافق ☐ محايد ☐ غير موافق ☐ غير موافق بشدة ☐

٩. هل تعتقد بان وسائل التواصل الاجتماعي لها دور في بث التعاليم الدينية القيمة؟

- موافق بشدة ☐ موافق ☐ محايد ☐ غير موافق ☐ غير موافق بشدة ☐

١٠. هل المبلّغ الديني له دور في التأثير في المجتمع؟

- موافق بشدة ☐ موافق ☐ محايد ☐ غير موافق ☐ غير موافق بشدة ☐

١١. هل يصاب المبلّغ الديني بالإحباط لعدم استجابة الناس له؟

- موافق بشدة ☐ موافق ☐ محايد ☐ غير موافق ☐ غير موافق بشدة ☐

١٢. هل على المبلّغ الديني الاهتمام بالأحداث الآنية وبيان احكامها الشرعية؟

- موافق بشدة ☐ موافق ☐ محايد ☐ غير موافق ☐ غير موافق بشدة ☐

١٣. هل تعتقد بان الناس يهتمون بالإصغاء لما يطرحه المبلّغ الديني؟

- موافق بشدة ☐ موافق ☐ محايد ☐ غير موافق ☐ غير موافق بشدة ☐

١٤. هل تصدق بما يثار من اشاعات حول المبلّغ الديني؟

- موافق بشدة ☐ موافق ☐ محايد ☐ غير موافق ☐ غير موافق بشدة ☐

١٥. هنالك قنوات فضائية دينية تهدف الى ارشاد وتوعية الجيل الجديد، هل تعتقد بأنهم يستجيبون لذلك؟

- موافق بشدة ☐ موافق ☐ محايد ☐ غير موافق ☐ غير موافق بشدة ☐

١٦. هل يتعرض المبلّغ الديني للإهانة من قبل بعض الناس؟

• موافق بشدة☐ موافق☐ محايد☐ غير موافق☐ غير موافق بشدة☐

١٧. هل يخص التبليغ الديني فئة او طائفة معيّنة في المجتمع؟

• موافق بشدة☐ موافق☐ محايد☐ غير موافق☐ غير موافق بشدة☐

١٨. هل تعتقد بان كسب مودة الناس عامل من عوامل نجاح المبلّغ الديني؟

• موافق بشدة☐ موافق☐ محايد☐ غير موافق☐ غير موافق بشدة☐

١٩. هل اتباع اساليب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يساعد في نجاح رسالة التبليغ؟

• موافق بشدة☐ موافق☐ محايد☐ غير موافق☐ غير موافق بشدة☐

٢٠. هل باعتقادك ان على المبلّغ الديني اتباع اسلوب التدرج لإيصال الرسالة التبليغية؟

• موافق بشدة☐ موافق☐ محايد☐ غير موافق☐ غير موافق بشدة☐

٢١. هل ثقافة المبلّغ الديني ومعرفته لبعض اللغات عامل أساسيٌ في نجاح عمله التبليغي؟

• موافق بشدة☐ موافق☐ محايد☐ غير موافق☐ غير موافق بشدة☐

٢٢. هل هنالك عدد كافي من المبلّغين الدينيين لتغطية طريق الزائرين؟

• موافق بشدة☐ موافق☐ محايد☐ غير موافق☐ غير موافق بشدة☐

٢٣. هل باعتقادك ان المبلّغ الديني يركز على فئة الشباب اكثر من باقي الفئات؟

• موافق بشدة☐ موافق☐ محايد☐ غير موافق☐ غير موافق بشدة☐

٢٤. هل تعتقد ان تعصب المبلّغ الديني في التوجيه والإرشاد ينفر المتلقي؟

• موافق بشدة☐ موافق☐ محايد☐ غير موافق☐ غير موافق بشدة☐

٢٥. هل تعتقد بان المبلّغ الديني يحقق هدفه من خلال عملية التبليغ؟

• موافق بشدة☐ موافق☐ محايد☐ غير موافق☐ غير موافق بشدة☐

ملاحظات:

.....
.....
.....
.....
.....
.....

الهوامش

(١) سورة فاطر، الآية: ٢٤.

(٢) انظر: الشامي: معجم الاسامي: ص٧٥.

(٣) انظر: م. نون: التبليغ الديني مفهومه، مضمونه، أساليبه: ص١٨.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٥) انظر: النابلسي: حاجة المبلّغين: ص٦-٨.

(٦) انظر: الفضلي وآخرون: التبليغ الديني على الضوء الكتاب والسُّنة: ص١٨، ص٤٩-٥٠.

(٧) انظر: الري شهري: التبليغ في الكتاب والسُّنة: ص١٥.

(٨) سورة نوح، الآية: ٥.

(٩) سورة الجن، الآية: ٢.

(١٠) سورة الاسراء، الآية: ١٠٥.

(١١) سورة الاحزاب، الآية: ٣٩.

(١٢)انظر: م. نون: التبليغ الديني مفهومه، مضمونه، أساليبه: ص١٩.

(١٣)انظر: المصدر السابق: ص٢٠-٢٣.

(١٤)انظر: م. نون: التبليغ الديني مفهومه، مضمونه، أساليبه: ص٢٤،٢٢.

(١٥)سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

(١٦)انظر: الفضلي وآخرون: التبليغ الديني على الضوء الكتاب والسنة: ص٢٢-٢٣.

(١٧)سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(١٨)سورة النحل، الآية: ٣٩.

(١٩)سورة المؤمنون، الآية: ١١٥.

(٢٠)سورة الانفال، الآية: ٢٤.

(٢١)سورة الاحزاب، الآية: ٤٥-٤٦.

(٢٢)انظر: م. نون: التبليغ الديني مفهومه، مضمونه، أساليبه: ص٣٩-٤٠.

(٢٣)انظر: الفضلي وآخرون: التبليغ الديني على الضوء الكتاب والسنة: ص٢٢.

(٢٤) انظر: الحكيم: التبليغ الهادف.. الدوافع والاساليب والتحديات: ص ٥١.

(٢٥)انظر: الري شهري: التبليغ في الكتاب والسنة: ص١٩.

(٢٦) انظر: م. نون: التبليغ الديني مفهومه، مضمونه، أساليبه: ص٦١.

(٢٧) انظر: م. نون: التبليغ الديني مفهومه، مضمونه، أساليبه: ص٦٤.

(٢٨)انظر: المصدر السابق: ص٦٥-٦٨.

(٢٩)انظر: م. نون: التبليغ الديني مفهومه، مضمونه، أساليبه: ص٧٤.

(٣٠)انظر: الري شهري: التبليغ في الكتاب والسنة: ص٢٠-٢١.

(٣١)انظر: المصدر السابق: ص٢١-٢٢.

(٣٢) انظر: م. نون: التبليغ الديني مفهومه، مضمونه، أساليبه: ص٧٣-٨٩.

(٣٣) انظر: الحكيم: التبليغ الهادف.. الدوافع والاساليب والتحديات: ص ٥٧-٥٨.

(٣٤)انظر: الحكيم: التبليغ الهادف.. الدوافع والاساليب والتحديات: ص ٦٢.

(٣٥)انظر: الساعدي: دراسة احصائية لبيان أهم العوامل المؤثرة للإصابة بمرض الربو عند الاطفال: ص٤-٩.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. الحكيم: رياض، التبليغ الهادف-الدوافع والأساليب والتحديات، مجلة الإصلاح الحسيني، العدد ٧، السنة ٢، ٢٠١٤م-١٤٣٥هـ.

٢. الري شهري: محمد، التبليغ في الكتاب والسنة، ط/ ٢، دار الحديث للطباعة والنشر، قم المقدسة، ١٣٨٥هـ.

٣. الساعدي: سهانة، دراسة احصائية لبيان أهم العوامل المؤثرة للإصابة بمرض الربو عند الاطفال، مجلة كلية الادارة والاقتصاد/ الجامعة المستنصرية.

٤. الشامي: يحيى، معجم الأسامي، ط/ ١، دار المحجة البيضاء، لبنان، ٢٠٠٢م-١٤٢٣هـ.

٥. الفضلي: عبد الهادي، بدوي: إبراهيم، الحائري: أيوب، التبليغ الديني على ضوء الكتاب والسنة، ط/ ١، دار الولاء للنشر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م-١٤٢٨هـ.

٦. النابلسي: عفيف، حاجة المبلغين، ط/ ١، دار الهادي للنشر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥م- ١٤٢٦هـ.

٧. مركز نون للتأليف والترجمة، التبليغ الديني مفهومه، مضمونه، أساليبه، ط/ ٢، جمعية المعارف الاسلامية والثقافية للنشر، ٢٠١١م-١٤٣٥هـ.

٨. برنامج SPSS.

زيارة الأربعين إثبات للتوحيد ونفي للشرك

الباحثة أزهار جبر هادي

العتبة العلوية المقدسة – النجف الاشرف

الملخص

من نعم الله الكبرى على امتنا الإسلامية وعلى إتباع أهل البيت ومحبيهم عليهم السلام تحديدا هو وجود أهل البيت عليهم السلام في حياتنا، ومن هذا الوجود المشع بالخير واليمن والبركة ما يكمن في زيارة مراقدهم المقدسة، وبخاصة زيارة سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام التي ركز عليها جميع أهل البيت عليهم السلام وأولوها عناية فائقة للغاية، والحديث عن هذا الجانب من الوضوح بمكان عظيم، ومن بين هذه الزيارات الحافلة بالمعطيات والمرتكزات هي (زيارة الأربعين المباركة) التي هي بصدد دراستنا، فقد حفلت هذه الزيارة بعناصر عقائدية وفكرية وأخلاقية في منتهى الفاعلية، ولم تقتصر آثارها على شريحة محددة، لا من حيث العمر ولا من حيث الجنس، ولا من حيث المستوى الثقافي، فالكل متاح له أن يتربى على مبادئها صغارا وكبارا، رجالا ونساء. ومع ذلك فتوجد هناك شبهات حول زيارة المؤمنين للإمام الحسين عليه السلام ولا سيما في يوم الأربعين، فهناك الأصوات الناصبيه، التي تكيل التهم والإشكالات على هذه الزيارة الشريفة وتكفير أصحابها بل وزج الشباب المسلم المغرر بهم جهلا إلى تفجير أنفسهم بين صفوفها تقربا إلى الله ورسوله، ويبقى السؤال عن امر الإرهاب من أين أتى، هل من الإسلام المحمدي؟ أم من الكفر والنفاق الأموي؟

وعلى أساس ذلك جاء هذا البحث حول الأربعين والذي أسميته: (زيارة الأربعين إثبات للتوحيد ونفي للشرك) واقتضت طبيعة الدراسة ان تقسم على مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وقائمة المصادر والمراجع. اشتمل المبحث الأول على ثلاث مطالب، كرس المطلب الأول لتعريف زيارة الأربعين في اللغة والاصطلاح، وذكرت في المبحث الثاني استحباب زيارة القبور بصورة عامة و زيارة الإمام الحسين عليه السلام في الأربعين بصورة خاصة مع ذكر الرويات الدالة على ذلك، اما المطلب الثالث فكان لإثبات ان زيارة الأربعين شعيرة من شعائر الله فضلا عن تعريف الشعيرة في اللغة والاصطلاح، اما المبحث الثاني فكان عن دور زيارة الأربعين في إثبات التوحيد ونفي الشرك ويحتوي على ثلاث مطالب، الأول كان لتعريف التوحيد والشرك لغة واصطلاحا، والثاني عن زيارة الأربعين وإنها امتداد للتوحيد، اما المطلب الثالث فتناولت فيه دور زيارة الأربعين في نفي الشرك.

وقد اعتمدت في بحثي هذا على مجموعة من المصادر والمراجع والتي من أبرزها مؤلفات الشيخ محمد السند الخاصة بالشعائر الحسينية، ومحمد باقر ألمجلسي وكتاب بحار الأنوار، وكتاب كامل الزيارات لابن قولوية، وكتاب الخصائص الحسينية لجعفر ألتستري، فضلا عن كتب العلامة جعفر السبحاني وهي مفاهيم القرآن، ومباحث قرآنية في التوحيد والشرك، وكتاب دروس العقيدة الإسلامية لمحمد تقي مصباح اليزدي.

Arbaeen Pilgrimage is a Proof of Unification and Denial to Atheism

Researcher: Azahar Jabr Hadi

The holy shrine of Imam Ali "pbuh"

Abstract

One of Allah's blessings to the Islamic nation is the presence of Ah-l al-Bayt "peace be upon them all" in our lives. From this presence radiating with good and blesses, is what lies in the pilgrimage to their holy shrines, especially to the master of martyrs Abu Abdullah al-Hussein "pbuh", which all of Ahl al-Bayt have stressed on practicing it.

Among these pilgrimages full with basics and outcomes, is the Arbaeen pilgrimage that will be studied in this research. This pilgrimage is filled with ideological, intellectual and moral elements in the most effective manner, and its effects are not limited to a specific segment in terms of age, gender or the educational level, as everyone of all ages is welcome to grow on its principles despite the Nasibi (Hostile) voices, that aim to spread rumors about the Arbaeen, and even to drive the ignorant youth to blow themselves up among ranks of pilgrims as a sacrifice to Allah and his Messenger, which present the ultimate question about the terrorism issue, is it from the true Muhammad's Islam? Or from the Umayyad's disbelief and hypocrisy?

On the basis, this research on the Arbaeen has come, which I named it : (Arbaeen Pilgrimage is a Proof of Unification and Denial to Atheism), where the nature of the study required to be divided into an introduction, two chapters, a conclusion, and a list of sources and references.

The first chapter deals with the definition of the Arbaeen pilgrimage visit in the language and terminology. While the second and third chapters will deal with the role of Arbaeen in the unification and the denial to Atheism.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعترته الطاهرين الميامين، وصحبه المنتجبين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين، من الآن إلى يوم الدين وبعد:

من نعم الله الكبرى على امتنا الإسلامية وعلى أتباع أهل البيت عليهم السلام ومحبيهم تحديداً هو وجود أهل البيت عليهم السلام في حياتنا، ومن هذا الوجود المشع بالخير واليمن والبركة ما يكمن في زيارة مراقدهم المقدسة، وبخاصة زيارة سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام التي ركز عليها جميع أهل البيت عليهم السلام وأولوها عناية فائقة للغاية، والحديث عن هذا الجانب من الوضوح بمكان عظيم، ومن بين هذه الزيارات الحافلة بالمعطيات والمرتكزات هي (زيارة الأربعين المباركة) التي نحن بصدد دراستها، فقد حفلت هذه الزيارة بعناصر عقائدية وفكرية وأخلاقية في منتهى الفاعلية، ولم تقتصر آثارها على شريحة محددة، لا من حيث العمر ولا من حيث الجنس، ولا من حيث المستوى الثقافي، فالكل متاح له أن يتربى على مبادئها صغاراً وكباراً، رجالاً ونساءً. ومع ذلك فتوجد هناك شبهات حول زيارة المؤمنين للإمام الحسين عليه السلام ولا سيما في يوم الأربعين، فهناك الأصوات الناصبية التي تكيل التهم والإشكالات على هذه الزيارة الشريفة وتكفير أصحابها بل وزج الشباب المسلم المغرر بهم جهلاً إلى تفجير أنفسهم بين صفوفها تقرباً إلى الله ورسوله، ويبقى السؤال عن امر الإرهاب من أين أتى، هل من الإسلام المحمدي؟ أم من الكفر والنفاق الأموي؟

وعلى أساس ذلك جاء هذا البحث حول الأربعين الذي أسميته: (زيارة الأربعين إثبات للتوحيد ونفي للشرك) واقتضت طبيعة الدراسة ان تقسم الى: مقدمة، وخاتمة، ومبحثين، وقائمة المصادر والمراجع. اشتمل المبحث الأول على ثلاث مطالب، كرس المطلب الأول لتعريف زيارة الأربعين في اللغة والاصطلاح، وذكرت في المبحث الثاني استحباب زيارة القبور بصورة عامة وزيارة الإمام الحسين عليه السلام في الأربعين بصورة خاصة مع ذكر الروايات الدالة على ذلك، اما المطلب الثالث فكان لإثبات ان زيارة الأربعين شعيرة من شعائر الله فضلاً عن تعريف الشعيرة في اللغة والاصطلاح، اما المبحث الثاني فكان عن دور زيارة الأربعين في إثبات التوحيد ونفي الشرك ويحتوي على ثلاث مطالب، الأول كان لتعريف التوحيد والشرك لغة واصطلاحاً، والثاني عن زيارة الأربعين وإنها امتداد للتوحيد، اما المطلب الثالث فتناولت فيه دور زيارة الأربعين في نفي الشرك.

وقد اعتمدت في بحثي هذا على مجموعة من المصادر والمراجع التي من أبرزها مؤلفات الشيخ محمد السند الخاصة بالشعائر الحسينية، وكتاب بحار الأنوار لمحمد باقر المجلسي، وكتاب كامل الزيارات لابن قولويه، وكتاب الخصائص الحسينية لجعفر التستري، فضلاً عن كتب العلامة جعفر السبحاني وهي مفاهيم القرآن، ومباحث قرآنية في التوحيد والشرك، وكتاب دروس العقيدة الإسلامية لمحمد تقي مصباح اليزدي.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

المبحث الأول

شعيرة زيارة الأربعين في الروايات الشريفة

المطلب الأول: زيارة الأربعين والشعيرة لغة واصطلاحاً:

الزيارة في اللغة: من مجموع كلمات اللغويين والمفسرين تحصل أن الزيارة هي القصد والملاقاة.

زور، زاره، زيارة، وزورا، قصده فهوا زائر و(زور) وقوم (زور) وزاور مثل سافر وسفر وسفارة ونسوه (زور) أيضاً و(زور) وزائرات والمزار يكون مصدراً وموضع (الزيارة) و(الزيارة) في العرف قصد المزار إكراماً له واستئناساً به[١].

كما ذكر ابن منظور في كتابه لسان العرب (تزاوروا): زار بعضهم بعضاً. والتزوي: كرامة الزائر وإكرام المزور للزائر، والتزوير: أن يكرم المزور زائره ويعرف له حق زيارته[٢]. والزور(الزائر) وهو الذي يزورك: يقال رجل زور، وفي الحديث إن لزوارك عليك حقا، وهو في الأصل مصدر، وضع الاسم كصوم ونوم، بمعنى صائم ونائم[٣].

وأما المعنى الاصطلاحي للزيارة فأنه لا يكاد يخرج عن المعنى اللغوي وان كان المتبادر هو زيارة القبور غالبا[٤].

إن ظاهرة زيارة القبور والاهتمام بالموتى من الظواهر المتكررة في تاريخ المجتمعات البشرية والمتتبع لها سيجد أنها لا تختص بالمجتمع الديني ولا بالمسلمين، بل هي موضع اهتمام على اختلاف مشاريعها ومعتقداتها[٥]. وسنتحدث عن هذا الموضوع في المباحث اللاحقة. تعد الزيارات بصورة عامة واحدة من أهم الوسائل في إحياء الدين في النفوس وأبرز مظاهر شعائره هي زيارة الشخصيات الفذة التي أسست هذا الدين وحفظته وفدت أرواحها وأموالها من اجل عزته ومن بين هذه الشخصيات العظيمة الإمام الحسين عليه السلام. أما ما يخص بحثنا هو زيارة الأربعين التي هي عبارة عن مهرجان إلهي تعبوي يتم فيه نوع من دخول البشر إلى النور، وبالتالي يدربون على التضحية في سبيل القيم والمبادئ ومن ثم رفع معدن الذات والطينة الإنسانية[٦].

إن يوم الأربعين هو ذكرى رجوع الرأس الشريف من الشام إلى العراق، ودفنه مع الجسد الطاهر في هذا اليوم، وما مسير المؤمنين اليوم وبأعداد مليونية إلى كربلاء مشاة ومن جميع أنحاء العالم إلا تذكرة بمسيرة كربلاء الخالدة، ويسمى هذا اليوم في العراق (مرد الرأس) وهو العشرين من صفر [٧]. ومرد الرأس كما صرح به الكثير من العلماء: هو اليوم الذي رد رأس الحسين إلى جثته حتى دفن مع جثته[٨].

إن العشرين من صفر هو يوم الأربعين وهو موضع وفاق الجميع، إلا ما ذكره الشيخ البهائي في كتابه توضيح المقاصد، فأنه جعل يوم التاسع عشر من صفر يوم الأربعين، وهو المتفرد في قوله، وذلك الاختلاف ناشئ عن احتساب يوم عاشوراء أو عدمه، والظاهر عدم احتسابه، لان المقصود مضي ذلك المقدار من بعد الشهادة فيكون يوم الحادي عشر من محرم مضي يوم عنها وهكذا[٩].

وقال السيد ابن طاووس «فإن قيل: كيف يكون العشرين من صفر يوم الأربعين، إذا كان قتل الحسين صلوات الله عليه يوم عاشر من محرم، فيكون يوم العاشر من جملة الأربعين، فيصير واحد وأربعين» [١٠] فيقال لعل إن الشهر كان ناقصاً، أو يكون تاماً ويكون يوم قتل الإمام عليه السلام غير محسوب لأن قتله كان أواخر النهار، فلم يحسب من العدد.

وبهذه المناسبة تكونت زيارة الأربعين، إذ تفد المواكب العزائية وآلاف الزائرين إلى كربلاء المقدسة يوم العشرين من صفر فأنهم يقومون بدور الاستقبال للإمام السجاد عليه السلام وبنات الرسالة العائدين من الشام ومعهم رأس الحسين عليه السلام وفي الوقت نفسه يجددون الاحتفال بذكرى مرور أربعين يوماً على شهادة الإمام عليه السلام.

ولقد ذكر العلماء والمحدثون جملة من الأدلة والروايات التي تشير إلى استحباب زيارة الحسين عليه السلام بصورة عامة، وزيارة الأربعين بصورة خاصة وذكر البراهين الدالة على مشروعية زيارة الأربعين، ونحاول أن نشير بنحو الإجمال إلى بعضها في المبحث الثاني.

المطلب الثاني: استحباب زيارة الأربعين في الروايات الشريفة

قبل الولوج في هذا المطلب الذي يتحدث عن حقيقة زيارة الأربعين في الروايات الشريفة، وقبل ذكر الروايات الدالة على استحباب زيارة الحسين عليه السلام في يوم الأربعين، سنتحدث عن زيارة القبور بصورة عامة، وعن زيارة الحسين عليه السلام بصورة خاصة.

إن أحد الأمور الأساسية التي أقرها الإسلام بالعقل والنقل، هو وجود الحياة بعد الموت، وان الأرواح تعيش في عالم برزخي بين الدنيا والآخرة، فيه النعم وفيه العذاب. فعن محمد بن مسلم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «الموتى تزورهم؟ قال: نعم، قلت: فيعلمون بنا إذا آتيناهم؟ فقال: إي والله، إنهم ليعلمون بكم، ويستأنسون إليكم» [١١].

دل ذلك على أن هناك باب مفتوح بين الأحياء والأموات، وقد أرشدت الشريعة الناس إلى طرقه، لغايات وأهداف نبيلة وشريفة [١٢].

إن زيارة القبور تنطوي على آثار أخلاقية وتربوية هامة، وتعد من الأمور التي أجمعت الأمة الإسلامية عليها وعلى استحبابها، بلا فرق بين مذاهبها المختلفة، ومارس ذلك كبيرهم وصغيرهم.

تشكل زيارة القبور بصورة عامة وسيلة للاتعاظ والعبرة، حيث يدرك الزائر للقبور بأن مصيره مهما طال فهو الفناء، روي عن الرسول صلى الله عليه وآله: (زوروا القبور فإنها تذكر الموت) [١٣]. كما تساهم في تعميق الاعتقاد باليوم الآخر الذي هو أصل من أصول الدين، روي عن الرسول صلى الله عليه وآله: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها فإنها تذكر الآخرة) [١٤]. وتؤدي زيارة القبور إلى تنمية مشاعر الخير وحب الفضيلة، فأنها تعتبر وسيلة لتربية الإنسان المسلم على أن يكون ذا قصد ايجابي في فعله، هذه بعض الفوائد التي تؤديها زيارة القبور.

أما ما يخص زيارة الحسين فأن الأحاديث والروايات فيها تفوق حد الحصر، والترغيب فيها

لا يضاهيه ملحظ آخر، والله ينظر إلى زوار الحسين، والزائر مستجاب الدعوة، مغفور الذنب، مقضي الحاجة، والزيارة تفرج الهم والحزن، والتوسل عند قبر الحسين يقضي الدين، ويشفي الأمراض، والطريف في زيارة الحسين عليه السلام أنها لا تقتصر على وقت فهو يزار كل يوم، وكل أسبوع، وكل شهر. وقد تقتصر زيارة على زمن معين مخصوص، فيه من الفضيلة ما فيه، وقد تعددت الزيارات المخصوصة للحسين عليه السلام، وان زيارة الإمام عليه السلام ذات اعتبار خاص، ولها آداب مرعية ومراسم معينة، تعرضت لها كتب الأدعية والزيارات[١٥].

لقد تواترت الروايات في فضل زيارة الحسين بن علي عليهما السلام، ومنها على سبيل الإيجاز: روي عن الإمام الباقر عليه السلام «مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين عليه السلام فان إتيانه يزيد في الرزق، ويمد في العمر ويدفع مواقع السوء، وإتيانه مفترض على كل مؤمن يقر له بالإمامة من الله»[١٦]. وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: من أتى قبر أبي عبد الله عليه السلام عارفاً بحقه غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر[١٧].

وعن أم سعيد الأحمسية، عن أبي عبد الله عليه السلام قالت: قال لي: يا أم سعيد تزورين قبر الحسين، قالت: قلت: نعم، فقال لي: زوريه فإن زيارة قبر الحسين واجبة على الرجال والنساء[١٨]. كما ورد في روايات كثير الآثار المترتبة على تارك زيارة الإمام الحسين عليه السلام ويعتبر من الجفاء للحسين عليه السلام، وكذلك ينقص من العمر بنحو لا تخلف فيه[١٩]. وورد في الحديث عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال: من لم يأت قبر الحسين عليه السلام من شيعتنا كان منتقص الإيمان منتقص الدين، وان من دخل الجنة كان دون المؤمنين في الجنة[٢٠]. ويستحب أيضاً زيارة زائر الحسين عليه السلام حين القدوم أو استقباله، فان ذلك مما يحصل به ثواب الزيارة كما دلت عليه الأخبار[٢١]. فقد ذكر بعض المؤلفين من أصحابنا، عن معلى بن خنيس، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إذا انصرف الرجل من إخوانكم من زيارتنا أو زيارة قبورنا فاستقبلوه وسلموا عليه، وهنئوه بما وهب الله له، فأن لكم مثل ثوابه، ويغشاكم ثواب مثل ثوابه من رحمة الله، وأنه ما من رجل يزورنا أو يزور قبورنا الا غشيته الرحمة وغفرت له ذنوبه[٢٢].

ومن نأت داره وبعدت شقته فأنه يزور الإمام الحسين عليه السلام من بعيد، قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا بعدت عليك الشقة ونأت بك الدار فلتعل على أعلى منزلك ولتصل ركعتين، فلتؤم بالسلام إلى قبورنا فان ذلك يصل إلينا[٢٣]. هذا بخصوص زيارة الإمام عليه السلام العامة.

أما زيارة الحسين عليه السلام الخاصة فإن هذه الزيارة تزيد فضيلتها بخصوصية الوقت على أصل الفضيلة المطلقة، وخصوصيتها في زيادة الأجر معلومة، وان لكل واحدة أيضاً أثراً خاصاً وفضيلة خاصة، وقد وردت فيها الأحاديث الكثيرة بحيث يغني الاستشهاد بها عن البحث عن الأسبقية التاريخية وان كانت مهمة في التوثيق التاريخي، مثلا زيارة الحسين عليه السلام في يوم عرفة وليلة عيد الفطر ويومه وليلة عاشوراء ويومها وزيارة الأربعين وليلة عيد الأضحى ويومها وليلة الجمعة ويومها وليلة النصف من شعبان وغيرها من الأوقات التي لم يقدر معها الزائر في الحضور إلى القبر الشريف فيمكن الزيارة

من بعد، كما ذكرنا في بداية المبحث إذ أن المشترك في الزيارة من قرب أو بعد هو القربة إلى الله تعالى، (وسيأتي تفصيله في المطلب الثاني من هذا البحث) ومحبة الحسين عليه السلام لمحبة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، والمواساة لأهل البيت عليهم السلام من خلال زيارة الحسين عليه السلام[٢٤].

لما كان لزيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام ذلك الفضل العظيم والاستحباب الأكيد بل قد يقال بوجوبها الكفائي على الأقل فقد جاءت روايات الأئمة من ولد الحسين عليه السلام لتبين لنا ان هنالك أوقاتاً خاصة، ومن تلك الأوقات زيارته في العشرين من صفر (زيارة الأربعين).

ذكر العلماء والمحدثون جملة من الأدلة والروايات، التي تشير إلى استحباب زيارة الأربعين، منها الدليل الأول رواية الإمام العسكري عليه السلام:

روي عن أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليهما السلام أنه قال: (علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى وخمسين وزيارة الأربعين والتختم في اليمين وتعفير الجبين والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم)[٢٥] أورد بعضهم إشكالا على حمل كلمة (الأربعين) في رواية الإمام الحسن العسكري عليه السلام على خصوص زيارة أربعين مؤمنا، والجواب على هذا الإشكال، إن ما فهمة العلماء في زمن صدور الحديث وما بعده وإلى يومنا هذا إن المراد من زيارة الأربعين خصوص زيارة الحسين عليه السلام، وسار على هذا الفهم عموم شيعة أهل البيت عليهم السلام، وكذلك دخول الألف واللام على كلمة أربعين ولا شك إن المراد من هذه الألف واللام خصوص العهد لا غيرها، وان دخولها على الكلمة تحولها من نكرة إلى معرفة مشخصة معروفة عند المخاطب، ولو كان الغرض هو الإرشاد إلى زيارة أربعين مؤمن لقال الإمام عليه السلام: وزيارة أربعين. أورد المقرم في كتابه مقتل الحسين عليه السلام: (والتصرف في هذه الجملة (زيارة الأربعين) بالحمل على زيارة أربعين مؤمناً التواء في فهم الحديث وتمحل في الاستنتاج يأباه الذوق السليم مع خلوه عن القرينة الدالة عليه)[٢٦].

والحاصل: حيث لا توجد قرينة تدل على إن الأربعين هو أربعون مؤمناً، وحيث ان اللام تفيد العهد، وان السيرة العملية للفقهاء والأعلام والمتدينين يحيون يوم العشرين من صفر وهذه السيرة مرتبطة ومتصلة بعمل الإمام زين العابدين عليه السلام وعقائل الوحي وبعض صحابة النبي صلى الله عليه وآله كجابر، يتضح استحباب ومشروعية زيارة الأربعين الحسينية، ولا يقصد من حديث الإمام العسكري عليه السلام ما توهمه بعضهم[٢٧].

الدليل الثاني رواية صفوان بن مهران الجمال عن الإمام الصادق عليه السلام في زيارة الأربعين تزور عند ارتفاع النهار فتقول: السلام على ولي الله وحبيبه السلام على خليل الله ونجيبه السلام على صفي الله.. إلى نهاية الزيارة، ثم صلّ ركعتي الزيارة وتدعوا بما أحببت[٢٨].

الدليل الثالث هو ما يروى عن جابر وهي انه روى عن عطا قال: كنت مع جابر بن عبد الله الأنصاري يوم العشرين من صفر فلما وصلنا الغاضرية اغتسل في شريعتها ولبس قميصاً كان معه طاهراً، ثم قال

لي: أمعكَ شيء من الطيب يا عطا؟ قلت: سعد فجعل منه على رأسه وسائر جسده ثم مشى حافياً حتى وقف عند رأس الحسين عليه السلام وكبّر ثلاثاً ثم خرَّ مغشياً عليه فلما أفاق سمعته يقول «السلام عليكم يا آل الله السلام عليكم يا صفوة الله السلام عليكم يا خيرة الله من خلقه.... إلى نهاية الزيارة ثم انحنى على القبر ومرغ خديه عليه وصلى أربع ركعات.....» الخ الزيارة [٢٩].

في ضوء ما تقدم، تبين أن أحاديث الأئمة عليهم السلام حثت على زيارة الحسين عليه السلام في يوم الأربعين وجعلتها سنة متبعة.

المطلب الثالث: زيارة الأربعين شعيرة من شعائر الله

ان الحكم الإجمالي للشعائر يتوقف على تحرير معنى الشعيرة او الشعائر في الوضع اللغوي، ولذا يقتضي الأمر قبل الولوج إلى غمار المطلب بيان المراد من مفهوم الشعائر او الشعيرة.

الشعيرة في اللغة: ان لفظ الشعائر او الشعيرة كما وردت في المعاجم اللغوية، كلمة مشتقة من الفعل الثلاثي (شعر)، أورد ابن زكريا في كتابه معجم مقاييس اللغة (شعر) الشين والعين والراء أصلان معروفان، يدل أحدهما على ثبات، والآخر على علم وعلم، فالأول الشعر معروف، والجمع إشعار، وهو جمع الجمع، والواحدة شعيرة، والشعيرة واحدة الشعائر، وهي إعلام الحج وأعماله، ويقال الشعيرة أيضا البدنة تهدى [٣٠].

وقيل شعائر لكل علم مما تعبد به لأن قولهم شعرت به علمته، فلهذا سميت الأعلام التي هي متعبدات الله تعالى شعائر، والمشاعر: مواضع المناسك [٣١].

المشاعر: الطقوس التي تحيا بها الشعيرة أو الشعائر، ومشاعر الحج: المناسك والإعمال التي يتم بها الحج والحواس والأحاسيس، تتولد في النفس تجاه الموجودات والأحداث، واحدها مشعر [٣٢].

من خلال كلام اللغويين، يمكن الخروج بنتيجة، ان مورد استخدام مفردة الشعيرة والشعار هي موارد الإعلام الحسي بمعنى من المعاني الدينية، وان جعلها بعض اللغويين مرتبطة بمناسك الحج خاصة.

أما الشعائر في الاصطلاح: «والشعائر تعني علامات الله وأدلته، وهي تضم عناوين لأحكامه وتعاليمه العامة، وأول ما يلفت النظر في هذه المراسم مناسك الحج التي تذكرنا بالله سبحانه وتعالى» [٣٣].

وقد تضاف الشعائر إلى لفظ الجلالة (الله)، فنقول: (شعائر الله) كما في قوله تعالى: ﴿ذلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللهِ فَإِنَّها مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [٣٤]، وقد تضاف إلى المذاهب، فيقال شعائر المذهب، وتضاف إلى الحسين عليه السلام فتسمى بالشعائر الحسينية، وقد تضاف إلى الدين، فتعرف باسم شعائر الدين أو شعائر الإسلام [٣٥].

أما ما يخص البحث هي الشعائر الحسينية: إن الشعائر الحسينية إحدى الخطوط الهامة التي اعتمدها أهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة عموماً، كما أنها كانت القاعدة الهامة التي يرتكز عليها تحركهم في الأمة، وقد وضع الأئمة عليهم السلام التصميم العام لهذه الشعائر ورسموا لها أبعادها الدينية، بحيث تنسجم

من ناحية الشكل مع ظروف المأساة وأتباع أهل البيت عليهم السلام، ومن ناحية المضمون مع الأبعاد السياسية والروحية والثقافية والعقائدية[٣٦].

إن المراد من الشعائر الحسينية هي تلك العلامات الدالة على قضية الحسين عليه السلام في الجملة، وهذه الشعائر تشترك فيما بينها بدلالات عامة مشتركة كما في اشتراك جميع الشعائر بأنها علامات داله على مظلومية الحسين عليه السلام[٣٧].

ويمكن تقسيم الشعائر الحسينية إلى[٣٨]:

١. القسم الأول: التي وجد فيها نص شرعي وتشمل (الزيارة، المجالس، البكاء، إبراز السواد).
٢. القسم الثاني: التي لم يوجد فيها نص شرعي وتقسم إلى:

أ. ما يكون فيها احتمال الضرر الجسمي وتشمل (اللطم، المشعل، التطبير، الزنجيل).

ب. ما لا يكون فيها احتمال الضرر الجسمي وتشمل (التشبيه والتمثيل، الرايات واللافتات، المواكب).

أما محور البحث فيدور حول هل ان زيارة الأربعين تعتبر شعيرة من شعائر الله:

إن مفردة الشعائر- كما هو واضح قد وردت في آيات عديدة في القرآن الكريم ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعائِرَ اللهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرامَ وَلاَ الْهَدْىَ وَلاَ الْقَلائِدَ وَلاَ آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرامَ﴾[٣٩].

﴿ذلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُماتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾[٤٠]، ﴿ذلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللهِ فَإِنَّها مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[٤١]، ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْناها لَكُمْ مِنْ شَعائِرِ اللهِ لَكُمْ فِيها خَيْرٌ﴾[٤٢]، ﴿إِنَّ الصَّفا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعائِرِ اللهِ﴾[٤٣]، وهناك بعض الآيات التي لم يرد فيها لفظ الشعائر إلا ان بعض العلماء والمفسرين ذهبوا إلى استفادة حكم الشعائر منها، لم نذكرها للاختصار.

أورد الشيخ محمد السند في كتابه ان في بداية كل بحث لا بد ان يعثر الفقيه او المجتهد على أدلة معينة لعنوان البحث، وهذه الأدلة حسب قواعد الفقه والأصول هي: الموضوع، والمحمول، والمتعلق. ومن أوضح الآيات على إثبات المطلوب، ﴿ذلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللهِ فَإِنَّها مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[٤٤] حيث تدل على محبوبية ورجحان التعظيم لشعائر الله حسب التقسيم الثلاثي[٤٥].

حينما نقف على مضامين هذه الآيات القرآنية نجدها تشير وبوضوح إلى استحباب إحياء الشعائر الدينية، والشعائر الدينية: عبارة عن عبادات وسنن وآداب ومراسم، تتشكل من مزيج مكاني وزماني وسلوكي وخطابي، وقيمتها تبرز حين إحيائها، فعدم إحيائها يلغي مبرر وجودها أصلاً، وهذا الإحياء لا يكون عبثاً[٤٦] وكان سياق الحديث في هذه الآيات عن مناسك الحج وأفعاله وما يرتبط به مما جعل بعض علماء السنة يذهب إلى ان الشعائر مختصة ببعض مناسك الحج أو جميعها، ولا تشمل بقية الأبواب الفقهية، ولكن هذا الرأي خطأ، لان مجرد وجود قرينة السياق لا تصلح دليلاً فيما لو وجد ما يعارضها من أدلة واستظهارات، ولذلك ذهب علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام إلى عمومية القاعدة، كالشيخ

الكبير كاشف الغطاء (قدس سره) الذي ذهب إلى ان قبور الأئمة قد شعرت، فهي من الشعائر، فتجري عليها أحكام المساجد[٤٧].

وأورد صاحب المستمسك عند ترجيحه القول باستحباب الشهادة الثالثة قال كما انه لا بأس بالإتيان به بقصد الاستحباب المطلق لما فيه من الاحتجاج، إذا قال أحدكم لا الله إلا الله محمد رسول الله فليقل علي أمير المؤمنين، بل ذلك في هذا الأعصار معدود من شعائر الإيمان ورمز التشيع فيكون من هذه الجهة راجحاً شرعاً بل قد يكون واجباً لا بعنوان الجزئية من الأذان[٤٨].

ان أقوال العلماء تثبت بأن الشعائر لا تختص بمناسك الحج والعبادات وإنما لها شمول لكل الأحكام والأمور الدينية، وان معنى الشعائر ووجودها اتخاذي واعتباري، اي حسب اتخاذ العرف واعتباره، فقبل ان يتواضع عليها العرف والمتشرعة، لا تكون شعيرة ومشاعر بل تتخذ شعيرتها بعد ان تنتشر وتتفشى ويتداول استعمالها، وتصبح بشكل رسمي شعيرة وشعائر[٤٩].

ان الشعائر او المراسم الحسينية من ابرز مصاديق وأفراد وتطبيقات الشعائر الدينية فهي تستمد أساسها الشرعي من الدعامتين الأساسيتين للتشريع، وهما (القرآن والسنة المطهرة) وذكرنا في بداية المطلب الآيات القرآنية التي تتضمن كلمة الشعائر وتأكيد استحبابها وعلى هدي ما تقدم تبين ان الشعائر الحسينية تعد من شعائر الله تعالى، لأنها من الأمور العبادية التي يتقرب بها العبد إلى ربه، وتعد خير وسيلة للتذكير بأوليائه، وامتثالاً لأوامر الله سبحانه وتعالى بحفظ قرابة رسول الله ﷺ ومودتهم، إذ قال تعالى ﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾ ولقد تواترت الأحاديث والروايات الواردة في تفسير هذه الآية ان المقصود من القربى هم أهل البيت عليهم السلام[٥٠].

اما في السنة المطهرة: فتعد السنة النبوية الشريفة المصدر الثاني في التدرج الإسلامي بعد القرآن الكريم (والسنة تعرّف بأنها قول المعصوم أو فعله أو تقريره) فتشمل طريقة الأئمة الاثني عشر.

وجاء على لسان النبي ﷺ، أن أهل البيت هم عدل القرآن، وهم الإدلاء على مرضاة الله والمظهرين لأمره ونهيه[٥١].

ذكر الشيخ كاشف الغطاء: «اما والله لولا تعظيم هذه الشعائر وقيام أعواد المنابر، واستدامة التوجع والتفجع، لانطمست أعلام التشيع»[٥٢].

ومن المعلوم ان مصيبة الإمام الحسين عليه السلام هي من أعظم المصائب على أهل البيت عليهم السلام إذ قال الإمام أبو محمد الحسن المجتبى عليه السلام «لا يوم كيومك يا أبا عبد الله»[٥٣].

ان الشعائر الحسينية لا تعاني من شحة في مجال الغطاء الشرعي والأدلة الدالة على رجحانها ومشروعيتها، وان للنهضة الحسينية أهدافاً وغايات يدركها الباحثون والعلماء وأخرى لم يدركوها بعد، وان المحافظة على تلك الأهداف السامية وإبقاءها خالدة إنما يتحقق في ظل مراسم وطقوس وشعائر مختلفة واعية، ومن أهم هذه الشعائر هي (الزيارة،

وإقامة المأتم، واللطم، ولبس السواد واطعام الطعام)، فهي وسائل لإحياء أمر أهل البيت عليهم السلام كما في الحديث «رحم الله من أحيا أمرنا»(٥٤).

تعد الزيارة من أهم الشعائر الحسينية لما ورد من الحث المؤكد عليها من قبل الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام في مختلف الظروف، ومن هذه الزيارات، زيارة الإمام الحسين عليه السلام يوم الأربعين، وذكرنا سابقاً الأحاديث والروايات الواردة في فضل زيارة الأربعين، وجعلها من علامات المؤمن كما جاء على لسان مولانا الحسن بن علي العسكري(٥٥). وقد أفرد العلامة الحر العاملي في وسائل الشيعة باباً لها أسماه (باب التأكيد على زيارة الحسين عليه السلام يوم الأربعين من مقتله وهو يوم العشرين من صفر)(٥٦).

اما بالنسبة لزيارته عليه السلام مشياً وهو ما يقوم به الموالون لأهل البيت عليهم السلام، وخاصة في الزيارات المخصوصة لأبي عبد الله الحسين عليه السلام كزيارة الأربعين، فقد وردت في ذلك روايات تدل على استحباب هذا العمل، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «يا علي زُرِ الحسين ولا تدعه، قال: قلت: ما لمن أتاه من الثواب؟ قال: من أتاه ماشياً كتب الله له بكل خطوة حسنة ومحا عنه سيئة ورفع له درجه فإذا أتاه وكَّل الله به ملكين يكتبان ما خرج من فيه من خير ولا يكتبان ما يخرج من فيه من سيء ولا غير ذلك، فإذا انصرف ودَّعوه وقالوا: يا ولي الله مغفور لك، أنت من حزب الله وحزب رسوله وحزب أهل بيت رسوله، والله لا ترى النار بعينك أبداً ولا تراك ولا تطعمك أبداً»(٥٧).

إذن إن المشروعية لزيارة الأربعين مستمدة من كلام الأئمة عليهم السلام مباشرة وعليه عمل المشهور من علماء الطائفة، فلماذا يُلام الشيعة على زيارة الحسين عليه السلام وهو سيد الشهداء وأبو الأحرار الذي أنقذ أمته من خطر المحو والزوال؟ في الحقيقة إن الأعداء أجهدوا أنفسهم كثيراً لكي يقفوا سداً منيعاً أمام زيارة الأربعين، وكانت في كل الأدوار معرضة للعدوان، فمن عهد المتوكل العباسي الذي كان يمثل القمة في العدوان، إذ كان يقطع الأيدي والأرجل ويقتل النفس، ثم هدم حرم الإمام الحسين عليه السلام وأغرقه لكي يمحو أثره، إلى رضا خان، إلى صدام اللعين والوهابيين وأمثالهم الذين جاءوا في أدوار مختلفة من التاريخ مستهدفين زيارة الأربعين، فلو كانت هذه الزيارة لا تحمل مضموناً دينياً وثقافياً وسياسياً واجتماعياً لما تعرضت لهذا المقدار من العدوان، ولتُركت كما تُركت الصوفية التي تقيم شعائر معينة، فهم يجلسون في مكان ما ويؤدون طقوسهم المعينة(٥٨).

ولكن بعد عام ٢٠٠٣م اتخذت زيارة الاربعين منحى آخر فقد أقيمت على الطرقات الخدمات التي تجهز الزائرين السائرين إلى كربلاء بما يحتاجونه في مسيرتهم. إن هذه الزيارة تعتبر وسيلة لبناء هوية تشمل جميع الشيعة في العالم، وان الذي يتحمل هذه المشقات والمعاناة وتحمل مصاعب الطريق في أثناء السير إنما في ذلك دلالة على عمق الوازع الديني لدى هؤلاء وإيمانهم بقضيتهم وامتثالهم لما حث عليه الأئمة عليهم السلام في هذا السياق متأملين ان تقضى حوائجهم وان ينالوا الشفاعة.

يرى الباحث انه لا يوجد كلام حول خلود شعائر سيد الشهداء عليه السلام وانها من شعائر الله، وزيارة الأربعين تحديداً لأنها تستمد توهجها من قبسه المقدس، كما صرحت بذلك العشرات بل المئات من الروايات عند الفريقين.

المبحث الثاني:

دور زيارة الأربعين في إثبات التوحيد ونفي للشرك

تحدثنا في المبحث الأول عن تعريف الزيارة والشعيرة في اللغة والاصطلاح، وكذلك ذكرنا استحباب زيارة القبور بصورة مطلقة، واستحباب زيارة الإمام الحسين عليه السلام بصورة خاصة وبالأخص زيارته في يوم الأربعين، وأنها شعيرة من شعائر الله، أما في هذا المبحث سوف نسلط الضوء على تعريف التوحيد والشرك لغة واصطلاحاً وإثبات أن زيارة الأربعين هي امتداد للتوحيد ونفي للشرك. ذلك من الله التوفيق.

يعد التوحيد أساس كل الدعوات الإلهية في طول تاريخ الأنبياء فليس ثمة شك في أن التوحيد هو الأصل الوحيد الذي انطلق منه الرسل لجميع الديانات، والإسلام واحد من هذه الديانات، فكانت حقيقة الإسلام شهادة أن لا الله إلا الله، ونفي أي شريك يحول دون حقيقة هذه الشهادة، ثم إن مسألة التوحيد والشرك من المسائل التي اتفق فيها جميع المسلمين، ولم يختلف في أصولها أحد منهم، فهم يوحدون الله سبحانه من حيث الذات، والفعل، والصفات، والعبادة.

وهذا المبحث يحتوي على المطالب التالية:

- **المطلب الأول**: تعريف التوحيد والشرك لغة واصطلاحاً.
- **المطلب الثاني**: زيارة الأربعين امتداد للتوحيد.
- **المطلب الثالث**: زيارة الأربعين نفي للشرك.

المطلب الأول: تعريف التوحيد والشرك لغة واصطلاحاً

التوحيد لغة: مصدر(وحد)، والوحدة: الانفراد، يقال رأيته وحده، أي منفرداً[٥٩] والواحد اول عدد الحساب، تقول واحد واثنان وثلاثة إلى عشرة فإن زاد قلت أحد عشر يجري أحد مجرى واحد[٦٠].

ذكر العلامة الراغب الأصفهاني، «والواحد في الحقيقة هو الشيء الذي لا جزء له البتة»[٦١].

والتوحيد، هو الإيمان بالله وحده لا شريك له. والله الواحد الأحد، ذو الوحدانية والتوحد، وقيل الواحد هو الذي لا يتجزأ ولا يثنى ولا يقبل الانقسام ولا نظير له ولا مثيل ولا يجمع هذين الوصفيين إلا الله عز وجل[٦٢].

اما التوحيد في الاصطلاح: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: التوحيد ظاهره في باطنه وباطنه في ظاهره موصوف لا يرى وباطنه موجود لا يخفى ويطلب بكل مكان ولم يخل منه مكان طرفة عين، حاضر غير محدود وغائب غير مفقود[٦٣].

كما عرّف التوحيد بأنه «يعني القول بالوحدانية عموماً، وفي الاصطلاح هو القول بوحدانية الله مبدأ الوجود، والاعتقاد بأنه الواحد الأحد من جميع الجهات، من جهة الذات ومن جهة الخلق، وجهة إدارة الوجود وجهة الربوبية والعبادة، وجهة التوسل إليه، وجهات أخرى كثيرة»[٦٤].

ان التوحيد في العبادة وتحطيم أغلال الشرك والوثنية كان من أهم التعاليم السماوية التي تحتل

الصدارة في رسالات الأنبياءعليهم السلام حتى كأن الأنبياء والرسل لم يبعثوا إلا لهدف واحد هو تثبيت دعائم التوحيد ومحاربة الشرك.

قال تعالى ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[٦٥].

التوحيد هو الأصل الأول من أصول الدين عند الشيعة وهم يعتقدون بوجوب توحيد الله تعالى في جميع الجهات، ويشمل على أربعة أقسام: توحيد الذات، والصفات، والأفعال، والعبادة[٦٦].

مما تقدم من كلام اللغويين والمفسرين، إن التوحيد هو الإيمان بالله، فالله في الإسلام واحد أحد فرد صمد، لا شريك له ولا ندَّ، قال تعالى ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ۝١ اللهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ۝٤﴾[٦٧].

الشرك لغة:

قال ابن فارس: الشين والراء والكاف أصلان، أحدهما يدل على اقتران وعدم إفراد...، وهو ان يكون الشيء، بين اثنين لا ينفرد به أحدهما، ويقال شاركت فلاناً في الشيء، إذا صرت شريكه، وأشركت فلاناً أذا جعلته شريكاً لك....، والآخر يدل على امتداد واستقامة[٦٨].

وذكر صاحب كتاب المفردات، الشركة والمشاركة: خلط الملكين، وقيل: هو ان يوجد شيء لإثنين فصاعداً عيناً كان ذلك الشيء أو معنى[٦٩].

وعرَّفه آخرون: الشريك والمشارك، والشرك كالشريك، والجمع إشراك، وشركاء كما يقال شريف وإشراف وشرفاء[٧٠].

مما تقدم تبين إن الشرك يطلق على الإشتراك المطلق، فالشرك في الله بحسب الأصل اللغوي يكون باتخاذ الند معه.

الشرك اصطلاحاً: يرى جملة من علماء الشيعة إن للشرك في المعنى الاصطلاحي عدة معاني بحسب النتيجة التي يوصل اليها الشرك ويقسم إلى الشرك الأكبر والشرك الأصغر، وقسَّمه بعض العلماء إلى أكثر من قسمين.

الشرك ضد التوحيد وهو ان يجعل الإنسان لله نداً في ربوبيته أو إلوهيته أو أسمائه وصفاته.

وأشرك بالله: كفر فهو مشرك ومشركي، والاسم (الشرك) فيهما، والشرك أنواع (شرك الاستقلال، وشرك التبعيض، وشرك التقريب، شرك التقليد، وشرك الأسباب، وشرك الإغراض)[٧١].

ان القرآن الكريم عندما يتحدث عن الشرك لا يصرح ان الخطاب مختص بأولئك المشركين قديماً بل ان الخطاب موجه لنا أيضاً، فإذا بحثنا في القرآن الكريم عن المعنى الدقيق لكلمة (الشرك)، يمكن معرفته من ذات الآيات الكريمة بالإضافة إلى أحاديث أهل البيتعليهم السلام فنصل إلى ان الشرك: هو تقديس غير الله بغير الله[٧٢].

يعتبر الشرك من المصطلحات كثيرة التردد في الشريعة الإسلامية بل حتى في الشرائع الأخرى التي جاء بها الأنبياء.

المطلب الثاني: زيارة الأربعين امتداد للتوحيد

بني الإسلام على كلمتين: «كلمة التوحيد» والشهادة على أنه لا إله الا الله ونفي إلوهية وربوبية كل موجود سواه، و«توحيد الكلمة» والاعتصام بحبل الله المتين والنهي عن التفرق والتشتت وراء مسائل هامشية لا تمس جوهر الإسلام(٧٣). فأن المتدبر في القرآن المجيد عند قراءته للآيات الكريمة يجد وراء كل آية بصيرة نيرة حول التوحيد ورفض الشرك، لذلك فإن مسألة التوحيد ونبذ الشرك من المسائل المهمة التي تعد الهدف الأسمى للأنبياء وكبار المصلحين، فالتوحيد رمز الإسلام وعزته. يعتبر التوحيد (كما ذكرنا في تعريف التوحيد) هو الأصل الأول من أصول الدين عند الشيعة وهم يعتقدون بوجوب توحيد الله تعالى في جميع الجهات، ويشمل على أربعة أقسام: (توحيد الذات، والصفات، والأفعال، والعبادة).

إن المحافظة على إحياء الدين في ضمير الأمة، ولضمان بقائه في المجتمع، إنما يتحقق في ظل مراسم وطقوس مختلفة واعية، ومن أهم المراسم والشعائر هي الشعائر الحسينية التي حافظة وبصورة مباشرة على معالم الدين، فإن الشعائر الحسينية إحدى أهم الأساليب المحفزة للالتزام الديني للأفراد. ان نهضة الإمام الحسين عليه السلام وكما أعلن هو، هي لإبقاء الإسلام وإحياء شعائر الله عز وجل وترسيخها في قلوب الناس فهو الذي رسم قدسية العبادة وقدسية الشهادة في آن واحد، وبهذا كان الإسلام كما يقال محمدي الوجود حسيني البقاء(٧٤).

يقوم الشيعة وبتوجيه من أئمتهم المعصومين بإحياء الشعائر الحسينية عن طريق استخدام أدوات ووسائل تشكل لب الممارسة الإحيائية وهي تتمثل بعدة أمور منها (الزيارة، ومجالس الذكر، والشعر.. وغيرها)، وأهم هذه الأدوات هي الزيارات التي تعد من أهم وسائل إحياء الدين في النفوس وأبرز مظاهر شعائره هي زيارة الشخصيات العظيمة التي أسست هذا الدين وحفظته، والتي تتمحور بشكل عام حول رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام(٧٥) ولولا تلك الزيارات التي تمسك بها شيعة أهل البيت على مر القرون لضاعت معالم كربلاء وأخبار الطف، كما ضيع التاريخ وكتّابه المقربون من السلطات التي حاولت ولا تزال تحاول طمس أي أثر يدل على أهل البيت عليهم السلام وهو ما يمارسه اليوم خوارج هذا العصر الوهابية اللقيطة.

ولكن يمكن أن تحظر شبهة في الذهن، وهي أن التوحيد الكامل إذا كان يستلزم عدم استعانة الإنسان بغير الله، إذن فيلزم علينا أن لا نزور ولا نتوسل بأولياء الله، فالتوسل بهم غير صحيح، وقد رد على هذه الشبهة العلامة اليزدي قائلاً: أن التوسل وزيارة الأولياء إذا كان بمعنى: أن يستجيب الأولياء أنفسهم لهذا المتوسل، وبدون ان يحتاج الى إذن الله ومدده، فأن هذا التوسل لا يتلاءم مع التوحيد بل ينافيه، وأما لو كان التوسل بمعنى: ان الله تعالى جعل الولي وسيلة للتوصل الى رحمة تعالى وقد أمر تعالى الناس ان يتوسلوا بهذا الولي، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٧٦) المائدة: ٣٥. فهذا

التوسل كما انه لا ينافي التوحيد، فأنه يعتبر أيضاً من شؤون التوحيد والعبادة والطاعة إذ أنه يتم بأمر الله تعالى(٧٧).

ذكر الشيخ محمد السند: إن معسكر الأربعين هو عبارة عن تجسيد المجتمع والمدينة الفاضلة، وهذا التجسيد يتجدد في كل عام من قبل المؤمنين، وأحد تفسيرات المدينة الفاضلة التي فسرت من قبل الحكماء وأصحاب العلوم الاجتماعية هي التي لا تحتاج إلى رئيس وموجه، فكأنما البشر فيها قد وصلوا إلى مرحلة البلوغ العقلي والروحي والإداري والعملي، فلا يمكن النظر إلى زيارة الأربعين كطقوس عبادية محضة بقدر ما هو عبادة بناء مجتمع وبناء رؤية ثاقبة للبشرية، ولهذا نرى المؤمن إذا دخل في معسكر هذه الأجواء يعيش حياة هذا المجتمع النوري الفاضل(٧٨).

كذلك في الحج فهو ليس مجرد طواف حول الأحجار، او حلق الرأس والسعي بين جبلين بل هو عمل سياسي أخلاقي اجتماعي اقتصادي ديني، فهو ديني دنيوي مادي معنوي، وان هذه الفوائد العظيمة كلها موجودة في زيارة النبيﷺ لذلك عطفت الروايات الحج على زيارة مرقد الرسولﷺ وذكرت ان ذلك من تمام الحج(٧٩).

من تلك الروايات عن أبي جعفرؑ قال: «إنما أمر الناس ان يأتوا هذه الأحجار فيطوفوا بها ثم يأتونا فيخبرونا بولايتهم ويعرضوا علينا نصرهم»(٨٠).

وإذا ثبت ذلك لرسول الله ولقبره الشريف فأنه يثبت لأهل البيتؑ ولمراقدهم الطاهرة بصورة عامة ولسيد الشهداءؑ بصورة خاصة، إذ هم امتداد لرسول اللهﷺ ولشعاراته وأهدافه، من هنا قال رسول اللهﷺ: «حسين مني وأنا من حسين»(٨١).

يتضح في الحج إظهار للعبودية والتذلل لله سبحانه وتعالى، اذ هي طقوس عبادية شرعية من صلاة ودعاء وذكر وقراءة قرآن، فإن حال الزائر في زيارة الإمام الحسينؑ في الأربعين لا يخلا من أحد هذه الأمور(٨٢).

فمن سار على درب الحسينؑ ونهج نهجه فقد سار في درب رسول اللهﷺ، فأنهما على طريق واحد، ولا يوجد طريقان مختلفان بل هو صراط واحد مستقيم، والصراط المستقيم لا يمكن ان يتعدد.

ان الأبعاد العقائدية لزيارة الحسينؑ في الأربعين، تتجسد في نواحي مختلفة من الزيارة، فتارة بالنظر إلى مقدمات الزيارة من الاستعداد النفسي والاغتسال ولبس اطهر الثياب، والوصول إلى محل الزيارة بهيبة وخشوع، فأن في تلك الخطوات التقرب الى محال ذكر الله تعالى والذي هو تقرب الى الله تعالى بزيارة أولياء الله وفي هذا تقوية لدعائم الإيمان بالله تعالى والإيمان بالرسل والأنبياء، وتارة أخرى بالنظر إلى فحوى الزيارة التي تشمل على فصول الشهادة بالوحدانية للباري عز وجل(٨٣).

ومن الفوائد الدينية والعقائدية في زيارة الأربعين:

١. يقول الإمام الرضاؑ: «كمال الدين ولايتنا والبراءة من عدونا»(٨٤)، فأن الولاية والبراءة يعتبر من أهم فروع الدين، وهو مشتق من الإمامة التي هي أصل من أصول الدين(٨٥).

فأن تأكيد مبدأ الولاية والبراءة يتجسد في زيارة الأربعين، فالزائر يمشي إلى الحسين عليه السلام ولسانه يلهج في زيارته (إني سلمٌ لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم).

٢. ومن المواقف الدينية والعقائدية في زيارة الأربعين هو التسليم والطاعة لأهل البيت عليهم السلام مستجيبين بذلك الى نداء الله عز وجل حيث يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[٨٦] النساء: ٥٩. ولا شك بأن زائر الإمام الحسين عليه السلام يعيش كل هذه المفاهيم العقائدية والدينية المهمة التي نحتاجها في حياتنا اليومية[٨٧].

٣. وكذلك فإن هذه الملايين الزاحفة نحو الحسين عليه السلام ستنتهي وتقف أمام قبره الشريف وتقرأ في زيارته، «أشهد أنك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة....»[٨٨].

ومثل هذه الشهادة هي تأكيد لمبدأ العصمة التي تحدث عنها القرآن حول أهل البيت عليهم السلام في آية التطهير حيث يقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ الاحزاب: ٣٣[٨٩]. وهذا الأمر دين وعقيدة، وان القول بعصمة الحسين عليه السلام هو إيمان بقول الرسول صلى الله عليه وآله «الحسن والحسين عليهما السلام إمامان قاما أو قعدا»[٩٠] ويعتبر هذا الحديث هو الرد على الأقلام المشبوهة التي تسيء إلى الإمام عليه السلام ونهضته[٩١].

٤. ان زيارة الأربعين المليونية السنوية للحسين عليه السلام تؤكد الهوية الإسلامية الحقة على وفق عقيدة أهل البيت عليهم السلام، لا سيما بعد أن شوهت صورة الإسلام المحمدي الجميل بأعمال القتل والإرهاب والتفجير والاتجار باسم الدين ونصرة سيد المرسلين، حتى وصل بنا الأمر إلى درجة صار العالم ينظر إلى إسلامنا على انه دين إرهابي، داعي للقتل وتقطيع الأوصال، فلا بد من استبدال هذه الصورة بصورة الإسلام الرحيم العطوف البر الوصول، وهنا يأتي عمل وجهد الموالين لأهل البيت عليهم السلام والسائرين على دربهم ليؤكدوا للعالم إن الإسلام الأصيل عندنا، لأننا ننتمي الى أئمة طاهرين، لأننا ننتمي إلى الحسين عليه السلام[٩٢] فإذا ثبت ان لزيارة الأربعين هذه الفوائد العقائدية العظيمة، فهي تعتبر امتداداً للتوحيد، فأن نهضة الإمام الحسين عليه السلام - كما أعلن هو - هي لإبقاء الإسلام وإحياء شعائر الله عز وجل وترسيخها في قلوب الناس فهو الذي رسم قدسية العبادة وقدسية الشهادة في آن واحد، وبهذا كان الإسلام كما يقال محمدي الوجود حسيني البقاء[٩٣].

ان الحشد الذي نشهده اليوم في مسرح زيارة الأربعين المباركة هو نفس الحشد الذي استجاب لنداء المرجعية الشريفة، فما أروع هذا التلاحم والترابط بين الالتزام بقيادة المرجعية الشريفة وبين الذوبان في حب سيد الشهداء عليه السلام والوعي الكبير في إحياء شعائره، وقد انعكست بركات الالتزام بالقيادة الشرعية، كما انعكست نفحات هذه الزيارة المباركة بالذات على تحشيد أبناء الحشد، ومواصلة تدفق الزخم المعنوي والمادي لديهم بنحو ملفت للغاية[٩٤]. فإن هذه الملايين تبعث برسالة مهمة فأنها ترفع صوتها الى كل حاكم جائر وظالم في داخل العراق وخارجه، وإنها

تمثل أبواق وعيدة للحكومات الظالمة. لكل ما تقدم نقول هنيئاً لمن أخلص واهتدى الى محبة الحسين عليه السلام.

المطلب الثالث: زيارة الأربعين نفي للشرك

ان مسألة التوحيد ونبذ الشرك من المسائل العقائدية الهامة التي تصدرت المفاهيم والتعاليم السماوية والتي تعد الهدف الاسمى للأنبياء والمرسلين وكبار المصلحين، فالمسلمون ملة واحدة يجمعهم إله واحد، ورب واحد، وكتاب واحد، ودين واحد، وشريعة واحده فما يجمعهم أكثر مما يفرقهم.

وخير مثال على ذلك هي النهضة الحسينية في كربلاء، لقد كان الأساس العقائدي الديني من أهم الأسس الفكرية عند الإمام الحسين عليه السلام لأنه أدرك ان الدين الإسلامي حُرّفَ تحريفاً واسعاً وأدرك بأن التصحيح وحفظ الرسالة لا يمكن أن يكون بالوعظ والإرشاد، لذلك فإن تركيز الإمام الحسين عليه السلام على التوحيد في الإسلام في عهد معاوية ويزيد كان له بعد ديني مهم، لأن يزيد حاول زعزعة فكر الأمة عن طريق إيجاد خطوط فكرية دخيلة على الفكر القرآني.

وان من أهم العقائد التي انطلق منها الحسين عليه السلام في ثورته حينما صمم على القيام بحركته التغييرية في المجتمع الإسلامي وقتها، وبدأ بتوضيح ذلك الأساس العقائدي الإسلامي الذي انطلق منه، وحدد منهجه وأهدافه عليه، إذ كانت هذه العقائد الفكرية متجسدة في وصية لأخيه محمد بن علي عليه السلام المعروف بمحمد بن الحنفية «..إن الحسين يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وان محمداً عبده ورسوله، جاء بالحق من عنده، وان الجنة حق، والنار حق، وان الساعة آتيه لا ريب فيها، وان الله يبعث من في القبور، واني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في امة جدي صلى الله عليه وآله أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب فمن قبلني بقبول الحق، فالله اولى بالحق، ومن ردَّ عليَّ أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين وهذه وصيتي يا أخي إليك وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب»[٩٥].

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باب عظيم وواسع وذو أهمية بالغة: وهو من أعظم الواجبات الدينية. قال الله تعالى ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ آل عمران: ١٠٤[٩٦]. المعروف يشمل كل الأبواب، ومنها إحياء هذه الفريضة التي ترقى الى ان تشمل نفس التوحيد لله وأساسيات العقائد الأخرى، اذ هي أوضح مصاديق المعروف، فيجب الأمر بها، شأنها شأن التوحيد والنبوة والإمامة والمعاد.... والمنكر يتناول الشرك وما دونه[٩٧].

ومع الاعتراف بثبوت هذه الواجبات لدى الفريقين لأنها تعتبر من المسلمات، يوجد هناك بعض المسائل الهامشية التي صارت ذريعة للاختلاف ووسيلة للتشتت، ومن إحدى هذه الشبهات والإشكالات هي الأبعاد العقائدية للشعائر الحسينية، والمقصود بالأبعاد العقائدية هي آثار العقيدة وامتدادها على الأصعدة المختلفة وخاصة في الممارسات والظواهر الاجتماعية المتنوعة[٩٨] فإن الوهابية لهم ظاهرة اجتماعية لها جذور معروفة في

التاريخ الإسلامي ترجع إلى الخوارج، وهي ظاهرة التكفير لكل من يخالفهم بالرأي من المسلمين بالذات، وعلى سبيل المثال في حكم زيارة القبور أو التوسل إلى الله بالأنبياء والأولياء الصالحين، أنهم خارجون عن حظيرة الإسلام، فيكونوا مشركين بنظرهم، وبالتالي تترتب على ظاهرة التكفير هذه أحكام القتل للرجال وحلّية النساء ونهب الأموال، وهم بهذه الأعمال يتقربون إلى الباري عز وجل، وإذا ما ماتوا فأنهم سيحضون بتحية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على أعمالهم الدموية[٩٩] ويرجع سبب ذلك -حسب فهمهم- ان كل من يخالف أفكارهم وما حددوه في مفهوم التوحيد، فأنه يكون من الشرك. وقد جاء على لسان العلامة جعفر السبحاني «ولو كان التوسل والتبرك والزيارة ملازما للاعتقاد بالإلوهية لما خفي ذلك على المسلمين الذين جرت سيرتهم العملية على ذلك حتى يكون عملهم مخالفاً لاعترافهم بإله واحد»[١٠٠] والحاصل ان ترك التوسل بالأولياء والتبرك بآثارهم وزيارة قبورهم لو كان شرطاً لتحقيق الإيمان المقابل للشرك والصائن للدم والمال لوجب على نبي الإسلام اشتراط ذلك كله، أي ترك تلك الأمور، عند وفود القبائل على الإسلام، وقد تواترت الأخبار عن النبي وآله (صلى الله عليهم أجمعين) بأن الإسلام يحقن به الدم ويصان به العرض، والمال وتؤدى به الأمانة إلى غير ذلك من الأحكام المترتبة على الإسلام.

ومن بعض أقوال الوهابية أيضاً، ان الزيارة والتوسل بالأنبياء والأولياء في حال حياتهم جائز دون مماتهم، أي ان المعيار للتوحيد والشرك هو الحياة والموت[١٠١] يستدلون على ذلك بعدة أقوال منها: قول محمد بن عبد الوهاب «وهذا جائز في الدنيا والآخرة ان تأتي رجلاً صالحاً تقول له: ادع الله كما كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه في حياته، وأما بعد مماته فحشا وكلا أن يكونوا سألوا ذلك، بل أنكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره فكيف بدعاء بنفسه»[١٠٢]. ذكر جعفر السبحاني في المفاهيم، ان للتوحيد والشرك معاير خاصة بها يمتاز احدهما عن الأخر وان الإسلام لم يترك تحديد تلك المعايير ألينا، بل حدد كل واحد بحد خاص، وانه لا توجد مدخلية لحياة المستغاث ومماته في تحديد الشرك او التوحيد مطلقاً[١٠٣].

ولم يقفوا عند هذا فقط فراحوا يصرخون ليلاً ونهاراً بأن زيارة الأربعين محرمة وإنها تعرقل تقدم المسلمين وتشوه سمعة الإسلام، وعَدُّوها من الشرك كما أشرنا سابقاً. ولكن السؤال هنا: إذا كنتم تريدون مكافحة المحرمات والحفاظ على نزاهة الإسلام، فلماذا لا تحاربون بقية المحرمات التي لم يختلف فيها اثنان من المسلمين، هذه من ناحية، أما من ناحية أخرى فأن الأدلة الشرعية ليست ساكتة عن مسألة زيارة الأربعين بل هي واضحة وتدل على إباحتها، فكل ما لا يوجد له في الشرع حكم بالمنع والتحريم فهو مباح للأدلة الأربعة: القرآن، والسنة، والعقل، والإجماع[١٠٤].

لقد حارب الظالمون والإرهابيون بكل قوة وعنف الإسلام وخاصة الشعائر الحسينية، وبالتحديد زيارة الإمام الحسين عليه السلام في يوم الأربعين، رجاء القضاء

عليها، وذلك لأن لها الأثر الكبير في إحياء نهضة الإمام الحسين عليه السلام وإبقاء أهدافه الإنسانية العالمية حية تتفاعل في النفوس[١٠٥].

فيكون القول بتحريمها وإنها من الشرك ضرب من الوهم والخيال، بل لا يدل إلا على سقم صاحبه وخبث سريرته وانحرافه عقائده. فلا يوجد كلام حول خلود شعائر سيد الشهداء عليه السلام، وزيارة الأربعين تحديداً لأنها تستمد توهجها من قبسه المقدس، كما صرحت بذلك العشرات بل المئات من الروايات عند الفريقين، روي عن الإمام الصادق عليه السلام في زيارة الأربعين في حق الحسين عليه السلام «وبذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة»[١٠٦] وليس هذا إلا لأن الإمام الحسين عليه السلام كان ممثل دعوة التوحيد الخالص، الذي افرغ قلبه لله، فليس فيه فكر ولا ذكر ولا هم إلا لله، فحين توجه إليه الأمر في الصحيفة الإلهية بخطاب «إشر نفسك لله «امتثل لهذا الأمر متقرباً بجميع ما سيقع عليه، فلما بذل في الله قلبه الظاهري ومهجته، وجميع علائق قلبه تمخض القلب المعنوي لله، وصار خالياً عن غيره، وصار بيت الله الحقيقي[١٠٧] الذي تتجلى فيه مظاهر التوحيد النقية بعيداً عن الشرك والكفر والنفاق، ومن ذلك نتأمل قول الأئمة المأثور: «مَنْ زار الحسين عليه السلام كان كمن زار الله في عرشه»[١٠٨].

في ختام بحثنا هذا يجدر التذكير بأن ممارسة زيارة الأربعين المباركة تمثل أكبر تظاهرة إسلامية للتعبير عن البراءة من المشركين ومن الظالمين، فالاتجاه نحو الإمام الحسين عليه السلام يعد إعلاناً رفضوياً صريحاً للشرك والمشركين والظلم والظالمين، ويعبر عن الانتماء الحقيقي للتوحيد النقي من الشوائب، وذلك لأنه توجه إلى مفهوم الإمامة، والإمامة هي ركن أصيل من أركان التوحيد وامتداد له، بل هي الالتزام الواقعي والممارسة العملية للتوحيد الإلهي، فهي تجسيد حي لمعنى الولاء الذي أكد عليه الكتاب الكريم والسنة الشريفة، ولا يكتمل التوحيد في حياة المسلم بدونه، قال تعالى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ سورة المائدة: ٥٥[١٠٩].

الخاتمة

حاولت عبر هذا البحث إبراز اهم النقاط التالية:

١. إننا وان لم ندرك محضر الأئمة من أهل البيت عليهم السلام لنتعلم منهم ونتربى على أيديهم إلا ان الله حفظ لنا تعاليمهم ومواقفهم ورغبنا إلى زيارة مشاهدهم.

٢. تعتبر الزيارات واحدة من أهم وسائل إحياء الدين في النفوس وإبراز مظاهر شعائره هي زيارة الشخصيات العظيمة التي أسست هذا الدين وحفظته وفدت أموالها ونفوسها من اجل عزته.

٣. ان مركز العتبات المقدسة يمثل فضاء يجتمع تحته جميع المؤمنين الذين يشتركون في وحدة المبدأ ووحدة الهدف ليمدوا جسور الترابط فيما بينهم، فهي تعتبر محطة إنسانية يقف عندها كل من ينتصر للقيم الروحية ويقدس أصحابها والمضحين من اجلها، ويتجلى ذلك واضحاً في

زيارة الأربعين، التي تمثل امتداداً للتوحيد ونفي للشرك.

٤. ان الشعائر الحسينية لا تعاني من شحة في مجال الغطاء الشرعي والأدلة الدالة على رجحانها ومشروعيتها، وان للنهضة الحسينية أهدافاً وغايات يدركها الباحثون والعلماء وأخرى لم يدركوها بعد، وان المحافظة على تلك الأهداف السامية وإبقاءها خالدة، إنما يتحقق في ظل مراسم وطقوس وشعائر مختلفة واعية، ومن أهم هذه الشعائر هي (الزيارة، وإقامة المأتم، واللطم، ولبس السواد واطعام الطعام)، فهي وسائل لإحياء أمر أهل البيت عليهم السلام كما في الحديث «رحم الله من أحيا أمرنا».

٥. ان مسألة التوحيد ونبذ الشرك من المسائل العقائدية الهامة التي تصدرت المفاهيم والتعاليم السماوية والتي تعد الهدف الأسمى للأنبياء والمرسلين وكبار المصلحين، فالمسلمون ملة واحدة يجمعهم إله واحد، ورب واحد، وكتاب واحد، ودين واحد، وشريعة واحده فما يجمعهم أكثر مما يفرقهم.

٦. تعتبر زيارة الأربعين المُعَدَّة إلهياً ثورة مزعزعة لكل طواغيت العصر في كل زمان ومكان لكونها حينما تعود وتعاد ليعتاد على ذكراها بزيارة صاحبها عليه السلام والتي تساهم في إحياء الذكرى وإبقائها وأدامتها، والتصدي لكل طاغوت ظالم وكافر، بمن يشبه يزيد بن معاوية تحت شعار هيهات منا الذلة.

٧. ان الحشد الذي نشهده اليوم في مسرح زيارة الأربعين المباركة هو نفس الحشد الذي استجاب لنداء المرجعية الشريفة، فما أروع هذا التلاحم والترابط بين الالتزام بقيادة المرجعية الشريفة وبين الذوبان في حب سيد الشهداء عليه السلام والوعي الكبير في إحياء شعائره، وقد انعكست بركات الالتزام بالقيادة الشرعية، كما انعكست نفحات هذه الزيارة المباركة بالذات على تحشيد أبناء الحشد، ومواصلة تدفق الزخم المعنوي والمادي لديهم بنحو ملفت للغاية.

٨. ان الحسين عليه السلام هو الناصر لولده المهدي وهو الذي يعدّ العدّة له عجل الله فرجه لأن هذا التدريب الروحي وهذه التربية الروحية وهذا البناء الروحي الإنساني لأجيال المؤمنين يتم بيد الحسين عليه السلام فهو الذي يوطئ للظهور ولنصرة ولده المهدي عجل الله فرجه، اذن المشروع المهدوي قائم بالمشروع الحسيني.

٩. نقول أخيراً أن العزة لله، والعظمة لله، والكبرياء لله، وكل خير وفضيلة له، لذلك عندما يقرأ الإنسان زيارة الأربعين يجد أنها تحتوي على أكبر عدد ممكن من كلمات «الله» لماذا...لان فضل الأئمة إنما هو من الله، فعندما يكرم الأئمة يكرمهم لأنهم عباد الله وداعون إليه وإدلّاء عليه، فان الإسلام محمدي الحدوث علوي البناء حسني التمهيد حسيني الخلود والبقاء.

الهوامش

(١) الفيومي، احمد بن محمد بن المقري (٧٧٠هـ)، المصباح المنير، ط٣، (إيران: سرور، ١٤٢٥هـ)، ص٢٦٠.

(٢) ابن منظور(٧١١هـ)، لسان العرب، ط١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٨م)، ج٦، ص١١.

(٣) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس، تحقيق نواف الجراح، ط١، (بيروت: دار صادر، ٢٠١١)، ج٥، ص١٤٥.

(٤) عبد الحميد، صائب، الزيارة والتوسل، ط١، (قم: مركز الرسالة، ١٤٢١ق)، ص١٥.

(٥) الموسوي، عبد الرحيم، في رحاب أهل البيت عليهم السلام: زيارة القبور، ط٣، (بيروت: التعارف للنشر، ٢٠٠٦م)، ص١١.

(٦) البغدادي، ابراهيم، أسرار زيارة الاربعين، ص٧.

(٧) السعدي، انتصار عبد عون، المسار التاريخي لزيارة الاربعين النشأة والتطور، مجلة السبط، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، (العدد الرابع، السنة الثانية، ٢٠١٧م)، ص٨٢.

(٨) الخوارزمي، ابو الريحان محمد بن احمد البيروني (٤٤٠هـ)، الاثار الباقية عن القرون الخالية (بغداد: مكتبة المثنى، ١٩٢٣م)، ص٣٣١. ابن شهر اشوب، رشيد الدين ابو عبد الله محمد بن علي المازندراني (٥٨٨هـ)، مناقب ال ابي طالب، ط١، (قم: شريعت، ١٤٣١هـ)، ج٤، ص٧٧. الطبرسي، ابو الفضل بن الحسن، اعلام الورى بأعلام الهدى، ط٣، (النجف: منشورات المكتبة الحيدرية، ١٩٧٠م)، ص٢٥٠. سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، (النجف: منشورات المكتبة الحيدرية، ١٩٦٤م)، ص٢٦٥.

(٩) الاميني، محمد امين، الركب الحسيني في الشام ومنه الى المدينة المنورة، ط٢، (قم: مركز الدراسات الاسلامية، ١٣٨٣هـ)، ج٦، ص٣١٩. المجلسي، بحار الانوار، باب زيارة الاربعين (٤٢)، ج١٠١، ص٣٣٥.

(١٠) ابن طاووس، ابو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد الحسني الحسيني (٦٦٤هـ)، إقبال الإعمال، (تحقيق حسين الاعلمي)، ط١، (بيروت: مؤسسة الاعلمي، للمطبوعات، ١٩٩٦م)، ص٦٦.

(١١) الحر العاملي، محمد بن الحسن (١١٠٤هـ)، تفضيل وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة، ط١، (قم: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث، ١٤٠٩هـ)، ج٣، ص٢٢٢.

(١٢) شبع، مياسة مهدي، زيارة الاربعين فوق الشبهات، ط١، (النجف: دار ابو طالب للطباعة والنشر، د:ت)، ص٧.

(١٣) السيوطي، جلال الدين، سنن النسائي، (بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٩٣٠م)، ج٤، ص٩٠.

(١٤) نفس المصدر، ج٤، ص٨٩.

(١٥) ظ: الصغير، محمد حسين على، الإمام الحسين عليه السلام عملاق الفكر الثوري دراسة في المنهج والمسار، ط١، (بيروت: مؤسسة البلاغ، ٢٠١٢م)، ص٣٦٤.

(١٦) الحر العاملي، وسائل الشيعة، الباب(٣٧) تأكد استحباب زيارة الحسين بن علي عليه السلام، ج١٤، ص٤٣١.

(١٧) الكليني، ابو جعفر بن محمد بن يعقوب بن اسحاق، (٣٢٩هـ)، الكافي، صححه على اكبر الغفاري، (طهران: مؤسسة دار الكتب الاسلامية، ١٣٧٧هـ)،ج٤، ص٥٨٢. القمي، ابو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه (٣٦٨هـ)، كامل الزيارات، تحقيق جواد القيومي، ط٢، (قم: مؤسسة النشر الاسلامي،

١٤٢٠ه)، الباب ٥٤، ص٢٦٢. العاملي، وسائل الشيعة، ج١٤، ص٤١١.

(١٨) القمي، كامل الزيارات، الباب ٤٣، ص٢٣٧. المجلسي، بحار الانوار، ج١٠١، ص٣. العاملي، وسائل الشيعة، باب ٤٠، ج١٤، ص٤٣٧.

(١٩) التستري، جعفر، (١٣٠٣هـ)، الخصائص الحسينية، تحقيق جعفر الحسني،(د، م: انوار الهدى، د، ت)، ص٣٠٢.

(٢٠) الطوسي، ابو جعفر محمد بن الحسن (٤٦٠هـ)، تهذيب الاحكام، تحقيق حسن الموسوي الخرسان، ط٣، (طهران: دار الكتب الاسلامية، ١٣٦٤ش)، باب ٩٥،ج٦، ص٤٤. القمي، كامل الزيارات، باب ٧٨، ص٣٥٥. ج المجلسي، بحار الانوار، ج١٠١، ص٤.

(٢١) الاصطهباناتي، محمد حسن، نور العين، في المشي الى زيارة الحسين عليه السلام، ط١، (قم: مؤسسة الرافد للمطبوعات، ٢٠١١م)، ص٦٢٣. نقلا عن الخصائص الحسينية.

(٢٢) المجلسي، بحار الانوار،ج١٠٢، ص٣٠٢.

(٢٣) الطوسي، تهذيب الاحكام، الباب ٤٧، ج٦، ص١٠٣.

(٢٤) الحبوبي، الابعاد العقائدية، مصدر سابق، ص٨١ـ٨٢. بتصرف.

(٢٥) الطوسي، تهذيب الاحكام، ج٦، ص٥٢. ابن طاووس، اقبال الاعمال، ص٦٦. الطوسي، مصباح المتهجد، ص٧٣٠. المجلسي، بحار الانوار، الباب ٤٢، ج١٠١، ص٣٢٩. الحر العاملي، وسائل الشيعة، الباب ٥٧، ج١٤، ص٤٧٨. البرجوردى، حسين الطباطبائي، جامع احكام الشيعة، (قم: مؤسسة الواصف، ١٣٨١ش)، الباب ٥٥، ج١٥، ص٢٧٧.

(٢٦) المقرم، عبد الرزاق الموسوي، مقتل الحسين عليه السلام، ط٤، (النجف: مطبعة الاداب، ١٩٧٢)، ص٤٦٠.

(٢٧) شبع، مياسة، زيارة الاربعين، مصدر سابق، ص٤٠.

(٢٨) ابن طاووس، اقبال الاعمال، مصدر سابق، ص٦٦. الكفعمي، تقي الدين ابراهيم بن على بن الحسن بن محمد العاملي (٩٠٠)، المصباح في الادعية والزيارات والاحراز والعوزات، ط٢، (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٣م)، ص٦٤٨. الطوسي، التهذيب، ج٦، ١١٤. الاصطهباني، نور العين، مصدر سابق، ص٣٧٠. الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٤، ص٤٧٨. القمي،عباس، مفاتيح الجنان ويليه الباقيات الصالحات، ط٢، (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٩م)، ص٥٤١.

(٢٩) المجلسي، بحار الانوار، الباب ٢٥،ج١٠١، ص ٣٢٩. الحر العاملي، وسائل الشيعة ج١٤، ص٤٧٩.

(٣٠) بن زكريا، ابن الحسين احمد بن فارس (٣٩٥ه)، تحقيق عبد السلام هارون، (د.م: الدار الاسلامية للطباعة والنشر، ١٩٩٠م) ج٣، ص٣٦٥.

(٣١) ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص١٣٦. الفراهيدي، الخليل بن احمد (١٧٥هـ) تحقيق مهدي المجزومي، وابراهيم السامرائي، ط١، (بيروت: الاعلمي للمطبوعات، ١٩٨٨م) ج١، ص٢٥١. الرازي، محمد بن ابي البكر عبد القادر، رتبه محمود خاطر، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٧٦م)، ص٣٣٩. الفيروز، آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (٨١٧هـ) تقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط٢٢، (بيروت: دار احياء التراث،٢٠٠٣م)، ص٣٨٨م. النراقي، احمد بن مهدي، عوائد الايام في بيان قواعد استنباط الاحكام، ط١، (بيروت: دار الهادي للطباعة والنشر،٢٠٠٠م)، ص٤٢ ـ٥٠.

(٣٢) الحمصي، احمد بن سليم، وضناوي، سعدي عبد اللطيف، (بيروت: المؤسسة الحديثة للكتاب، ٢٠١٥م)، ص٥٦٠.

(٣٣)الشيرازي، ناصر مكارم، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ط١، (بيروت: مؤسسة الاعلمي،١٩٩٢م)، ج١٠، ص٣٠٧.

(٣٤)الحج: ٣٢

(٣٥)الموسوي، رياض، الشعائر الحسينية بين الاصالة والتجديد (محاضرات سماحة الاستاذ الشيخ محمد السند)، ط١، (قم: دار الغدير، ٢٠٠٣م)، ص٢٢. البخاتي، حاتم، الشعائر الدينية وانطباقها على المراسم الحسينية، (مجلة الاصلاح الحسيني، كربلاء، قسم الشؤون الفكرية، السنة الاولى، العدد، ١٤٣٤هـ)، ص٣٠ـ٣١.

(٣٦)ظ: الحكيم، محمد باقر، الشعائر الحسينية، ط٢، (النجف: العترة الطاهرة، ٢٠٠٥م)، ص٧.

(٣٧)ظ: الحبوبي، محمد قاسم، الابعاد العقائدية في الشعائر الحسينية، (د، م: مطبعة الرائد، ٢٠٠٩م)، ص٢٩.

(٣٨)ظ: نفس المصدر، الابعاد العقائدية، ص٧٧. وفيه تفاصيل عن كل قسم من الاقسام.

(٣٩)المائدة:٢

(٤٠)الحج: ٣٠

(٤١)الحج:٣٢

(٤٢)الحج: ٣٦

(٤٣)البقرة: ١٥٨

(٤٤)الحج: ٣٢

(٤٥)ظ: جعفر، صادق، استراتيجية الشعائر الدينية عند الشيعة الامامي، ط١، (بيروت: جيكور للطباعة والنشر، ٢٠١٦م)، ص٩١.

(٤٦)نفس المصدر.

(٤٧)ظ: كاشف الغطاء، جعفر بن خضر، كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء، تحقيق: عباس التبريزيان، وآخرون، ط٢، (قم: مؤسسة بوستان كتاب، ١٤٣٠هـ)، ج٢، ص١٤٧.

(٤٨)الطباطبائي، محسن الحكيم، مستمسك العروة الوثقى، ط٣، (النجف الاشرف: مطبعة الآداب، ١٩٦٩م)، ج٥، ص٥٤٥.

(٤٩)البخاتي، حاتم، الشعائر الدينية، مصدر سابق، ٣٦. بتصرف.

(٥٠)ظ: الصفار، احمد فاضل، الشعائر الحسينية، مصدر سابق، ص٥٦.

(٥١)وهو حديث الثقلين المروي عن النبيﷺ «اني تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي اهل بيتي، وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض».

(٥٢)كاشف الغطاء، محمد الحسين النجفي، الآيات البينات في قمع البدع والضلالات، (بيروت: دار المرتضى، ١٣٤٥هـ)، ص٢٨.

(٥٣)٥٣ () الصدوق، ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣٨١ه)، الامالي او المجالس، ط١، (قم: مؤسسة البعثة، ١٩٩٦م)، ص١١٧.

(٥٤)الطوسي، ابو جعفر محمد بن الحسن، (ت: ٤٦٠)، الامالي، (تحقيق: قسم الدراسات الاسلاميةـ مؤسسة البعثة)، ط١، (قم: دار الثقافة،١٤١٤هـ)، ١٣٥.

(٥٥)ظ: الى الصفحات، ١٢ـ١٣، من هذا البحث.

(٥٦)العاملي، وسائل الشيعة، ج١٤، ص٤٧٨.

(٥٧)نفس المصدر، ج١٤، ص٤٣٩.

(٥٨)الحكيم، محمد باقر، الشعائر الحسينية، مصدر سابق، ص٧٥. بتصرف

(٥٩)ظ: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص٣٠٦. الفيومي، المصباح المنير، ص٦٥٠. الرازي، مختار الصحاح، ص٧١١.

(٦٠) ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: يوسف البقاعي، ط٤، (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٥م)، ج٤، ص٤٢٣٢.

(٦١) الاصفهاني، الراغب (٤٢٠هـ)، مفردات الفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط٤، (بيروت: الدار الشامية، ١٤٢٥هـ)، ص٨٥٧.

(٦٢) ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٤٢٣٤.

(٦٣) الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، (٣٨١)، معاني الاخبار، قدمه: محمد مهدي السيد حسن الخرسان، (النجف: مطبعة الحيدرية، ١٩٧١م)، ص١٠.

(٦٤) البهشتي، محمد الحسيني، التوحيد في القرآن، تعريب، جعفر صادق الخليلي، ط١، (طهران: مؤسسة البعثة، ١٤٥٤هـ)، ص٨.

(٦٥) النحل: ٣٦

(٦٦) ظ: الشيرازي، الامثل، ج١، ص

(٦٧) سورة الاخلاص.

(٦٨) ظ: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج٣، ص٢٥٦.

(٦٩) ظ: الاصفهاني، الراغب، المفردات، ٤٥١.

(٧٠) الازهري، ابو منصور محمد بن احمد، (٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، تقديم فاطمة محمد اصلان، ط١، (بيروت: دار احياء التراث العربي، ٢٠٠١م)، ج١٠، ص١٢. ظ: ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٢٠٢٢.

(٧١) ظ: الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني (ت: ١٦٨٣م)، «الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية»، تحقيق عدنان درويش، محمد المصري، ط٢، (د.م، د.مط، ١٩٩٢م)، ج٣، ص٧٠.

(٧٢) المدرسي، محمد تقي، الإنسان بين التوحيد والشرك، (مجله المعارج، المجلد الثالث، الإعداد ١٨ـ٢٠، ١٩٩٤م). ص١٥٦. بتصرف.

(٧٣) السبحاني، جعفر، بحوث قرآنية في التوحيد والشرك، ط٢، (قم: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ١٤٢٤م)، ص٧.

(٧٤) ظ: معاش، مهدي، مشروعية الشعائر الحسينية، ط١، (بيروت: دار العلوم، ٢٠٠٩م)، ص٢٦.

(٧٥) ظ: جعفر، صادق، إستراتيجية الشعائر، مصدر سابق، ص١٠٣.

(٧٦) المائدة: ٣٥

(٧٧) اليزدي، محمد تقي مصباح، دروس في العقيدة الاسلامية، (ترجمة: هاشم محمد)، (د. م: سيهير، ١٩٩٧م)، ص١٥٧. بتصرف.

(٧٨) ظ: السند، محمد، اسرار زيارة الاربعين، مصدر سابق، ص١٤.

(٧٩) ظ: اسود، احمد كريم، زيارة عاشوراء في القرآن، ط١، (كربلاء: مؤسسة العالمية، ٢٠١٦م)، ص٥٠.

(٨٠) الكليني، اصول الكافي، ج٤، باب اتباع الحج بالزيارة، ص ٥٤٩.

(٨١) القمي، كامل الزيارات، الباب ١٤، حب رسول الله صلى الله عليه وآله، الحسن والحسين عليهما السلام، ص١١٧.

(٨٢) اسود، احمد كريم، زيارة عاشوراء، ص٦٠.

(٨٣) الحبوبي، محمد قاسم، الابعاد العقائدية، مصدر سابق، ٨٥.

(٨٤) المجلسي، بحار الانوار، باب وجوب موالاة اوليائهم، ج٢٧، ص٥٨.

(٨٥) اسود، احمد كريم، زيارة عاشوراء، مصدر سابق، ص٥٦.

(٨٦) النساء: ٥٩

(٨٧) الصمياني، الاربعين، مصدر سابق، ص١١٧.

(٨٨) القمي، مفاتيح الجنان ص٤٦٣.

(٨٩) الاحزاب: ٣٣

(٩٠) الصدوق، علل الشرائع، ج١، ص٢١١.

(٩١) ظ: الصمياني، حيدر، الأربعين وفلسفة المشي، مصدر سابق، ص١١٣ــ١١٨.

(٩٢) نفس المصدر، ص١٢١.

(٩٣) ظ: معاش، مهدي، مشروعية الشعائر الحسينية، ط١، (بيروت: دار العلوم، ٢٠٠٩م)، ص٢٦.

(٩٤) الساعدي، زيارة الأربعين، ص٣١٦.

(٩٥) المجلسي، بحار الأنوار، باب ٣٧ (باب ما جرى عليه بعد بيعة الناس ليزيد الى شهادته)، ج٤٤، ص٣٢٩.

(٩٦) آل عمران: ١٠٤

(٩٧) ظ: الموسوي، رياض الشعائر الحسينية، ص٢٠٣.

(٩٨) ظ: الحبوبي، محمد قاسم، الأبعاد العقائدية، مصدر سابق، ص١٩.

(٩٩) ظ: المصدر نفسه، ص٢٥.

(١٠٠) ظ: السبحاني، جعفر، مفاهيم القرآن، ج١، ص٥٣٧.

(١٠١) ظ: السبحاني، جعفر، مفاهيم القرآن، ج١، ص٥٢٦.

(١٠٢) العاملي، محسن الامين الحسيني، كشف الارتياب في اتباع محمد بن عبد الوهاب، (بيروت: د.م،١٩٩١م)، ص٢١٥.

(١٠٣) ظ: السبحاني، جعفر، مفاهيم القرآن، ج١، ص٢٥٦.

(١٠٤) ظ: نفس المصدر، ص٣٠.

(١٠٥) معاش، مهدي، مشروعية الشعائر الحسينية، ط١، (بيروت: دار العلوم للطباعة، ٢٠٠٩م)، ص١٠٠. بتصرف.

(١٠٦) الطوسي، تهذيب الاحكام، ج٦، ١١٣.

(١٠٧) التستري، الخصائص الحسينية، ٣٩٦-٣٩٨.

(١٠٨) ابن قولويه، كامل الزيارات، ص١٤٧.

(١٠٩) المائدة: ٥٥

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. ابن منظور(٧١١ه)، لسان العرب، ط١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٨م).

٢. ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: يوسف البقاعي، ط٤، (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٥م).

٣. الازهري، أبو منصور محمد بن احمد، (٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، تقديم فاطمة محمد اصلان، ط١، (بيروت: دار احياء التراث العربي، ٢٠٠١م).

٤. اسود، احمد كريم، زيارة عاشوراء في القرآن، ط١، (كربلاء: مؤسسة العالمية، ٢٠١٦م).

٥. الاصطهباناتي، محمد حسن، نور العين، في المشي الى زيارة الحسين عليه السلام، ط١، (قم: مؤسسة الرافد للمطبوعات، ٢٠١١م).

٦. الاصفهاني، الراغب (٤٢٠هـ)، مفردات الفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط٤، (بيروت: الدار الشامية، ١٤٢٥هـ).

٧. البخاتي، حاتم، الشعائر الدينية وانطباقها على المراسم الحسينية، (مجلة الإصلاح الحسيني، كربلاء، قسم الشؤون الفكرية، السنة الاولى، العدد، ١٤٣٤هـ).

٨. البرجوردى، حسين الطباطبائي، جامع أحكام الشيعة، (قم: مؤسسة الواصف، ١٣٨١ش).

٩. بن زكريا، ابن الحسين احمد بن فارس (٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، (د. م: الدار الاسلامية للطباعة والنشر، ١٩٩٠م).

١٠. بن شهر اشوب، رشيد الدين ابو عبد الله محمد بن علي المازندراني (٥٨٨هـ)، مناقب آل أبي طالب، ط١، (قم: شريعت، ١٤٣١هـ).

١١. ابن طاووس، أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد الحسني الحسيني (٦٦٤هـ)، إقبال الإعمال، (تحقيق حسين الاعلمي)، ط١، (بيروت: مؤسسة الاعلمي، للمطبوعات، ١٩٩٦م).

١٢. البهشتي، محمد الحسيني، التوحيد في القرآن، تعريب، جعفر صادق الخليلي، ط١، (طهران: مؤسسة البعثة، ١٤٥٤هـ).

١٣. التستري، جعفر، (١٣٠٣هـ)، الخصائص الحسينية، تحقيق جعفر الحسني، (د، م: أنوار الهدى، د، ت).

١٤. جعفر، صادق، استراتيجية الشعائر الدينية عند الشيعة الامامي، ط١، (بيروت: جيكور للطباعة والنشر، ٢٠١٦م).

١٥. الحبوبي، محمد قاسم، الإبعاد العقائدية في الشعائر الحسينية، (د، م: مطبعة الرائد، ٢٠٠٩م).

١٦. الحر العاملي، وسائل الشيعة، الباب(٣٧) تأكد استحباب زيارة الحسين بن علي عليه السلام.

١٧. الحكيم، محمد باقر، الشعائر الحسينية، ط٢، (النجف: العترة الطاهرة، ٢٠٠٥م).

١٨. الحمصي، احمد بن سليم، وضناوي، سعدي عبد اللطيف، (بيروت: المؤسسة الحديثة للكتاب، ٢٠١٥م).

١٩. الرازي، محمد بن ابي البكر عبد القادر، رتبه محمود خاطر، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م).

٢٠. الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس، تحقيق نواف الجراح، ط١، (بيروت: دار صادر، ٢٠١١).

٢١. السبحاني، جعفر، بحوث قرآنية في التوحيد والشرك، ط٢، (قم: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ١٤٢٤م).

٢٢. سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، (النجف: منشورات المكتبة الحيدرية، ١٩٦٤م).

٢٣. السيوطي، جلال الدين، سنن النسائي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٣٠م).

٢٤. شبع، مياسة مهدي، زيارة الأربعين فوق الشبهات، ط١، (النجف: دار أبو طالب للطباعة والنشر، د:ت).

٢٥. الشيرازي، ناصر مكارم، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ط١، (بيروت: مؤسسة الاعلمي،١٩٩٢م).

٢٦. الصدوق، ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣٨١هـ)، الامالي أو المجالس، ط١، (قم: مؤسسة البعثة، ١٩٩٦م).

٢٧. الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، (٣٨١)، معاني الاخبار، قدمه: محمد مهدي السيد حسن الخرسان، (النجف: مطبعة الحيدرية، ١٩٧١م).

٢٨. الصغير، محمد حسين علي، الإمام الحسين عليه السلام عملاق الفكر الثوري دراسة في المنهج والمسار، ط١، (بيروت: مؤسسة البلاغ، ٢٠١٢م).

٢٩. الطباطبائي، محسن الحكيم، مستمسك العروة الوثقى، ط٣، (النجف الاشرف: مطبعة الآداب، ١٩٦٩م).

٣٠. الطبرسي، ابو الفضل بن الحسن، اعلام الورى بأعلام الهدى، ط٣، (النجف: منشورات المكتبة الحيدرية، ١٩٧٠م).

٣١. الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (٤٦٠هـ)، تهذيب الأحكام، تحقيق حسن الموسوي الخرسان، ط٣، (طهران: دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٤ ش).

٣٢. الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، (ت: ٤٦٠)، الامالي، (تحقيق: قسم الدراسات الاسلامية- مؤسسة البعثة)،ط١، (قم: دار الثقافة،١٤١٤هـ).

٣٣. العاملي، محسن الامين الحسيني، كشف الارتياب في اتباع محمد بن عبد الوهاب، (بيروت: د.م، ١٩٩١م).

٣٤. عبد الحميد، صائب، الزيارة والتوسل، ط١، (قم: مركز الرسالة، ١٤٢١ق).

٣٥. الفراهيدي، الخليل بن احمد (١٧٥هـ) تحقيق مهدي المجزومي، وابراهيم السامرائي، ط١، (بيروت: الاعلمي للمطبوعات، ١٩٨٨م).

٣٦. الفيروز، آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (٨١٧ه) تقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط٢٢، (بيروت: دار إحياء التراث،٢٠٠٣م).

٣٧. الفيومي، احمد بن محمد بن المقري (٧٧٠هـ)، المصباح المنير، ط٣، (إيران: سرور، ١٤٢٥هـ).

٣٨. القمي، أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه (٣٦٨هـ)، كامل الزيارات، تحقيق جواد القيومي، ط٢، (قم: مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤٢٠هـ).

٣٩. القمي، كامل الزيارات، الباب ١٤، حب رسول الله صلى الله عليه وآله، الحسن والحسين عليهما السلام.

٤٠. القمي، عباس، مفاتيح الجنان ويليه الباقيات الصالحات، ط٢، (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات،٢٠٠٩م).

٤١. كاشف الغطاء، جعفر بن خضر، كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء، تحقيق: عباس التبريزيان، وآخرون، ط٢، (قم: مؤسسة بوستان كتاب، ١٤٣٠هـ).

٤٢. كاشف الغطاء، محمد الحسين النجفي، الآيات البينات في قمع البدع والضلالات، (بيروت: دار المرتضى، ١٣٤٥هـ).

٤٣. الكفعمي، تقي الدين ابراهيم بن على بن الحسن بن محمد العاملي (٩٠٠)، المصباح في الادعية والزيارات والاحراز والعوذات، ط٢، (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٣م).

٤٤. الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني (ت: ١٦٨٣م)، «الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية «، تحقيق عدنان درويش، محمد المصري، ط٢، (د. م، د. مط،١٩٩٢م).

٤٥. الكليني، ابو جعفر بن محمد بن يعقوب بن إسحاق، (٣٢٩هـ)، الكافي، صححه على اكبر الغفاري، (طهران: مؤسسة دار الكتب الاسلامية، ١٣٧٧هـ).

٤٦. الكليني، أصول الكافي، ج٤، باب اتباع الحج بالزيارة.

٤٧. الاميني، محمد امين، الركب الحسيني في الشام ومنه الى المدينة المنورة، ط٢، (قم: مركز الدراسات الاسلامية، ١٣٨٣هـ).

٤٨. البغدادي، ابراهيم، اسرار زيارة الاربعين.

٤٩. الحر العاملي، محمد بن الحسن (١١٠٤هـ)، تفضيل وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة، ط١، (قم: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤٠٩هـ).

٥٠. الخوارزمي، أبو الريحان محمد بن احمد البيروني (٤٤٠هـ)، الآثار الباقية عن القرون الخالية (بغداد: مكتبة المثنى، ١٩٢٣م).

٥١. السعدي، انتصار عبد عون، المسار التاريخي لزيارة الاربعين النشأة والتطور، مجلة السبط، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، (العدد الرابع، السنة الثانية، ٢٠١٧م).

٥٢. المدرسي، محمد تقي، الإنسان بين التوحيد والشرك، (مجلة المعارج، المجلد الثالث، الإعداد ١٨ـ٢٠، ١٩٩٤م).

٥٣. معاش، مهدي، مشروعية الشعائر الحسينية، ط١، (بيروت: دار العلوم، ٢٠٠٩م).

٥٤. المقرم، عبد الرزاق الموسوي، مقتل الحسين عليه السلام، ط٤، (النجف: مطبعة الآداب، ١٩٧٢).

٥٥. الموسوي، رياض، الشعائر الحسينية بين الاصالة والتجديد (محاضرات سماحة الأستاذ الشيخ محمد السند)، ط١، (قم: دار الغدير، ٢٠٠٣م).

٥٦. الموسوي، عبد الرحيم، في رحاب أهل البيت عليهم السلام: زيارة القبور، ط٣، (بيروت: التعارف للنشر، ٢٠٠٦م).

٥٧. النراقي، احمد بن مهدي، عوائد الأيام في بيان قواعد استنباط الأحكام، ط١، (بيروت: دار الهادي للطباعة والنشر، ٢٠٠٠م).

٥٨. اليزدي، محمد تقي مصباح، دروس في العقيدة الاسلامية، (ترجمة: هاشم محمد)، (د. م: سيهير، ١٩٩٧م).

المحور الثاني

الأبعاد الاجتماعية والأخلاقية لزيارة الأربعين

البيئة الاسرية وعلاقتها بالابعاد الاجتماعية والاخلاقية لزيارة الاربعين من وجهة نظر طالبات الجامعة

أ. د. سعاد سبتي الشاوي

كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة للبنات – جامعة بغداد

الملخص

يهدف البحث الى التعرف على حقيقة الفروق في البيئة الاسرية والابعاد الاجتماعية والاخلاقية لزيارة الاربعين من وجهة نظر طالبات الجامعة.والتعرف إلى العلاقة بين البيئة الاسرية والابعاد الاجتماعية والاخلاقية لزيارة الاربعين من وجهة نظر طالبات الجامعة. وقد تطرقت الباحثة في الدراسات النظرية الى مفهوم البيئة الاسرية ومفهوم الابعاد الاجتماعية والاخلاقية، ونبذة تأريخية عن المشي لزيارة الامام الحسين عليه السلام، وعرض بعض الروايات الدالة على استحباب المشي لزيارة الامام الحسين عليه السلام للرجال والنساء. وقداستخدمت الباحثة المنهج الوصفي المقارن الارتباطي باعتباره انسب المناهج لتحقيق اهداف البحث وفرضياته.

تكون مجتمع البحث من طالبات كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة للبنات / جامعة بغداد والبالغ عددهن (٣٨٧) طالبة للمراحل الاربعة وبواقع (٩٧) طالبة للمرحلة الاولى، و(١٥٠) طالبة للمرحلة الثانية، و(٩١) طالبة للمرحلة الثالثة، و(٤٩) طالبة للمرحلة الرابعة للعام الدراسي ٢٠١٧ – ٢٠١٨، تم اختيارهم بالطريقة الطبقية العشوائية، وقد قسموا الى (١٠٠) طالبة لعينة بناء استبيان الابعاد الاجتماعية والاخلاقية، و(١٠) طالبة لعينة التجربة الاستطلاعية و (٢٧٧) طالبة لعينة التطبيق الرئيسة لمقياس البيئة الاسرية واستبيان الابعاد الاجتماعية والاخلاقية. لقد استخدمت الباحثة مقياس البيئة الاسرية المعد من قبل (موس،١٩٧٤) والمعرب من قبل (فتحي عبد الرحيم وحامد الفقي،١٩٨٠)، و نظرا لعدم وجود استبيان للابعاد الاجتماعية والاخلاقية حسب علم الباحثة لذا تطلب اعداد استبيان لذلك، فقد قامت الباحثة بأعداد ه وقد اتبعت الخطوات اللازمة في ذلك.

واستنتجت الباحثة جملة من الاستنتاجات منها: لا توجد فروق حقيقية في البيئة الاسرية بين الطالبات حسب متغير المرحلة (الاولى، الثانية، الثالثة، الرابعة). ولكن توجد فروق حقيقية في الابعاد الاجتماعية والاخلاقية لزيارة الاربعين من وجهة نظر طالبات كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة للبنات بجامعة بغداد ولصالح المجموعة الثالثة، فضلا عن ذلك وجود علاقة ارتباط حقيقية بين البيئة الاسرية والابعاد الاجتماعية

والاخلاقية لزيارة الاربعين من وجهة نظر طالبات كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة للبنات / جامعة بغداد.

وفي ضوء استناجات البحث توصي الباحثة بمايلي:

١. ضرورة تعزيز وحفاظ الأسرة على مستوى الرعاية الأسرية للأبناء لينمو في بيئة أسرية سليمة.
٢. ضرورة حث وحدات الإرشاد النفسي والتربوي لدى الجامعة للقيام بدور فعال في توعية الطالباتبالالتزام بالقيم الاخلاقية.
٣. ضرورة تضمين المناهج التعليمية للمراحل الدراسية المختلفة باهمية الاخلاق والقيم والالتزام بها.

The family environment and its relation to the social and moral dimensions of the Arbaeen pilgrimage from the prospective of college students

Prof. Suad Sabti al-Shawi

College of Physical Education and Sports Science for Girls / Baghdad University

Abstract

The research aims to identify the reality of differences in the family environment and the social / moral dimensions of the Arbaeen pilgrimage from the prospective of college girls, and to learn about the relationship between the family environment and the social / moral dimensions of the Arbaeen pilgrimage from the prospective of those students.

The researcher dealt in her theoretical studies, with the concept of the family environment, the concept of social and moral dimensions, and a historical profile of the Arbaeen walk to the holy shrine of Imam Hussein "pbuh", in addition to a demonstration to several narrations about the necessity of walking toward the holy shrine of Imam Hussein by men and women alike.

The researcher used the descriptive comparative method as the most appropriate method to achieve the research objectives and hypotheses.

The research team consists of students from the College of Physical Education and Sports Science for Girls / Baghdad University, with a total number of (387) students from the four classes, divided by 97 students from the first class, 150 students from the second class, 91 students from the third class, (49) students from the fourth class, which they were all chosen in a random stratified way. (100) students were chosen for the sample of social / moral dimensions questionnaire, while another (10) students were chosen for the exploratory experiment, and) the remaining (277) students were chosen for the main application of the family environment measurement and the questionnaire of social / moral dimensions.

The researcher used the family environment scale prepared by Moss (1974), and due to the absence of a questionnaire of the social / moral dimensions according to the researcher's knowledge, it was required to make such questionnaire by the researcher, which she has done according to the necessary steps

الباب الاول:

١. التعريف بالبحث

١-١. مقدمة البحث وأهميته: جاءت روايات كثيرة في فضل زيارة الإمام الحسين عليه السلام بل في وجوبها، منها: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿مَنْ زَارَ الحسينَ بَعد مَوتِه فَلَهُ الجَنَّة﴾ (تهذيب الأحكام).

أن الزيارة الأربعينية المارثونية قد شكلت ظاهرة اجتماعية اخلاقية وانسانية مؤثرة تركت ابعادا ايجابية تستحق الدراسة والبحث والتوقف عندها بعد فرزها لحالات رائعة وأبعادا ايجابية من شأنها أن تشكل دافعا قويا للنهوض بمجتمعنا الى مصاف المجتمعات المتقدمة، وأن الحشود تتجه وتصبو الى محطة واحدة، ومن شتى الأقطار والأمصار، ومن جميع الجنسيات المختلفة، وألالوان المتنوعة، والكل يحث السير صوب قبلة الأحرار وملهم الثوار بذلك العطاء السخي و الذي أذهل العالم الغربي، ولا يزال عطاؤه يتجدد على مر العصور والأزمان.

إن تلك الجموع التي تسير كل عام لزيارة الأربعين مشيا على الأقدام وبمرأى من العالم بأسره ومن كل مكان لهي من أبرز مظاهر الولاء لأهل البيت عليهم السلام، وانها تظهر بحق انتصار الإمام الحسين عليه السلام على الطغاة وعلى مدى التاريخ وإلى يوم القيامة، وإن هذه الشعيرة التي تتجلى في كل عام قد حيرت وأدهشت عقول المخالفين من خلال تحقيقها للاهداف المطلوبة وأولها أحداث الوعي العقائدي وكيفية تحويل هذه الممارسات الى تغيير في شخصية ممارسها وثانيها جعل هذه الممارسات الشعائرية تتناغم وتنسجم مع الاحكام الشرعية ولا تتنافى وتتصادم مع بعض الممارسات الشرعية والاخلاقية والعقائدية وغيرها وأما الهدف الثالث هو التعبئة العقائدية والوطنية وذلك من خلال أدخالها الحب والولاء لاهل البيت عليهم السلام على قلوب الموالينكافة ومنهم الطلبة في المرحلة الجامعية. أن المرحلة الجامعية تعد من المراحل المهمة في بناء شخصية الطالبات عبر سنين الدراسة ليكن قادرات على قيادة انفسهن في سبيل الوصول الى تحقيق السعادة لهن وللآخرين، كما تعد الجامعة مؤسسة تعليمية أجتماعية، يعززها الكيان الاجتماعي كأداة فعالة للمحافظة على الهوية الثقافية، لتطور نماذج الثقافة والمعرفة والتقنية والمنهجية التي تنهض بمتطلبات الحياة الانسانية داخل المجتمع.

وتعد الاسرة اللبنة الاساسية في تكوين المجتمع، أذ أن صلاحها من صلاح المجتمع، وأنها الخلية الاجتماعية التي تبنى شخصية كل فرد وتصقل سلوكاته، أذ أن الآسرة بمثابة الحقل الذي توجد فيه كل مقومات نجاح الحياة اليومية العلمية والنفسية والاجتماعية أو فشلها، وفي ضوء المنهج الاسلامي فأن الآسرة هي التي تكون مسؤولة عن تحقيق وظائف السكن والأمن والمودة والرحمة وتنشئتهم تنشئة صالحة وأشباع حاجات الافراد، فضلا عن كونها المسؤولة عن غرس العقائد الصحيحة والقيم في نفوس الابناء، فتهديف نوازع الانسان وتصرفانه وزرع بذور الكمالات الاخلاقية والخصال الانسانية السامية في أعماق روح الانسان.

أن البلاغات الاخلاقية لعاشور تتجلى في قضايا مثل الصبر والايثار والقدوة والوفاء والعزة والشجاعة والتحرر من تعلقات الدنيا والتوكل ومجاهدة النفس والمؤاساة والنبل وغيرها.

والدراسة الحالية محاولة لتسليط الضوء على علاقة البيئة الاسرية بالابعاد الاجتماعية والاخلاقية لزيارة الامام الحسين(عليه السلام) في الاربعين من وجهة نظر طالبات كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة للبنات.

١-٢. **مشكلة البحث**: يمكن بيان مشكلة الدراسة الحالية في صورة السؤال التالي وما يتبعه من اسئلة فرعية على النحو التالي:

ما العلاقة بين البيئة الاسرية والابعاد الاجتماعية والاخلاقية لزيارة الاربعين من وجهة نظر طالبات الجامعة؟ ويتفرع من هذا السؤال التساؤلات التالية:

١. ما هي الفروق في البيئة الاسرية من وجهة نظر طالبات كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة للبنات - جامعة بغداد تبعا لمتغير المرحلة الدراسية (الاولى، الثانية، الثالثة، الرابعة)؟
٢. ماهي الفروق في الابعاد الاجتماعية والاخلاقية لزيارة الاربعين من وجهة نظر طالبات كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة للبنات - جامعة بغداد تبعا لمتغير المرحلة الدراسية (الاولى، الثانية، الثالثة،الرابعة.

١-٣. **أهداف البحث**: يهدف البحث الحالي:

١. التعرف على حقيقة الفروق في البيئة الاسرية والابعاد الاجتماعية والاخلاقية لزيارة الاربعين من وجهة نظر طالبات الجامعة.
٢. التعرف إلى العلاقة بين البيئة الاسرية والابعاد الاجتماعية والاخلاقية لزيارة الاربعين من وجهة نظر طالبات الجامعة.

١-٤. **فروض البحث**:

١. توجد فروق حقيقية في البيئة الاسرية والابعاد الاجتماعية والاخلاقية لزيارة الاربعين من وجهة نظر طالبات الجامعة.
٢. توجد علاقة ارتباط بين البيئة الاسرية والابعاد الاجتماعية والاخلاقية لزيارة الاربعين من وجهة نظر طالبات الجامعة.

١-٥. **مجالات البحث**:

- ١-٥-١. المجال البشري: طالبات كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة للبنات - جامعة بغداد.
- ١-٥-٢. المجال الزماني:العام الدراسي ٢٠١٧-٢٠١٨.
- ١-٥-٣. **المجال الزماني**:القاعات النظرية في كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة للبنات - جامعة بغداد.

الباب الثاني:

٢. الدراسات النظرية والمشابهة:

٢-١. الدراسات النظرية:

٢-١-١. البيئة الاسرية:

مفهوم البيئة: أن البيئة هي الاطار الذي يعيش فيه الانسان، أي كل ما هو خارج عن كيان الانسان مما يحيط به ويرتبط نجاح الانسان في تعامله وتعايشه مع البيئة على قدر فهمهلها وتحكمه فيها واستثماره

للموارد الموجوده فيها،والاستفاده بما هو نافع من هذه الموارد والعمل جاهدا للتخلص مما ينغص عليه حياته في اطار تلك البيئة[١].

وقد تم استِعمال كلمة البيئة بمعنى الحال الراهنللمكان المحيط بالإنسان – وهو تقريبا المعنى المستعمل اليوم – لم يكن الخيارالأول والوجه الأكثر استعمالا عند العرب، وعلى كل فالمصطلح قطع هذه المرحلةوبات مستعملا بسلاسة ووضوح؛ ذلك أن المقصود بالبيئة عند أكثر المتحدثين بهاهو: المكان أو الحيز المحيط بالانسان[٢].

تعرف البيئة في الاصطلاح العلمي المعاصر بأنها: «كل ما يحيط بالإنسان من أشياء تؤثر على صحته فتشمل مدينتي، مساكنها، شوارعها، أنهارها، آبارها،شواطئها، كما أنها تشمل كل ما يَتناوله الإنسان من طعام وشراب، وما يلبسه من ملابس،فضلا عن العوامل الجوية والكيميائية... الخ[٣].

وأن للبيئة مفهومين يكمل بعضهما الآخر: «أولهما البيئة الحيوية؛ وهي كل مايختص بحياة الإنسان وبعلاقته بالمخلوقات الحية، الحيوانية والنباتية التي تَعيشمعا، وثانيهما:البيئة الطبيعية، أذ تشمل موارد المياه، والفضلات، والتخلص منها، والحشراتوتربة الأرض، والمساكن، ونقاوة الجو أو تلوثه، والطقس، وغير ذلك من الخصائصالطبيعية، بينما تعرف البيئة بمفهومها الواسع فانها تشمل عدة أبعاد؛تكنولوجية، اجتماعية، اقتصادية، تاريخية، ثقافية، وكل بعد من هذه الأبعاد يتفاعل مع الأبعادالأخرى، ويلعب دورا حيويا في توازن هذا الكل، فعندما نقول البيئة، فنحن نقصدجميع العناصر التي تحيط بالانسان وتتفاعل معه من خلال قيامه بنشاطاته الحيوية.

وهناك من عرف البيئة من الناحية العلمية بأنها: مجموع العناصر الطبيعية التي تكيف حياةالإنسان[٤].

مفهوم الأسرة: إنالمفهوم اللغوي للأسرة مأخوذ من كلمة الأسر، بمعنى القوة والشدة، والأسرة هي الدرع الحصينة، فأعضاء الأسرة الواحدة يشد بعضهم البعض، ويعد كل فرد منهم بمثابة الدرع للآخر، كما يأتي لفظ الاسرة بمعنى القيد والأسر، ويمكن تعريف الأسرة من الناحية اللغوية أيضاً بالعشيرة؛ فأسرة الرجل بمعنى رهطه وعشيرته لأنّه يقوى بِهم[٥] اما المفهوم الاصطلاحي للأسرة فقد تعدد باختلاف تعريفاتها وتعدد انماطها،أذ يرى بعض العلماء أنّ الأسرة هي تنظيم اجتماعي، ويرى البعض الآخر أنها جماعة اجتماعيّة؛ وتتحددهذه التعريفات الاصطلاحية للأسرة بأنها بِناء على طبيعة المجتمع وعاداته وثقافته.

ويمكن استِعراض مجموعة من التعريفات المختلفة للأسرة، منها: [٦].

أنها رابطة اجتماعيّة تتكون من الزوج، والزوجة، والأطفال، و قد تكون بدون أطفال، وقد تتوسع الأسرة لتكون أكبر من ذلك، فقد تشمل أفرادا آخرين كالأجداد والأحفاد، يشتركون في بيت واحد،أو هي المجموعة التي يرتبط أركانها بالزواج الشرعي الذي أقره الدين الإسلامي، وتلتزم بجميع الحقوق والواجبات التي تم تحديدها.

كما تعرف بانها جماعة من الأفراد تربطهم روابط

معينة كالزواج، أو الدم، أو التبني، ويتفقون على تكوين بيت مستقل يوزعون فيه الأدوار والمهام، ويخلقون لأنفسهم ثقافة تميزهم عن غيرهم.

البيئة الاسرية: تعرف البيئة الاسرية بأنها البيئة الاساسية الصالحة لتنشئة الطفل والوسيلة التي بواسطتها ينقل التراث ويحفظ عبر الاجيال، كما أنها مصدر الأمان والاشباع العاطفي لكل فرد في المجتمع[٧].

أما القريطي فيرى أن البيئة الاسرية هي المناخ الذي ينمو في أطاره الطفل واستثارة طاقاته وتنميتها، وفي هذا المناخ يتعرض الطفل لعملية التطبيع والتنشئة الاجتماعية وفق أساليب معينة، وفي مناخها يشعر بردود الافعال المباشرة تجاه محاولاته الاولى للكشف والتجريب، وتجاه خروجه على القوالب النمطية للتفكير[٨].

بينما يعرفها السيد بأنها المجال المادي والاجتماعي الذي يعيش فيه أفراد الأسرة الواحدة ويرتبط هذا المجال بعدة أبعاد أو شروط تجعل منه بيئة صالحة لنمو الأسرة كوحدة متكاملة تهدف الى احياء نقسها وخدمة مجتمعها[٩].

٢-١-٢. الابعاد الاجتماعية والاخلاقية:

أن أجتماعي هو أسم منسوب الى أجتماع، أي له فطره تميل الى معاشرة الناس في المجتمع والاختلاط بهم وأن الأنسان كائن أجتماعي.

وأن البعد الاجتماعي يقوم على ان التكيف عملية اجتماعية تقوم على مسايرة الفرد لمعايير المجتمع، ولمواصفات الثقافية، ذلك من خلال القدرة على القيام بأستجابات متنوعة تلائم المواقف المختلفة وتشبع رغباته وحاجاته[١٠].

كما أن البعد الاجتماعي يختص بعلاقة بالفرد بالجماعة، أي بالمحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه والذي يتمثل بالتوافق الاجتماعي والذي يعني بأنه السعادة مع الآخرين، الاتزان الاجتماعي، الالتزام بأخلاقيات المجتمع ومسايرة المعايير الاجتماعية وقواعد الضبط والتغير الاجتماعي والاساليب الثقافية السائدة في المجتمع والتفاعل السليم والعلاقات الناجحة مع الاخرين، وتقبل نقدهم وسهولة الاختلاط معهم، والسلوك العادي مع أفراد الجنس الآخر والمشاركة في النشاط الاجتماعي مما يؤدي الى تحقيق الصحة الاجتماعية[١١].

أن الاخلاق تشكل ركنا مهما من أركان الوجود الاجتماعي، فهي تشكل نسقا حيويا في نسيج حياة الفرد، لذا فأن الاخلاق تعد نظام من القيم يقوم على توجيه حياة الفرد والنهوض بها الى أرقى مستويات الانسانية، وأن الانسان لا يستطيع ان يحقق جوهره الانساني الا في صورته الاخلاقية وذلك لانه الكائن البشري الذي يقوم بالتضحيه برغباته وميوله للوصول الى السمو الاخلاقي من أجل تجسيد قيم الحق زالخير والشرف والكرامة والجمال، والتسامح والايثار فضل عن الشجاعة.

أن المجتمعات البشرية لا تستطيع أن تستقيم بدون القيم الاخلاقية فهي تشكل النسيج الحيوي لوجود الفرد ومجتمعه في آن واحد، وأن تدهور القيم والاخلاق يؤدي الى تصدع المجتمعات وانهيارها

وتداعيها، لـذا فـأن القيم الاخلاقية ضروريـة في المجتمع فبغياب الاخلاق تذهب وتندثر الحضارة الانسانية ويفقد الفرد صمام الآمن والأمان.

هناك تعريفات مختلفة للاخلاق منها:

عرفها وطفة بأنها منظومة من القيم والمعايير السلوكية التي يرتضيها المجتمع لنفسه وأفراده، وهي من حيث وظيفتها توجه الافراد الى ما يجب عليهم القيام به وتنهي عما يجب تجنبه في مختلف المواقف الانسانية، كما أنها تركز في وظيفتها الى مجموعة من القيم الاخلاقية التي توجه السلوك الانساني توجيها غائيا يتسم بالحكمة ويتشح بالفضيلة، وانها توجه الفرد الى التمييز بين الخير والشر وبين الحق والباطل وبين الخطأ والصحيح وبين ماهو محمود وماهو مذموم، أي أنها تشكل منهجا وجدانيا ينير طريق الافـراد في المجتمع الى صراط الخير والحق والجمال[١٢].

ويعرفها [١٣] بانها العادة أو عادات الاولين وفي التنزيل ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم: ٤.

وهناك تعريف اخر للاخلاق هي صفة مستقرة في النفس فطرية أو مكتسبة ذات أثار في السلوك المحمود او المذموم[١٤].

وقد عرفها الجرجاني بانها الاحكام القيمية التي تنصب على الافعال الانسانية من ناحية أنها خير أو شر[١٥].

وتعرف الاخلاقيات بصورة عامة هي مجموعة من المفاهيم والمبـادئ التي ترشدنا في تحديد أي السلوكيات تساعد الكائنات الحساسة، وأيها يضرها، أما المعنى العام فهو القرار العقلاني والنموذجي والمثالي القائم على أساس الحس السليم. (Elder).

أقسام الأخلاق: هناك العديد من أقسام للأخلاق منها:

أولاً: الأخلاق من حيث المصدر وتقسم الى:

١. الأخلاق الغريزية:أي الأخلاق التي فُطر عليها الإنسان.
٢. الأخلاق المُكتسبة:الأخلاق التي يحصُل عليها الإنسان عن طريق التعودوالتعلّم.

ثانياً: الأخلاق من حيث المعاملات وتقسم الى: هي:

١. الخُلق مع الله عز وجلّ:يُقصدبهذا النوع من الأخلاق تلك الأسس والقواعد التي تحكُم علاقة الإنسان بربه، فضلا عن الآداب التي يتحلى بها الإنسان، وممارساته الباطنة والظاهرة.
٢. الخُلق مع النفس:وهو كل ما يلتزم بهالإنسانمع نفسه من أخلاقوآداب.
٣. الخُلق مع الخلْق:وهو كل يلتزم به الإنسان من أخلاقه وسلوكياته مع الآخرين، وهي القواعد الأخلاقية التي تضبط علاقة الإنسان مع من حوله، وتتمثّل هذه القيم في الخُلق مع الوالدين، والخُلق معالأنبياء، والخُلق مع الكفّار، والخُلق مع المؤمنين.

٢-١-٣. نبذة تاريخية عن المشي لزيارة الإمام الحسين(عليه السلام).

ترجع شعيرة المشي لزيارة الإمام الحسين(عليه السلام) تاريخياً كما جاء في بعض الروايات إلى الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاريرضي الله عنه حيث إنّه زار الحسين(عليه السلام) في يوم الأربعين مشياً على الأقدام، وكان قادما من المدينة[١٦].

وأن شعيرة المشي لزيارة الحسين(عليه السلام) موجودة منذ زمن الأئمّة عليهم السلام؛ وذلك لأنّ وسائل النقل الدارجة في زمنهم عليهم السلام كانت عبارة عن أمرين: أولهما: ركوب الخيل والجمال والبغال والحمير وثانيهما: المشي على الأقدام.

وبما أنّ جملة من الناس لا يمتلك تلك الوسائل، فانهم ينتقلون من مكان إلى آخر عن طريق المشي على الأقدام، ولذا كان الأئمّة(عليهم السلام) يقولون: مَن أتى قبر الحسين فإن كان ماشياً فله كذا وإن كان راكباً فله كذا. فهذا التقسيم يكشف عن وجود المشي لزيارة الإمام الحسين(عليه السلام) في تلك الفترة أيضاً.

وأن العراقيين منذ القدم يقصدون الإمام الحسين(عليه السلام) مشياً على الأقدام في مناسبات معينة إلى اليوم الحالي، وأوضح تلك المناسبات هي زيارة الأربعين، إلى أن جاء نظام البعث البائد فمنع هذه الشعيرة طيلة حكمه، ولكنهم لم يتركوا هذه الشعيرة، فكانوا يمشون إلى زيارته(عليه السلام) بالخفاء. أن السر من شعيرة المشي على الاقدام في الاربعين يوم العشرين من صفر يرجع إلى أمرين هما:

١. إنّ أول مَن زار مرقد الإمام الحسين(عليه السلام) يوم الأربعين مشياً على الأقدام هو الصحابي الجليل جابر بن عبدالله الأنصاري رحمه الله لذا فان الناس يزورون الامام الحسين(عليه السلام) يوم الاربعين تأسّياً بهذا الصحابي الجليل، فضلا عن ذلك فان الأئمّة(عليهم السلام) حثوا على الزيارة في هذا اليوم وقد جعلوها من علامات المؤمن، وقد روى الشيخ في التهذيب والمصباح عن الامام أبي محمد الحسن العسكري(عليه السلام): (علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى وخمسين، وزيارة الأربعين، والتختّم في اليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم) (الطوسي).

٢. في هذا اليوم رجع أهل بيت الإمام الحسين(عليه السلام) من الشام إلى كربلاء، بعد ما ذاقوا العذاب والعناء الشديد والظلم، وقد التقى الإمام زين العابدين(عليه السلام) بالصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري الذي جاء لزيارة الحسين(عليه السلام) مشياً على الأقدام، لذا فان الموالين من الشيعة إنّما يزورن الإمام الحسين(عليه السلام) في هذا اليوم مشياً على الأقدام مواساة لما جرى على عيال الحسين(عليه السلام).

٢-٢-٢. بعض الروايات الدالّة على استحباب المشي لزيارة الامام الحسين(عليه السلام).

من الروايات التي تنصّ على استحباب المشي لزيارة الامام الحسين(عليه السلام):

١. (عن جعفر بن محمد(عليهما السلام): أنّه سُئل عن الزائر لقبر الحسين(عليه السلام)، فقال: مَن اغتسل في الفرات، ثمَّ مشى إلى قبر الحسين(عليه السلام) كان له بكلّ قدم يرفعها ويضعها حجّة متقبَّلة بمناسكها) [١٧].

٢. (وعن محمّد بن جعفرٍ الرّزّاز، عن محمّد بن

الحسين بن أبي الخطّاب، عن أحمد بن بشيرٍ، عن أبي سعيدٍ القاضي، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام في غرفةٍ له فسمعته يقول: من أتى قبر الحسين ماشياً كتب الله له بكلّ خطوةٍ وبكلّ قدمٍ يرفعها ويضعها عتق رقبةٍ من ولد إسماعيل)[١٨].

٣. (محمّد بن الحسن بإسناده، عن سعد بن عبد الله ومحمّد بن يحيى وعبد الله بن جعفرٍ وأحمد بن إدريس جميعاً، عن الحسين بن عبيد الله، عن الحسن بن عليّ بن أبي عثمان، عن عبد الجبّار النّهاونديّ، عن أبي إسماعيل، عن الحسين بن عليّ بن ثوير بن أبي فاختة، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا حسين، من خرج من منزله يريد زيارة الحسين بن عليّ بن أبي طالبٍ عليهما السلام إن كان ماشياً كتب الله له بكلّ خطوةٍ حسنةً وحطّ بها عنه سيّئةً، وإن كان راكباً كتب الله له بكلّ حافرٍ حسنةً وحطّ عنه بها سيّئةً حتّى إذا صار بالحائر كتبه الله من الصّالحين، وإذا قضى مناسكه كتبه الله من الفائزين حتّى إذا أراد الانصراف أتاه ملكٌ، فقال له: أنا رسول الله، ربّك يقرئك السّلام، ويقول لك: استأنف فقد غفر لك ما مضى)[١٩].

٤. (وعن أبيه عن سعدٍ ومحمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسين، عن محمّد بن إسماعيل، عن صالح بن عقبة، عن بشيرٍ الدّهّان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إنّ الرّجل ليخرج إلى قبر الحسين عليه السلام فله إذا خرج من أهله بأوّل خطوةٍ مغفرة ذنبه، ثمّ لم يزل يقدّس بكلّ خطوةٍ حتّى يأتيه، فإذا أتاه ناجاه الله فقال: عبدي سلني أعطك، ادعني أجبك[٢٠].

٥. (وعن عليّ بن الحسين بن بابويه وجماعةٍ، عن سعد بن عبد الله، عن الحسن بن عليّ بن عبد الله بن المغيرة، عن العبّاس بن عامرٍ، عن جابرٍ المكفوف، عن أبي الصّامت، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام وهو يقول: من أتى قبر الحسين ماشياً كتب الله له بكلّ خطوةٍ الف حسنةٍ ومحا عنه الف سيّئةٍ، ورفع له الف درجةٍ، فإذا أتيت الفرات فاغتسل وعلّق نعليك وامش حافياً وامش مشي العبد الذّليل، فإذا أتيت باب الحائر فكبّر أربعاً، ثمّ امش قليلاً، ثمّ كبّر أربعاً، ثمّ ائت رأسه فقف عليه، فكبّر أربعاً وصلّ عنده وسل الله حاجتك[٢١].

٦. «وعن أبيه، عن الحسين بن الحسن بن أبانٍ، عن محمّد بن أورمة، عن رجل، عن عليّ بن ميمونٍ الصائغ، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: يا عليّ، زر الحسين ولا تدعه. قلت: ما لمن زاره من الثواب؟ قال: من أتاه ماشيا كتب الله له بكل خطوة حسنة، ومحا عنه سيّئة وترفع له درجة» وفي رواية أُخرى: «فإذا أتاه وكّل الله به ملكين يكتبان ما يخرج من فيه من خير، ولا يكتبان ما يخرج من فيه من شرّ ولا غير ذلك، فإذا انصرفوا ودّعوه، وقالوا: يا وليّ الله، مغفور لك، أنت من حزب الله وحزب رسوله وحزب أهل بيت رسوله، والله، لا ترى النار بعينك أبداً، ولا تراك ولا تطعمك أبداً)[٢٢].

٧. (وعن أبيه، عن سعدٍ والحميريّ، عن أحمد بن محمّد بن خالدٍ، عن أبيه، عن عبد العظيم الحسنيّ، عن الحسين بن الحكم النّخعيّ، عن أبي حمّادٍ الأعرابيّ، عن سديرٍ الصّيرفيّ، عن أبي جعفرٍ عليه السلام في زيارة الحسين عليه السلام، قال: ما أتاه عبدٌ

فخطا خطوةً إلّا كتب الله له حسنةً وحطّ عنه سيّئةً) [٢٣].

٨. وعن سعد بن عبد الله ومحمد بن يحيى وعبد الله بن جعفر الجميري وأحمد بن أدريس جميعا، عن الحسين بن عبد الله عن الحسن بن علي بن أبي عثمان، عن عبد الجبار النهاوندي، عن أبي سعيد، عن الحسين بن ثوير بن أبي فأخته، قال: قال ابو عبد الله عليه السلام: ياحسين من خرج من منزله يريد زيارة قبر الحسين بن علي عليهما السلام أن كان ماشيا كتب الله لكل خطوة حسنة ومحى عنه سيئه، حتى أذا صار في الحائر كتبه الله من المفلحين المنجحين، حتى أذا قضى مناسكه كتبه الله من الفائزين حتى أذا أراد الانصراف أتاه ملك فقال: أن رسول الله صلى الله عليه وآله يقرؤك السلام ويقول لك: أستانف العمل فقد غفر لك ما مضى[٢٤].

٩. وقال علي بن الحسين بن موسى بن بابويه وجماعة رحمهم الله، عن سعد بن عبد الله عن الحسن بن علي بن عبد الله أبن المغيرة، عن العباس بن عامر، عن جابر المكفوف، عن أبي الصامت، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام وهو يقول: منأتى قبر الحسين عليه السلام ماشيا كتب الله له بكل خطوة ألف حسنه ومحا عنه ألف سيئه ورفع ألف درجة[٢٥].

١٠. وذكر محمد بن جعفر الرزاز قال:حدثني محمد بن الحسين عن ابي داود المسترف عن أم سعيد الأحمسية، عن ابي عبد الله عليه السلام قالت: قال لي: يأم سعيد تزورين قبر احسين، قالت: قلت: نعم، فقال لي: زوريه فأن زيارة قبر الحسين عليه السلام زاجبة على الرجال والنساء[٢٦].

٢-٢. الدراسات المشابهة:

٢-٢-١. دراسة عياش ليلى، ٢٠١٥

عنوان الدراسة: البيئة الاسرية، العصاب والتحصيل الدراسي لدى تلامذة التعليم الثانوي.

هدفت الدراسة الى الكشق عن العلاقة بين البيئة الاسرية والعصاب والتحصيل الدراسي لدى تلامذة التعليم الثانوي.

وقد شملت عينة الدراسة على مجموعة من طلاب المرحلة الثانوية.

لقد أستخدمت الباحثة المنهج الوصفي ذو العلاقات الارتباطية.

وأستخدمت الباحثة مقياس البيئة الأسرية ل (موس وموس) ومقياس العصاب حسب قائمة أيزنك للشخصية. وقد توصلت الدراسة الى مايلي:

١. عدم وجود فروق دالة أحصائيا في البيئة الآسرية لأفراد العينة.

٢. عدم وجود علاقة أرتباطية دالة أحصائيا بين البيئة الآسرية والتحصيل الدراسي لدى تلامذة التعليم الثانوي[٢٧].

٢-٢-٢. دراسة أحمد محمود المرسومي، ٢٠١٨

عنوان الدراسة: دراسة مقارنة لبعض متغيرات الجهاز الدوري التنفسي لزيارة الاربعين سيرا وفقا للجنس والعمر والمسافة.

هدفت الدراسة الى التعرف على اثر المشي في زيارة الاربعين على بعض متغيرات الجهاز الدوري التنفسي لبعض المتغيرات وفق الجنس والاعمار والمسافة.

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي بالاسلوب المسحي.

وقد شملت عينة البحث على (٤١٢) فرد تضمن ثلاث فئات عمرية (اليافعين، البالغين،كبار السن) بواقع (٥٧) يافعين و (٢١٤) بالغين و (١٤١) كبار السن.

وقد اظهرت الدراسة جملة من الاستنتاجات منها: أن للمشي خلال الزيارة الاربعينية دوره الكبير على تغير مؤشرات الجهاز الدوري التنفسي بالاتجاه الايجابي لدى كل من المسنين والبالغين وتحسين اللياقة العامة، وان ظهور التعب لدى كافة المجاميع لا يثبط من عزيمتهم على الاستمرار بهذه المناسبة الكبيرة اذ يزيدهم اصرارا وتحدي على الاستمرار[٢٨].

الباب الثالث

٣. منهجية البحث وأجراءاته الميدانية:

٣-١. منهج البحث

استخدمت الباحثة المنهج الوصفي المقارن الارتباطي باعتباره انسب المناهج لتحقيق اهداف البحث وفرضياته.

٣-٢. مجتمع البحث وعينته

يتكون مجتمع البحث من طالبات كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة للبنات - جامعة بغداد والبالغ عددهن (٣٨٧) طالبة للمراحل الاربعة وبواقع (٩٧) طالبة للمرحلة الاولى، و(١٥٠) طالبة للمرحلة الثانية، و(٩١) طالبة للمرحلة الثالثة، و(٤٩) طالبة للمرحلة الرابعة للعام الدراسي ٢٠١٧ - ٢٠١٨، تم اختيارهم بالطريقة الطبقية العشوائية، وقد قسموا الى (١٠٠) طالبة لعينة بناء استبيان الابعاد الاجتماعية والاخلاقية، و(١٠) طالبة لعينة التجربة الاستطلاعية و(٢٧٧) طالبة لعينة التطبيق الرئيسة لمقياس البيئة الاسرية واستبيان الابعاد الاجتماعية والاخلاقية، وكما مبين في الجدول (١).

الجدول (١) يبين توزيع أفراد العينة على المراحل ونسبها المئوية

ت	المرحلة	عينة التطبيق	عينة البناء	العينة الاستطلاعية	العدد الكلي	النسبة المئوية
		طالبة	طالبة	طالبة		
١	الاولى	٦٥	٣٠	٢	٩٧	٢٥،٠٦٪
٢	الثانية	١٠٧	٤٠	٣	١٥٠	٣٨،٧٥٪
٣	الثالثة	٦٧	٢٠	٤	٩١	٢٣،٥١٪
٤	الرابعة	٣٨	١٠	١	٤٩	١٢،٦٦٪
المجموع		٢٧٧	١٠٠	١٠	٣٨٧	١٠٠٪

٣-٣. وسائل جمع المعلومات

- المصادر والمراجع
- مقياس البيئة الاسرية
- أستبيان الابعاد الاجتماعية والاخلاقية

٣-٤. إجراءات البحث الميدانية

٣-٤-١. مقياس البيئة الأسرية:

اعتمدت الباحثة مقياس البيئة الاسرية المعد من قبل (موس، ١٩٧٤) والمعرب من قبل (فتحي عبد الرحيم وحامد الفقي، ١٩٨٠) لأنه يناسب عينة وأغراض البحث الحالي، ويتكون المقياس من ٩٠ فقرة وهذا المقياس يتكون من مقاييس فرعية لقياس بُعد العلاقة بين الأشخاص والنمو الشخصي وصيانة النظامويتضمن بُعد العلاقة قياسات مستوى التماسك والقدرة على التعبير والصراع، والتماسك هو درجة الالتزام والدعم المقدمين من قِبل أعضاء العائلة لبعضهم البعض، والقدرة على التعبير هي مدى شجاعة أعضاء العائلة على التعبير عن مشاعرهم بشكل مباشر، والصراع هو مقدار الغضب الذي يتم الإعراب عنه مباشرة بين أعضاء العائلة، وهناك خمسة مقاييس فرعية تشير إلى النمو الشخصي: الاستقلال والإنجاز والتوجه والتوجه الفكري والثقافي والتوجه الترفيهي النشط والتركيز الأخلاقي والديني. ويقيم مقياس الاستقلال مدى جزم أعضاء الأسرة واكتفائهم ذاتيًا واتخاذ قراراتهم بأنفسهم، ويعكس توجه الإنجاز مقدار الأنشطة التي تُمارس في الإطار الموجه نحو الإنجاز أو الإطار التنافسي. ويقيس التوجه الفكري والثقافي مستوى الاهتمام في الأنشطة السياسية والفكرية والثقافية. ويقيس التوجه الترفيهي النشط مقدار المشاركة في الأنشطة الترفيهية. والتركيز الأخلاقي والديني يقيس مدى التركيز على القضايا والقيم الأخلاقية والدينية.

أما المقياسان الفرعيان الآخران فهما التنظيم والتحكم،فانهما يخصان صيانة النظام، وأنهما يقيسان مقدار التخطيط الذي تم وضعه لأنشطة ومسؤوليات الأسرة ومقدار القواعد والإجراءات المنصوص عليها التي يتم استخدامها لتسيير الحياة الأسرية، أما بدائل الاجابة فهي (نعم، لا) أعطيت لها الدرجات على التوالي (١، صفر)، وان أعلى درجة كلية يحتمل ان تحصل عليها الطالبة على المقياس هي (٩٠) درجة، وأدنى درجة كلية محتملة هي (صفر) درجة، والمتوسط الفرضي للمقياس هو (٤٥) درجة.

٣-٤-٢. الدراسة الاستطلاعية لمقياس البيئة الأسرية:

من اجل التأكد من وضوح تعليمات المقياس ووضوح فقراته للطالبات والتعرف على الوقت المستغرق لإجاباتهن، وكذلك التعرف على ظروف تطبيق المقياس، تم تطبيق المقياس على عينة استطلاعية مؤلفة من (١٠) طالبة من طالبات كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة للبنات – جامعة بغداد اختيروا عشوائيا، وقد اتضح من هذه التجربة ان تعليمات المقياس وفقراته واضحة وان متوسط الزمن المستغرق في الإجابة بلغ (٢٢) دقيقة.

٣-٤-٣. صدق مقياس البيئة الأسرية:

لقد تم التحقق من ذلك باستخدام مؤشر الصدق الظاهري، حيث عرض المقياس على مجموعة من الخبراء والمختصين في مجال علم النفس التربوي (ملحق(٢)) وقد نالت جميع الفقرات على رضا الخبراء بنسبة (١٠٠٪).

٣-٤-٤. ثبات المقياس:

للتحقق من ثبات المقياساستخدمت الباحثة طريقة الاختبار واعادة الاختبار:

طريقة الاختبار وإعـادة الاختبار:تم تطبيق المقياس على عينة قوامها (١٠) طالبة (عينة الدراسة الاستطلاعية نفسها)، ثم أعيد تطبيق المقياسي على العينة ذاتها بعد مرور أسبوعين. وتم حساب معامل الثبات من خلال إيجاد معامل ارتباط بيرسون بين نتائج التطبيقين الأول والـثاني، وقد بلغ معامل الثبات لمقياس (٠،٨٥).

٣-٤-٢. إجراءات أعداد أستبيان الابعاد الاجتماعية والاخلاقية:

نظرا لعدم وجـود استبيان للابعاد الاجتماعية والاخلافية حسب علم الباحثة لذا تطلب اعداد استبيان لذلك، وقد اتبعت الخطوات الآتية في أعداده:

٣-٤-٢-١. اعداد الصيغة الأولية للاستبيان:

تطلب اعداد الصيغة الأولية للاستبيان إجراءات عدة وفيما يلي وصف لتلك الإجراءات:

اولاً: اعداد الفقرات:

في ضوء التعريف النظري للابعاد الاجتماعية والاخلاقية، ومن خلال الاطـلاع على الأدبيات والدراسات السابقة والاستعانة بالمقاييس القريبة من الموضوع، تم صياغة (٣٢) فقرة لاستبيان الابعاد الاجتماعية والاخلاقية يحتوي الاستبيان على ثلاثة بدائل للإجابة هي (موافق جدا، موافق، موافق الى حد ما) وقد أعطيت لها الدرجات من (١-٣)، أذ تم الاعتماد على اسلوب ليكرت المطور في صياغة فقرات الاستبيان.

ثانياً: تحديد صلاحية فقرات الاستبيان

بهدف التأكد من صلاحية الفقرات في قياس ما أعدت لقياسه ومدى ملائمة بدائل الإجابة لها، عرض الاستبيان بصورته الأولية (الملحق(١)) المكون من (٣٢) فقرة على مجموعة من الخبراء والمختصين في مجال اللغة العربية والتربية الدينية وعلم النفس التربوي وعلم النفس البالغ عددهم (٥) خبراء ومختصين (الملحق (٢)) وطلب منهم بيان مدى صلاحية كل فقرة من فقراته في قياس مكونات الاستبيان، وكذلك ان كانت تحتاج الى تعديل، وفي ضوء آراء الخبراء والمختصين تم تعديل بعض الفقرات واختصارها، ودمج فقرات اخرى لتشابهها، كذلك حذفت بعض الفقرات لعدم صلاحيتها. واتضح من عملية التحكيم ان (٢٩) فقرة حازت على تأييد أكثرية الخبراء والمختصين على صلاحيتها في قياس الابعاد الاجتماعية والاخلاقية.

وقد استخدم مربع كاي لتحديد حقيقة الفروق بين الأكثرية والأقلية من الخبراء. اذ كانت الفروق

بينهما دالة إحصائيا عند مستوى دلالة (٠,٠٥)، باستثناء (٣) فقرة تم استبعادها وكما مبين في الجدول (٢).

الجدول (٢) يبين آراء الخبراء في فقرات المقياس وقيم مربع كاي للموافقين وغير الموافقين

الفقرات	عدد الفقرات	الموافقون	غير الموافقون	قيمة كاي المحسوبة	دلالتها الإحصائية
١،٣،٤، ٧،٨،٩،١٢،١٣،١٥،١٧،١٨، ٢٠، ٢١،٢٤،٢٥،٢٧، ٢٩،٣١	١٨	٥	صفر	٨	دالة
٥،٦، ١٠، ١١، ١٤،١٩، ٢٢،٢٦،٢٨،٣٠،٣٢	١١	٤	١	٤،٥	دالة
٢، ١٦، ٢٣	٣	٢	٣	٢	غير دالة

قيمة كاي الجدولية = ٣,٨٤ درجة الحرية = ١ مستوى الدلالة = ٠,٠٥

ثالثاً: صلاحية الفقرات من الناحية اللغوية:

بعد ان تم الانتهاء من صياغة فقرات المقياس تم عرض الفقرات جميعها على متخصصة في اللغة العربية من اجل ان تكون سليمة وخالية من الأخطاء اللغوية. وقد تم الأخذ بالملاحظات والتعديلات التي أبدتها، وبهذا يكون المقياس خاليا من الأخطاء اللغوية.

رابعاً: اعداد تعليمات المقياس:

تم اعداد التعليمات الخاصة بالمقياس التي توضح للطالبة كيفية الإجابة عن فقراته، وقد روعي في اعداد هذه التعليمات ان تكون واضحة وسهلة الفهم، فضلا عن ذلك فقد تم الاشارة في التعليمات الى انه ليس هناك إجابة صحيحة وأخرى خاطئة بل المهم هو اختيار الاستجابة التي تنطبق على الطالبة اكثر من غيرها. كما طلب من الطالبات ضرورة الإجابة عن جميع فقرات الاستبيان بكل صدق ودقة وهي لأغراض البحث العلمي فقط، والتأكيد على عدم كتابة الاسم.

٣-٤-٢-٢. الدراسة الاستطلاعية لاستبيان الابعاد الاجتماعية والاخلاقية:

من اجل التأكد من وضوح تعليمات االاستبيان ووضوح فقراته للطالبات والتعرف على الوقت المستغرق لإجاباتهمن، والتعرف على ظروف تطبيق الاستبيان وما يرافق ذلك من صعوبات او معوقات، تم تطبيق الاستبيان على عينة استطلاعية مؤلفة من (١٠) طالبة من طالبات كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة للبنات - جامعة بغداد اختيروا عشوائيا، وقد اتضح من هذه التجربة ان تعليمات الاستبيان وفقراته واضحة وان متوسط الزمن المستغرق في الإجابة عن فقرات الاستبيان بلغ (١٦) دقيقة. وبذلك أصبح أستبيان الابعاد الاجتماعية والاخلاقية

بتعليماته وفقراته البالغة (٢٩) فقرة جاهزا للتطبيق على عينة البناء.

٣-٤-٢-٣. عينة التحليل الإحصائي وتطبيق الاستبيان:

تم تطبيق الاستبيان على عينة البناء بهدف إجراء عملية تحليل إحصائي لفقراته وذلك لاختيار الفقرات الصالحة واستبعاد الفقرات غير الصالحة استنادا الى قوتها التمييزية.

وكذلك لاستخراج مؤشرات الصدق والثبات للمقياس. فقد طبق المقياس على عينة البناء البالغ عددها (١٠٠) طالبة في ٢٥/ ٤/ ٢٠١٨م.

٣-٤-٢-٤. تصحيح المقياس:

صححت إجابات العينة على استبيان الابعاد الاجتماعية والاخلاقية باستخدام مفتاح التصحيح المعد لهذا الغرض. فقد حسبت الدرجة الكلية على أساس مجموع أوزان الإجابات على فقرات الاستبيان البالغة (٢٩) فقرة، وان الدرجات الكلية للطالبات تتراوح بين (٢٩-١١٧) وان المتوسط الحسابي للاستبيان مقداره (٧٣) درجة.

٣-٤-٢-٥. تحليل الفقرات:

اتبعت الباحثة أسلوب القوة التمييزية:

القوة التمييزية:

لغرض الكشف عن القوة التمييزية لفقرات استبيان الابعاد الاجتماعية والاخلاقية تم استخدام اسلوب المجموعتين المتطرفتين، اذ يعد هذا الأسلوب من الاساليب المناسبة لتمييز الفقرات، وقد رتبت الدرجات الكلية التي حصلت عليها الطالبات بعد تصحيح الاستبيان تنازليا، ثم اختيرت نسبة (٢٧٪) العليا والدنيا من الدرجات لتمثلا المجموعتين المتطرفتين واستبعاد نسبة (٤٦٪) الوسطى، وقد تضمنت المجموعة العليا (٢٧) طالبة و(٢٧) طالبة للمجموعة الدنيا، ولغرض حساب معامل تمييز كل فقرة من فقرات اللاستبيان البالغة (٢٩) فقرة استخدم الاختبار التائي (t-test) لعينتين مستقلتين بواسطة الحقيبة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (spss) وقد عدت القيمة التائية الدالة إحصائيا مؤشرا لتمييز الفقرات، وقد تبين ان (٧) فقرات لا تمتلك قوة تمييزية لذا تم رفضها، اذ ان قيمها التائية المحسوبة اقل من قيمتها الجدولية عند درجة حرية (٥٢) ومستوى دلالة (٠،٠٥) والجدول (٣) يبين ذلك.

الجدول (٣) يبين القيم التائية ومعامل الاتساق الداخلي لفقرات استبيان الابعاد الاجتماعية والاخلاقية لدرجات عينة البناء

رقم الفقرة	القيمة التائية	معامل الارتباط	رقم الفقرة	القيمة التائية	معامل الارتباط	رقم الفقرة	القيمة التائية	معامل الارتباط
١	٥،١٢	٠,٣٢	١١	٤،٥٣	٠،٣٧	٢١	٤،٧٧	٠،٥٩
٢	٤،٦٦	٠،٣٣	١٢	٣،٢٦	٠،٦٢	٢٢	٣،٣١	٠،٣٥
٣	٤،٣٨	٠،٣٩	١٣	١،٢٥	٠،٤٠	٢٣	١،٥١	*٠،٥٤
٤	١،٥١	*٠,٥٤	١٤	٤،١٥	٠،٤٧	٢٤	٣،٢٧	٠،٥٩
٥	١،٣٨	*٠،٤٢	١٥	٣،٨٧	٠،٤٢	٢٥	١،٨٣	٠،٤٣
٦	٤،٥٩	٠،٤٦	١٦	٣،٣٠	٠،٣٢	٢٦	٢،٣١	٠،٦١
٧	٢،٠٩	٠،٤٤	١٧	١،٠٣	*٠،٣٦	٢٧	١،٣٨	*٠،٤٢
٨	٦،٤٧	٠،٥٦	١٨	٢،٣٩	٠،٣٦	٢٨	٢،٠٩	٠،٤٤
٩	١،٨٣	*٠،٤٣	١٩	٣،١٩	٠،٥٦	٢٩	١،٠٣	*٠،٣٤
١٠	١،٣٨	*٠،٤٣	٢٠	١،٨٣	*٠,٤٣			

القيمة التائية الجدولية تساوي ٢،٠١ عند درجة حرية (٥٢) ومستوى دلالة = ٠،٠٥

(*) الفقرة غير مميزة.

٣-٤-٢-٦. صدق المقياس:

أن الصدق من المؤشرات والمفاهيم الأساسية المهمة في تقويم أدوات القياس والتقويم، وقد اعتمدت الباحثتان نوعين من الصدق للتأكد من صدق الاستبيان وهما:

أولاً: الصدق الظاهري:

لقد تحقق الباحثتان من هذا الصدق عندما تم عرض الاستبيان بمكوناته وفقراته على مجموعة من الخبراء والمختصين في مجال اللغة العربية والتربية الدينية علم النفس التربوي وعلم النفس.

ثانياً: صدق التكوين الفرضي:

وقد تم تحقيقه من خلال استخراج القوة التمييزية للفقرات بطريقة المجموعتان المتطرفتان، فضلا عن استخراج معاملات ارتباط درجة المجال بالدرجة الكلية للمقياس.

٣-٤-٢-٧. ثبات المقياس:

للتحقق من ثبات استبيان الابعاد الاجتماعية والاخلاقية تم استخدام طريقة الاختبار وأعادة الاختبار:

أن هذه الطريقة تقوم على فكرة تطبيق الاختبار على عينة من الطالبات ثم إعادة تطبيقه على العينة نفسها بعد مدة من الزمن وتحت نفس الظروف، ثم يتم حساب معامل الارتباط بين نتائج الاختبارين الأول والثاني،وقد تم تطبيق الاستبيان بصيغته النهائية على عينة قوامها (١٠) طالبة (عينة الدراسة الاستطلاعية نفسها)، ثم أعيد تطبيق المقياس على العينة ذاتها بعد مرور أسبوعين، وقد تم حساب معامل الثبات من خلال إيجاد علاقة الارتباط بين نتائج التطبيقين الأول والثاني وذلك باستخدام معامل ارتباط بيرسون، وقد بلغ معامل الثبات (٠،٨٩) وهو معامل ثبات عال.

وبذلك قد استكملت إجراءات أعداد أستبيان

الابعاد الاجتماعية والاخلاقية بصورته النهائية (ملحق(٣))، الذي بلغ مجموع فقراتـه (٢٢) فقرة، وهو جاهزاً للتطبيق على أفراد عينة البحث الأساسية.

٣-٥. التجربة الرئيسة:

تم تطبيق مقياس البيئة الاسرية واستبيان الابعاد الاجتماعية والاخلاقية على عينة البحث البالغة (٢٧٧) طالبة من خلال توزيع الاستمارات عليهن بعد توضيح ما هو مطلوب منهن والإجابة عن استفساراتهن، وبعد جمع الاستمارات تم تصحيحها على وفق مفاتيح التصحيح الخاصة بها ثم معالجتها إحصائيا لاستخراج النتائج.

٣-٦. الوسائل الاحصائية:

استخدمت الباحثة وسائل إحصائية مختلفة لاستخراج نتائج البحث من خلال استخدام الحقيبة الإحصائية) والوسائل الاحصائية هي:spss (الوسط الحسابي، الانحراف المعياري، مربع كاي، الاختبار التائي لعينتين مستقلتين، معامل ارتباط بيرسون..

الباب الرابع:

٤. عرض النتائج وتحليلها ومناقشتها:

٤-١. عرض وتحليل نتائج الهدف الاول:

٤-١-١. عرض نتائج الفروق في البيئة الاسرية من وجهة نظر طالبات الجامعة.

بعد تحليل استجابات أفراد عينة البحث إحصائيا عن طريق نظام الحاسوب الجاهز SPSS توصلت الباحثات إلى مايلي:

جدول (٤) يبين الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية لمتغيرات البحث وللمراحل الأربعة لطالبات كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة للبنات / جامعة بغداد

المرحلة	المتغير	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري
الاولى	البيئة الاسرية	٦٤،٤	١،٠٩
	الابعاد الاجتماعية والاخلاقية	١٤،٥	١،٧٣
الثانية	البيئة الاسرية	٥١،٥	٦،٣٥
	الابعاد الاجتماعية والاخلاقية	١٥	٣،٤٦
الثالثة	البيئة الاسرية	٦٥،٧٥	٠،٥
	الابعاد الاجتماعية والاخلاقية	١٦،٥	٠،٥٧
الرابعة	البيئة الاسرية	٥٧	١٠،٣٩
	الابعاد الاجتماعية والاخلاقية	١٥	٣،٤٦

درجة الحرية =٣٧٦ ومستوى الدلالة =٠،٠٥

ولغرض تحقيق فرضية البحث الاولى نجد في الجدول (٥) نتائج تحليل التباين للبيئة الاسرية بين طالبات المراحل الاربعة

جدول (٥) يبين تحليل التباين للبيئة الاسرية بين طالبات المراحل الاربعة

المصدر	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط مجموع المربعات	قيمة f المحسوبة	الدلالة
بين المجاميع	٠،٨٥	٣	٠،٢٨٣	٠،٠٠٦	غير معنوية
داخل المجاميع	٧٤٥،٦	٢٧٣	٤٦،٦		
المجموع العام	٧٤٦،٤٥	٢٧٦			

نرى من الجدول (٥) أن قيمة f المحسوبة بلغت (٠،٠٠٦) وهي أصغر من القيمة الجدولية البالغة (٨،٥٣) عند مستوى دلالة ٠،٠٥ ودرجتي حرية (٣،٢٧٣)، لذا نقبل الفرضية الصفرية ونرفض الفرضية البديلة أي بمعنى لا توجد فروق بين المجاميع الاربعة في البيئة الاسرية من وجهة نظر طالبات كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة للبنات.

٤-١-٢. عرض نتائج وتحليل الابعاد الاخلاقية والاجتماعية لزيارة الاربعين من وجهة نظر طالبات الجامعة.

نرى في جدول (٦) نتائج تحليل التباين للابعاد الاجتماعية والاخلاقية بين طالبات كليات التربية البدنية وعلوم الرياضة للبنات للمراحل الأربعة.

جدول (٦)يبين تحليل التباين للابعاد الاجتماعية والاخلاقية بين طالبات المراحل الاربعة

المصدر	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط مجموع المربعات	قيمة f	الدلالة
بين المجاميع	١٧١،٣٥	٣	٣٤،٢٧	٩،٣٤	معنوية
داخل المجاميع	١٨،٣٣	٢٧٣	١٢،٠٧		
المجموع العام	١٨٩،٦٨	٢٧٦			

من جدول (٦) نجد إن قيمة f المحتسبة ٩,٣٤ ومما يدل على وجود فروق معنوية عند مستوى معنوية ٠,٠٥ بين المجاميع وللتعرف على الفروق للمجاميع تم استخدام L.S.D وكما مبين في جدول (٧).

جدول (٧) يبين نتائج الفروق في الأوساط الحسابية بين المراحل الأربعة للابعاد الاجتماعية والاخلاقية

المرحلة		مرحلة أولى	مرحلة ثانية	مرحلة ثالثة	مرحلة رابعة
مرحلة أولى	الوسط الحسابي ٦٤،٨	–	١٣،٣*	٠،٩٥-	٧،٨
مرحلة ثانية	٥١،٥	١٣،٣-	–		٥،٥-
مرحلة ثالثة	٦٥،٧٥	٠،٩٥	١٤،٢٥*	–	٨،٧٥
مرحلة رابعة	٥٧	٧،٨-	٥،٥	٨،٧٥-	–

من خلال الجدول أعلاه تبين أن فرق الاوساط الحسابية بين المجموعة الأولى والثانية والبالغ (١٣،٣) وكذلك الفرق بين الثالثة والثانية البالغ

(١٤،٢٥) هما أكبر من قيمة أقل فرق معنوي البالغة (١٢،٠٢) مما يدل على الفرق المعنوي بين المجاميع الاربعة هي لصالح المجموعة الثالثة كون وسطها الحسابي أكبر من بقية الأوساط.

٤-٢. عرض نتائج الهدف الثاني وتحليلها:

يرمي الهدف الثاني الى تعرف العلاقة بين البيئة الاسرية والابعاد الاخلاقية والاجتماعية لزيارة الاربعين.

لتحقيق ذلك تم استخدام معامل ارتباط بيرسون بين البيئة الاسرية والابعاد الاخلاقية والاجتماعية حيث تبين من خلال النتائج وجود علاقة ارتباط دالة إحصائيا بين الدرجة الكلية للبيئة الاسرية والابعاد الاخلاقية والاجتماعية، إذ كانت القيمة التائية المحسوبة اكبر من قيمتها الجدولية البالغة (١،٩٦) عند درجة حرية (٢٧٦) ومستوى دلالة (٠،٠٥). والجدول (٧) يبين النتائج.

الجدول (٧) يبين دلالة الارتباط بين البيئة الاسرية والابعاد الاخلاقية والاجتماعية

المعالم الإحصائية المتغير	العدد	معامل الارتباط	القيمة التائية		الدلالة الإحصائية
			المحسوبة	الجدولية	
البيئة الاسرية x الابعاد الاخلاقية والاجتماعية	٢٧٧	٠،٣٤٠	٧،٥٦٦	١،٩٦	دالة

درجة الحرية = ٢٧٦ مستوى الدلالة = ٠،٠٥

تبين النتائج وجود علاقة ارتباط ايجابية دالة إحصائيا بين البيئة الاسرية والابعاد الاخلاقية والاجتماعية.

٤-٣. مناقشة النتائج:

يتبين من الجداول (٤)(٥)(٦)(٧) بانه لاتوجد فروق بين افراد العينة في البيئة الاسرية، وقد يرجع السبب في ذلك الى أن لموسسة الأسرة أهمية بالغة في صياغة الشخصية الانسانية وتنشئتها وتنميتها معرفيا وصياغتها نفسيا وأن الوالدين يساهمان في تنشئة الابناء من خلال تقديم الحب والرعاية لهم بوصفهما نماذج ضرورية للتقمص وتزود الابناء بمعظم خبراتهم والمشاركة في تطور مفهوم الذات لديهم، وكلما كانت العلاقة بين الوالدين والابناء مبنية على الثقة والقبول ساعدت على نمو الفرد نموا سويا متوازنا بين كافة الجوانب الأمر الذي ينعكس على توافقه الشخصي والاجتماعي داخل وخارج الأسرة مما يؤدي الى ازدياد الشعور بالأمن النفسي وأتخاذ القرار وتدريبهن على تحمل المسؤولية والاعتماد على النفس، فضلا عن ذلك فان المجتمع يسوده الاهتمام بتعاليم الدين الاسلامي وأهتمام الأسر بغرس القيم الدينية والاخلاقية في نفوس الابناء منذ الصغر والتمسك بالعادات والتقاليد والاعراف مدى تشجيع الأسرة والى نمط التفاعل داخل أسرة الذي يدعم وينمي أحساس الفرد بالميل الاجتماعي والضبط الاجتماعي والانفعالي.

الباب الخامس:

٥. الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات:

٥-١. الاستنتاجات:

١. لا توجد فروق حقيقية في البيئة الاسرية بين الطالبات حسب متغير المرحلة (الاولى، الثانية، الثالثة، الرابعة).

٢. توجد فروق حقيقية في الابعاد الاجتماعية والاخلاقية لزيارة الاربعين من وجهة نظر طالبات كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة للبنات بجامعة بغداد ولصالح المجموعة الثالثة.

٣. توجد علاقة ارتباط حقيقية بين البيئة الاسرية والابعاد الاجتماعية والاخلاقية لزيارة الاربعين من وجهة نظر طالبات كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة للبنات – جامعة بغداد.

٥-٢. التوصيات والمقترحات:

١. ضرورة تعزيز وحفاظ الأسرة على مستوى الرعاية الأسرية للأبناء لينمو في بيئة أسرية سليمة.

٢. ضرورة حث وحدات الإرشاد النفسي والتربوي لدى الجامعة للقيام بدور فعال في توعية الطالباتبالالتزام بالقيم الاخلاقية.

٣. ضرورة تضمين المناهج التعليمية للمراحل الدراسية المختلفة باهمية الاخلاق والقيم والالتزام بها.

٤. القيام بدراسات مشابهة على الطلبة الجامعيين

٥. اجراء دراسة مقارنه بين اراء الطلبة تبعا لمتغير الجنس (ذكور واناث) والتخصص(علمي وأنساني).

الهوامش

١. دور برامج الاطفال في الراديو والتلفزيون في نشر الوعي البيئي لدى الاطفال في مصر، ناهد أحمد.

٢. أحكام البيئة في الفقة الاسلامي ، ط١،عمر بن محمد القحطاني .

٣. مقالة ماهية البيئة ، شبكة الانترنت ،أسامة عبد العزيز.

٤. الوجيز في قانون البيئة ،ط١، عبد المجيد السملالي .

٥. الاسرة وعوامل نجاحها ، ط١ ، نبيل حليلو .

٦. البيئة الاسرية وعلاقتها بالدوافع النفسية والاجتماعية ، دراسة ميدانية على عينة من أطفال الشوارع ، سلوى عبد السلام عبد الغني .

٧. المتفوقون عقليا : مشكلاتهم في البيئة الاسرية والمدرسية ودور الخدمات النفسية في رعايتهم ، عبد المطلب أمين القريطي .

٨. شروط البيئة الأسرية المؤثرة في التحصيل الدراسي لدى الاطفال، نبيل السيد .

٩. البعد النفسي والاجتماعي والاقتصادي لغير الناطقين بالعربية ، محمد الطاهر المحمودي .

١٠. المرجع في الصحة النفسية ، ط٢ ، أديب محمد علي الخالدي .

١١. في مفهوم الاخلاق : قراءة فلسفية معاصرة ، علي أسعد وطفة .

١٢. تاج العروس من جواهر القاموس ،محمد مرتضى الزبيدي .

١٣. سورة القلم ،آية ١٤

١٤. الوجيز في الاخلاق الاسلامية، عبد الرحمن حسين الميداني .

١٥. بحار الآنوارالجامعة لدرر أخبار الأئمة الآطهار، محمد باقر المجلسي .
١٦. تهذيب الأحكام ، ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي .
١٧. وسائل الشيعة ، مؤسسة ال البيت لاحياء التراث ،محمد بن الحسن العاملي .
١٨. كامل الزيارات ، مؤسسة النشر الاسلامي، جعفر بن محمد أبن قولوية .
١٩. وسائل الشيعة ، مصدر سبق ذكره.
٢٠. وسائل الشيعة ، المصدر السابق .
٢١. كامل الزيارات ، مصدر سبق ذكره .
٢٢. وسائل الشيعة مصدر سبق ذكره .
٢٣. بحار الآنوارالجامعة لدرر أخبار الأئمة الآطهار ، مصدر سبق ذكره.
٢٤. بحار الآنوارالجامعة لدرر أخبار الأئمة الآطهار ، المصدر السابق.
٢٥. بحار الآنوارالجامعة لدرر أخبار الأئمة الآطهار ، المصدر السابق .
٢٦. البيئة الاسرية والعصاب والتحصيل الدراسي لدى تلامذة التعليم الثانوي ،ليلى عياش .
٢٧. دراسة مقارنة لبعض متغيرات الجهاز الدوري التنفسي لزيارة الاربعين سيرا وفقا للجنس والعمر والمسافة ،أحمد المرسومي .
٢٨. مقياس البيئة الاسرية والتفاعل بين اعضاء الاسرة ،فتحي عبد الرحيم وحامد الفقي .

المصادر والمراجع

١. أبن قولوية، جعفر بن محمد، كامل الزيارات، مؤسسة النشر الاسلامي، ط١، ص٢٥٦.
٢. أحمد، ناهد عامر، دور برامج الاطفال في الراديو والتلفزيون في نشر الوعي البيئي لدى الاطفال في مصر، رسالة ماجستير، معهد الدراسات العليا للطفولة، عين شمس.
٣. الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، ج ٢، بيروت، دار الفكر،١٤١٤ هـ
٤. السملالي، عبد المجيد، الوجيز في قانون البيئة، ط١، دمشق، دار القلم للطباعة والنشر، ٢٠٠٦.
٥. السيد، نبيل، شروط البيئة الأسرية المؤثرة في التحصيل الدراسي لدى الاطفال، أطروحة دكتوراة / كلية التربية – جامعة ألمنيا،١٩٩٠.
٦. العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، مؤسسة ال البيت لاحياء التراث، ج١٤، طهران – قم،١٤١٤.
٧. القحطاني، عمر بن محمد، أحكام البيئة في الفقة الاسلامي، ط١، دار ابن الجوزي، ٢٠٠٨.
٨. القريطي،عبد المطلب أمين، المتفوقون عقليا: مشكلاتهم في البيئة الاسرية والمدرسية ودور الخدمات النفسية في رعايتهم، رسالة الخليج العربي، العدد ٢٨، ١٩٨٩.
٩. المجلسي، محمد باقر، بحار الآنوارالجامعة لدرر أخبار الأئمة الآطهار، شبكة الفكر للكتب الالكترونية، ٢٠١٧، ج ٩٨.
١٠. المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الآطهار، شبكة الفكر للكتب الالكترونية،٢٠١٧، ج ١٠١.
١١. المحمودي، محمد الطاهر، البعد النفسي والاجتماعي والاقتصادي لغير الناطقين بالعربية، الموتمر الدولي الثالث للغة العربية، دبي،٢٠١٤.

١٢. الميداني، عبد الرحمن حسين، الوجيز في الاخلاق الاسلامية، ط٢، بيروت، دار الريان، ٢٠٠٤.

١٣. حليلو، نبيل، الاسرة وعوامل نجاحها، ط١، الجزائر،٢٠١٣.

١٤. جلال، سعد، المرجع في علم النفس، مكتبة المعارف الحديثة، الاسكندرية،١٩٩٢.

١٥. الخالدي، أديب محمد علي، المرجع في الصحة النفسية، ط٢، غريان، الدار العربية للنشر والتوزيع والاعلان، ٢٠٠٦.

١٦. دياميي، فوزية، القيم والعادات الاجتماعية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٠.

١٧. الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تهذيب الأحكام، دار الكتب الاسلامية،طهران، ١٣٦٥رهـ.

١٨. الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، مصباح التهجد، مؤسسة الاعلى، بيروت، ط١، ١٩٩١.

١٩. عبد الرحيم، فتحي و الفقي، حامد، مقياس البيئة الاسرية والتفاعل بين اعضاء الاسرة، مؤسسة علي جراح الصباح، الكويت، ١٩٨٨.

٢٠. عبد العزيز، أسامة، «مقالة ماهية البيئة»، شبكة الانترنت.

٢١. عبد الغني، سلوى عبد السلام، البيئة الاسرية وعلاقتها بالدوافع النفسية والاجتماعية، دراسة ميدانية على عينة من أطفال الشوارع، جامعة المنيا، ٢٠٠٢.

٢٢. عياش، ليلى، البيئة الاسرية والعصاب والتحصيل الدراسي لدى تلامذة التعليم الثانوي، رسالة ماجستير غير منشورة،كلية العلوم الاجتماعية / جامعة وهران، ٢٠١٥.

٢٣. وطفة، علي أسعد، في مفهوم الاخلاق: قراءة فلسفية معاصرة، شؤون أجتماعية، العدد ١١٩، لسنة ٢٠١٣، جامعة الكويت.

٢٤. Elder، Linda (2006). The Miniature Guide to Understanding the Foundations of Ethical Reasoning. United States: Foundation for Critical Thinking Free Press. np. ISBN 0-944583-17صفحة

الملاحق:

ملحق (١) مقياس الابعاد الخلقية لزيارة الاربعين

ت	الفقرات ان زيارة الاربعين لها ابعاد هي:	موافق جدا	موافق	موافق الى حدما
١	تجديد العهد وتذكير النفوس بالتعاليم الآلهية.			
٢	الألتزام بمعاني التضحية والفداء.			
٣	القتداء بمبادىء الثوار الشرفاء.			
٤	تكريس ثقافة المساؤاة والتواضع.			
٥	التذكير بالأخوة الانسانية والاسلامية.			
٦	الشعور بحالة من الصحة والعافية بعد ممارسة المشي.			
٧	الحصول على فرصة للحوار مع الذات.			
٨	تعزيز القناعة بالمكانيات الذاتية.			
٩	الشعور بالمسؤولية الاخلاقية.			
١٠	ترسيخ وتجديد الاستعداد الكامل للتضحية والفداء.			
١١	تأصيل وترسيخ القيم والمبادىء والاداب والصفات الحميدة.			
١٢	بث ونشر روح الاخاء والمحبة والتعاون مع الآخرين.			
١٣	أحياء الشعائر والافكار الرسالية التي تمثل العطاء والصمود.			
١٤	الحصول على راحة الضمير والوجدان.			
١٥	أجتماع المؤمنين وتزاورهم وتواصلهم.			
١٦	ترويح النفس من خلال البكاء والاستعبار.			
١٧	تكوين علاقات قائمة مع الصحبة وروح الفريق.			
١٨	التأسي بمصائب أهل البيت عليهم السلام			
١٩	مواصلة التعايش بين الافراد.			
٢٠	أشعاع النور في الحياة والتخلص من شوائب الطبيعة.			
٢١	أزدياد معرف الزائر وعلومة الدينية.			
٢٢	التأكيد على أحقاق حقوق الجماهير.			

ملحق (٢) مقياس البيئة الاسرية

ت	الفقرات	نعم	لا
١	يحضر افراد اسرتي كثير من الاجتماعات والمسابقات الدينية		
٢	نادرا مايؤدي افراد الاسرة الصلاة في مواعيدها		
٣	كثير ما يدور نقاش بين افراد الاسرة حول المغزى الديني للمناسبات الدينية		
٤	نحن لانعتقد في وجود الجنة والنار في اسرتنا		
٥	يعتنق بعض افراد اسرتي افكار صارمة عن الصواب والخطأ		
٦	في اسرتنا نعتقد بوجود بعض الاشياء التي يجب ان تؤخذ في الاعتبار لمجرد رأي الدين		
٧	لكل فرد في اسرتي افكار مختلفة عن الآخر فيما يتعلق بالصواب والخطأ		
٨	القران الكريم كتاب بالغ الاهمية في منزلنا		
٩	نعتقد في اسرتي ان الفرد الذي يخطأ يجب ان يعاقب		
	يتم التخطيط للانشطة المختلفة التي تقوم بها الاسرة بطريقة جيدة		
١٠	يحافظ كل فرد في الاسرة على ترتيب الاشياء ونظافتها		
١١	نواجه صعوبة كبيرة في الحصول على الاشياء التي نحتاج اليها في المنزل		
١٢	المحافظة على المواعيد من الامور التي تهتم بها اسرتي اهتماما كبيرا		
١٣	يتحول افراد اسرتي من رأي الى اخر بكثرة		
١٤	يحرص افراد اسرتي على التاكد من ان غرفهم نظيفة ومرتبة		
١٥	واجبات كل فرد ومسؤولياته محدده بوضوح في محيط اسرتي		
١٦	التصرف في النقود لا يتم بعناية اسرتي		
١٧	يقوم افراد اسرتي بتنظيف المائدة والاطباق بعد الانتهاء من تناول الطعام		
١٨	نادرا ما يلتزم افراد الاسرة بالترتيب والنظام		
١٩	يوجد قدر قليل من القواعد والانظمة التي يتبعها افراد الاسرة		
٢٠	فرد واحد في الاسرة هو الذي يتخذ القرارات		
٢١	توجد طرق تقليدية معرفة لا تتغير لعمل الاشياء في المنزل		
٢٢	يوجد تأكيد شديد على اتباع القواعد وعدم الخروج عنها في محيط اسرتي		
٢٣	كل فرد في الاسرة له الحق في اتخاذ القرارات المتعلقة بالاسرة		
٢٤	كل فرد من اسرتي يستطيع ان يفعل ما يحلة له		
٢٥	ليست هناك مرونة في القواعد والانظمة غي محيط الاسرة		
٢٦	يفترض في افراد اسرتي ان يلتزموا التزاما صارما بالتعليمات والتقاليد		

طقوس الحداد في زيارة الأربعين «المفهوم والوظائف»

مقاربة انثروبولوجية وظيفية

أ. م. د. نورس إبراهيم عبد الهادي

كلية العلوم الإسلامية – قسم اللغة العربية – جامعة كربلاء

الملخص

تحظى طقوس الحداد السنوية التي يقيمها الشيعة في العراق وخارجه بمناسبة مرور أربعين يوماً على استشهاد الإمام الحسين عليه السلام بأهمية وتقديس كبيرين على الأصعدة الدينية والسياسية والاجتماعية والنفسية، مما يؤكد على الدور الذي تلعبه هذه الطقوس في توحيد صفوفهم كجماعة واحدة، فضلاً عن أهميتها في بناء هويتهم الثقافية ضد الهجمات والمخاطر الخارجية التي يواجهونها. وقد أفدنا في هذه الدراسة من المنهج الانثروبولوجي ومعطياته المتنوعة فيما يتعلق بطقوس العبور، الدينية منها، وتحديداً الوظائف التي تنهض بها هذه الطقوس، متخذين من الوظيفة الكامنة أساساً انطلقنا منه في تحليلنا لطقس الأربعينية، هذه الوظيفة تتحقق من فعل المنخرطين في الطقس دون وعي أو قصد منهم، وقد تمثلت في زيارة الأربعين وظائف كامنة منها، وظيفة المقدس والتأسيس، وتجييش الذهن الجمعي وتعبئته، وعرضنا ذلك من زاوية نظر سوسيو انثروبولوجية.

Rite of mourning in the visit of the forty-concept، functions

«Functional Anthropological Approach»

Dr. Nawres Ibrahim Abdel Hadi

University of KarbalaIslamic Sciences College - Department of Arabic Language

Abstract

The annual mourning rituals held by Shiites in Iraq and abroad on the occasion of the 40th anniversary of the martyrdom of Imam Hussein (peace be upon him) are of great importance and reverence on the religious، political، social and psychological levels، which emphasizes the role played by these rituals in unifying their ranks as a single group. Building their cultural identity against external attacks and threats they face. In this study، we deduced from the anthropological approach and its various data regarding the rituals of transit، religious، and specifically the functions performed by these rituals، taking from the inherent function basically starting from it in our analysis of the weather of the quadrature. This function is realized by the actions of those involved in the weather Of them، the fourteenth visit was represented in three functions، the sacred function، the foundation، the mobilization and mobilization of the collective mind، and we presented it from a sociological perspective.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله الطيبين الطاهرين.

أما بعد...

فقد اتجهت الدراسات الغربية الحديثة إلى الاهتمام بالمجتمعات والشعوب سواء كانت بدائية أو الشعوب الحديثة والمعاصرة، فضلاً عن دراسة الأجناس والأعراق البشرية والإنسانية من حيث قيمها وثقافتها وما تحمله من عادات وتقاليد، مثل الأساطير والخرافات والطقوس الدينية ونظام تقسم الطبقات وغير ذلك. وقد كانت الانثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية، أو ما يسمى «بالنزعة الثقافية» خير معين للكشف عن تلك العادات والقيم أو الطقوس التي لم تحظ بالاهتمام الكافي من قبل الدارسين، فقد كان ينظر إلى تلك الطقوس وغيرها من العادات والتقاليد على أنها ممارسات فارغة من المعنى ولم تعد ملائمة لهذا العصر الذي شهد تحولات كبيرة على مستوى التقدم العلمي والتكنلولوجيا والاتجاه صوب المادية، ولم يلق بالضوء عليها حتى العشرينات من القرن الحالي.

وبما أن الزيارة الأربعينية التي تقام بمناسبة ذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام مع أهل بيته وأصحابه في واقعة الطف بكربلاء سنة ٦١ هـ تمثل وثيقة تاريخية مهمة على الأصعدة السياسية والدينية والنفسية والاجتماعية بالنسبة للشيعة داخل العراق وخارجه، ونشاطاً اجتماعياً شمل رقعة جغرافية واسعة، فهي طقس موغل في القدم يعكس ما ترسخ في الوعي الجمعي للشيعة من رمزية هذا الطقس وأهميته لكونه موجها للسلوك الإنساني وملهماً روحياً لهم وللإنسانية جمعاء، لذا اقتضت الدراسة الإفادة من معطيات هذا الحقل المعرفي وتطبيقه على زيارة الأربعين فيما يتعلق بطقوس العبور، والوظائف التي تنهض بها هذه الطقوس، تحديداً الوظائف الكامنة التي تتخفى خلف ممارسات معتنقي هذه الزيارة دون وعي منهم، فالانثروبولوجيا الثقافية تفسر الظواهر الثقافية من خلال وظيفتها، أي الدور الذي تلعبه هذه الظواهر في الحياة الاجتماعية وقد أفدنا من تنظيرات «روبرت ميرتون» - أحد أبرز أعلام البنيوية الوظيفية بهذا الصدد- كمقاربة لتطبيق هذا المعطى الثقافي على زيارة الأربعين.

وقد انقسمت خطة البحث على محورين تسبقهما مقدمة، الأول: تضمن التعريف بالمفاهيم الواردة في هذا البحث، الطقس والحداد وزيارة الأربعين.

أما المحور الثاني فقد قدمنا له بتوطئة حول مفهوم الوظيفة في علم الانثروبولوجيا مع دراسة لأهم الوظائف الكامنة لزيارة الأربعين، هي وظيفة المقدس وتجييش الذهن الجمعي والتأسيس. أما الخاتمة فقد كانت بأبرز النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة. ومن الله التوفيق.

المحور الأول: المفاهيم

يمكن تعريف أهم المفاهيم الواردة في البحث كالآتي:

١. الطقس

مجموعة من القواعد التي تنتظم بها ممارسات الجماعة، إما من خلال أداء شعائرها التي تعد مقدسة أو من خلال تنظيم أنشطتها الاجتماعية والرمزية وضبطها وفق شعائر منتظمة في الزمان والمكان[١]. وهي بحسب تعريف فيكتور تورنر: (تلك الطقوس التي تعبر عن انتقال شخص أو مجموعة أشخاص من مكانة اجتماعية معينة إلى مكانة اجتماعية أُخرى معينة أيضاً)[٢] فهي تتم عند كل لحظة تتغير فيها مكانة الفرد في المجتمع.

ومن حيث الأصل اللغوي تتأتى لفظة "Rits" في اللاتينية من "Ritus" ويعني مجموع الأنشطة والأفعال المنظمة التي تتخذها جماعة ما خلال احتفالاتها[٣]. كما تترجم كلمة "Rites" بأنها طقوس أو شعائر[٤]. ولا بد من الإشارة الى إن كلمة «طقوس» لا توجد في المعاجم العربية القديمة، وإنما توجد بدلها ألفاظ قريبة تحمل دلالات دينية خاصة مثل «الشعائر» و«المناسك» تشتركان في الدلالة على أفعال العبادة والتقرب إلى الله. وان مصطلح «شعائر» هو التعبير الإسلامي عن مفهوم «الطقوس»، وتعني أفعال العبادة التي يقوم بها المؤمن استجابة لأمر دينيٍّ مقدسٍ وواجبٍ شرعاً مثل الصلاة والصوم والزكاة والحج[٥]. وفي المعاجم الحديثة يشار بها في الديانة المسيحية إلى النظام الذي تتم به الشعائر والاحتفالات الدينية المقدسة[٦].

إن مجال الطقوس لا يشمل الجوانب الدينية وحسب، بل يتضمن إلى جانب ذلك الأنشطة والممارسات غير الدينية بما في ذلك الأنشطة الاقتصادية والسياسية والرياضية وأفعال التواصل والتبادل التي تتم بين الأفراد في عيشهم اليومي[٧]. وقد أولى «ايرفينغ كوفمان» لطقوس التفاعل في الحياة اليومية اهتماماً أساسياً في مقارباته السوسيولوجية للممارسات البسيطة في حياة الناس اليومية، مبيناً ما يقع فيها من انتظام، وما تختفي من ورائها من رمزية تسير عمليات التواصل الأكثر شيوعاً بين الإفراد في الحياة اليومية. وتكمن فائدة أعمال «كوفمان» في أنه كشف عما وراء «فوضى» الممارسات اليومية من أنشطة منتظمة ينخرط فيها الناس ويتقيدون بها دون أن ينتبهوا إلى ما فيها من انتظام رمزي. كما بين «كوفمان» أن الناس كائنات طقوسية بامتياز ولا يمكنهم العيش معاً إلا بواسطة طقوس تنتظم مبادلاتهم الرمزية المختلفة[٨].

والشعائر والطقوس هي سلوكات فردية أو جماعية تنتقل عبر الأجيال وتستلزم مراعاة عدد من القواعد الدقيقة والثابتة التي ليس من السهولة تغييرها أو تحويرها، تترجمها رموز الجماعة القولية منها والحركية، وتتحقق من خلالها غايات التواصل وتشبع حاجات رمزية أساسية. وبدون هذه القواعد الثابتة تفقد الشعائر والطقوس قيمتها وفاعليتها وخصائصها التراثية[٩]. وترتبط بالسلوك الطقسي جملة من الخاصيات تميزه عن باقي الممارسات الجماعية، أهمها انتظامه وفق تراتيب وضوابط لا يتم التبادل الرمزي إلا بها وإلا فقد التواصل مضمونه الرمزي. وتخضع ممارسة الطقوس إلى جملة من

الشعائر والمراسم المعقدة ويجري كل طقس وفق سيناريوهات درامية متكررة تختلف باختلاف وضعيات التفاعل، والأنظمة الثقافية[١٠].

وقد درس الانثروبولوجيون على مرّ العصور طقوس العبور هذه في أشكالها المتنوعة وفي مجتمعات متعددة، حتى استنبط «فان جيب»[١١] من دراسته لمظاهر هذه الطقوس المختلفة نموذجاً وحيداً. فحسب نظريته يتكون كل طقس عبوراً من ثلاثة أجزاء أو ثلاث مراحل[١٢]. هي المرحلة الانفصالية أو مرحلة الفراق حيث ينفصل الفرد من حالته السابقة مثال ذلك طقس الولادة والوفاة، والمرحلة الكامنة أو الهامشية وهي طور انتقال يقضيه العابر على هامش المجتمع، وهي حالة وسط بين المرحلتين السابقة واللاحقة. وفي هذه المرحلة لا يملك العابر أي مكانة اجتماعية معينة بل يعيش خارج المجتمع. ويؤكد «فيكتور تورنر» وأتباعه أن العابر في هذه الفترة يعيش مرحلة «بين بين»، غير ثابتة وغير معينة بين مرحلتين ثابتتين معينتين، ولذلك نجد ان الرموز المسيطرة على هذا الجزء من الطقس تعبر عن الغموض وعدم الاستقرار كما تشير إلى سلوك غير اجتماعي أو ضد المجتمع[١٣]. ومن أمثلتها طقوس بلوغ الحلم وطقوس التكريس، أما المرحلة الثالثة هي مرحلة الاندماج التي تجرى عندما ينضم الفرد إلى جماعة جديدة، أو إلى فرد آخر ليكون معه جماعة جديدة مثل طقوس الزواج، أو التبني[١٤].

ويرى «رينيه جيرار» أن الطقوس الانتقالية «تشكل أداة عظيمة للحفاظ على النظام الديني والاجتماعي، بضمانها سيطرة الأجيال الغابرة على الأجيال الطالعة»[١٥]. فهي ذات دور مهم لضمان التوازن الاجتماعي في العلاقة بين الفرد والمجتمع. وقد وظفت هذه النظرية في مجالات شتى، لا سيما أن جينيب دعا القارئ إلى تطبيق المخطط المفاهيمي لطقوس العبور على معطيات حقل دراسته[١٦].

تصنف الطقوس حسب أنواع، منها الطقوس الدينية المرتبطة بالحياة الروحية، ومنها طقوس العبور المتنزلة في الواقع الاجتماعي المعيش والمتصلة بأهم التغيرات البيولوجية أو التحولات المكانية أو الزمنية أو الاجتماعية التي تطرأ على الإنسان طوال حياته[١٧].

استناداً الى ما تقدم فإن الطقوس أو الشعائر الحسينية، هي مجموعة من الأعمال والممارسات التي يقوم بها أتباع أهل البيت عليهم السلام استجابة لما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وأكد عليه الأئمة المعصومون من بعده[١٨]. فكل طقس قام به شيعة أهل البيت أو يقومون به إنما مرجعه سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وهو خاضع للضوابط الشرعية المستقاة من كتاب الله وسنة نبيه. ولقد أكد الأئمة عليهم السلام على كون هذه الشعائر والطقوس خاضعة للموازين والقيم الدينية لكونها ترتبط بشعار من أهم الشعارات الإسلامية ألا وهي الإمامة، وقد جاءت أولى تلك الوصايا على لسان الإمام الحسين عليه السلام حينما أوصى أُخته زينب الكبرى في العاشر من المحرم، ولعل تلك الوصية كانت مرتكزاً للشعائر الفعلية من حيث توجيه الإمام لها، ووضعها بالأطر الشرعية قائلاً لها: «أُخيَّه لا يذهبنَّ بحلمك الشيطان...أُخيَّه إن أهل السماء لا يبقون، وأن كل شيء هالك إلا وجه الله تعالى.. يا أختاه إني أقسم عليك فأبري قسمي،

لا تشقّي عليَّ جيباً ولا تخمشي عليّ وجهاً ولا تدعي بالويل والثبور إذا أنا هلكت»[١٩].

يتضح من خلال نص الوصية السابق أن الإمام الحسين عليه السلام قد أرسى اللبنات الأولى لممارسة الشعائر بما ينسجم مع التعاليم الإسلامية والأطر الشرعية فهو لا ينكر على العقيلة زينب عليها السلام تلك العاطفة الطبيعية في إظهار الحزن والجزع لأنها بمصيبة الإمام الحسين تجدد عزاءها بأبيها وأمها وأخيها الإمام الحسن عليه السلام[٢٠] وأن انبعاث تلك الأشجان، ينسجم مع الطبيعة البشرية، وهو مظهر من مظاهر الرحمة وهي لا تبكي أخاً فقط بل سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وريحانته، وسيد شباب أهل الجنة والإمام المعصوم، لذا وجه الإمام الحسين أُخته بالالتزام بالأُطر الشرعية في القيام بالشعائر ببكائها وندبتها حتى تكون منسجمة مع الخط العام[٢١].

٢. الحداد

الحداد[٢٢] أو العزاء طقس يتشكل بسبب الحزن على فقدانٍ فيزيائيٍّ أو روحيٍّ لأشخاص أو أشياء يرتبط معها الإنسان بعلاقات تختلف بحسب طبيعة الصلة بينه وبينها، وبذلك يكون الفقدان هو العنصر الرئيس الذي تتولد عنه عملية الحداد[٢٣]. فهو إذن عزاء ومواساة في الحزن عند حدوث وفاة بصورة عامة[٢٤]. ويرتبط هذا الطقس ارتباطاً وثيقاً بالموت، فلا يوجد حداد إن لم يكن هناك فقدٌ بسبب الموت. لأن الإنسان إن فقد شخصاً فقداناً روحياً لن يكون الحزن المتولد عن هذا الفقد بمقدار الحزن الذي سيتولد عند موته، أي بفقده جسدياً لأن الموت هو رحلة لا عودة منها في المتخيل الجمعي عند مختلف الشعوب والثقافات.

إن طقوس الحداد هي جزء من طقوس العبور، فهي تمر بمراحل مختلفة تؤدي إلى الانفصال عن الواقع جراء حالة الفقد التي تصيب الفرد بموت أحد أفراد عائلته، أو المقربين منه. فالشخص الفاقد لا يرغب بالاعتراف بالواقع الجديد فينفصل عنه ويشعر «باضطراب عقلي هلوسي» لذلك تظهر نزعة قوية لدى الشخص الفاقد إلى ترك الواقع والتمسك بالموضوع المفقود. ثم يدخل الفاقد في سلسلة من العمليات النفسية والاجتماعية يكون لطقس الحداد دور كبير في توجيهها، ذلك أن طقوس الحداد من وجهة نظر نفسية تمثل حالة صحية إيجابية طبيعية في التخلص من آثار خسارة أو فقد شخص عزيز من خلال إعداده نفسياً من أجل العيش ضمن ظروفه الجديدة. ولهذا فإن عملية الحداد تأتي لتوفر وسيلة للإفلات من تأثير الفقدان وهيمنته على نفس الفاقد وأيضاً كوسيلة لاعتياد هذا الفقدان والعودة إلى الحالة الطبيعية السابقة، أي إلى حالة ما قبل الفقدان. ولا تتم هذه العودة إلا عن طريق عملية طويلة ومعقدة من طقوس الحداد. كما ان لها أهمية كبيرة على الصعيد الاجتماعي فهي تجعل الأفراد يشتركون بعلاقات وثيقة وروابط عاطفية حيث يصبح فقدان أحد إفراد الجماعة مسألة مؤثرة تساهم في جمع الأفراد مع بعضهم بعضاً من أجل توثيق علاقاتهم وكذلك ربطهم بحالة عاطفية مشتركة، وهو ما يساعدهم على تحرير مشاعرهم وتحقيق بعض السلوى كنوع من التعويض والمكافأة عن الشخص الذي فقدوه[٢٥].

فضلاً عن أن هذا التواصل الوجداني في طقوس الحداد يساهم كثيراً في بناء المجتمع، لأن الفرد يرى نفسه جزءاً من هذا المجتمع الذي يشترك في الحزن من أجل تجاوز الخسارة والفقدان. وبعد هذه السلسلة الطويلة من طقوس الحداد يصل الفاقد إلى مرحلة إعادة الاندماج في المجتمع والعودة إلى الواقع من أجل التعايش مع الواقع الجديد.

إن الحداد أو العزاء، ظاهرة دينية – شعائرية لها خصوصية وفرادة في العالمين العربي والإسلامي، تتجلى في حالة حدوث وفاة بصورة عامة. ومن المتعارف عليه أن الدين الإسلامي دعا الإنسان إلى أنْ لا يحزن كثيراً على موت أحبائه، لأنه لاحق بهم عن قريب[٢٦]، وان الحزن على الشخص المفقود يجب أن يكون فترة قصيرة لا تتجاوز أكثر من ثلاثة أيام، يستغلها المعزون بالدعاء والترحم على المفقود من دون ممارسة النياحة أو إظهار الجزع الشديد عليه[٢٧]. غير ان التعزية اتخذت بمرور الزمن معنى وخصوصية، وهي إظهار الحزن والأسى في شهري محرم وصفر من كل عام، وبخاصة في اليوم العاشر من شهر محرم المعروف بيوم عاشوراء، وهو يوم استشهاد الإمام الحسين في كربلاء[٢٨]. إذ يروى عن الإمام جعفر الصادق (٨٠-١٤٨هـ)، «إن البكاء والجزع مكروه للعبد في كل ما جزع ما خلا البكاء والجزع على الحسين بن علي، فإنه فيه مأجور»[٢٩]، وهذا يدلل على أنَّ البكاء ومظاهر الجزع الشديد هي من الممارسات المكروهة والتي لا يشجع عليها الإسلام، لكن الأمر يختلف كثيراً في حالة إظهار العزاء على الحسين، فالموت كما يرى علماء الانثروبولوجيا قد يؤثر بشكل مباشر في توازن المجموعة أو المجتمع عموماً، إذا تعلق بشخصية مهمة في المجتمع، والإمام الحسين لم يكن شخصية عادية، فهو ابن بنت نبي الأمة، ولم يكن استشهاده لتحصيل مطلب دنيوي، بل انتصاراً للحق والمبادئ والقيم الإسلامية في الذاكرة الجمعية فقد ارتبطت ثورة الحسين وشخصيته ومبادئه وبطولته وتضحيته، بالإنقاذ والخلاص النهائي وبذلك أصبح الاستشهاد طريق الشفاعة والخلاص، أصبح الإمام الحسين «سفينة النجاة»، لأنه ضحى بنفسه لأجلهم فعاش الشهادة بصبره وإرادته وتضحيته بأهله وأصحابه من أجل إنقاذ المسلمين ونجاتهم من الظلم والطغيان[٣٠]. لذا فإن طقس الحداد على الإمام الحسين لا شك له خصوصيته التي يتمثلها الملايين من الناس في كل بقاع العالم، فهو حداد جماعي لا يرتبط بجوانب فردية أو بقضية معينة، بل يشترك فيه كل الناس بمشاعر يتوحد بها كل من سار على خطى أهل البيت.

وعلى هذا الأساس كانت طقوس الحداد على الحسين كل عام رمزاً ثورياً اتخذته الجماعات المغلوبة والمظلومة لمواجهة الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي لا يمكن مواجهتها بصورة طبيعية أو التغلب عليها إلا من خلال ممارسة هذه الطقوس. فضلاً عن ذلك فان طقوس الحداد الشيعية تعد نوعاً من الثقافة الشعبية التي تسعى إلى توظيف الألم سياسياً[٣١].

ويتجسد طقس الحداد بشكل واضح في زيارة الأربعين بزيارة قبر الإمام الحسين في كربلاء

في رحلة مليونية يقطعها الموالون من كل بقاع الأرض. وكما هو معروف أن زيارة القبور تعد من الممارسات المستحبة عند المسلمين، لا سيما زيارة قبر النبي والصالحين. وقد كانت زيارة القبور هذه من الأمور التي نهى عنها النبي في بادىء الأمر ولكنه سمح بممارستها فيما بعد[٣٢]. ويروي الأمام أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ)، في مسنده عن علي بن أبي طالب عن النبي أنه قال: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، فان في زيارتها عظة وعبرة»[٣٣] فإن زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكر والاعتبار، وزيارة قبور الصالحين مستحبة لأجل التبرك مع الاعتبار[٣٤]. كما ان زيارة القبور والحصول على شفاعة أصحابها غالباً ما تلعب دوراً مؤثراً وفعالاً في ممارسة طقوس زيارة قبور الأنبياء والأولياء والصالحين عند المسلمين بشكل عام، كما يعبر عن ذلك الحديث المروي عن النبي «من زار قبري وجبت له شفاعتي»[٣٥]. فضلاً عن أن المرويات عن أهل البيت تؤكد عظم هذه الزيارة لقبر الإمام الحسين والأجر والثواب الذي يناله الزائر من ممارسته لهذا الطقس الممزوج بالحزن والبكاء واللطم وغيره من مراسيم الحداد كما سنبين لاحقاً.

٣. زيارة الأربعين

زيارة الأربعين، هي زيارة مرقد الإمام الحسين في يوم ٢٠ صفر من التاريخ الهجري الإسلامي من كل عام، أي بعد أربعين يوماً على ذكرى استشهاده. وتأتي خصوصية يوم الأربعين في كربلاء إلى ذكرى رجوع رأس الحسين من الشام إلى العراق ودفنه مع الجسد في كربلاء. ويسمي الشيعة العراقيون يوم الأربعين بيوم (مرد الرأس)[٣٦].

إن اتحاد الرأس بالجسد بعد أربعين يوماً من مقتل الحسين يكون في الحقيقة أساس موضوع هذه الذكرى الأليمة، فضلاً عن زيارة قبر الحسين والتبرك به، الذي أصبح من التقاليد الإسلامية العريقة التي لها أهمية كبيرة في العراق. ويأتي يوم الأربعين بعد يوم عاشوراء في أهميته حيث تقام الاحتفالات بأربعينية الإمام الحسين في كربلاء دون غيرها من المدن، إذ تقوم أعداد كبيرة من الشيعة العراقيين وغير العراقيين بالمشي إلى مرقد الإمام الحسين لغرض زيارته والتبرك به، في رحلة تستغرق عدة أيام أو أسابيع تتخللها بعض الطقوس الخاصة بهذه المناسبة.

وترتبط طقوس الحداد في يوم الأربعين بواقعة تاريخية تقول بأن الإمام علي بن الحسين حين رجع مع قافلة السبايا من الشام إلى العراق، وقبل توجهه إلى المدينة، ذهب توا إلى كربلاء لزيارة قبر أبيه الحسين. وكان وصوله إلى كربلاء بعد أربعين يوماً من استشهاده، فوجدوا جابر الأنصاري (ت٧٨هـ)، أحد كبار الصحابة، ومعه عدد من بني هاشم الذين جاؤوا لزيارة قبر الحسين والترحم عليه[٣٧]. وهذه الحادثة مؤشر تاريخي إلى بداية انطلاق طقوس الحداد على الحسين، حيث يظهر ان البكاء واللطم والحزن كانت العلامة المميزة لممارسة طقوس الحداد على الحسين بعد استشهاده مباشرة، ولكن دون أن يتأكد لنا أن طقوس الزيارة هذه مورست فعلاً بعد أربعين يوماً من استشهاد الحسين[٣٨]. ولا تقتصر الاحتفالات بذكرى استشهاد الإمام الحسين يوم

عاشوراء على العراق، وإنما تقام في كثير من الدول العربية والإسلامية لأهمية هذا اليوم في التاريخ الإسلامي، خاصة في العراق وإيران والهند وتركيا ومصر وسوريا ودول الخليج العربي[٣٩].

ويعد طقس المشي علامة بارزة في طقوس الأربعين، وهي على خطى الرحلة الحسينية التي بدأت حين رفض الإمام الحسين عليه السلام أخذ البيعة ليزيد بن معاوية، ثائراً على الخلافة الفاسدة الغاصبة فرحل عن المدينة إلى مكة ومن ثم رحل صوب العراق، وهذه الرحلة الجهادية حملت في طياتها الكثير من المعاني والقيم السامية على الأصعدة كافة، تمثلت بقول الإمام الحسين عليه السلام: «إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت أطلب الإصلاح في امة جدي محمد صلى الله عليه وآله أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي محمد، وسيرة أبي علي بن أبي طالب، وسيرة الخلفاء الراشدين»[٤٠].

إن زيارة مرقد الإمام الحسين في كربلاء هو جزء من رحلة مقدسة يرغب الزائر بممارستها بمعزل عن الاستعانة بالوسائل التقليدية في التنقل، لأن المشي يتيح للممارسين استثمار عنصر الحركة الجسدية وتوظيفها لغرض الحصول على التطهير الروحي ونبذ الشهوات والرغبات الجامحة. كما يوفر المشي في طقس الزيارة حالة من المعرفة الجديدة للممارس، فهو في رحلته هذه إنما يكتشف أو يعيد اكتشاف العالم من حوله، مثل اكتشاف أماكن جيدة، وعلاقات جديدة نتيجة لقائه بشخصيات كثيرة خلال هذه الرحلة، فضلاً عن إحساسه بالمشاركة والاندماج مع مجتمعه والذي لا يمكن أن يتحقق إلا خلال رحلته في هذا الطقس[٤١]. هذا وان المشي ليس الطقس الوحيد في زيارة الأربعين، بل ثمة طقوس أخرى تتم ممارستها في هذه المناسبة، مثل استعراض مواكب الظعن، وكذلك استعراض مواكب اللطم وضرب الظهور بالسلاسل الحديدية بالقرب من مرقد الإمام الحسين عليه السلام، فضلاً عن المواكب والمجالس الحسينية وزيارة القبر الشريف وغيرها من الطقوس[٤٢].

المحور الثاني: وظائف الطقوس في زيارة الأربعين

توطئة: مفهوم الوظيفة في علم الانثروبولوجيا

يدل مفهوم الوظيفة، على المساهمة التي تقدمها فعالية جزئية إلى فعالية شاملة. فوظيفة أي عرف مثلاً، هي المساهمة التي يؤديها للحياة الاجتماعية كلها، ووظيفة أي نظام اجتماعي، هي مساهمته في حياة المجتمع ككل. وفكرة الوظيفة وثيقة الصلة بفكرة البناء الاجتماعي[٤٣].

وتعد الوظيفية تياراً علمياً ومنهجياً قد نمت وتطورت في اتجاهات مختلفة، من بينها الاتجاه البيولوجي، والاتجاه الانثروبولوجي الثقافي[٤٤]. ويعد «مالينوفيسكي وراد كليف براون» من رواد الوظيفية أو المذهب الوظيفي، وقد ظهر هذا المصطلح في وقت مبكر جداً في سياق بعض الكتابات العلمية. ثم جاء «إميل دوركايم» عام ١٨٩٥ فوضع أول تحديد علمي منظم لهذا المفهوم، ومؤدى تعريفه هذا أن وظيفة النظام الاجتماعي هي التوافق بينها وبين احتياجات الكائن العضوي الاجتماعي[٤٥].

إن الانثروبولوجيا الثقافية تفسر الظواهر الثقافية من خلال وظيفتها؛ «من خلال كيفية ارتباطها بعضها ببعض داخل النسق الثقافي الواحد وكيفية ارتباط هذا النسق بالبيئة الطبيعية»(٤٦). ويوضح «راد كليف براون» مفهومه للوظيفة على النحو الآتي: «إن وظيفة أي نشاط متواتر هو الدور الذي يلعبه هذا النشاط في الحياة الاجتماعية ككل. ومن ثم المساهمة في الحفاظ على استمرار البناء.. فمدلول الوظيفة في هذا التعريف هو المساهمة التي يقدمها نشاط جزئي للنشاط الكلي الذي هو جزء منه»(٤٧).

الوظيفية على هذا الأساس، هي النظرية التي تقول بوجوب دراسة الظواهر الثقافية من حيث الوظيفة التي تؤديها(٤٨). ومن التعريفات الأخرى تعريف «مالينوفسكي» الذي يقول إن الوظيفة «هي نظرية ماهية الطبيعة البشرية، وكيفية عمل المؤسسات الإنسانية، وما تفعله الثقافة من أجل الإنسان في جميع مراحل التطور»(٤٩).. وقد شرح «موس» مفهوم الوظيفة عندما صاغ نظريته عن «الظواهر الاجتماعية الكلية» حيث يقول إن كل شيء في المجتمع هو – بالدرجة الأولى– وظيفة، ويؤدي وظيفة، وكذلك عندما أكد أنه ليست هناك ظاهرة اجتماعية لا تكون جزءاً لا يتجزأ من الكل الاجتماعي(٥٠).

وقد عرف هذا الاتجاه بالاتجاه البنائي الوظيفي، وقد كان «راد كليف براون» باحثاً وظيفياً وبنائياً، عرف الوظيفة في علاقتها بالبناء، والبناء هو لزيم الوظيفة(٥١). في حين تفهم نظرية «مالينوفسكي» عن الوظيفية في ضوء الاحتياجات، إذ يرى أن الوظيفة تعني دائماً إشباع احتياج معين(٥٢).

يشير أنصار هذا الاتجاه إلى العلاقة بين مفهومي البناء والوظيفة، فالبناء هو العلاقات النمطية الثابتة نسبيًا للوحدات الاجتماعية، بينما الوظيفة هي إي نشاط اجتماعي يقدم للبناء الاجتماعي وأجزائه الثابتة. أي أن البناء نسق من الأنماط المستمرة نسبياً. والوظيفة هي العملية الدينامية في ذلك البناء(٥٣).

وقد ظهر هذا الاتجاه في الفكر الاجتماعي بعد استعارة بعض المفهومات البيولوجية. فاستخدام الاتجاهات البنائية يكون بهدف تفسير الدور والوظيفة الاجتماعية التي تقوم بها ظاهرة أو نظام معين في البناء أو النسق الكلي. وقد أسهم «إميل دوركايم» في تأسيس هذا الاتجاه، إذ حدد خواصاً معينة للوقائع الاجتماعية كالشعائر، والجريمة، والعقاب. ويقرر أن البحث عن سبب الواقعة الاجتماعية يكمن في الوقائع الاجتماعية الأخرى(٥٤).

ومن بين أنصار هذا الاتجاه «تالكوت بارسونز»، و«روبرت ميرتون» الذي ميّز بين الوظيفة الظاهرة، والوظيفة الكامنة(٥٥)، ويعرف «ميرتون» الوظيفة قائلاً: «أن الوظائف هي تلك النتائج والآثار الملاحظة التي تعمل من أجل تكيف أو توافق نسق معين»(٥٦). وهي كذلك بنظره: الآثار الموضوعية للفعل الاجتماعي وما لها من قدرة في تكييف الناس لمستجدات الفعل(٥٧).

وقد اهتم «ميرتون» بمفهومي الوظائف الظاهرة، والوظائف الكامنة، فالأولى تشير إلى النتائج الموضوعية التي تحدثها سمة اجتماعية أو ثقافية معينة، تلك النتائج التي تفرض على الأفراد تبنيها

والتكيف معها، فهي إذن نتائج متوقعة، أما الكامنة فتشير إلى النتائج غير المقصودة وغير المتوقعة[٥٨]. وكمثال لذلك: الرقص الجماعي عند بعض القبائل البدائية معتقدين أنها تجلب المطر، إذ أن الوظيفة الظاهرة لهذا الرقص الجمعي هو جلب المطر، لكن الوظيفة المستترة (الكامنة)، هي التضامن الاجتماعي بين أفراد القبيلة بسبب خوفهم من الجفاف والمجاعة، كذلك إيقاد الشموع بقصد الاستهلاك الظاهري حيث أن وظيفتها الظاهرة هي جلب الإنارة أو الضوء لكن الوظيفة المستترة هي الجانب الجمالي وتقليد بعض السلوكية الارستقراطية والتعبير عن المكانة الاقتصادية للأسرة، ولقد استعار ميرتون شطري المصطلح «الظاهر والباطن» من «سيغموند فرويد وفرانسيس بيكون» عندما تكلما عن الصورة الظاهرية والباطنية لسلوك الإنسان وكان هدف ميرتون من ذلك الشطر، بناء جسرٍ مواصلٍ بين النظرية والبحث الامبريقي[٥٩].

وسنتبنى في هذا البحث مفهوم «ميرتون» عن الوظيفة الكامنة، فالشعائر الحسينية على اعتبارها طقساً دينياً اجتماعياً تنهض بجملة من الوظائف، وما يهمنا في الظاهرة الطقوسية لزيارة الأربعين هي وظائفها الكامنة التي تتحقق في حياة ممارسيها دون وعي سابق منهم. وسنعرض لذلك من زاوية نظر سوسيوانثروبولوجية أساساً.

١. المقدس بين التمثلات والممارسات

يستمد الطقس أهميته وفعاليته أساساً من كونه يرتبط بالقداسة والدين، لقد كانت الطقوس ولا تزال في جانب كبير منها، غير مفصولة عن الدين وعن المقدس. فالفعل الديني فعل طقوسي بكل امتياز، بل لن يتخذ الفعل الديني فعاليته إلا بواسطة الطقس الذي يولد الشحنة الرمزية ويملؤه بها[٦٠]. فالمعتقدات الدينية كما يقول «إميل دوركايم» في شكلها البسيط والمعقد تقوم على تمييز جوهري بين ما هو مقدس وما هو مدنس[٦١]. فالمقدس يتضمن أشياء يجري عزلها وتحاط بشتى أنواع التحريم، وكل شيء ما عدا ذلك فهو مدنس، بمعنى أي شيء ليس مقدساً ضمن المجتمع، مثل جوانب الحياة اليومية العامة، النفعية، الدنيوية.

وبما أن زيارة الأربعين تعد طقساً دينياً مقدساً، لأنها تدور حول شخصية دينية ممثلة بالأمام الحسين عليه السلام سبط النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله، لذا فمن الطبيعي ان الجانب الروحي والديني للجماعات المنخرطة في هذه الطقس يتشكل على مستويين: مستوى التمثلات والتصورات الماثلة في وعي الناس والمتصلة بالأشياء المقدسة، والمستوى الآخر، مستوى الممارسات التي تظهر في أفعال الناس والتي تترجم عن تلك المعتقدات الماثلة في الوعي الجماعي والفردي من خلال الطقوس وغيرها من الممارسات. فعلى صعيد المستوى الأول، أي مستوى التمثلات والتصورات الذهنية، لا تقتصر هذه الزيارة باعتبارها طقساً مقدساً على المكانة الدينية التي يحتلها الإمام الحسين في الذاكرة الجمعية من كونه ابن بنت المصطفى وسليل النبوة، بل تتمثل في ثورته على النظام الفاسد، ومن اجل تطبيق الشريعة الإسلامية حيث عرّض نفسه وأهل بيته وأصحابه

للقتل من أجل هذا الهدف المقدس، وقد تمثل ذلك بقول الإمام الحسين عليه السلام: «إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت أطلب الإصلاح في أمة جدي محمد صلى الله عليه وآله أريد أن آمر بالمعروف وانهي عن المنكر، وأسير بسيرة جدي محمد، وسيرة أبي علي بن أبي طالب، وسيرة الخلفاء الراشدين»[٦٢]. إذ لم يكن خروج الإمام الحسين عليه السلام ورحلته التي انتهت باستشهاده رحلة دنيوية لطلب منصب أو سيادة، وإنما كانت رحلة جهادية ضد أُمة البغي والفساد، فضلاً عن كونها رحلة إصلاحية في جسد الأمة الذي كان يقع تحت نير الظلم والفساد. ولم يقتصر الأمر على هذا وحسب، بل مثلت زيارة الإمام في نفوس الموالين لأهل البيت منهلاً لا ينضب للأجر والثواب وحيازة الفضل في الدنيا والآخر. قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين علي عليه السلام: «يا أبا الحسن إن الله تعالى جعل قبرك وقبر ولدك بقاعاً من الجنة، وعرصة من عرصاتها، وان الله جعل قلوب نجباء خلقه وصفوته من عباده تحن إليكم وتحتمل المذلة والأذى فيكم، فيعمرون قبوركم ويكثرون زيارتها تقرباً منهم إلى الله ومودة منهم لرسوله، أولئك يا علي المخصوصون بشفاعتي والواردون حوضي، وهم زواري وجيراني غداً في الجنة، يا علي، من عمّر قبوركم وتعاهدها فكأنما أعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس»[٦٣]. فالتقرب إلى الله ونيل مودة الرسول الأكرم وشفاعته هي من نصيب زائر قبر الحسين عليه السلام، فمن الطبيعي أن يتمثل المسلمون قول النبي صلى الله عليه وآله لأنه صادر عن شخصية مقدسة في الذاكرة الجمعية للمسلمين، تحث على فعل فيه جزيل الخير والثواب، ومصدر هذا الأجر والثواب هو زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام. ولا تعد زيارة قبر الإمام الحسين واجبة لكل من أقرّ للحسين بالإمامة، إنما كانت أيضاً في أحد معانيها، نصرة للحسين عليه السلام بل هي حق من حقوق رسول الله صلى الله عليه وآله على الأمة، وحق من حقوق الله تعالى أيضاً. فعن أبي حمزة الثمالي أنه قال: «سألت علي بن الحسين عليه السلام عن زيارة الحسين عليه السلام فقال: زره كل يوم، فان لم تقدر فكل جمعة، فان لم تقدر فكل شهر، فمن لم يزره فقد استخف بحق رسول الله صلى الله عليه وآله»[٦٤].

كما إن الإمام الصادق عليه السلام قرن سؤال شيعته عن زيارة الإمام الحسين عليه السلام من بيان فضل الزيارة «سأل الإمام الصادق عليه السلام معاوية بن عمار قال: كم حججت؟ قال: تسع عشرة حجة، قال حج أخرى تكون كمن زار قبر الحسين عليه السلام فقال معاوية بن عمار: فقلت لأبي عبد الله عليه السلام وإن من زار قبر الحسين له من الأجر كمن حج عشرين حجة؟ قال الإمام: نعم، والله إن زائر قبر الحسين له من الأجر كمن حج عشرين، وعشرين حجة، حتى عد خمس مرات، فأنا لا أزال أزوره، في كل سنة ثلاث مرات منذ سمعت أبا عبد الله يقول ذلك»[٦٥]. كما روي عن عبد الله بن عبيد الانباري[٦٦]، قال: «قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: جعلت فداك إنه ليس كل سنة يتهيأ لي ما أخرج به إلى الحج؟ فقال: إذا أردت الحج ولم يتهيأ لك فائتِ الحسين عليه السلام..»[٦٧].

كما أشار العلوي عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب لما سُئل عن زيارة قبر الحسين عليه السلام فقال: «من زار قبر الحسين عليه السلام لا يريد إلا الله، فتفطرت قدماه في ذهابه إليه كان كمن تفطرت قدماه في سبيل الله»[٦٨]. يشير النص بوضوح إلى أهمية زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام فتفطر القدم من المشي

يدل دلالة واضحة على رحلة يقطعها الزائر مشياً على الإقدام ولمسافات طويلة، فهي رحلة جهادية أجرها كبير عند الله.

لقد أثّرت تلك الدعوات في زرع ثقافة الزيارة عند شيعة أهل البيت عليهم السلام وقد بات الشيعة، يتوجهون لزيارة الإمام الحسين عليه السلام مما دفع البعض منهم أن يسأل الأئمة عن كيفية الزيارة، وزمانها، وما هي الأفعال المندوبة، وعن فضلها، وفي حال الخوف من السلطان، فقد سأل الإمام الصادق عليه السلام أحدُ أصحابه كيف يصنع وكيف يقول إذا أراد زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام فقال له الإمام الصادق عليه السلام: «اغتسل على شاطئ الفرات، وتلبس الثياب الطاهرة، ثم امش حافياً فإنه في حرم من حرم الله تعالى، وحرم رسول الله صلى الله عليه وآله..»[٦٩]. كما جعل الإمام العسكري زيارة الإمام الحسين علامة من علامات المؤمن: «علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى وخمسين، وزيارة الأربعين والتختم في اليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم»[٧٠].

وقد بيّن الأئمة الأطهار ثواب من أتى قبر الإمام الحسين راكباً وماشياً[٧١]، وهذا ما أشار إليه الإمام الصادق حينما قال: «من خرج من منزله يريد زيارة قبر الحسين بن علي عليه السلام إن كان راكباً كتب الله له بكل حافر حسنة وحطَّ بها عنه سيئة»[٧٢]. وقوله عليه السلام: «ومن أتى قبر الحسين عليه السلام في سفينة فكُفئت بهم سفينتهم نادى منادٍ من السماء طبتم وطابت لكم الجنة»[٧٣]. وهذا يعني أن الرحلة التي كان يقطعها الزائر لقبر الإمام الحسين عليه السلام كانت في ذلك الوقت إما ركوباً أو مشياً على الأقدام أو رحلة عن طريق البحر بواسطة السفينة.

ويظهر ان الرحلة بوسيلة المشي على القدمين ولمسافات طويلة وصولاً إلى قبر الإمام الحسين عليه السلام كانت من الوسائل التي أكد عليها أئمة آل البيت عليهم السلام لعظم ثوابها وهذا ما ورد على لسان الإمام الباقر عليه السلام قوله: «من خرج من منزله يريد زيارة قبر الحسين بن علي عليهما السلام إن كان ماشياً كتب الله له بكل خطوة حسنة ومحى عنه سيئة..»[٧٤].

لقد عكست تلك المرويات الصادرة عن أهل البيت عليهم السلام عظم هذه الزيارة وأجرها وثوابها، لذلك فإن ما تجسد في المتخيل الجمعي للمسلمين عامة والشيعة خاصة من تصورات وتمثلات مقدسة تتصل بهذه الشخصية وهذا الطقس انعكس على مستوى الممارسات والأفعال في طقس الأربعينية من خلال مراسيم العزاء ورحلة السير الطويلة التي يقطعها آلاف من الزائرين وغيرها من الطقوس ولذلك تستحيل الطقوس الدينية المتعلقة بالإمام الحسين إلى وسيلة للاتصال بالمقدس، والى فعالية رمزية يتم بواسطتها الدخول في حالة ذهنية جماعية تتسم بالقداسة، وتتجلى عندما تنخرط الجماعة في ممارسة الشعائر والأنشطة المتعلقة بها من مشي وصلوات ومواكب ومراسيم حداد وغير ذلك في رحاب مكان مقدس، إذ اكتسبت كربلاء تلك القداسة كونها شهدت ذلك الحدث التاريخي، وضمت قبور شهداء تلك الواقعة، فضلاً عن قدسية المكان التي أضفت طابعاً روحانياً لتلك الطقوس وجعل من كربلاء مدينة مقدسة يقصدها الملايين كل عام من كل بقاع الأرض.

يصبح طقس الأربعينية بهذا المعنى وسيلة لتنشيط حالات الوعي الجمعي، وبواسطة هذه

الطقوس الدينية المقدسة، تتم الإحالات الرمزية، وقد عبر «إيريك فروم» عن ذلك قائلاً: «الطقس في نهاية الأمر تعبير رمزي عن أفكار ومشاعر تتحقق بواسطة الفعل»(٧٥). بحيث ان فهم معاني الممارسات الطقوسية ودلالاتها من خلال عمليات من الإحالة الرمزية التي تضرب في عمق المتخيل الجماعي والديني وتحيل إلى أعماق اللاوعي الجمعي و«اركتيباته» الكامنة حسب تعبير «كارل غوستاف يونغ»(٧٦).

لقد تمثلت الذاكرة الجمعية على مر العصور هذا الفضل وتلك المزايا لزيارة الأربعين وأعادت إنتاجها كل عام على مستوى التمثلات والممارسات وتناقلتها عبر الأجيال وصولاً لعصرنا الراهن.

٢. تجييش الذهن الجمعي وتعبئته

تحتاج المجتمعات مهما كانت بدائية أو متطورة إلى تقوية وعيها الجمعي وتثبيته خلال مناسبات محددة يتجمع فيها الناس في ظلال طقس يوحدهم ويقوي الإحساس بعمق انتمائهم وهويتهم التي قد لا يجدوها خارج هذا الطقس بحكم كونهم أفراداً يعيشون لذواتهم الفردية منشغلين بمطالب الحياة وبالروتين اليومي. لكن انتماءهم إلى تلك الطقوس - خاصة الدينية منها- بشكل جماعي يولد فيهم الإحساس بالحماسة والغليان والعواطف الجياشة المصاحبة لتلك الطقوس. وعلى صعيد العالم الإسلامي تتجسد هكذا حالات من التجمع وما يرافقها من الهياج والحماس في بعض الممارسات الدينية الجماعية، مثل الحج وصلاة الجمعة والعاشر من محرم وزيارة الأربعين.

إن زيارة الأربعين باعتبارها طقساً يتجمع فيه ملايين الناس من مختلف بقاع الأرض تساهم في تقوية الوعي الجمعي للمنخرطين في هذا الطقس، فضلاً عن ذلك تدعم انتماء الأفراد إلى النظام الأخلاقي الذي تمثله - أخلاق أهل البيت عليهم السلام- ويتمثل ذلك من خلال الشعور بالحماسة وحالة الغليان والعواطف الجياشة المصاحبة لهذا النشاط الديني الجماعي.

يتولد الشعور بالحماسة وحالة الغليان المصاحبة لهذا الطقس من جانب أساسي، هو مأساة استشهاد الحسين عليه السلام، وفي اجتماع آلاف من الناس وتوحدهم في ممارسة هذه الطقوس، أي أن طقس الزيارة قد وحد الملايين من الناس وجعلهم ينخرطون بشكل جماعي داخل هذا الطقس الديني بخلاف ما كانوا عليه قبل الدخول فيه، فخارج هذا الطقس يعيشون كأفراد لذواتهم الفردية، لكن بمجرد دخولهم في الأنشطة الاحتفالية للطقوس الجماعية الدينية، فإن الروح الجماعية تتقد ويعاد تنشيط الضمير والحس الجمعي، وينتقل الأفراد من كونهم أفراداً (منفردين) إلى أفراد (جماعيين). وقد أكد «إيميل دوركايم» ذلك بقوله: «يتشكل لدى الأفراد من خلال حضورهم الجماعي ضرب من الشعور الجمعي الجياش لا يدركونه وهم في حالتهم الفردية»(٧٧). فالأفراد خارج الطقس ينشغلون بالحياة ومتطلباتها ويدخلون في روتين يومي، لكن وحدها الممارسات الطقوسية الجماعية التي ستجيشهم وتملأ الفراغ الذي يغرقون

فيه وتدخلهم في الحالة الجماعية، بحيث يشعر الفرد داخل هذا التجمع الكبير بأنه كائن أكبر من كونه واحد ومفرد، ويحيي الاحتفال الجماعي قوة خلاقة تجعله يتجاوز حدود فرديته ويشعر بالزمن والفضاء بشكل يختلف عما يشعر به في حال فرديته. فثمة حرارة وعاطفة يولدها الفعل الطقوسي الجماعي تدخل الأفراد في حالة من الجيشان وتوحد حسهم الجمعي كما تدخلهم في زمنية خاصة(٧٨). وهكذا تثبت زيارة الأربعين أن في عمق الذات الفردية ذاتاً جماعية كامنة تجعلها هذه الممارسات الطقوسية الخلاقة تستفيق.

إن مأساة كربلاء مجسدة بالإمام الحسين عليه السلام ومقتله وأهل بيته في يوم الطف ساهمت في اتقاد المشاعر وهياجها بشكل جمعي فضلاً عن توحيد صفوف ملايين الناس من مختلف البلدان والقوميات في هذا الطقس، فلم يعد هناك فرق بين عراقي أو إيراني أو هندي، أو تركي..الخ داخل حدود هذا الطقس، بل ساهم هذا الطقس المقدس في توحيد صفوف الزوار وفي تعبئة الوعي الجمعي لهم وإثارته، وإحساسهم بهويتهم التي لم يكونوا سيستشعرونها خارج هذا الطقس بشكل انفرادي من خلال تعارف هذه الملايين فيما بينها وإقامة علاقات اجتماعية وثقافية. فقد اختفت الحواجز الجغرافية، وكذلك الفوارق الطبقية الاجتماعية.

إن الانخراط في هذه الممارسة الطقوسية المقدسة يعد نوعاً من «العلاج التطهيري». ذلك أن هذه الممارسات الطقوسية إنما تتخذ وسيلة ناجعة لخوض تجربة وجدانية جماعية خاصة يلوذ إليها الأفراد لملء فراغ ناجم عن خلل في تجربتهم الجماعية ولذلك تحقق زيارة الأربعين على اعتبارها فعلاً تواصلياً يتم من خلاله إحياء تجربة مقدسة تدرك دلالتها ضمن المنظومة المعتقدية الخاصة بالجماعة ضرباً من التوازن الوجداني الذي يمكن أن يفتقدوه في تجربتهم وحياتهم الجماعية اليومية.

إن الساحات العامة أصبحت ساحات للاحتفال الطقوسي، حيث المواكب وموائد الطعام والتراتيل الدينية والمسرح الحسيني والأهازيج الشعبية الجماعية، فضلاً عن ذلك تتحول أجساد الزائرين إلى نصوص / أجساد مجللة بالرموز، اللون الأسود الموحد والأعلام الخضر والرايات الحسينية. وبلا شك فإن هذه الممارسات الطقوسية الاحتفالية الجماعية لها دورها الموجه للمجتمعات الحديثة، يقول «دوركايم» بهذا الصدد: «سيأتي يوم تعرف فيه مجتمعاتنا لحظات من الفوران الخلاقة تنبثق من خلالها أفكار جديدة وتتبلور صيغ صالحة خلال الزمن لتكون موجها للإنسانية»(٧٩).

٣. التأسيس المتخيل للمجتمع

سبق وبينّا أن طقوس التحول أو العبور تتضمن احتفالا بتحول نوعي يقع في حياة الإفراد والجماعات، وقد يتم طقس العبور احتفالاً باكتمال حصول تغييرات بيولوجية في حياة الأفراد، أو عن تحولات تقع في مكانة الأفراد. وهذا يعني أن الطقوس التي تقام للانتقال من مرحلة إلى أخرى أو من مكانة إلى أخرى تكون غايتها التأسيس الرمزي(٨٠)، وخلال ذلك تجري عمليات رمزية تترجمها الأقوال ومجموعة من الممارسات لكنها فائقة

الدلالة لكونها بروتكولات لازمة للطقس، فثمة شرعية يتم إضفاؤها واعتراف رمزي يتم التأسيس له وتمريره ضمنياً لجعل الفواصل والامتيازات تحظى بالشرعية والاعـتراف[٨١]. وقد يتم فعل التأسيس هـذا عـن طـريـق الـتـكـرار، فمن أهـم خصائص الطقوس أنها تميل إلى التكرار والاستمرارية، من أجل ديمومة الطقس وإعادته في كل مناسبة كما كان في الماضي[٨٢]. وعلى هذا الأساس فالطقوس سلوك نمطي متكرر[٨٣]. فالطقوس لها آلية هي «الاسترجاع الجماعي» الذي يعيد إلى الذاكرة أصول الدين والقيم والأساطير وهي بهذا المعنى أدوات جماعية للتذكير بما جرى بالماضي والحفاظ عليها من الضياع، وكذلك على القيم والعادات والتقاليد الموروثة المرتبطة بها وهو ما يفسر بقاء واستمرار الطقوس وديمومتها عبر الأجيال والعصور[٨٤]. وينطبق هذا الأمر على الطقوس الدينية كزيارة الأربعين ففعل التأسيس يتحقق في هذه الزيارة من خلال تكرار الطقوس الدينية المرافقة لها، فتكرار الإتيان بتلك الشعائر بزمن معين هو مرة في كل عام حسب هذه الطقوس يساهم في ترسيخ المعتقد على مستوى التصورات والممارسات.

إن هذا التكرار السنوي لطقوس الأربعين له دور كبير في تنشئة الصغار على تلك الطقوس وأهميتها على الصعيد الاجتماعي والديني معاً، على شاكلة ما يسميه «بيار بورديو» التطبع، لأن الاستعدادات والطباع تترسخ تباعاً عبر عمليات التكرار والتطويع المستمر، خاصة تلك المصحوبة بالشحنات الروحية والـوجـدانـيـة، فتكرار الطقس بالعمليات التي تصاحبه إنما يدعم عمليات التنشئة والاكتساب الثقافي، ويساهم في ترسيخ القناعات والميول في الجسد والذهن معاً[٨٥]. وهكذا تشهد كربلاء تكرار هذا الطقس في الزمان والمكان ذاته، فكربلاء تعد موقعاً رئيساً لاستذكار واقعة الطف، وإعادة إحيائها والتطابق مع أحداثها بصورة مادية ومعنوية، لذا فهي تعد رمزاً من الرموز الثقافية والدينية التي يستشعر المنخرط في الطقس انه يرتد فيها الماضي لاستحياء تلك الواقعة التاريخية بالصوت والصورة، وبهذا تتيح طقوس العبور «للمنتسبين الجدد تحصيل خبرة تمهيدية بما ينتظرهم في حال انتهكوا المحظورات وأهملوا الطقوس وأعرضوا عن الديني، وبفضل هذه الطقوس تتشبع الأجيال المتعاقبة بالاحترام لأعمال المقدس الرهيبة فتشارك في الحياة الدينية بالتقوى الواجبة وتجند قواها لترسيخ النظام الثقافي»[٨٦].

إن الإمام الحسين عليه السلام لم يكن شخصية دينية ورمزاً ثورياً وحسب، بل هو حامل للقيم والمبادئ الإسلامية التي توارثها كونه سليل النبوة. وعلى هذا الأساس، فإن تكرار طقس الأربعين هو ليس تأسيساً لنضال بطولي بين الخير والشر، وبين الحق والباطل، إنما هو دعم للقيم والمبادئ الإسلامية الحقّة الذي يساهم هذا الطقس مراراً وتكراراً في زرعها عبر الأجيال في كل عام مما يمدُّ الجيل الواعد بشحنات رمزية ذهنية تتجسد في ممارسات أخلاقية نبيلة تعم المجتمع. إذ لم تكن الشعائر الحسينية إلا قضية إسلامية أصيلة مثلت فريضة من فرائض الإسلام، حيث جسدت تلك الشعائر الإخلاص والحب والتفاني للرسالة الإلهية لما جسده الإمام الحسين عليه السلام من مقام الإمامة

الإلهية في الأمة، وإن سر بقاء الشعائر إنها مستمرة في خط الرسالة التي اختط منهجها رسول الله ﷺ عندما خاطب الأمة «حسين مني وانا من حسين»[٨٧].

وثمة قضية أساسية تعانيها مجتمعاتنا في الوقت الراهن بسبب طغيان منظومة البرمجيات، ووسائل الاتصال، واتجاه المجتمعات صوب النفعية والمادية في العلاقات الاجتماعية، يرافقها تدهور كبير في منظومة القيم والمبادئ الإسلامية بفعل العولمة واجتياح ثقافة الآخر المضادة لمجتمعاتنا العربية ومنها المجتمع العراقي، مما قد يولد في الذهن بان الأنشطة الطقوسية في مجتمعاتنا الحديثة أصبحت ممارسات مفرغة من المعنى ولا ضرورة لها في ضوء سيادة النزعة العقلانية والربح المادي. إلا ان أهمية الطقوس، خاصة الدينية منها في الوقت الحالي تكمن بكونها محطات عبور إلى الماضي، إذ يرتبط حاضر المخرطين في الطقس بماضيهم، إي الحقيقي بالمتخيل وتستفيق الذاكرة ويشحن الوجدان الجمعي، وهو ما يجعل ممارسة الطقوس والاحتفالات التي تصاحبها بوصفها محطات يتزود فيها النفس بشحنات المعنى وتكسر الرتابة التي يعيشون بها والزمن اليومي المعتاد[٨٨] وتسترد القيم والمبادئ ألقها وروحها في نفوس المنخرطين من خلال إحياء الأصول والعود الأبدي لها كما يقول «ميرسيا الياد»[٨٩]. وهذا ما حققته زيارة الأربعين وتحققه كل عام، فالمجتمع العراقي يعيش حالة من فوضى القيم واضطرابها في نفوس الصغار والكبار على حد سواء، وبلا شك فان الشباب الواعد هم القدوة والنخبة في هذا المجتمع، فان العلاج التطهيري الذي يتطلبه هذا الجيل هو بإحياء هذه الممارسة الدينية التي تقوم بإيقاظ وصحوة القيم والمبادئ كل عام مما يشكل موجة قوية تقف بوجه هذه التيارات المضادة للقيم والمبادئ والخلق الإسلامي.

إن العمليات التي يتم فيها تناول الطقوس هي ذات وظيفة مزدوجة، فهي أولاً تعيد تنشيط التصورات الدينية، وتغذي الإحساس بالعودة إلى الجذور الأصلية ثانياً. ويعتقد علماء الاجتماع، بأنه من الممكن رد مثل هذه الحالات إلى القلق والانفصام الاجتماعي، مثلما يمكن ردها إلى التناقضات التي يعاني منها أفراد مجتمع سريع التغير، كان قد فقد شيئاً من توازنه، بسبب الصراع بين قيم الماضي الراكدة وقيم الحاضر المتحركة؛ بمعنى آخر، من الممكن ردها إلى محاولات حماية الذات من الذوبان والحفاظ عليها من التغيرات الاجتماعية وحالات القلق والتوتر والاستلاب الناتجة عنها والتي لا يمكن للإنسان العادي التفريج عنها[٩٠]. من هنا تظهر الوظيفة الاجتماعية – النفسية للطقوس، استرداد الهوية المفقودة بفعل التغييرات التي مست المجتمع.

الخاتمة

تمثل الطقوس جانباً مهماً من تراث الشعوب وعاداتهم وتقاليدهم تضرب بعيداً في عمق التاريخ تعكس ما يدور في الذاكرة الجمعية من ممارسات تمس الجانب الروحي خاصة لتلك الجماعات مما يمثل عودة إلى الجذور والأصول الأولى للإنسان بمختلف تجلياته عند الشعوب البدائية أو المتحضرة على حد سواء.

بالرغم من التطور العلمي والتكنولوجي وتقدم الأمم، يبقى للطقس سحره الخاص الذي يمارسه

على نفوس المعتنقين، بخلاف من يرى أن هذه الطقوس ممارسات فارغة من المعنى ولا دور لها في مجتمعاتنا الحديثة، مما دفع الدارسين إلى الحفر عميقاً في الدور الذي تنهض به هذه الطقوس أو الشعائر في المتخيل الجمعي عند مختلف الأمم أو الشعوب، لذا اتجهت الدراسات التي اختصت بعلم الإنسان (الانثروبولوجيا) إلى الاهتمام بتلك الممارسات ومحاولة الكشف عن سر ديمومتها وبقائها عبر العصور والأجيال، وما تمارسه من دور على الصعيد الاجتماعي والديني والنفسي للجماعات التي تمارسها مما يساهم في الكشف عن مزيد من مجاهل تلك الشعوب أو المجتمعات.

تعكس الطقوس الدينية نظرة المجتمعات إلى الجانب المقدس منها، إذ تحاط بهالة من القداسة عن طريق مجموعة من الشعائر التي تعزل ذلك المقدس عن المدنس أو الدنيوي، وهذا ما اتضح في زيارة الأربعين باعتبارها طقساً دينياً مقدساً موغلاً في القدم في نفوس الشيعة، أحاطها المعتنقون بطقوس ومراسيم جعلها تحظى بأهمية وتقديس بالغين على مستوى التصورات والممارسات، استقطبت الملايين كل عام من كل بقاع الأرض.

إن زيارة الأربعين ظاهرة طقوسية تضرب بعيداً في المتخيل الجمعي عن الشيعة في العراق وخارجه، كونها تعكس تراثهم الديني وحبهم لآل البيت عليهم السلام، فضلاً عما لهذه الزيارة من أبعاد اجتماعية وسياسية ونفسية كان لها دور في توجيه النشاط الإنساني على مر العصور.

يمثل الموت من وجهة نظر انثروبولوجية الحلقة الأخيرة من حلقات طقوس العبور، وقد يؤدي في أحيان كثيرة إلى اختلال أو اضطراب إذا تعلق بشخصية مهمة في المجتمع. من هنا كانت مراسيم الحداد على الإمام الحسين عليه السلام تحظى بخصوصية وفرادة، لأن الإمام الحسين لم يكن شخصية عادية، فهو فضلاً عن كونه سليل النبوة، كان استشهاده عليه السلام نصرة لقيم الحق والعدل ضد امة البغي والظلم فلم يكن مطلبه دنيوياً، بل ضحى بنفسه وأهل بيته وأصحابه في سبيل الجماعة، لذا فان الحزن والبكاء وغيرها من مراسيم العزاء كانت مطلباً جماعياً حث عليه أهل البيت عليهم السلام في روايات كثيرة.

وقد كشف البحث عن الوظائف الكامنة زيارة الأربعين ودورها في توجيه الملايين من معتنقي هذا الطقس الديني دون وعي سابق منهم، فالملايين من بقاع الأرض تسير بخطى ثابتة صوب القبر الشريف، يوحدهم هذا الطقس بغض النظر عن الموقع الجغرافي أو الطبقة الاجتماعية.

يستمد الطقس أهميته وفعاليته من كونه يرتبط بالقداسة والدين، فالفعل الديني فعل طقوسي بكل امتياز، وزيارة الأربعين أحاطها الشيعة بهالة قدسية على مستوى التمثلات والممارسات، فكل ما يقبع في الذاكرة الجمعية على مستوى التمثلات هو قدسية هذا الطقس والأجر والثواب العظيمين لمن زار هذا القبر الشريف، تدعمه النصوص المروية من أهل البيت عليهم السلام، وقد تمثل الشيعة هذا المتخيل وأعادوا إنتاجه على مستوى الممارسات كل عام بمراسيم وشعائر جسدت ما حمله المتخيل الجمعي

لمحبي الحسين وآل البيت عليهم السلام بشكل تطبيقي كل عام وبالطريقة نفسها.

تولّد زيارة الأربعين حالة من الفوران والغليان والمشاعر الجياشة لمعتنقي هذا الطقس مرجعها مأساة استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، فقد وحدَّ هذا الطقس الملايين من الناس وجعلهم فرداً واحداً بعدما كانوا منفصلين منشغلين بحياتهم خارج هذا الطقس. فلم يعد هناك إيراني أو تركي أو هندي، بل ساهم هذا الطقس في توحيد الصفوف وتعبئة الوعي الجمعي لهم وإثارته، وإحساسهم بهويتهم التي لم يكونوا يستشعرونها خارج هذا الطقس، يتجسد ذلك في اجتماعهم في المواكب والتراتيل الدينية والأهازيج الشعبية، فضلاً عن توحدهم في لون الحداد ورفع الأعلام، وبهذا تختفي الفوراق الطبقية والعرقية والحدود الجغرافية.

إن زيارة الأربعين طقس سنوي يتكرر كل عام في الوقت عينه، هذا التكرار يعد بمثابة التأسيس لهذا الطقس، فتكرار الإتيان بهذا الشعائر على هذه الطريقة يساهم في ترسيخ المعتقد على مستوى التمثلات والتصورات والعودة إلى الجذور والأصول كمحطات يتزود بها معتنق الطقس بشحنات رمزية ذهنية تتجسد في ممارسات أخلاقية نبيلة تعم المجتمع. وبلا شك أن له فوائد قيمية تتبناها الجماعات الناشئة في هذا الطقس، إذ يتيح لهم التطبع منذ الصغر على هذا الطقس الديني وعلى منظومة القيم السامية التي يحملها، فأهل البيت عليهم السلام منظومة قيمة متكاملة يتيح التكرار السنوي لهذا الطقس على تدريب الناشئة من معتنقيه عليها، وعلى مفاهيم التضحية والعدل والولاء للمعتقد الديني وغير ذلك.

الهوامش

(١) ينظر: الطقوس وجبروت الرموز، قراءة في الوظائف والدلالات ضمن مجتمع متحول، منصف المحواشي، مجلة إنسانيات، المجلة الجزائرية في الانثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، ع/ ٤٩، ٢٠١٠، ٣.

(٢) القصيدة العربية وطقوس العبور، دراسة في البنية النموذجية، د. سوزات ستيتكيفتش، مجلة المجمع العلمي بدمشق، مج/ ٦٠، ج١، كانون الثاني ١٩٨٥، ٥٨.

(٣) ينظر: الطقوس وجبروت الرموز، ٣.

(٤) ينظر: موسوعة شرح المصطلحات النفسية، لطفي الشربيني، ٣١٩.

(٥) ينظر: الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد، الاستاذ الشيخ محمد السّند، ٤٨-٥٠.

(٦) ينظر: المعجم الوسيط، مادة «الطقس »، والمعجم الأدبي، مادة «طقس».

(٧) ينظر: الطقوس وجبروت الرموز، ٤.

(٨) ينظر: المرجع نفسه، ٤.

(٩) ينظر: تراجيديا كربلاء، سوسيولوجيا الخطاب الشيعي، ابراهيم الحيدري، ٨٣.

(١٠) ينظر: الطقوس وجبروت الرموز، ٤.

(١١) فان جيب: عالم فرنسي من اصل هولندي قدم اسهاما متميزا لعلم الفولكلور والانثولوجيا في فرنسا، ولكن شهرته الاساسية يدين بها لدراسته عن شعائر الانتقال أو العبور، ١٩٠٩، التي كان لها تاثير كبير في الدراسات الانثروبولوجية. ينظر: موسوعة علم الانسان (المفاهيم والمصطلحات الانثروبولوجية)، شارلوت سيمور-سميث، ترجمة: مجموعة من اساتذة على الاجتماع، ٤١٠-٤١١.

(١٢) ينظر: قاموس الانثروبولوجيا، د. شاكر مصطفى سليم، ٨٢٤-٨٢٥. وينظر: التاريخ الجديد، اشراف: جاك لوغوف، ترجمة وتقديم: محمد طاهر المنصوري، ٤٤١-٤٤٢. و القصيدة العربية وطقوس العبور، ٥٩.

(١٣) القصيدة العربية وطقوس العبور، ٥٩.

(١٤) ينظر: قاموس الانثروبولوجيا، ٨٢٥. وينظر: معجم الانثولوجيا والانثروبولوجيا، بيار بونت وميشار ايزار، ترجمة: مصباح الصمد، ٦٣٤-٦٣٥.

(١٥) ينظر: العنف والمقدس، رينيه جيرار، ترجمة: سميرة ريشا، ٤٧٩.

(١٦) ينظر: بنية الرحلة في القصيدة الجاهلية، د. عمر بن عبد العزيز السيف، ٤٠.

(١٧) ينظر: الاختلاف في الثقافة العربية الاسلامية، آمال قرامي، ٥٢١.

(١٨) ينظر: الشعائر الحسينية في العصرين الأموي والعباسي، محمد باقر موسى جعفر، ١٢٥.

(١٩) تاريخ الطبري، ٣/ ٣١٦. مقاتل الطالبيين، لأبي الفرج الأصفهاني، ١١٣.

(٢٠) ينظر: علل الشرائع، الصدوق، ٢٢٥.

(٢١) ينظر: الشعائر الحسينية في العصرين الأموي والعباسي، ١٢٦-١٢٧.

(٢٢) الإحداد في اللغة: المنع، وفي الاصطلاح: ان تجتنب المراة المحتدة المتوفى عنها زوجها كل ما يدعو الى نكاحها ورغبة الآخرين فيها من طيب وكحل ولبس وغير ذلك. ينظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ٢٣٩.

(٢٣) ينظر: تطور طقوس الحداد الشيعية في العراق الحديث، طقوس زيارة الاربعين، فرج الخطاب، بحث منشور في مجلة الكوفة، السنة ٢، ربيع ٢٠١٣، ١٦٨.

(٢٤) ينظر: تراجيديا كربلاء، ٩٦.

(٢٥) ينظر: تطور طقوس الحداد الشيعية، ١٦٩- ١٧٠.

(٢٦) ينظر: احياء علوم الدين، للغزالي، ١٨٢٧.

(٢٧) ينظر: تطور طقوس الحداد الشيعية، ١٧٢.

(٢٨) ينظر: تراجيديا كربلاء، ٩٦.

(٢٩) كامل الزيارات، جعفر بن قولويه القمي،، ٢٠١-٢٠٢.

(٣٠) ينظر: تراجيديا كربلاء، ٣٠٨.

(٣١) ينظر: تطور طقوس الحداد الشيعية، ١٧٤.

(٣٢) ينظر: احياء علوم الدين، ١٨٧٢.

(٣٣) مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مج٩، ٤٢١.

(٣٤) ينظر: احياء علوم الدين، ١٨٧٢.

(٣٥) سنن الدارقطني، علي بن عمر الدارقطني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، مج٢، ٥٣١.

(٣٦) ينظر: تراجيديا كربلاء، ١٣١.

(٣٧) ينظر: اللهوف على قتلى الطفوف، علي بن موسى بن طاووس، ٢٢٥.

(٣٨) ينظر: تطور طقوس الحداد الشيعية، ١٧٦.

(٣٩) ينظر: تراجيديا كربلاء، ١٣٧.

(٤٠) مقتل الحسين، للخوارزمي، ١/ ٢٧٣.

(٤١) ينظر: تطور طقوس الحداد الشيعية، ١٧٩-١٨٠.

(٤٢) ينظر: تراجيديا كربلاء، ٣٠٧-٣٣٨. وينظر: تطور طقوس الحداد الشيعية، ١٦٨.

(٤٣) ينظر: قاموس الانثروبولوجيا، ٣٧٦.

(٤٤) ينظر: معجم الانثولوجيا والانثروبولوجيا، ٩٩٨.

(٤٥) ينظر: قاموس مصطلحات الانثولوجيا والفولكلور،

إيكه هولتكراس، ترجمة: د. محمد الجوهري، د. حسن الشامي، ٣٦٦.

(٤٦) قاموس مصطلحات الانثولوجيا والفولكلور، ٣٦٧.

(٤٧) المرجع نفسه، ٣٦٩.

(٤٨) ينظر: قاموس مصطلحات الانثولوجيا والفولكلور، ٣٧٠.

(٤٩) قاموس مصطلحات الانثولوجيا والفولكلور، ٣٧٠.

(٥٠) ينظر: قاموس مصطلحات الانثولوجيا والفولكلور، ٣٧٢.

(٥١) ينظر: المرجع نفسه، ٣٧٢-٣٧٣.

(٥٢) ينظر: المرجع نفسه، ٣٧٣.

(٥٣) ينظر: تاريخ التفكير الاجتماعي، د. عبد الهادي محمد والي، ٣٨٠.

(٥٤) ينظر: المرجع نفسه، ٣٨١-٣٨٢.

(٥٥) ينظر: المرجع نفسه، ٣٨٣. وينظر: قاموس مصطلحات الانثولوجيا والفولكلور، ٣٧٠.

(٥٦) النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، أرفنج زاتيلن، ترجمة: د. محمود عودة وإبراهيم عثمان، ٢٦.

(٥٧) ينظر: انشطار المصطلح الاجتماعي، د. معن خليل عمر، ٨٠.

(٥٨) ينظر: تاريخ الفكر الاجتماعي، الرواد والاتجاهات المعاصرة، د. محمد علي محمد، ٤٦٠.

(٥٩) ينظر: انشطار المصطلح الاجتماعي، ٧٩-٨٠. كان البحث الانثروبولوجي يعتمد على التنظير كما هو الحال عن «مورغان» و«فرانسس بواس» أصبح امبريقيا تجريبيا، من أجل تطبيقه على مختلف ابحاثهم على المجتمعات البدائية بالخصوص. ينظر: مدخل عام في الانثروبولوجيا، مصطفى تيلوين، ١٠٢.

(٦٠) ينظر: الطقوس وجبروت الرموز، ٥.

(٦١) المرجع نفسه، ٥.

(٦٢) مقتل الحسين، ١/ ٢٧٣.

(٦٣) المزار، للمفيد، ٢٢٨.

(٦٤) فضل زيارة الحسين، الشجري، ٤٢-٤٣.

(٦٥) المصدر نفسه، ٦٤.

(٦٦) عبد الله بن عبيد الانباري، من أصحاب الصادق عليه السلام. ينظر: الرجال، الطوسي، ٢٣١.

(٦٧) كامل الزيارات، ٢٩٤.

(٦٨) فضل زيارة الحسين، ٦٨.

(٦٩) كامل الزيارات، ٣٦٣.

(٧٠) المزار، ٥٣.

(٧١) ينظر: الشعائر الحسينية في العصرين الاموي والعباسي، ٢٧٢-٢٧٣.

(٧٢) ثواب الأعمال، الصدوق، ٩١.

(٧٣) كامل الزيارات، ٢٥٧.

(٧٤) المصدر نفسه، ٢٥٣.

(٧٥) الطقوس وجبروت الرموز، ٦.

(٧٦) الطقوس وجبروت الرموز، ٥ -٦. يشير مصطلح «الأركتيب» مجموع البنى الجماعية الأولية الماثلة في اللاشعور الجمعي العميق وتعبر عن نفسها من خلال الأساطير والطقوس ومختلف الأنشطة الدينية والفنية التي ينجزها الناس سواء في شكل جماعي أو فردي. ينظر: الطقوس وجبروت الرموز، ٦، هامش (٢٤).

(٧٧) المرجع نفسه، ٧.

(٧٨) ينظر: المرجع نفسه، ٧.

(٧٩) المرجع نفسه، ٧.

(٨٠) ينظر: المرجع نفسه، ٨.

(٨١) ينظر: المرجع نفسه، ٨.

(٨٢) ينظر: تراجيديا كربلاء، ٨٣.

(٨٣) ينظر: بنية الرحلة في القصيدة الجاهلية، ٣٨.

(٨٤) ينظر: تراجيديا كربلاء، ٨٥.

(٨٥) ينظر: الطقوس وجبروت الرموز، ٩.

(٨٦) ينظر: العنف والمقدس، ٤٧٩.

(٨٧) مسند احمد بن حنبل، ٤/ ١٧٢.

(٨٨) ينظر: الطقوس وجبروت الرموز، ٥.

(٨٩) ينظر: المرجع نفسه، ٤.

(٩٠) ينظر: تراجيديا كربلاء، ٨٥.

المصادر والمراجع

١. إحياء علوم الدين، أبو حامد احمد بن محمد الغزالي، دار الكتب العلمية / بيروت، ط١، ١٩٨٦.

٢. الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية، دراسة جندرية، آمال قرامي، دار المدار الإسلامي، ط١، ٢٠٠٧.

٣. انشطار المصطلح الاجتماعي، د. معن خليل عمر، مطابع التعليم العالي، بغداد، ط١، ١٩٩٠.

٤. بنية الرحلة في القصيدة الجاهلية، الأسطورة والرمز، د. عمر بن عبد العزيز السيف، دار الانتشار العربي، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٩.

٥. تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، (ت٣١٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦. تاريخ التفكير الاجتماعي، د. عبد الهادي محمد والي، ٢٠٠٥-٢٠٠٦.

٧. التاريخ الجديد، إشراف: جاك لوغوف، ترجمة وتقديم: محمد الطاهر المنصوري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠٠٧.

٨. تاريخ الفكر الاجتماعي، الرواد والاتجاهات المعاصرة، د. محمد علي محمد، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، ط١، ١٩٨٧.

٩. تراجيديا كربلاء، سوسيولوجيا الخطاب الشيعي، ابراهيم الحيدري، دار الساقي، بيروت، ط١، ١٩٩٩.

١٠. تهذيب الاحكام، تحقيق: حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الاسلامية – طهران، ط٣، ١٩٧٠.

١١. ثواب الاعمال، الصدوق، تحقيق: محمد مهدي السيد حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضي، قم، ط٢.

١٢. رجال الطوسي، لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، (ت٤٦٠هـ)، تحقيق السيد محمد صادق آل بحر العلوم، المكتبة الحيدية، النجف الاشرف، ط١، ١٩٦١.

١٣. سنن الدارقطني، علي بن عمر الدارقطني، (ت٣٨٥هـ)، تحقيق: عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠١.

١٤. الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد، محاضرات سماحة الاستاذ الشيخ محمد السّند، بقلم: رياض الموسوي، قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء، ٢٠١١.

١٥. علل الشرائع، محمد بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق، (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، المكتبة الحيدرية، النجف الاشرف، ١٩٦٦.

١٦. العنف والمقدس، رينيه جيرار، ترجمة: سميرة ريشا، مراجعة: د. جورج سليمان، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٩.

١٧. فضل زيارة الحسين عليه السلام، محمد بن علي بن الحسن العلوي الشجري، (ت٤٤٥هـ)، تحقيق: احمد الحسيني، مكتبة آية الله المرعشي العامة، قم المقدسة، ١٩٨٣.

١٨. قاموس الانثروبولوجيا، إنكليزي - عربي، د. شاكر مصطفى سليم، جامعة الكويت، ط١، ١٩٨١.

١٩. قاموس مصطلحات الإنثولوجيا والفولكلور، إيكه هولتكرانس، ترجمة: د. محمد الجوهري، د. حسن الشامي، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٧٢.

٢٠. كامل الزيارات، لأبي القاسم جعفر بن محمد القمي بن قولويه، (ت ٣٦٨هـ)، تحقيق جواد الفيومي، مؤسسة نشر الفقاهة / إيران، ١٤١٧هـ.

٢١. اللهوف في قتلى الطفوف، علي بن موسى بن طاووس، (ت٦٦٤هـ)، تحقيق: الشيخ فارس تبريزيان الحسون، دار الأسوة، طهران، ١٩٩٢.

٢٢. مدخل عام في الأنثروبولوجيا، مصطفى تيلوين، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠١١.

٢٣. المزار، محمد بن النعمان العكبري المفيد، (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: محمد باقر الابطحي، دار المفيد- بيروت، ١٩٩٣.

٢٤. مسند احمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، (ت٢٤١هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٨.

٢٥. المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٨٤.

٢٦. معجم الأنثولوجيا والأنتروبولوجيا، بيار بونت وميشار ايزار وآخرون، ترجمة وإشراف: مصباح الصمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع «مجد»، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠١١.

٢٧. المعجم الوسيط، مجموعة مؤلفين، مكتبة الشروق الدولية - مصر، ط٤، ٢٠٠٤.

٢٨. مقاتل الطالبيين، لأبي الفرج الأصفهاني، (ت٣٥٦هـ)، تحقيق: احمد صقر، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٣، ١٩٩٨.

٢٩. مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، (ت٣٩٥هـ)، تحقيق وضبط: عبد السلام هارون، دار الفكر - بيروت.

٣٠. مقتل الحسين، لأبي المؤيد الموفق بن احمد المكي الخوارزمي، (ت ٥٦٨هـ)، تحقيق: العلامة الشيخ: محمد السماوي، تصحيح: دار أنوار الهدى، إيران - قم، ط١.

٣١. موسوعة شرح المصطلحات النفسية، لطفي الشربيني، تقديم: حسين عبد الرزاق الجزائري، دار النهضة العربية، بيروت، ط١،٢٠٠١.

٣٢. موسوعة علم الإنسان، المفاهيم والمصطلحات الانثروبولوجية، شارلوت سيمور- سميث، ترجمة: مجموعة من أساتذة علم الاجتماع، مراجعة وإشراف: محمد الجوهري، المركز القومي للترجمة، ط٢، ٢٠٠٩.

٣٣. النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، إرفنج زايتلن، ترجمة: د. محمد عودة، د. إبراهيم عثمان، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ط١، ١٩٨٩.

البحوث والدراسات

١. تطور طقوس الحداد الشيعية في العراق الحديث، طقوس زيارة الأربعين، فرج الحطاب، مجلة الكوفة، السنة/ ٢، العدد/ ٢، ربيع ٢٠١٣.

٢. الطقوس وجبروت الرموز، قراءة في الوظائف والدلالات ضمن مجتمع متحول، منصف المحواشي، مجلة إنسانيات، المجلة الجزائرية في الانثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، ع / ٤٩، السنة الرابعة عشرة، سبتمبر، ٢٠١٠.

٣. القصيدة العربية وطقوس العبور، دراسة في البنية النموذجية، د. سوزان ستيتكيفيتش، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج / ٦٠، ج/ ١، كانون الثاني، ١٩٨٥.

الأبعاد الإجتماعية لزيارة الأربعين (العمل التطوعي انموذجاً)

أ. م. د. أمل سهيل عبد الحسيني
كلية التربية المختلطة-جامعة الكوفة

م. د. جبار محمد هاشم الموسوي
كلية الاداب-جامعة الكوفة

الملخص

لقد أحدثت زيارة الأربعين المليونية انعكاسات فريدة من نوعها على الروح والنفس البشرية من كافة النواحي، لما تلهمه هذه الشعيرة المقدسة من الانجذاب الروحي لصاحب الذكرى الإمام الحسين(عليه السلام) خاصة ولصحابته الأفذاذ عامة، حتى صار الإنسان المؤمن يعيش من خلالها حالة الصفاء الروحي مع المحيط الذي يعيشه ويتعامل معه بكل حب وود إلهيين، وهذا الانعطاف الكبير انعكس بصورة ايجابية على الساحة الدولية لمذهب الشيعة الامامية، فصارت الدول الكبرى تراقب كل عام هذه الملحمة الحسينية الخالدة، وأخذت تبثها عبر الأقمار الصناعية، نظراً لأهميتها وخطورتها على الوضع العام في منطقة الشرق الأوسط بصورة خاصة والعالم أجمع بصورة عامة، وقد سُجل ذلك باعترافات الساسة الدوليين عبر قنوات التواصل الاجتماعي، لا سيما مسألة العمل التطوعي التي شغلت القنوات الفضائية، فوقفت أمامه وقفة إجلال وتقدير مرّة، وخوف من اتساعه مرة أخرى، لما له من تأثير على مصالحهم في العالم الاسلامي.

ونظرا لهذه الأهمية ولوجل الدول الكبرى منه، نسلط الأضواء على ظاهرة العمل التطوعي، هذه الثقافة التي تعد دليلاً على يقظة المجتمعات البشرية وشعورها بأهمية دورها البنّاء تجاه أبنائها، إذ أن نشرها بين أفراد المجتمع يُعدُّ من الركائز الأساسية لتماسك هذا المجتمع وغرس القيم النبيلة فيه، لما لها من انعكاسات إيجابية على بناء عقيدة الأمة وآثار تربوية على القيم والأخلاق والفضائل، وهذا ما أرّقَ الدول.

Social dimensions of the Arbaeen Pilgriamge - voluntary work as example

Prof. Amal Suhail Abed al-Husseini
Faculty of Education - Kufa University

Lecturer. Jabbar Mohammed Hashim al-Moussawi
College of Literatures - University of Kufa

Abstract

The million people-Arbaeen Pilgriamge has made unique repercussions on the human spirit and soul in all aspects, due to the spiritual attraction inspired by this ritual toward the honorable Imam Hussein "pbuh" and his great companions, so the believer can live through it a state of spiritual purity with the environment and deal with it through love and compassion.

This great turn has reflected positively on the international arena of Imamate Shiites, as the major countries started to watch this immortal Husseiniah epic every year, and transmit it through their by satellites due to its importance and impact of the overall situation in the middle east region and the in the world in general.

This global attention was formally recorded based on quotes of foreign politicians through social media outlets, especially the cases related to the voluntary work, because of they have as an impact to major powers' interests in the Islamic world, which made shoot the light on these cases that considered as a sign of the awakening culture of human societies and sense of the importance of their constructive role towards their members, as spreading this culture among the members of society is one of the fundamental pillars of solidarity in society and a way to implant the noble values in it, for the positive implications they have on the construction of the nation's doctrine and its educational effects on values, ethics and virtues.

المطلب الأول: الأبعاد الإجتماعية لزيارة الأربعين:

الدين الاسلامي هو الدين الوحيد الذي يتميز عن باقي الأديان بشمولية قوانينه للدين والدنيا معاً، فشموليته الدنيوية تكمن في قوانينه وآرائه وسننه وشموليته الاخروية، تكمن في ما أعدَّه الله تعالى للصالحين من ثواب وعقاب وأجر عظيم للعاملين في هذه الدنيا وفق القوانين والسنن الإسلامية الصحيحة.

ولو أردنا التأكد من هذا الكلام نأخذ مثالاً على ذلك الصلاة مثلاً التي قال عنها تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللّهِ أَكْبَرُ وَاللّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ العنكبوت:٤٥، فهذه الصلاة تحمل في طياتها جنبتين أساسيتين، إحداهما تتعلق بعلاقة الإنسان بربه وكيفية هذه العلاقة وطريقة إقامتها، أما الأُخرى فتتعلق بآثار هذه العلاقة على الإنسان أثناء تعامله مع الآخرين من أبناء جنسه، وعليه فبقدر طاعته والتزامه بأوامر الله ونواهيه تكون هذه العبادة مقبولة. يقول السيد مير علي الحائري الطهراني في تفسير الآية أعلاه: (في الآية دلالة على أنَّ فعل الصلاة لطفٌ للمكلف في ترك القبيح والمعاصي التي ينكرها الشرع والعقل، فإذا كان أثرها أنها تنهى عن القبيح يكون توفيقياً، وقيل: أن الصلاة بمنزلة الناهي بالقول إذا قال لا تفعل الفحشاء والمنكر، وذلك لأن فيها التكبير والتسبيح والقراءة والوقوف بين يدي الله وغير ذلك من صنوف العبادة، وكل ذلك يدعو إلى شكله ويصرف عن ضده؛ لأن شبيه الشيء ينجذب إليه، فحينئذ يكون الآمر والناهي مؤدياً الى الخير وصارفاً عن الشر الذي ضده)(١)، فهي إذن تنهى عن كل قبيح يستشنعه الذوق السليم النابع من التزامه الديني، كأكل مال اليتيم وقتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق وارتكاب الفواحش مثل الزنا واللواط..... وغير ذلك. وقد حث رسول الله وآله الكرام ﷺ على مجموعة من العبادات والشعائر التي تقرب العبد الى ربه زلفى، ومن تلك العبادات زيارة قبور أولياء الله من النبيين والشهداء والصالحين، وهذا ما أكدت عليه كتب الفريقين سنة وشيعة وعملت به وترجمته على أرض الواقع، فصار المسلمون يتعاهدون قبور الأنبياء والصالحين بالزيارة والدعاء في أضرحتهم لقضاء حوائجهم، فهذه أرض سوريا تضم أضرحة شتى، منها ضريح السيدة زينب بنت علي عليها السلام وضريح السيدة رقية بنت الامام الحسين عليهما السلام ولكليهما منزلة عند السُّنَّة والشيعة، وكذلك مصر العربية تضم أضرحة شتى، منها مقام رأس الحسين عليه السلام ومقام السيدة زينب بنت علي ومقام السيدة نفيسة عليها السلام، كذلك في السعودية والأردن وغيرها من بقاع العالم الاسلامي، وفي كل هذا وذاك دليل على احترام المسلمين لهذه الشخصيات الاسلامية. أما في العراق فنجد إن لكل مرقد من المراقد المقدسة قصة ومبلغاً من الاحترام والتعظيم والتقديس في نفوس الشعب العراقي سُنَّة وشيعة، وكان لمرقد الامام الحسين عليه السلام وما زال وسيبقى موضع الصدارة والعلو والرفعة من قبل المسلمين في شتى بقاع العالم، يتسابقون في الوصول إليه لا سيما في زيارة الاربعين، فصارت هذه الزيارة عنواناً للوفاء

والولاء والتضحية لهذا الامام العظيم الذي ضحى بكل شيء من أجل إعلاء كلمة الحق والمبادئ والقيم والاخلاق ولأجل أن يرفع كلمة التوحيد عالياً؛ لذا قيل: (إن الإسلام محمدي الوجود حسيني البقاء)، فهذا البقاء خلد في نفوس الملايين من البشر، ليس الشيعة فقط بل جذب حتى غير المسلمين وشدَّهم إليه، فكان لهذه الشعيرة أبعادٌ جمة، منها ما هو أخلاقي، ومنه ما هو إنساني، ومنه ما هو إقتصادي، ومنه ما هو سياسي. وقد كان البعد الاجتماعي أهم تلك الأبعاد، لما له من أثر على شخصية المرء المسلم، لا سيما العمل التطوعي الذي نمّى عند الشباب القيم الايجابية، كالإيثار والصبر والتعاون وإعادة الثقة بالنفس، (فبالرغم مما نعيشه اليوم ويعيشه شبابنا معنا في مجتمع مليء بالتناقضات والازدواجية، منها مثلاً: تطرف ديني مقابل عري، زيادة فقر وفي نفس الوقت زيادة استهلاك، عدم اشباع حاجات أساسية مع زيادة ترف ومظهرية، إلا أن هناك فئات من الشباب استطاعت التغلب على تلك التناقضات وقفزت بعيداً عنها موجهة طاقتها وجهدها ووقتها الى أعمال تهدف لخدمة المجتمع وتنميته اجتماعياً واقتصادياً دون انتظار عائد مادي أو تحقيق مصلحة شخصية)(٢). ومن هذا المنطلق سوف نسلط الضوء على أهم فوائد البعد الاجتماعي لهذه الزيارة المليونية:

البعد الإجتماعي للزيارة المليونية:

١. **التقاء الناس وتعارفهم تحت مظلة الامام الحسين**عليه السلام: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات: ١٣، فكان الهدف الأول لوجود الخليقة واختلاف الألوان والأشكال واختلاف الثقافات هو لأجل التعارف.

قال بعض المفسرين: (إن كلمة شعوب هي إشارة الى طوائف العجم، وأما القبائل فإشارة الى طوائف العرب)(٣)، وقد تحقق هذا الهدف السامي في المسيرات المليونية الحسينية بفضل الله علينا نحن العراقيين بصورة خاصة والعالم الآخر بصورة عامة، فبعد الظلم والجور الذي عانى منه الشعب العراقي والسجن الذي كان مفروضاً عليه من قبل الطاغية صدام حسين لعنه الله، إذ انه فرض عليه إقامة إجبارية لا يلتقي بشعوب العالم ولا يخرج إليهم، حتى الفضائيات كان محروماً منها، فلم يطّلع على ثقافات الشعوب، ولم يختلط بشعب، لكنه بعد السقوط تنفس الصعداء وخرج الى العالم وتعرف على ثقافاتها وعاداتها وتقاليدها، فمثلاً نراه يختلط بالايراني والهندي والعربي، وهذا التنوع خلق عنده ثقافات متعددة، وقد تركت لدى الشعب بصمات محمودة، فمثلاً تعلمنا من الايراني النظافة والحرص واحترام النظام واحترام قوانين البلد، ومن العربي الكرم - ولو ان كرم العراقيين كان هو الاول بشهادة موسوعة غينيتز التي اعتبرته أكرم شعب على الأرض- وما الى ذلك من العادات المحمودة التي أخذناها عن غيرنا، حصل كل هذا ونحن نفتقد الأمان على أرض هذا الوطن، فلو قُدّر للعراقيين توفر سبل الأمان والطمأنينة لكان الوضع غير ما

نحن عليه اليوم، ولوجدتَ عدمَ وجود موطيء قدم على ترابه لكثرة الزائرين، ولرأيتَ الملايين على اختلاف جنسياتهم وانتماءاتهم تتزاحم وتتدافع على العراق أرض المقدسات، أرض كربلاء، أرض الفداء والقيم والبطولات والتضحيات والاخلاق.

٢. **الوقوف صفاً واحداً أمام أعداء أهل البيت**عليهم السلام:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ الصف:٤، وقوله تعالى هذا ينطبق اليوم على كل من يقف في خندق أعداء أهل البيتعليهم السلام، فنحن نعيش اليوم عصر الفتنة والتفرقة الطائفية، ناهيك عن المؤامرات التي يحيكها الأعداء لأجل الإيقاع بنا، فعلينا أن نكون أمامهم كالبنيان المرصوص، ليس في جبهات القتال فحسب، بل في كل مجالات الحياة المختلفة، ويكون شبابنا (أمام العدو قوياً راسخاً تتجسد فيه وحدة القلوب والأرواح والعزائم الحديدية والتصميم القوي بصورة تعكس أنهم صفٌ متراص ليس فيه صدع او تخلخل)[٤]، وهذا المصداق تحقق في زيارة الاربعين، فنجد المؤمنين بعضهم بجانب بعض، كبيرهم وصغيرهم، رجالهم ونسائهم يسيرون نحو الحسينعليه السلام بخطىً ثابتة، إذا رآهم العدو هابهم وخافهم؛ لأنهم كتلة واحدة لا يمكن له تفتيتها أو ثنيها عن عزمها؛ لأن حبَّ الحسين هو الذي جمعهم، فصاروا في حبّه كالبنيان المرصوص؛ لذا نرى أن الذين تعرضوا لهم بالقتل والتنكيل والملاحقة والإعدام في هذه الشعيرة بالذات -زيارة الأربعين- وعلى مر العصور ومراحل التاريخ لخير شاهد على عدائهم لأهل البيت وشيعتهم، فذاك المتوكل العباسي، وهذا صدام حسين، وهؤلاء الأرهابيون الذين يفجرون ويقتلون الى غيرها من القضايا الاجرامية التي تفتك بمحبي الإمام الحسينعليه السلام، لكن هؤلاء المجرمين الإرهابيين لم يستطيعوا ولن يستطيعوا بكل ما اوتوا من قوة أن يثنوا عزيمة ذلك العشق والتطلع الى سيد الشهداء الامام الحسينعليه السلام، بل الكل ينادي: يا ليتنا كنا معك فنفوز فوزاً عظيماً، وبهذا فهم قصموا ظهر الارهاب وكسروا شوكة المجرمين ولقنوهم دروساً لن ينساها التاريخ ولا الاجيال، ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاء اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يونس: ٦٢.

يحدث هذا كله لأبناء الطائفة الواحدة، أضف إليه التلاحم والتراص الذي يحصل في هذه الشعيرة بين السُّنَّة والشيعة، والعرب والأكراد، والمسيحيين والمسلمين، وبين الصابئة والشيعة أيضاً، حتى وصل الحد أننا شاهدنا مواكب إخواننا أهل السنة، ومواكب مسيحية وكردية وصابئية وغيرها، اجتمعوا تحت راية الحسين ولأجل الحسينعليه السلام، وبهذا نكون قد تجاوزنا الفتنة الطائفية التي حاول أعداء الإسلام والانساتية أن يزرعوها بين فئات الشعب العراقي، إذ سعى وبكل ما يملك من قوة وإمكانيات لجعلها ورقة رائجة ورابحة ينال من خلالها من وحدة هذا الشعب، (وقد مارسوا استخدام هذه الورقة في أوقات كثيرة وبلاد إسلامية كثيرة، فتمكنوا من إحداث اختراقات كثيرة في الفكر والثقافة الاسلامية)[٥]، لكن زيارة الأربعين حطمت جميع أحلامهم فكانت مدعاة للوحدة بين صفوف الشعب العراقي.

٣. إبراز ظاهرة التكافل الاجتماعي بصورة جلية:

صار الإمام الحسين عليه السلام قدوة فريدة في التاريخ الاسلامي خاصة والعالمي عامة، فقد (ضرب لنا أرقاماً قياسية في كل الفضائل، ما جعل عامة المسلمين يعتزون بهذه النهضة الجبارة التي علمتهم دروساً في الأخلاق، ومؤتمراً يتفاهم فيه عامة البشر الذين رأوا فكره عليه السلام من ناحية العقيدة والشعور الحي)[٦].

ومن هذه الفضائل التي أفرزتها هذه الثورة العرمرم ظاهرة التكافل الاجتماعي أثناء زيارة الأربعين، لا سيما عند المشاة، فهؤلاء زحفوا الى الزيارة المليونية تاركين الأموال والأوطان، فاجتهد العراقيون في أن يكونوا الأهل والوطن والأموال، فقدموا لهم كل شيء بالمجان، فلم نسمع بأحد الزائرين بانه بقي بلا طعام ولا شراب ولا منام ولا الى أي شيء قد يفكر به ذلك الزائر، بل وصل الكرم والسخاء بهم أن قدموا للزائرين ما لم يعرفوه ويأكلوه من الأطعمة في بلدانهم، مما حدا بأحدهم أن قال: (إننا في مسيرة الحسين عليه السلام يوم الأربعين وقبل ذلك وبعده كنا نأكل ونشرب ونرتع بأنواع النعم والخيرات ما لم يتيسر لنا مثلها في سائر أيام وشهور السنة)[٧].

وقد جمعت الأموال من كافة أبناء الشعب من داخل العراق وخارجه وانشئت مؤسسات خدمية ترعى شؤون المؤمنين المعوزين في نفس هذه الايام من شهر صفر، وكذلك تقوم برعاية أيتام المؤمنين الذين استشهدوا في حوادث التفجيرات الإرهابية أثناء الزيارة وكذلك إرسال مرضاهم الى المستشفيات لغرض العلاج داخل العراق وخارجه، وعلى أمثال هؤلاء ينطبق مفهوم الحديث المروي عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام الذي قال فيه: (أشدُّ من يتم اليتيم الذي انقطع عن أبيه يتم يتيم انقطع عن إمامه ولا يقدر على الوصول إليه، ولا يدري كيف حكمه فيما يبتلي به من شرائع دينه، ألا فمن كان من شيعتنا عالماً بعلومنا وهذا الجاهل بشريعتنا المنقطع عن مشاهدتنا يتيم في حجره ألا فمن هداه وأرشده وعلمه شريعتنا كان معنا في الرفيق الأعلى)[٨].

٤. افتخار المؤمنين بإنتمائهم الحسيني:

يقول الإمام الحسن العسكري عليه السلام: (علامات المؤمن خمس: صلاة الإحدى والخمسين، وزيارة الأربعين والتختم باليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم)[٩]، فها هي (زيارة الأربعين تتجاوز حدود العراق في طريق تبلورها كأكبر مظاهرة مليونية لقطع أطول مسافة سيراً على الأقدام للتعبير عن التزام الامة الإسلامية كلها شيعة وسنة الى الإمام الحسين واهل البيت عليهم السلام مقابل من التزموا طاعة الشيطان وآل أبي سفيان)[١٠].

وسوف يظل هذا الشعور - شعور الإفتخار بالإنتماء الى الحسين - يسري بدماء محبيه الى يوم القيامة ولسان حالهم يقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَـذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ الاعراف: ٤٣؛ لأن مدرسة الإمام الحسين عليه السلام قامت على أساس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ قام عليه السلام بأصعب مهمة، فأداها بأبهى صورة وأرفع مستوى؛ ليكون حياً خالداً في ضمائر الناس، وحجة على الأولين والآخرين، ففخر الكل يكمن في انتمائهم

إليه، طالبين منه الشفاعة للنجاة من عذاب يوم القيامة وقضاء حوائجهم في الدنيا؛ مما حدا بهؤلاء الى القيام بهذه الأعمال التي تقرّبهم الى إمامهم كالبكاء واللطم المبرح، بل تعدى الأمر الى الضرب بالسيوف على الرؤوس بل كل عمل يعتقدون به القربة الى الله معتبرين ذلك ترجمة لحب الحسين عليه السلام.

٥. تعميق روح التضامن بين الأفراد الذين ينتمون الى طائفة معينة:

إنَّ (الدين أو العقيدة تؤدي دوراً أساسياً في تحقيق التآزر والتضامن الاجتماعي بين أبناء الطائفة الواحدة)[١١]، فشيعة العراق -وعلى مدى التاريخ- صار تضامنهم عنواناً ومضرب الأمثال للإخاء والتلاحم، بالرغم من وجود بعض الخلافات الجانبية بينهم، ومع ذلك نراهم يجتمعون في زيارة الأربعين تحت لواء سيد الشهداء عليه السلام وتحت منصته، متجاوزين كل العقبات، وكدليل على ذلك نشير الى ما حصل من خلافات في العام ١٣٤٨هـ في زيارة الأربعين بين النجفيين والكاظميين ثم بين النجفيين والكربلائيين وامتناع مواكب النجف عن الحضور في كربلاء كسيرتها الاولى، الأمر الذي أحدث شرخاً كبيراً وانشقاقاً لا يستهان به بين الاخوة المتجاورين والعتبتين المقدستين، وحدثت بينهما نفرة وجفوة، فما كان من المصلحين إلا المبادرة والتدخل لحل هذا الخلاف، فقام العلامة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء خطيباً فيهم، واستطاع بحنكته لمّ الشمل وتجاوز الأزمة. وقد قامت مجلة العرفان بنقل هذه الحادثة في عددها الصادر في العام ١٣٥٠هـ في المجلد الثاني والعشرين[١٢]. ولو أمعنّا النظر بهذه الحادثة لوجدنا هؤلاء الإخوان قد استطاعوا تجاوز هذه الأزمة بروح الشعور بوجوب التضامن بين أفراد الطائفة الواحدة وضرورة تجاوز كل العقبات من أجل سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام الذي ضحى بكل شيء من أجل المبادئ واجتماع الكلمة.

٦. إختفاء الفوارق والحواجز الطبيعية الاجتماعية بين مختلف الفئات:

وكما إن زيارة الأربعين تعبير عن رفض الظلم والقهر والاستكبار السياسي الذي لحق بالشعب العراقي من حكوماته المتعاقبة أو الدول المستعمرة له كذلك فإن لها بعداً آخر، إذ أنها (تمثل مكسباً عظيماً على صعيد الثقافة والاجتماع والتنمية للعالم الإسلامي بنحو عام وللعراق الذي يحتضن هذه الممارسة بنحو خاص، فضلاً عن كونها رسالة عالمية تدعو لمد جسور التواصل بين الشعوب والثقافات ونشر قيم التسامح والمودة والسلام)[١٣]، وكذلك صارت مكاناً لإختفاء كل الفوارق والحواجز الطبيعية والاجتماعية، ففقراء الناس واغنياؤهم يظهرون بلباس واحد، فالكل يرتدي السواد حزناً على صاحب المصيبة، والكل يرتدي الملابس البسيطة مهما كان مستواه المعيشي، فالكل سواسية، الاغنياء والفقراء، يتبادلون المواقع من أجل خدمة الناس في المواكب، وكذلك في المسير لا تكاد تميز بين فقيرهم وغنيهم، فالكل يقصد رضا إمامه الحسين عليه السلام، وقد شاهدنا بأم أعيننا أغنياء البلد وهم يرتدون السواد ويقفون في وسط الطريق المؤدي الى كربلاء وهم يحاولون الإمساك بالزوار من أجل أن يقدموا لهم الخدمات من أكل وراحة واستحمام وغيرها، وكم لاحظنا من حملة الشهادات العليا من أساتذة وهم يعملون المساجات والعلاجات

الطبيعية للزوار المشاة طلباً للثواب دون أي ملل أو كلل أو توقف، وهذه الظاهرة تسمى في علم النفس بـ(نكران الذات)، فالكل نسي ذاته وأنكرها حباً للحسين(عليه السلام)، والكل يخدم تقرباً لآل الرسول(صلى الله عليه وآله)، وهذه الظاهرة لا نجدها على مدى العام كله وإنما في أيام الأربعينية فقط، وهذا إنْ دلَّ على شيء فإنما يدلُّ على أنَّ الكل قد انصهر وذاب في المجتمع، بالرغم من غناه، ونسي صاحب الشهادة شهادته وانصهر وذاب في حب سيد الشهداء(عليه السلام) وطلباً لرضاه.

٧. **الشعور بالإخوة الإيمانية الموالية:**

يقول الامام علي(عليه السلام): (رُبَّ أخٍ لكَ لم تلده أُمك[١٤]، (يشير الإمام(عليه السلام) بهذه الكلمة الى الإخوة الإيمانية والإخوة التكوينية بحيث أن هذا الأخ بكل ما تعنيه، إلا أنه لم تلده الأم)[١٥]، فأهل البيت(عليهم السلام) دائماً يدعون أتباعهم عبر النصائح والإرشادات الى المحافظة على العلاقات الأخوية وضرورة استمرارها، وقد جاءت بعض نصائحهم بضرورة إلزام المؤمن الجانب الإيجابي -أي مجموعة الأعمال التي يقوم بها المؤمن تجاه أخيه المؤمن يكون لها دور في بقاء الاخوة الإيمانية واستمرار العلاقة الأخوية- أما الإرشادات الأُخرى التي دعوا شيعتهم لها فتتمخض في ضرورة الإمتناع عن بعض الأعمال التي تضر تلك العلاقة (فنصح أهل البيت(عليهم السلام) المؤمنين بالتورع من الوقوع في هذه الامور السلبية التي تؤذي علاقة المؤمن بالمؤمن وتكدّرها، ومن خلال ذلك العمل الايجابي الذي يؤكد هذه العلاقة ويُبقي المودة بينهما، ومن خلال التورع عن الوقوع في هذه الامور المؤذية لهذه العلاقة، يمكن للانسان أن يحافظ على هذه العلاقة ويستمر فيها)[١٦]. ولكي نفعّل هذه النصائح لابد من توفير جو إيماني وعلاقات دينية بحتة، وهذه الامور كلها توفرت في زيارة الأربعين، فالسائرون الى الإمام الحسين(عليه السلام) يعيشون هذه الاحاسيس بأعلى صورها وأشكالها، إذ الحب والأمن والأمان والسلام وكلمات الاخوة المعبرة عن عمق القضية الإيمانية في نفوسهم، فكلّهم يجمعهم حب الحسين(عليه السلام) ومبادؤه فيتمثلون به ويبذلون جهودهم لأجل الإنصياع لمبادئه والمبادئ الأُخرى التي أوصى بها أهل بيت الرحمة(عليهم السلام)، وقد وردت عنهم(عليهم السلام) أحاديث كثيرة أُخرى تبين ضرورة شعور المؤمن بإخوته الإيمانية للآخرين. من ذلك ما رواه جابر الجعفي قال: تنفستُ بين يدي أبي جعفر(عليه السلام) ثم قلت: يا ابن رسول الله أهتم من غير مصيبة تصيبني أو أمر نزل بي حتى تعرف ذلك أهلي في وجهي ويعرفه صديقي، قال: (نعم يا جابر. قلت: وممَّ ذلك يا ابن رسول الله؟ قال: وما تصنع بذلك؟، قلت: أحبُّ أنْ أعلمَه. فقال: يا جابر إن الله خلق المؤمنين من طينة الجنان، وأجرى فيهم من ريح روحه، فلذلك المؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه، فإذا أصاب تلك الأرواح في بلد من البلدان شيء حزنت عليه الأرواح لأنها منه)[١٧]، وقد أيد صحة هذا الحديث ما روي عن الامام الصادق(عليه السلام) أنه قال: (شيعتنا منّا خلقوا من فاضل طينتنا وعجنوا بنور ولايتنا)[١٨]، وأيضا ما روي عن ابن عباس قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله) لعلي: (يا علي شيعتك هم الفائزون يوم القيامة فمن أهان واحداً منهم فقد أهانك، ومن أهانك فقد أهانني، ومن أهانني أدخله الله نار جهنم وبئس المصير، يا علي أنت منّي وأنا منك روحك من روحي وطينتك من طينتي وشيعتك خلقوا من

فاضل طينتنا فمن أحبهم فقد أحبنا ومن أبغضهم فقد أبغضنا ومن عاداهم فقد عادانا ومن ودّهم فقد ودَّنا)[١٩].

المطلب الثاني: معاني العمل التطوعي في زيارة الاربعين:

توطئة:

من الركائز المهمة في بناء المجتمعات وبث روح التماسك الاجتماعي بين أفراده هو العمل التطوعي؛ كونه ممارسة إنسانية ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بكل معاني الخير والصلاح، ليس في مجتمع من المجتمعات، بل صار شعاراً عند كل المجموعات البشرية منذ الخليقة الى يومنا هذا، لكن الاختلاف وقع في حجمه وشكله ودوافعه واتجاهاته من مجتمع الى آخر، بل من فترة الى أُخرى، فعظم وازداد في المجتمعات التي تمتلك دساتيرَ إلهية غير محرّفة ولا مزيَّفة، وقل في المجتمعات التي انحرفت عن الخط الالهي، كذلك هو قليل في مجتمعات حل فيها الأمن والاستقرار والهدوء، وازداد في مجتمعات حلَّت بها الكوارث والحروب والنكبات، وبهذا نستطيع القول: إن زيارة الأربعين قد فرضت على البلد ظروفاً استثنائية نجم عنها بروز العمل التطوعي بصورة لم يسبق لها مثيل، وهذا ما أضاف الى الزيارة عينها قدراً عظيماً من الإجلال والإكبار بسبب إسهاماتها الحضارية والانسانية الجادة.

أولاً: تعريف العمل التطوعي:

لغة: التطوع مأخوذ من الفعل(طوع)، وهو ما تبرع به الفرد من ذات نفسه مما لا يلزمه فرضه[٢٠].

إصطلاحاً: (وهو عمل إجتماعي إرادي غير ربحي دون مقابل أو أجر مادي يقوم به الافراد والجماعات من اجل تحقيق مصالح مشتركة أو مساعدة وتنمية مستوى معيشة الآخرين من جيرانهم أو المجتمعات البشرية بصفة مطلقة، سواء كان هذا الجهد مبذولاً بالنفس أو المال)[٢١].

اما تعريفه من منظور الامم المتحدة فقد عُرّف بأنه: (عمل غير ربحي، لا يقدَّم نظير أجر معلوم، وهو عمل غير وظيفي مهني يقوم به الأفراد من أجل مساعدة وتنمية مستوى معيشة الآخرين من جيرانهم أو المجتمعات البشرية بصفة مطلقة)[٢٢].

وعليه فإن مفهوم التطوع: يرادف أي نشاط أو جهد يبذله الفرد دون انتظار عائد مادي، لذلك فإن الشباب الحسيني عندما يمارس الأعمال التطوعية فهو يضحي بالوقت والجهد والمال من أجل شفاعة الإمام الحسين عليه السلام ولأجل زوار الحسين دون انتظار أي عائد مادي مباشر.

وقد اقترن مفهوم ثقافة التطوع هنا بمفهوم العمل التطوعي، لأننا إذا أردنا تعريف تلك الثقافة نشير إلى أنها (منظومة القيم والمبادئ والأخلاقيات والمعايير والرموز التي تحض على المبادرة بعمل الخير الذي يتعدى نفعه الى الغير، أما بدرء مفسدة أو بجلب منفعة تطوعاً من غير الزام ودون إكراه)[٢٣].

وقد اهتمت الدول المتقدمة بنشر ثقافة العمل التطوعي بدرجة كبيرة بين أفراد مجتمعاتها، وذلك لإدراكها أهميته في بناء الروابط الوثيقة وتعزيز الإنتماء وإثبات الذات في بناء العلاقات الاجتماعية في تلك المجتمعات، وقد وضعوا النظريات النفسية

والإجتماعية في تفسير أعمال التطوع، منها:

١. **الرؤية الفرويدية.**
٢. **نظرية التفاعل الاجتماعي.**
٣. **نظرية التعلم الاجتماعي او الرؤية المعرفية السلوكية.**
٤. **الرؤية الإريكسونية للتطوع.**
٥. **الرؤية الإنسانية لروجرد ماسلو.**
٦. **نظريات الشخصية.**
٧. **نظرية العدالة الاجتماعية**[٢٤].
٨. **نظرية التبادل الاجتماعي**: وهذه النظرية هي أهم النظريات، كونها تتناسب مع موضوع دراستنا، وهذه النظرية تقول: (إن الناس لا يقدمون على مساعدة الآخرين إلا في حالة اعتقادهم بأن الربح الذي يحصلون عليه من المساعدة المقدمة أكبر من التكلفة المبذولة، فالنظرية المذكورة لا تعتقد بوجود إيثار حقيقي يصدر عن شخص ما على حساب مصلحته الشخصية، فمساعدة الآخرين تأتي -فقط- في حالة توقعهم الحصول على نفع أكبر من الجهد المبذول)[٢٥].

وفي معرض الرد على أصحاب هذه النظرية نقول: إذا كنتم تعتقدون أن وراء كل ما يقدمه الاشخاص هي مصالح شخصية فبماذا تفسرون ما يقوم به بعض الناس من تقديم حياتهم من أجل الآخرين، فما هو (الربح الذي يمكن تعويضه من الآخرين بعد أن يفقد الانسان حياته؟ وهل التثمين الذي سوف يحصل عليه من الناس ينفعه بعد موته؟ أو هو أغلى ثمن من الحياة؟)[٢٦].

إن التصور الإسلامي يؤكد على أن الإنسان جُبل على حب الخير فطرياً، وهذا ما أكد عليه قوله تعالى: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ الروم: ٣٠، وقوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ الحشر: ٩، وهذه الآيات وغيرها أكبر دليل على بطلان ما ذهبوا إليه من إنكار للسلوك الإيثاري الخالص، (فسلوك هذا الجمهور العريض دليل ناصع على وجوده، فهو سلوكٌ إيثاريٌ محضٌ لا يضع في حسبانه مبادئ الربح والخسارة مطلقاً)[٢٧]، ونحن شخصياً نعرض تجربتنا مع هؤلاء الزوار الغرباء ونرحب بهم ونتعامل معهم ولا نعرفهم، أمثال الزوار الإيرانيين، فإن حجم الإنفاق المبذول من قبلنا لا ينسجم أبداً مع الربح المتوقع، حتى لو تخيلنا وجود تطلع للتبادل النفعي حسب ما تقرره النظرية، وبالتالي فنحن نأمل ونتطلع مما قدمناه ونقدمه الى الربح والجزاء الاخروي ونيل الشفاعة من الإمام الحسين عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ الانبياء: ٢٨، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ إِلاَّ مَنْ أَتَى الله بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ الشعراء: ٨٨-٨٩.

وكل هذه النظريات -عدا الرؤية الفرويدية- تعتبر العمل التطوعي ظاهرة حضارية للنهوض بالمجتمعات والإبتعاد عن كل ما هو أناني، فهذه الأعمال تسهم في زيادة المودة والإحترام وتقوية أواصر المحبة في المجتمعات البشرية، لأن منافعه عامة وليست فردية، علماً أن هذه الأعمال التطوعية لا يمكنها أن تنجح دون تفاعل المجتمع معها

والمشاركة فيها، بل وتشجيع القائمين عليها، وهذا كله يستدعي تعميم ونشر (ثقافة العمل التطوعي) في البيئة الإجتماعية، بل المشاركة فيه. ويمكننا أن نقف على أهم أنواع المشاركة في الأعمال التطوعية فيما يأتي:

١. المشاركة المعنوية: هي عبارة عن دعم المشاريع التطوعية معنوياً من خلال الوقوف المعنوي مع المشروع الخيري، سواء بالتشجيع أو الدفاع عنه أو التعريف به في المحافل العامة.

٢. المشاركة المادية: هي عبارة عن دعم المشاريع الخيرية بالمال؛ بإعتباره يمثل أحد المقومات الداعية الى نجاح أي عمل خيري، وقد سمى القرآن الكريم هذا النوع من المشاركة بالجهاد، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ الحجرات: ١٥.

٣. المشاركة العضوية: هي عبارة عن كون الاشخاص أعضاء فعالين في الأعمال التطوعية عبر انتسابهم لإحدى مؤسسات الخدمة الاجتماعية، وهذا النوع من المشاركة يتطلب بذل الجهد والتضحية بالوقت وإعمال الفكر لأجل الوصول الى أعلى المراتب في خدمة المجتمع[٢٨].

٤. وبتظافر هذه الأنواع الثلاثة يكتب لأي عمل تطوعي النجاح، وفي زيارة الأربعين نجد أن هذه الألوان الثلاثة قد تظافرت واجتمعت وآتت أكلها، وهذا ما زاد هذه الشعيرة قدراً عظيماً من التقدير والاكبار، بل سبّب هذا العدد الهائل من المتطوعين دهشة العالم واستغرابه ليقف مذهولا ويتساءل: كيف تسنى لهؤلاء جميعا أن يأتوا في آن واحد دون إشارة او قرار أو موعد مسبق.

ثانياً: العمل التطوعي في الثقافة الإسلامية:

قد يتساءل البعض: هل ورد مصطلح التطوع في المصادر الإسلامية كالقرآن والسنة؟، والجواب أنه نعم قد ورد في أماكن متعددة، ففي القرآن الكريم ورد هذا المصطلح في قوله تعالى: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة: ١٥٨، فقد ورد في تفسيرها: (ان الله يشكر عباده المتطوعين للخير بأن يجازيهم خيرا)[٢٩]، وقوله تعالى: (.. فاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ....) المائدة: ٤٨، فهذه الآية الكريمة تدعو المسلمين الى (التسابق في فعل الخيرات بدل تبذير الطاقات)[٣٠].

وعليه فقد أسس القرآن الكريم لمفهوم العمل التطوعي في نفوس المسلمين؛ كونه ديناً يحمل في طياته روح الاختيار، وهذا شامل لكل العبادات والمعاملات ومساعدة الآخرين.

اما السُّنَّة النبوية وسُنَّة أهل البيت عليهم السلام فقد طفحت بما دلت عليه في موضوع التطوع، فإذا أخذنا مثلاً قول النبيﷺ: (المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كربة فرَّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة)[٣١].

وقد ورد عن الإمام الصادقؑ قوله: (المؤمنون في تبارّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائره بالسهر والحمى)

[٣٢]، وكذلك ما روي عن الامام الصادق عليه السلام عندما سأله المعلّى بن خنيس عن حق المؤمن على أخيه المؤمن، فأجابه عليه السلام بكلام طويل، من ضمنه انه قال: (وإن كانت له حاجة تبادر مبادرة إلى قضائها، ولا تكلفه أن يسألكها)[٣٣]، وأحاديث أُخرى كثيرة دعت الى ترسيخ ثقافة العمل التطوعي في المجتمع المسلم وبأساليب مختلفة، داعية الى بناء المجتمع المسلم على أسس من المحبة والأخاء والتعاطف والتواصل والتراحم ونبذ روح الفرقة والتكافل والتضامن، حتى يكون المسلمون المؤمنون جسداً واحداً، ورغم كل هذه الدعاوى إلا أن أغلب الدول العربية عزفت عن هذا المشروع الإنساني الإسلامي؛ والسبب يعود الى تخلي الحكومات العربية عن دورها الريادي في هذه المجالات.

ثالثاً: عوامل نشأة العمل التطوعي وأهدافه وسماته:

أ. متى نشأ العمل التطوعي؟

ان العمل التطوعي كان موجوداً في كل المجتمعات الإنسانية وعلى مر التاريخ البشري، فقد فُطر الإنسان على حب الخير منذ أن وطأت قدماه الأرض، وجاء الدين والشريعة ليقويا هذا الشعور عند الانسان، فقد ارتبط -أي الشعور- ارتباطاً وثيقاً بكل معاني الخير والعمل الصالح عند المجموعات البشرية منذ الأزل، وكان ولا زال -كعمل خيري- وسيلة للشعور بالاعتزاز وراحة النفس البشرية المجبولة على حب الخير، لذا صار فعالية تقوّي عند الأفراد والجماعات الرغبة بالحياة، بل يزيد الثقة بالنفس، بل بالحياة جميعها طمعاً في مستقبل واعد، حتى وصل الحد أن بعض الاطباء وصفوا لمرضاهم المصابين بالاكتئاب والضيق النفسي والملل المشاركة بالاعمال التطوعية، الغرض منها تجاوز المحن النفسية التي يعانون منها والتسامي نحو الخير الذي يمس محيط الشخص وعلاقاته، فيشعر بأهميته ودوره في تقدم المجتمع الذي يعيش فيه، وهذا بدوره يعطيه أملاً جديداً بحياة سعيدة. وعلى مر الزمن يزداد العمل التطوعي في الظروف العسيرة التي تمر بها الأرض وتقل في الحالات الاعتيادية، وقد ظهر -نتيجة لذلك- شكلان من أشكال العمل التطوعي هما:

الشكل الأول: السلوك التطوعي الذي هو عبارة عن (مجموعة التصرفات التي يمارسها الفرد وتنطبق عليها شروط العمل التطوعي، ولكنها تأتي استجابة لظرف طارئ أو لموقف إنساني أو أخلاقي محدد)[٣٤]، ومثاله: عند حدوث عمل إرهابي- وما أكثر الأعمال الإرهابية في بلدنا العراق- نجد أن كل الناس الموجودين في مكان الحادث يهرعون -وبدون نداء أحد أو استنجاده- الى المشاركة في إنقاذ الجرحى وإسعافهم وتطبيبهم، ونقلهم الى أقرب مشفى، وتصرفهم هذا ونخوتهم ناتجة عن غايات إنسانية نبيلة صرفة، إما أخلاقية أو إجتماعية أو دينية، وهو بدوره لا يتوقع أية منفعة جراء ذلك العمل، وهذا دليل آخر على بطلان نظرية التبادل الاجتماعي.

الشكل الثاني: ويشمل الفعل التطوعي (الذي لا يأتي استجابة لظرف طارئ، بل يأتي نتيجة تدبّر وتفكر، مثاله الإيمان بفكرة تنظيم الاسرة وحقوق الأطفال بأسرة مستقرة وآمنة، فهذا الشكل يتطوع للحديث عن فكرته في كل مجال وكل جلسة، ولا

ينتظر إعلان محاضرة ليقول رأيه بذلك)[٣٥].

ب. ما هي أهداف العمل التطوعي؟

لكل عمل في هذه الدنيا أهداف بقدر ذلك العمل، فأصحاب الإعمال العظيمة تكون أهدافهم نبيلة عظيمة وسامية، بينما أصحاب الاعمال الوضيعة تكون أهدافهم وضيعة ودنيئة، يطمعون من خلالها للوصول الى مآرب دنيوية لا قيمة لها. أما العمل التطوعي فهو من الأعمال النبيلة التي يكون هدفها إسعاد الآخرين وإدخال السرور في قلوبهم، وإن من يقوم بها فإنه يضحي بوقته وماله وراحته طائعاً غير مكره، وبهذا يسمو عمله وتسمو أهدافه. أما أهم أهدافه فهي:

١. تنمية روح الإنتماء لدى أفراد المجتمع، لا سيما شريحة الشباب منهم، إذ يشعرون بنشوة الإنتماء والولاء لأفراد جنسهم من خلال المشاركة الفعلية معهم في أفراحهم وأتراحهم.
٢. إثارة الحوافز الإيجابية لدى المتطوعين، إذ أن المتطوع -وأثناء تأدية عمله التطوعي- سوف يعتاد على رفع مستوى الاداء والسرعة والانجاز، وهذا ما سيؤدي الى زيادة معدل إنتاجية عمله في المستقبل.
٣. العمل التطوعي يعد مجالاً خصباً لممارسة حرية الاختيار، فالشخص الذي يقوم بالعمل التطوعي الذي يتناسب مع ميوله وأهوائه يكون مختاراً وليس مجبوراً على الاختيار.
٤. تنظيم أوقات الفراغ: إن وجود أوقات الفراغ في حياتنا يعد أمراً قاتلاً قد يتطور مستقبلاً ليشكل عقدة نفسية أو مرضا لا سمح الله، لكن العمل التطوعي سوف يعوّد الانسان على ملء فراغه بما هو مفيد ونافع، ليس له فحسب، بل لصالح المجتمع الذي ينتمي إليه، وبهذا سوف يصبح لديه فضاءً رحباً، ليمارس -هذا الإنسان- ولاءه وانتماءه لوطنه.
٥. من خلال الأعمال التطوعية يكتسب الانسان صحبة اجتماعية، ليزيد رصيده من الاصدقاء والمعارف الذين سيأخذ منهم ويأخذون منه.
٦. يستطيع الانسان بواسطته التغلب على الأنا وتجنب القضايا الشخصية غير المرغوب بها عن الذات.
٧. تعزيز الذات: إذ أن المتطوع يقدم على تقدير ذاته والتعرف على مقدراته ومواهبه التي تعزز ثقته بنفسه الى الدرجة التي قد يبدع في عمله الذي وكل إليه أو يكون متميزاً فيه.
٨. الحصول على الخبرات أو التعرف على صنعة اخرى قد يمارسها مستقبلاً تساعده على الالتحاق بسوق العمل من خلال تطوير سيرته الذاتية.
٩. سوف يسعى المتطوع الى بناء فهم افضل عن العالم الذي يعيش فيه؛ وذلك من خلال اختلاطه بنماذج واناس من غير بلده، وهذا الهدف وارد جداً في الزيارة الأربعينية، فقد تعرفنا على أخلاق وعادات وتقاليد الشعوب من خلال هذه الزيارة المباركة، واكتسبنا خبرات لم نكن نعرفها من قبل.
١٠. أهداف أُخروية: وهذه الاهداف تعتمد على اعتقاد الانسان، فهناك من يمتلك الدين، وهو ممن يؤمن بالله وبالثواب الاخروي، بينما نجد من لا دين له لا يؤمن بذلك، فهذا هدفه إنساني

بحت، لأن النفس البشرية مجبولة على حب الخير ومزودة بمعرفته فطرياً.

هـذه أهـم الأهـداف التي يسعى الى تحقيقها المشاركون في الأعمال التطوعية، مع أنهم قد تكون لهم أهداف اخرى – قد تكون شخصية بحتة– ونحن غفلنا عنها.

ومع كل هذا السمو وهذه الرفعة اللتين يهدف اليهما العمل التطوعي، لكننا لم نجد في بلانا – وللاسف الشديد – من يقوم بهذه الاعمال التطوعية، عـدا ما يحـدث في زيـارة الأربـعين، إذ يفترض بنا –كمسلمين– القيام بها مثلما كان المسلمون في القرون الاولى أسبق الناس للأعمال الخيرية والتطوعية، بل لم نكتف بهذا فقمنا بالتشنيع والتشكيك بمن يقومون بها وزرع روح الاحباط واليأس في المحيط الاجتماعي، وهذا ما سيسهم في تاخير مسيرة هذه الاعمال التطوعية.

ج. ما هي سمات العمل التطوعي؟

يتميز العمل التطوعي عن باقي الاعمال بأن له سمات نبيلة يمكن الوقوف على أهمها:

١. الغائية: فالمتطوع يسعى الى تحقيق غاية جليلة.
٢. الإيثار: المتطوع يؤثر الآخرين على نفسه دائماً، فنراه يضحي بوقته وجهده وماله وأحيانا بخبرته دون أن ينتظر عائداً مادياً يوازي حجم التضحية المبذولة.
٣. الطوعية: فهو عمل قائم على الفعل الارادي الحر للفرد.
٤. الاستقلالية: بما أن الفرد يعمل بعيداً عن تدخل الدولة او المؤسسات الاخرى غير الحكومية، فعمله هذا يتمتع بالاستقلالية بحيث يصبح قادراً على تنظيم شؤونه بمفرده.
٥. الالتزام الاخلاقي والسلوكي: العمل التطوعي التزام أخلاقي من الفرد تجاه مجتمعه أو المجموعة البشرية التي ينتمي اليها وبأعلى الدرجات[٣٦].

د. انعكاسات العمل التطوعي:

للعمل التطوعي انعكاسات جليلة لا تقل أهمية عن انعكاسات العمل الرسمي، لا سيما في الدول المتقدمة، ويترتب على اسهامات المتطوعين مكاسب:

أولاً: مكاسب اقتصادية:

للعمل التطوعي مكاسب اقتصادية لصالح البلدان التي يوجد فيها هكذا نوع من الاعمال، إذ أن هؤلاء المتطوعين لا يتقاضون أجوراً على ما يقدمونه، رغم أن ما يقدمونه جليل ويستحق التبجيل، فهم يقومون بأعمال تطوعية، كمساعدة العجزة وكبار السن، وكذلك تقديم المحاضرات والإشراف على الدراسات العليا في الجامعات العالمية المشهورة، وهذا كله تطوعاً دون مقابل، فَلَكَ أن تتصور لو أن هؤلاء يتقاضون اجوراً على ذلك فكم ستكلف الدولة من أموال؟ لا سيما وان أعدادهم بالآلاف، وهذا الشعور نابع من شعورهم بالمواطنة، وغرضهم ان تتقدم بلدانهم، وهذا الشعور للاسف الشديد يفتقر اليه العراقيون –باستثناء زيـارة الاربعين– فالكل قد نسي تاريخ ومجد امته، ونسي ماضي الامة كيف كانت وكيف أصبحت اليوم، وإذا كنا قد نسينا مجد امتنا فلنا في الشعب الالماني اسوة حسنة كما يقول مالك بن نبي الذي ذكّر الامة بماضيها التليد في هذا

المجال، وكيف أن عليها أنْ تستغل الوقت والزمن؛ لانه اذا ذهب لا يعود، فيتحدث عن الزمن واصفاً إياه بأنه (نهر صامت، حتى أننا ننساه أحياناً وننسى الحضارات في ساعات الغفلة او نشوة الحظ وقيمته التي لا تعوض[٣٧]، ثم لينعى على الامة عدم اهتمامها بالوقت قياساً للشعوب المتحضرة فيقول:(وحظّ الشعب العربي الاسلامي من الساعات كحظ أي شعب متحضر، ولكن..... عنما يدق الناقوس منادياً الرجال والنساء والاطفال الى مجالات العمل في البلاد المتحضرة..... اين يذهب الشعب الاسلامي؟ تلك هي المسالة المؤلمة....فنحن في العالم الاسلامي نعرف شيئاً يسمى (الوقت) ولكنه الوقت الذي ينتهي الى عدم؛ لأننا لا ندرك معناه ولا تجزئته الفنية؛ لأننا لا ندرك قيمة أجزائه من ساعة او دقيقة، ولسنا نعرف الى الآن فكرة الزمن)[٣٨].

وأخيراً ينقل لنا تجربة الشعب الالماني الذي اعاد بناء دولته بعد الحرب العالمية الثانية، تلك الحرب التي خلّفت وراءها المانيا عام ١٩٤٥ قاعاً صفصفاً، استطاع شعبها وخلال مدة وجيزة أنْ يعيد بناء دولته بأعمال تطوعية،(فقد فرضت الحكومة عام ١٩٤٨ على الشعب الالماني، نساءً وأطفالاً ورجالاً التطوع ساعتين يومياً، يؤديها كل فرد على عمله اليومي وبالمجان؛ من أجل الصالح العام فقط.... وقد عادت الحياة الاجتماعية والاقتصادية لشعب لم يبق لديه من الوسائل إثر الحرب الثانية الا العناصر الثلاثة: الانسان والتراب والزمن)[٣٩].

وعليه فإن استيحاء أمثال تلك التجارب الانسانية الناجحة سوف يبعث الحياة في شعوبنا الاسلامية؛ لأجل تنمية السلوك التطوعي لديهم، وبهذا يكون للعمل التطوعي اليد الطولى في حل المشكلات الاقتصادية.

ثانياً: مكاسب اجتماعية:

واذا نظرنا الى المكاسب الاجتماعية التي تحققها الاعمال التطوعية، نجدها تفوق المكاسب المادية؛ لأنها تسهم في تعزيز الشعوب بالمسؤولية الاجتماعية وتنبذ السلوك اللا ابالي أو ما يدعى بالاغتراب داخل الوطن، فنجده يحقق المكاسب التالية:

أ. إشاعة روح التعاون والتعاطف بين أفراد المجتمع.

ب. تنمية الشعور بالآخر (الغيرة أو ما يسمى «الايثار»).

ج. الشعور بالمسؤولية تجاه المجتمع الذي ينتمي اليه.

د. إشغال أوقات الفراغ بما لا يدع مجالاً للأشخاص بالتفكير بالمشاكل الاخرى؛ لأن الدراسات أثبتت ان الانسان العاطل سوف يكون لديه استعداد للمشاكل الاسرية، مثل الطلاق والعنف الاسري وازدراء الآخرين، وفي حياتنا أمثلة كثيرة على ذلك، فنجد في محيطاتنا العائلية نماذج لرجال عاطلين عن العمل تسببوا بمشاكل مع أسرهم جميعاً.

وفي مجتمعاتنا العربية والاسلامية لا يوجد اهتمام من قبل الدولة بهؤلاء العاطلين، بينما في الدول الغربية يختلف الامر تماماً، فهذه الدول لديها مشاريع متعددة تستقطب هؤلاء بغية إسهامهم في العمل تحقيقاً لمصلحتهم ومصلحة الدولة، وتسمى هذه المشاريع بـ (إعادة الادماج)، إذ أن هذه الدول تنفق

أموالاً طائلة على تلكم المشاريع والبرامج؛ كونها تسهم في تخليص مجتمعاتهم من المشاكل.

ثالثاً: مكاسب صحية:

إن أكثر الامراض التي تصيب الناس العاطلين عن العمل سببها الحالة النفسية التي يمرون بها، فالعمل التطوعي -بما فيه من حركات- يكون سبباً لتوفر الصحة الجسمية، كون العمل أحد مصاديق الحركة ومؤشر قوي على إيجاد الحيوية والنشاط؛ لأن جسم الانسان فيه طاقات كثيرة فائضة لا يمكن التخلص منها الا بالعمل، أضف الى ان التخلص من الاملاح الزائدة والسكريات المضرة للجسم لا يكون إلا بالحركة بغية تجنب الاصابة بأمراض كثيرة، منها: انسداد الأوعية وتصلب الشرايين، وتعطل بعض الغدد الهامة عن أداء وظيفتها بصورة صحيحة.

أما تأثير العمل على النشاطات الذهنية فحدّث ولا حرج، فالتفكير الذي يصاحب العمل له تأثير على محافظة الدماغ على حيويته؛ كون الدماغ عضلة قابلة للاصابة بالخمول نتيجة عدم استخدامها، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: (ان القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد.....)[٤٠]، أما تأثير العمل على نفسية الانسان فهذا ايضاً مما اثير في موضوع العمل التطوعي، إذ أن العمل يمنح الثقة بالنفس من خلال اتقان صنعة ما أو من خلال التواصل الاجتماعي مع الآخرين، فصار العمل التطوعي أحد الأسباب التي من خلالها يمكن القضاء على الشعور بالوحدة والكآبة والخوف من المستقبل، وغيرها من الأمراض النفسية الاجتماعية.

رابعاً: زيارة الأربعين والعمل التطوعي:

قال الامام الحسن العسكري عليه السلام: (علامات المؤمن خمس: صلاة الإحدى والخمسين وزيارة الأربعين والتختم باليمين وتعفير الجبين والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم)[٤١]، وهذا الحديث له مداليل كثيرة أهمها: أنَّ مَنْ زار الامام الحسين عليه السلام يوم الاربعين عُدَّ من المؤمنين، لما لهذه الزيارة من أثر رئيس في بناء المجتمع الموالي لأهل البيت عليهم السلام، فهي عبارة عن تجمع حاشد لملايين من المعزين تطرح نفسها كعقل اجتماعي لا يمكن تجاوزه، فهي (تحمل آلاف الرسائل والدعوات الموجهة الى آلاف المراكز والنواحي، ففي زمن التكنولوجيا والثورات الاعلامية المتواصلة بدت مشاهد الزيارة الأربعينية متلألئة في القنوات الفضائية التي تنقل المشاهد المؤثرة لتضع المشاهد ومن جميع أطياف المجتمع أمام تساؤل كبير وهو: ما الذي يجعل هذه الجموع المليونية تزحف بهذا الاصرار نحو قبلة الاحرار والثائرين؟، فيأتي الجواب مدوياً: إنه الحسين عليه السلام وعظمة التضحية التي قدمها)[٤٢]، وقد نالت هذه الزيارة اهتمام كل المسؤولين في انحاء المعمورة، فقد (ذكرت بعض المصادر إن مسؤول القوات المسلحة في الشرق الاوسط للإدارة الامريكية كان يراقب هذه الظاهرة الحسينية عبر الاقمار الصناعية لمدة اسبوعين أو أكثر وبشكل مباشر، وبعدها قال: أنا أعترف أنتم الشيعة أكثر تحضراً بالمقايسة مع الأحداث التي تقع في نيويورك أو باريس)[٤٣]، كذلك يقال: ان جريدة القبس الكويتية نقلت في عددها الصادر يوم ١٥/ ١٢/ ٢٠١٣ ما يلي: (شارك عدد من أعضاء وفد الفاتيكان الذي

يزور العراق في مسيرة على الأقدام أمس تتوجه من الناصرية الى كربلاء إحياءً لذكرى أربعين الامام الحسين عليه السلام وسار الوفد برئاسة المونسيور ليربيريو اندرياتا رئيس مؤسسة الحج التابعة للفاتيكان بنحو كيلو متر برفقة رجال دين مسيحيين عراقيين الى جانب الزوار الشيعة من الناصرية حيث يقيمون[٤٤]، وكل هذا وأمثاله الكثير الذي احجمنا عن ذكره؛ لَدليل على ان هذه الزيارة المليونية قد أخافت هؤلاء بزحفها المليوني وجعلتهم يبدون إعجابهم بهذه الجموع المليونية ضامرين في قلوبهم حنقهم على هذا الدين وهذا المذهب بالذات، متغافلين عن ان هذه الزيارة هي برعاية ربانية وإدارة إلهية،لأنه تعالى قال: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ ابراهيم: ٣٧، واذا كنا نفخر بهذه الجموع المليونية الذاهبة الى كربلاء الحسين فلنا أنْ نفخر بهذا المشروع الجماهيري الذي لا نظير له في حقل الممارسة والتشجيع على العمل التطوعي؛ إذ أن هذا الزحف المليوني بحاجة لخدمة طعام وشراب، فمن يا ترى يوفر لهم هذا مادياً وخدمياً؟ وللجواب على هذا السؤال نقول: إن في هذا الموسم يتوفر مئات الآلاف من المتطوعين يتوزعون على عشرات الآلاف من الفرق والهيئات الميدانية او ما يصطلح عليه في ثقافة الزيارة بـ (المواكب) على كافة الطرق المؤدية الى كربلاء، ومن كافة الحدود العراقية،لا سيما الطرق التي تربط محافظات جنوب العراق بكربلاء المقدسة الذي يجب ان يسمى بـ (طريق النخوة العراقية)[٤٥]، وفي هذا الطريق لا يمكن احصاء ما يقوم به المتطوعون من نشاطات مختلفة، وقد علمنا ان هؤلاء المتطوعين أقاموا مأدبة- وتسمى سفرة: جمع سُفَر: عبارة عن طعام المسافر ما يُبسط عليه الأكل[٤٦]- على طول الطريق الرابط بين محافظة البصرة ومحافظة المثنى، وقد دخلت في موسوعة غينيتس العالمية، وكذلك أدخلت هذه الموسوعة زيارة الأربعين فيها؛ باعتبارها اكبر تجمع بشري مليوني تلقائي عفوي، لم يتدخل أحد في الدعوة لها أو ادعى تنظيمها ولا موعد مسبق لتجمعها وإنما جمعهم ويجمعهم حب الحسين عليه السلام في كل موسم ولهدف واحد هو الزيارة واعلان مظلوميته لكل العالم، وقد تجسدت هذه الزيارة بأنها (زيارة للشهامة والاخلاص والتضحية والدين ولكل فضيلة عرفها الانسان؛ لأن الفضيلة تجسدت في الحسين كأنبل ما يمكن ان تتجسد في شخص)[٤٧]، انها منهل ومغنم لكل معاني التضحية والإيثار والنبل عبر التاريخ المقدس والذكريات المقدسة لأبي الأحرار عليه السلام.

إن هؤلاء المتطوعين بذلوا جهوداً مضنية وكبيرة، ولا نبالغ أن وصفناهم بهذا الوصف الواقعي، فهؤلاء أبناء البصرة -مدينة واحدة من مدن العراق- ضربوا أروع مثال في البذل ووصفوا مواكبهم فقالوا: (إن مواكبنا كالبدو الرّحل تشد رحالها مع حركة الزائرين.... ولهم الف موكب حسيني لمسافة تتجاوز (٥٠٠) كيلو متر، وتلك خاصية تميزت بها محافظة البصرة دون غيرها)[٤٨]، وهذا المثل الرائع ليس فيه ادنى مبالغة إذا قارناه بأمثلة اخرى وقصص كثيرة يقف الفرد أمامها مبهوراً، ولابد لنا ان نسرد بعض تلك القصص النبيلة التي تكشف مدى حجم التضحية والبذل:

١. يروي صاحب موكب(حامي الشريعة) عن ما يحدث في مواكب الزائرين في البصرة- وهذا ما امتازت به المواكب البصرية بالذات- يقول:

(حينما ينتهي عمل المواكب الحسينية في جميع المحافظات المتوجهة الى كربلاء حال توقف سير الزائرين، بينما تشد مواكب البصرة رحالها وتنتقل بعد السابع من شهر صفر من البصرة وحسب حركة الزائرين الى محافظات: ذي قار والسماوة والديوانية والنجف وبابل الى اطراف كربلاء، وهذه المواكب نحو ألف موكب ينتقل بكامل عدته وعدده من الخيم والكراسي وأدوات الطبخ والمستلزمات الكهربائية والمؤونة والفرش مع الزائرين لتنصب خيامها على مسافات أبعد من مسيرهم لتستقبلهم مرة اخرى وتقدم لهم الطعام والشراب والمبيت والدواء وتهيئة أمكنة الصلاة والعبادة في جو من الممارسة الخدمية لا يوجد نظيرها في العالم، إذ يجند الآلاف انفسهم لخدمة ملايين من الناس يسيرون نحو محافظة كربلاء ليس بينهم أي معرفة سابقة الا حب الحسين والانتصار لقضيته العالمية العادلة)[٤٩].

٢. في أحد المواكب يتجمع عدد كبير من الصبية تتراوح أعمارهم بين ٨-١٤ سنة، وعند السؤال عن وجودهم قال أحدهم: (إننا مجموعة من الاقارب والاصدقاء اتفقنا على أنْ ننفذ عملاً واحداً هو تنظيف واجهة الموكب والمواكب المجاورة والشارع العام، مبيناً ان هدف الامام الحسين عليه السلام وثورته العظيمة هو الاصلاح، والنظافة تعكس تحضر الشعوب وتطورها)[٥٠].

٣. ونجد هناك مجموعة اخرى اختصت بعمل المساج والتدليك باسلوب متطور، يقول احد هؤلاء: (درَّبنا مجموعة من الخدام على عمليات التدليك والمساج للاقدام والارجل وعلى استخدام مجموعة من المراهم الخاصة بفك التشنجات ومعالجة الاوردة والشرايين ومنها زيت الزيتون والرومالجين، ونحن في خدمتنا نركز على كبار السن والاطفال والصبيان؛ كونهم يحتاجون الى خدمة خاصة لغضاضة أجسامهم وضعف أبدانهم، لان العاملين استندوا لنصائح طبية من اطباء ومعالجين مختصين)[٥١].

٤. ينقل الكاتب فرج الحطاب- الذي سار مشياً على الاقدام مع زوار الاربعينية معايشاً إياهم لاكمال رسالته الماجستير التي بعنوان «تطور طقوس الحداد الشيعية في العراق الحديث» طقوس زيارة الاربعين- يقول:

عند وصولنا الى منطقة حي الكرامة في النجف الاشرف أمسك بي احد الشباب قائلاً: تفضل معي انت وجماعتك لنخدمكم هذه الليلة، وقد أشار عليَّ احد مرافقيي بأن استجيب لدعوته ففعلت، وعند وصولنا الى منزله كان بإستقبالنا والده قائلاً: (اهلاً بزوار ابي عبد الله، اهلاً بزوار الحسين) واعتذر منا قائلاً: اعـذروني لأن سخان المـاء لا يعمل بسبب انقطاع التيار الكهربائي، لكننا سنسخن الماء لكم بواسطة طباخ الغاز كي تستحموا، ثم طلب منا ان نخلع جواربنا كي يغسلها بنفسه؛ معللاً ذلك (بأنه سيزداد شرفاً بغسل جوارب زوار الحسين عليه السلام وان عمله هذا لا يساوي شيئاً امام الأقدام التي ستواصل مشيها المبارك لتزور قبر الحسين عليه السلام، ثم قدموا لنا

العشاء والشاي والسكائر) وقد نقل الكاتب هذه القصة مطولة لكننا اختصرنا تجنباً للاطالة، والكاتب في دهشة لما يحصل في هذه المسيرة، ثم ينقل قصصاً اخرى يقف أمامها مذهولاً لم يصدّق ما شاهده معلناً ان ما حصل له لو انه روي له من قبل أحد الناس لم يصدقه؛ لانه لا يوجد شعب يقدم مثلما قدمه الشعب العراقي الغيور)[٥٢].

هذه بعض من قصص الشهامة العراقية أو طريق النخوة العراقية؛ مما حدا ببعض الاجانب التمثل بالعراقيين وانشاء المواكب الحسينية، فقد نقلت مجلة النبأ في عددها الصادر في محرم ١٤٣٢هـ: (قامت مجموعة من الصينيين العاملين في إحدى شركات التسوق في مدينة الناصرية (٣٠٠) كيلو متر جنوب كربلاء المقدسة بتقديم الخدمات للزائرين الكرام الى مرقد سيد الشهداء..... وصرح السيد ليون أحد العاملين في شركة التسوق الصينية (NEN): قررنا المشاركة مع أهالي الناصرية لخدمة زوار الحسين عليه السلام وتقديم الطعام والشراب لهم من خلال نصب موكب خاص بنا كصينيين)[٥٣]، وهذا إن دلَّ على شيء فانما يدل على ان ثورة وزيارة الامام الحسين عليه السلام قد استقطبت حتى غير المسلمين وجعلتهم يسيرون في ركبه، بالاضافة الى ان زيارة الأربعين (تمثل انتصار الشعار الصادق على رهاقة السيف الظالم، ولتخلق روح التوافق والإلتئام، فإن اجتماع مجموعة من الناس واتحادهم في عمل ما بدافع العقيدة سيولد لا محالة وشائج وثيقة بين الافراد ويعزز العلاقات الاجتماعية)[٥٤]. هؤلاء المتطوعون يمارسون (دوراً مهماً في تنظيم انفسهم من دون ان يعوّلوا كثيراً على الدور الحكومي، سواء في مجال التنظيم أو الخدمات المختلفة، وغالبا ما ينجحون في تنظيم هذه الزيارة بسبب الانضباط العالي والاستعداد الايجابي الذي يتحلى به معظم المشاركين اثناء الزيارة)[٥٥]، وقد أتاحت هذه المناسبة الفرصة للآلاف من الناس في العمل واكتساب المهارات التي استطاعوا – بعد هذه الزيارة– الإتكاء عليها في الحصول على عمل ببركة هذه الخدمة الميمونة.

على اننا لا نستطيع ان نجزم ان هذه الزيارة قد جلبت للعراق مكاسب مالية، لأن ما يصرفه العراقي انما هو بالمجان دون مقابل، وهذا وان كان يشكل حركة اقتصادية، اذ بواسطتها يتحرك السوق العراقي بل اسواق الدول المجاورة، لكنه بالنسبة لأهل العراق لا يعني شيئاً ما دام الكل يعمل بالمجان والكل يقدم ما يعمله بدون مقابل، الا اذا استثنينا ما تحصل عليه الدولة العراقية من مكاسب من مجموعة تأشيرات الدخول التي يحصل عليها الزوار الاجانب اضافة الى العملات النقدية التي تدخل الى السوق العراقي.

خامساً: مقارنة العمل التطوعي الحسيني بالاعمال التطوعية الاخرى لغير الحسين:

اننا اذا ما حاولنا تتبع هذا الموضوع نجد ان هناك فروقاً بين الاعمال التطوعية الحسينية وغير الحسينية، أي ما يقوم به المؤمنون أثناء زيارة الأربعين وبين غيرهم من المتطوعين. ومن تلك الفروق – التي سنقف عليها بعجالة – هي:

١. الدوافع الذاتية:

ان ما يقوم به المتطوع لخدمة زوار الامام الحسين

يكون عن دوافع ذاتية بحتة دون ان يكون هناك محفز خارجي، بينما نجد ما يقوم به المتطوعون في البلدان الاخرى يحصلون من ورائه على مكافآت مالية، مثل اجور النقل وبعض المصروفات التي تقدم لهم كالطعام والشراب المجاني.

٢. حرية اختيار العمل التطوعي:

تفرض بعض الدول العمل التطوعي على مواطنيها بحجة انها تشجع أفرادها على هذا العمل التطوعي، بينما نجد ان من يعمل للحسين عليه السلام يكون عمله طواعية وبدون الزام.

٣. التنافس الرسالي:

عندما يتطوع الناس في دول الغرب لإنجاح مشروع ما، يتصارع الكل من أجل انجاح مشروعه على حساب الآخرين، وهذا بدوره يسبب التوتر والكراهية بين الأفراد أنفسهم، بينما لا نجد أثرا لذلك عند المتطوعين لخدمة زوار الامام الحسين عليه السلام، فبالرغم من كثرة أصحاب المواكب الحسينية واختلاف توجهاتهم وانتماءاتهم العرقية والقبلية والدينية والمذهبية والثقافية إلا أنهم جميعاً متآلفين متحابين يتنافسون على مبدأ واحد ليس فيه بغض او تحاسد، فلا صراعات ولا مشاكل بينهم.

٤. الحالة التعبوية:

ان خدام الحسين عليه السلام يزدادون عاماً بعد عام بأعداد هائلة دون أن يندرجوا ضمن مؤسسات، بينما لا نجد ذلك في المتطوعين في البلدان الأُخرى، بل قد يحصل عندهم نقص في عدد المتطوعين، وهذه المقارنة تبين عظم ما يقوم به خدام الامام الحسين الذين يستحقون وقفة اجلال وإكبار، فهؤلاء مفخرة الانسانية يستحقون إشادة دولية، ومن المؤكد أن هذا لم يحدث ولم يشجع عليه أحد من الدول؛ كون هؤلاء شيعة ينتمون الى الحسين رجل الانسانية الخالد.

الخاتمة والنتائج:

بعد هذه الاطلالة على الابعاد الاجتماعية لزيارة الأربعين لا بد من وقفة مع أهم ما توصلنا إليه من نتائج:

١. استطاعت زيارة الأربعين وعلى مدى وجودها من تحقيق مكاسب اجتماعية واخلاقية وسياسية واقتصادية.
٢. استطاعت هذه الزيارة أن تستقطب كل شرائح المجتمع سنة وشيعة، واستطاعت أن توحد المسلمين وغسل قلوبهم من أدران الطائفية والاحقاد الجاهلية، فهي حج آخر اجتمع فيه الناس من كل حدب وصوب.
٣. إن الأعمال التطوعية التي يقوم بها المؤمنون أيام الأربعينية انما يعبّرون من خلالها عن دعمهم وتأييدهم للخير والعدل والحق، واستنكارهم وكرههم للظلم والباطل.
٤. تعتبر شعيرة الاربعين والشعائر الحسينية الاخرى شعارات حضارية راقية إذا ما قورنت ببقية الشعائر الموجودة عند غير المسلمين، وقد أثبتت أنها أرقى الشعائر وأكثرها فاعلية وتأثيراً وثورية، ويدل على ذلك ديمومتها واستمراريتها وتوقد جذوتها، منذ استشهاد أبي الأحرار الى يومنا هذا.

٥. الاهتمام البالغ لوسائل الاعلام المرئية والمسموعة والمقروءة ومواكبتها لفعاليات واحداث هذه الشعيرة الكبيرة، لا سيما وسائل الاعلام الاجنبية التي ترتبط بالحكومات الغربية، من اجل متابعتها وتحليل مضامينها والحذر منها من ان تؤدي الى إحداث ثورة كبرى وهزة انسانية تؤدي الى ما لا يحمد عقباه.

٦. إن للعمل التطوعي فوائد وعائدات ايجابية على الفرد الممارس لهذا العمل خصوصاً وعلى المجتمع عموماً قد تكون مادية او معنوية يحصلون عليها بطرق عدة، أما العمل التطوعي لخدمة قضية الامام الحسين عليه السلام فان الممارسين له والمشاركين فيه لا يبغون إلا الشفاعة والرضا من إمامهم ونوال الثواب والاجر الاخروي.

٧. ان العمل التطوعي قديم قدم وطأة الانسان على وجه الارض، لكنه يختلف قوةً وضعفاً في الحالات الطبيعية التي تواجهها الدول من الكوارث والأزمات، فيزداد- العمل التطوعي- قوةً عند حلول تلك الكوارث ويقل عند وجود الامن والامان.

الخاتمة والتوصيات

١. ضرورة إنشاء وزارة خاصة لاقامة الشعائر الحسينية على غرار وزارة الحج والعمرة السعودية، الهدف منها التنسيق والإعداد لمراسم الشعائر الحسينية لانها تحتاج الى من يديرها ويخطط لها بما يتناسب مع حجمها وكثرة المشاركين فيها وتحديد رسومها وتكاليفها ودقة ولطف شعائرها.

٢. إعداد طريقة للمخططين والمنفذين من خطباء وقراء للمراثي والمصائب والمواعظ واللطميات وتصفية الموروث الشيعي مما ادخل فيه، ودراسة وتمحيص الروايات التي تقرأ وتتداول بين الخطباء واخراج ما هو ليس منها وادخال ما كان منها.

٣. بما ان ما تقدم يتطلب مهارة خاصة وتدريباً وفناً لذا يجب اشراك الفنيين والخبراء بهذا الجانب كون هذه الشعائر تتسم بالقداسة.

٤. ايجاد ميزانية مشتركة بين الدولة والمواطنين والتنسيق بينهما بغية عدم الاسراف والتبذير الذي نشهده في زيارة الاربعين.

٥. تثقيف الناس على هذه الشعائر تلافياً لما نرى من بعضهم من تصرفات لا تتلائم ووضع المعزين لآل الرسول صلى الله عليه وآله.

٦. اخضاع المراسيم الشكلية للعزاء للذوق الفني والقدرة الرمزية والبعد الثقافي والحضاري لمختلف الناس المقيمين لهذه المراسم.

الهوامش

(١) تفسير مقتنيات الدرر: الحائري الطهراني، ٨/ ٢٣٢.

(٢) مجلة حولية كلية البنات العدد ٨ لسنة ٢٠٠٧، بحث بعنوان(الشباب والعمل التطوعي) ص٥٥٠.

(٣) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، ١٦/ ٥١٥.

(٤) المصدر نفسه، ١٨/ ٢٦٢.

(٥) الخطاب السياسي والثقافي الموجه الى أنصار الحسين: محمد مهدي الآصفي، ٥٦.

(٦) مجلة الغري، العدد ١١٩ لسنة ١٩٤٣م، ص٢٩٩.
(٧) الأربعين وفلسفة المشي الى الحسين: حيدر الصمياني، ص٩٦.
(٨) بحار الأنوار: المجلسي، ٢/ ٢.
(٩) المصدر نفسه، ٩٨/ ٣٢٩.
(١٠) مجلة شعائر،العدد ٤٦، السنة الرابعة، ١٤٣٥-٢٠١٤، مقالة للشيخ حسين الكوراني، ص٦.
(١١) مجلة السبط، العدد الرابع، ١٤٣٨-٢٠١٧، ص٩٤.
(١٢) لمعرفة القصة كاملة يُراجع مجلة العرفان، العدد ٢٢، ص٤٤٣.
(١٣) زيارة الأربعين دلالات وآفاق، محمد عبد الرضا هادي الساعدي، ١٣-١٤.
(١٤) تصنيف غرر الحكم: مركز الابحاث والدراسات الاسلامية، ٤٢٤، ح٩٧٥٢.
(١٥) الاخوة الايمانية من منظور الثقلين: محمد باقر الحكيم، ١٧.
(١٦) المصدر نفسه، ٨٧.
(١٧) الكافي: الكليني، ٢/ ١٦٦.
(١٨) بحار الأنوار: المجلسي، ٥٣/ ٣٠٣.
(١٩) روضة الواعظين: الفتال النيسابوري، ٢٩٦.
(٢٠) لسان العرب: ابن منظور، ٨/ ٢٢٢.
(٢١) موسوعة ويكيبيديا لسنة ٢٠١٢.
(٢٢) العمل التطوعي من منظور عالمي، ابراهيم حسين، ٧٩.
(٢٣) حولية كلية البنات، بحث بعنوان:(الشباب والعمل التطوعي): د. عالية حبيب+ عبد العزيز ص٥٥٥، العدد ٨ لسنة ٢٠٠٧م.
(٢٤) للتعرف على المزيد من تلك النظريات يُراجع المجلة التربوية التي تصدر من جامعة الكويت، العدد ١١٦، بحث بعنوان(دور الجامعة التربوي في نشر ثقافة العمل التطوعي في المجتمع السعودي» دراسة ميدانية» د. محمد بن عبد الله الحازمي وآخرون، ص٣٦٧.
(٢٥) زيارة الاربعين دلالات وآفاق، محمد عبد الرضا هادي الساعدي، ٦٩-٧٠.
(٢٦) المصدر نفسه، ٧٠.
(٢٧) المصدرنفسه، ١٠٢.
(٢٨) يُنظر: مجلة النبأ، العدد ٧٠ لسنة ٢٠٠٤م، ص١٤٣، مقالة للشيخ عبد الله احمد يوسف بعنوان:(إنماء المشاركة في العمل التطوعي).
(٢٩) الامثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، ١/ ٣٩٥.
(٣٠) المصدر نفسه، ٤/ ٢٩.
(٣١) صحيح البخاري: البخاري، ٣/ ٩٨.
(٣٢) بحار الأنوار: المجلسي، ٧١/ ٢٣٤.
(٣٣) المصدر نفسه، ٧١/ ٢٣٤.
(٣٤) مجلة النبأ، العدد ٦٣ لسنة ١٤٢٢هـ،مقالة بعنوان:(دور العمل التطوعي في تنمية المجتمع)، د. بلال عرابي، ص١٥٦.
(٣٥) المصدر نفسه، ١٥٧.
(٣٦) يُنظر: حولية كلية البنات، العدد (٨) ص٥٥٥.
(٣٧) شروط النهضة: مالك بن نبي، ٢١١.
(٣٨) المصدر نفسه، ٢١٢-٢١٣.
(٣٩) المصدر نفسه، ٢١٥-٢١٦.
(٤٠) عوالي اللآلئ: ابن أبي جمهور الاحسائي، ١/ ٢٧٩.
(٤١) اقبال الاعمال: ابن طاووس، ٦٦.
(٤٢) خطوات المتقين في ثمار زيارة الاربعين: هادي الشيخ طه، ٢٣.
(٤٣) الأربعين وفلسفة المشي الى الحسين: حيدر الصمياني، ١٢٤.
(٤٤) جريدة القبس الكويتية، العدد ليوم ١٥/ ١٢/ ٢٠١٣.
(٥٤) زيارة الأربعين دلالات وآفاق، محمد عبد الرضا هادي الساعدي، ١٢١.

(٤٦) المنجد في اللغة: لويس معلوف، ٣٣٧.

(٤٧) الامام الحسين الشهيد والثورة: هادي المدرسي، ٢٦١.

(٤٨) قصص الأربعين: قاسم الحلفي، ١٥-١٦.

(٤٩) المصدر نفسه، ١٦.

(٥٠) المصدر نفسه، ١٢٦.

(٥١) المصدر نفسه، ١٢٧.

(٥٢) مجلة الكوفة، بحث بعنوان: (تطور طقوس الحداد الشيعية في العراق الحديث «طقوس زيارة الأربعين»): فرج الخطاب، ١٨٦.

(٥٣) مجلة النبأ، عدد عاشوراء ١٤٣٢هـ في ٢٤/ كانون الثاني، ٢٠١١م.

(٤٥) خطوات المتقين في ثمار زيارة الأربعين: هادي طه، ١٥.

(٥٥) مجلة الكوفة، بحث بعنوان: (تطور طقوس الحداد الشيعية في العراق الحديث «طقوس زيارة الاربعين»): فرج الخطاب، ١٩٢.

(٥٦) يُنظر: زيارة الأربعين دلالات وآفاق: محمد عبد الرضا الساعدي، ١٢٤-١٢٩.

المصادر والمراجع

١. الاخوة الايمانية من منظور الثقلين: محمد باقر الحكيم: انتشارات الامام الحسين عليه السلام للطباعة والنشر، قم، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٢. الأربعين وفلسفة المشي للحسين عليه السلام: حيدر الصمياني، وحدة الدراسات التخصصية في العتبة الحسينية المقدسة، ط١، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م، العراق، كربلاء المقدسة.

٣. اقبال الاعمال: ابن طاووس، رضي الدين ابو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد الحسين الحسيني(ت:٦٦٤هـ)، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م

٤. الإمام الحسين الشهيد والثورة: هادي المدرسي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ-١٩٨٣م.

٥. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة البعثة، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٦. الخطاب السياسي الثقافي الموجه الى انصار الحسين عليه السلام بمناسبة الذكرى الأربعينية لسنة ١٤٢٦هـ: محمد مهدي الآصفي، (بدون تاريخ ولا طبعة).

٧. بحار الأنوار الجامعة لدر اخبار الائمة الاطهار عليهم السلام: محمد باقر المجلسي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م.

٨. تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: مركز الابحاث والدراسات الاسلامية، مطبعة مكتب الاعلام الاسلامي، قم، ط٢، ١٤٢٠م.

٩. تفسير مقتنيات الدرر: السيد مير علي الحائري الطهراني: تح: محمد وحيد الطبسي الحائري، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي، قم، ط١، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

١٠. خطوات المتقين في ثمار زيارة الاربعين: هادي الشيخ طه، وحدة الدراسات والنشرات في العتبة العباسية المقدسة، مطبعة دار الضياء، النجف الاشرف، ط١، ٢٠١٠م.

١١. روضة الواعظين: الفتال النيسابوري(ت:٥٠٨هـ)، تح: محمد مهدي الخرسان، منشورات الشريف الرضي، قم المقدسة، (د.ت) (د.ط).

١٢. زيارة الاربعين دلالات وآفاق، خطوات في التنمية البشرية والتخطيط الاستراتيجي لحقول الزيارة، النشر: باقيات، المطبعة: الوردي، ط٤، ١٤٣٩هـ-٢٠١٧م.

١٣. شروط النهضة: مالك بن نبي، ترجمة: عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط٣، ١٩٦٩م.
١٤. صحيح البخاري: البخاري، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة (ت:٢٥٦هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
١٥. العمل التطوعي من منظور عالمي، المؤتمر الثاني للتطوع، المشاريع التنموية في المؤسسات الاهلية، الاولويات والتحديات، الشارقة،٢٣-٢٤/ كانون الثاني، ٢٠٠١.
١٦. عوالي اللآلي العزيزية في الأحاديث الدينية: إبن أبي جمهور الإحسائي، محمد بن علي بن ابراهيم،(ت: نحو ٨٨٠هـ)، تح:مجتبى العراقي، مطبعة سيد الشهداء، قم، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
١٧. قصص الاربعين: قاسم الحلفي، العتبة الحسينية المقدسة، قسم الاعلام، ط١، ١٤٣٩هـ-٢٠١٧م.
١٨. الكافي: الكليني، محمد بن يعقوب (ت:٣٢٩هـ)، تح: علي اكبر الغفاري، دار الكتب الاسلامية، طهران، مطبعة حيدري، ط٤، ١٣٦٥هـ.
١٩. لسان العرب: ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين، محمد بن مكرم الأفريقي، (ت: ٧١١هـ)، تعليق: علي شيري، دار احياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٢٠. المنجد في اللغة والاعلام: لويس معلوف، منشورات دار المشرق، بيروت، ط٣٥، ١٩٩٦م.
٢١. المجلة التربوية الصادرة عن جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، العدد ١١٦، مجلد٢٩ لسنة ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م، بحث بعنوان (دور الجامعة التربوي في نشر ثقافة العمل التطوعي) د. محمد بن عبد الله الحازمي وآخرون.
٢٢. مجلة حولية كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، جامعة عين شمس، العدد الثامن، ملحق سنة ٢٠٠٧م، جمهورية مصر العربية، المطبعة العمرانية، الجيزة، بحث بعنوان:(الشباب والعمل التطوعي: د. عالية حبيب عبد العزيز حبيب.
٢٣. مجلة السبط، تصدر عن العتبة الحسينية، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، العدد (٤)، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م، بحث بعنوان: (المسار التاريخي لزيارة الاربعين، النشأة والتطور): انتصار عبد عون محسن السعدي.
٢٤. مجلة الشعائر، العدد ٤٦، السنة الرابعة، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م، تصدر عن المركز الاسلامي في بيروت، مقالة لحسين الكوراني بعنوان: (زيارة الاربعين نبض وحدة الامة والمستضعفين).
٢٥. مجلة العرفان العدد(٢٢)، مطبعة العرفان- صيدا، ١٣٥٠هـ.
٢٦. مجلة الغري، العراق، النجف الاشرف، العدد ١٩، ١٣ ربيع الاول، ١٣٦١ الموافق ٣١ آذار ١٩٤٣م السنة الثالثة.
٢٧. مجلة النبأ، تصدر عن المستقبل للثقافة والاعلام، العراق، بغداد، العدد(٧٠)، السنة العاشرة، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
٢٨. جريدة القبس الكويتية، تصدر عن الحكومة الكويتية، العدد ليوم ١٥/ ١٢/ ٢٠٠٣.
٢٩. الموسوعة الحرة(ويكيبيديا):
HYPERL INK "http: // ar.wkipedia.org/ wikiB.•

الأبعاد الإجتماعية والسياسية للزيارة الأربعينية

وموقف الحكومة العراقية الملكية منها

م.د. أركان مهدي عبد الله السعيدي

باحث – مديرية تربية ذي قار

الملخص

تعد زيارة الأربعين من أهم الطقوس الدينية التي يقوم بها شيعة أهل البيت عليهم السلام يوم ٢٠ صفر من كل سنة على المستويين الديني والعبادي، كما أن لهذه الزيارة أبعاداً اجتماعية وسياسية أثبتنا أهميتها التاريخية على المستوى الشعبي والحكومي من خلال هذا البحث الذي قُسّم الى عدة مواضيع هي: أهمية أصالة الزيارة في الفكر الشيعي وزيارة الإمام الحسين عليه السلام يوم الأربعين على وفق الموروث الروائي لأئمة أهل البيت عليهم السلام، كذلك أوضحنا ستراتيجية الزيارة الأربعينية في تربية المجتمع على المبادئ الإنسانية والقيم الروحية والأخلاق الإسلامية، من جانب آخر بيّنا الأبعاد السياسية للزيارة الأربعينية والمتمثلة بخشية الحكومة منها لأنها أداة احتجاج سياسية، كذلك تناول البحث موقف الحكومة العراقية في العهد الملكي من الزيارة الأربعينية الذي أخذ بالتصاعد بعد عام ١٩٣٥ إلى درجة المنع وفرض القيود والتعهدات على المواكب الحسينية.

The social and political dimensions of the Arbaeen pilgrimage and the position of Iraqi government toward it

Dr. Arkan Mahdi al-Saidi

Dhi Qar Governorate's Directorate of Education

Abstract

The visit of forty of the most important religious rituals carried out by Shiites Ahl al-Bayt peace be upon him on 20 Safar of each year on the religious level and worship، and the visit has social and political dimensions proved historical importance at the grassroots and government through this research، which was divided into several topics: The importance of the visit to the Shiite thought and the visit of Imam Hussein (peace be upon him) on the fortieth day according to the inherited heritage of the people of the House of the House (peace be upon them)، and also explained the strategy of the visit to the fourteenth in the education of the community on the principles of humanity and spiritual values and Islamic ethics، on the other hand، The visit also dealt with the position of the Iraqi government in the royal era of the fortieth visit، which began to escalate after 1935 to the point of prevention and the imposition of restrictions and pledges on the Husseini processions.

المقدمة

إن لزيارة أضرحة أئمة أهل البيت عليهم السلام أهمية كبيرة في الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية عند الشيعة فهي تُعدُّ من المعالم الإسلامية الكبيرة، وقد جاء في التراث الشيعي ما يدلل على قدسيتها ويحث على زيارتها، ولذلك أصبحت تشكل جانباً عبادياً مهماً يقوي الارتباط العقلي والوجداني بأئمة أهل البيت عليهم السلام، فالوقوف على قبورهم عليهم السلام يعني استلهام التجارب الحضارية والقيم الإنسانية من المواقف الإسلامية التي قام بها الأئمة عليهم السلام.

ومن أبرز هذه المواقف وأهمها موقف الإمام الحسين عليه السلام تجاه الاستبداد والظلم الأموي، حينما سطر أروع ملحمة في كربلاء شهدها التاريخ انتهت بكشف زيف المنافقين والكافرين وانتصر الدم الطاهر على سيوف الظالمين، ومنذ ذلك اليوم أصبح سيد الشهداء قبلة الثائرين، يحج إلى قبره المؤمنون لا سيما في يوم الأربعين (العشرين من صفر) من كل عام.

لا شك أن لزيارة الأربعين خصوصية على باقي زيارات الإمام الحسين عليه السلام لما تميزت به من كثرة الزائرين الوافدين من مختلف دول العالم لزيارة قبر سيد الشهداء، وقد ضمت هذه الزيارة أبعاداً اجتماعية وسياسية بيناها من خلال هذا البحث الذي تضمن عدة مواضيع منها: أهمية أصالة الزيارة في الفكر الشيعي وزيارة الإمام الحسين عليه السلام يوم الأربعين على وفق ما ورد في الموروث الروائي لأئمة أهل البيت عليهم السلام، كذلك أوضحنا ستراتيجية الزيارة الأربعينية في تربية المجتمع، حينما تكون هذه الزيارة عبارة عن معسكر تدريبي للأجيال تعطى فيه الدروس العملية من الإيثار والبذل والعطاء والتضحية في سبيل المبادئ الإنسانية والقيم الروحية التي ضحى من اجلها الإمام الحسين عليه السلام، وبيّنّا من جانب آخر الأبعاد السياسية للزيارة الأربعينية والمتمثلة بخوف الحكومة منها لأنها رسخت المبادئ الجهادية عند المؤمنين لتشكل بذلك – على مر التاريخ – أداة احتجاج سياسيةً ضاغطة ضد السلطات.

تضمَّنَ البحث كذلك موقف الحكومة العراقية في العهد الملكي من الزيارة الأربعينية وكيف كان موقفاً اتسم بالحذر وتكثيف الإجراءات الأمنية وقت الزيارات في بداية الأمر، إلا انه أخذ بالتصاعد بعد عام ١٩٣٥ إلى درجة المنع وفرض القيود والتعهدات على المواكب الحسينية.

أولاً: أصالة الزيارة في الفكر الشيعي

تعد زيارة أضرحة أئمة أهل البيت عليهم السلام من الشعائر الدينية المهمة في الفكر الشيعي نتيجة لما لها من مقاصد عقائدية وإسلامية وآثار أخلاقية وتربوية تعود على المجتمع، ولذلك وردت أحاديث كثيرة في هذا الباب تؤكد وتحث على أهمية زيارة الأئمة عليهم السلام، فلكل أمام منهم زيارة مخصوصة ذكرتها كتب الزيارات[1].

ان جميع هذه الزيارات لها آثارها الدينية وفوائدها الاجتماعية وردت في كتب الحديث وشرحها العلماء لعل منها: تعظيم لشأنهم وإحياءً لذكراهم عليهم السلام من أجل الارتباط بهم في عالم السير والسلوك، فهم القدوة والأسوة الحسنة التي أكد الباري تبارك وتعالى

الاقتداء بها، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو الله وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ الله كَثِيرًا﴾[٢]، كذلك فإن زيارتهم عليهم السلام هي جزء من التعبير عن محبتهم عليهم السلام التي أوجبها الله تعالى على عباده، قال تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[٣]، كما ان زيارتهم هي تجديد العهد معهم، قال الإمام الصادق عليه السلام: ((إنّ لكلّ إمامٍ عهداً في عنق أوليائه وشيعته، وإنّ مِن تمام الوفاء بالعهد وحُسن الأداء زيارة قبورهم، فمَن زارهم رغبةً في زيارتهم، وتصديقاً بما رغبوا فيه، كانت أئمّتُهم شفعاءَهم يومَ القيامة))[٤]، كما ان لزيارتهم آثاراً روحية ومعنوية ومادية كثيرة مترتبة على زيارتهم عليهم السلام وهذا ما لمسه الشيعة بواقع العيان ورأوه بعين اليقين وبشكل لا يقبل الشك، فضلاً عن ذلك ان قبورهم عليهم السلام عبارة عن أماكن للعبادة يصلي فيها المؤمنون ويقرئون القرآن ويدعون ربهم، لأنها أماكن يستجاب فيها الدعاء فتقضى الحاجات وتغفر الذنوب ويكسب الثواب[٥]، قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾[٦]، كما ورد عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: قال الحسين صلوات الله عليه يا أبتاه ما لمن زارنا؟ قال يا بني من زارني حياً وميتاً ومن زار أباك حياً وميتاً ومن زارك حياً وميتاً ومن زار أخاك حياً وميتاً كان حقيق عليَّ أن أزوره يوم القيامة وأخلصه من ذنوبه وأدخله الجنة[٧].

إن ارتباط الشيعة بأئمتهم عليهم السلام يمثل المحور الأساس والركيزة الأساسية في بناء التفكير العقائدي عندهم لأنهم عدل القرآن، لذلك فإن الارتباط بهم ضرورة قرآنية لفهم متطلبات الشريعة، وتعد زيارة أضرحتهم عليهم السلام جزءاً من هذا الارتباط وهي من أهم الطقوس الدالة على هويتهم الشيعية بل المؤكد لها، وقد دافع الشيعة فكرياً وعقدياًوعلى مر التاريخ عنها ضد من لا يؤمن بها كالوهابية السلفية[٨].

لقد تعهد شيعة أهل البيت طوال السنين المتعاقبة بزيارة أضرحة أئمتهم على مدار السنة، وقد بذلوا الغالي والنفيس في سبيل ذلك من تقديم المهج وتقطيع الأعضاء من قبل الأعداء وبذل الأموال، لذلك شكلت زيارتهم رمزاً لتحدي السلطات السياسية على مر التاريخ لاسيما زيارة الإمام الحسين عليه السلام التي تحولت في ذاتها بعد واقعة كربلاء مباشرة إلى أداة احتجاج سياسية، ثم أصبحت وسيلة لتأكيد الولاء الديني وترسيخ المعتقدات الشيعية ونشرها لتصبح في النهاية ركناًثقافياًوأساسياًفي بناء الطقوس الشيعية وما بلورته من هوية مذهبية على مدى التاريخ[٩].

ثانياً: أهمية زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) يوم الأربعين

ان الاهتمام ببعض الأيام عند الشيعة هو مبدأ قراني قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[١٠]، ومع إن كل الأيام هي مخلوقة لله إلا أن نسبة أمر ما إلى الله يدل على تشريفه وتعظيمه كنسبة شهر رمضان إلى الله حينما يطلق عليه (شهر الله) وكنسبة بعض الأمكنة إلى لله تعالى، مثل المسجد

الـذي يطلق عليه (بيت الله)، وهناك من يرى ان المقصود بأيام الله كل يوم حصل فيه حدث عظيم عند الله ومصيري في تاريخ البشرية أو تاريخ مجتمع من المجتمعات فإن ذلك اليوم يعد من أيام الله ة، وذلك لما في هذه المناسبات والأيام من عبر ودروس ومواعظ يتعلم منها الإنسان وتتعظ منها الشعوب والمجتمعات[١١].

كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: ((كـان رسـول الله يخطبنا فيذكرنا بأيام الله))[١٢]، ومن الطبيعي ان التذكير والذكر في أيـام معلومة عند الله له فوائد مهمة لعل منها: ربط المجتمعات البشرية بتاريخها للاستفادة من التجارب والعبر التي حصلت في الوقائع السابقة والتي لا تخلو من مواقف بطولية وأخلاقية وإنسانية تكون عظة لمن يسمعها أو يقرأها، لذلك يجب تخليدها وإحياؤها للإستفادة منها لاسيما وان هذه الأيام تعد شعيرة من شعائر الله، فعنصر الزمن له أثر مهمً في إقامة هذه الشعائر إذ تمتاز بعض الأيام بأهمية ومعنى خاصَّين ومن هذه الأيام يوم عاشوراء فهو ذكرى لأعظم واقعة دينية تراجيدية لدى المسلمين، إن تلك الحادثة تتكرر مرات ومرات في يوم العاشر من المحرم من كل عام ولعظم هذه المصيبة تعقد مجالس التعزية في كل يوم على مدار السنة وكأن عالم الخلق بجميع ما فيه يتزلزل لمشهد هذه الحادثة.

ولحرمة هذا اليوم ورد عن النبي صلى الله عليه وآله ((ان يوم عاشوراء يوم من أيام الله))[١٣]، وتأتي زيارة الأربعين موضوع البحث امتداداً ليوم عاشوراء واستكمالاً للمسيرة الحسينية التي ابتدأها الإمـام الحسين عليه السلام وأكملها الإمام زين العابدين وعمته زينب عليهم أفضل الصلاة والسلام وتتويجاً لكل الانتصارات التي حققها الركب الحسيني للأمة الإنسانية حيث جاءت عائلة الحسين لقبر الحسين عليه السلام لتؤسس بذلك مشروعاً إسلامياً وإنسانياً تربوياً متكاملاً لكل البشرية ينطلق من والى كربلاء.

ذكر الشيخ الطوسي إن يوم العشرين من صفر كان رجوع حرم سيدنا أبي عبد الله الحسين عليه السلام من الشام إلى المدينة وهو اليوم الذي ورد فيه جابر بن عبد الله الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله من المدينة إلى كربلاء لزيارة قبر أبي الشهداء الحسين عليه السلام فكان أول من زاره من الناس[١٤]، ولزيارة الإمام عليه السلام يوم الأربعين أهمية في الموروث الروائي الشيعي فقد ورد استحبابها في رواية عن الإمام الصادق ينقلها صفوان بن مهران قال: قال لي مولانا الصادق عليه السلام في زيارة الأربعين: تزور عند ارتفاع النهار فتقول: ثم ذكر نص الزيارة[١٥]، كما عدت هذه الزيارة من علامات المؤمن وقد روى ذلك الكثير من علماء الشيعة[١٦]، لاسيما وان زيارته عليه السلام مشياً على الأقدام لها خصوصية ذكرت فضلها الروايات[١٧].

ثالثاً: ستراتيجية الزيارة الأربعينية في تربية المجتمع

إن الحديث عن الزيارة الأربعينية كشعيرة دينية حديث عن مشروع وتخطيط إلهي الغاية منه هو تربية المجتمع وهذا المشروع يشترك فيه الدين والإنسان معاً في عملية تفاعلية، فمن جهة قابلية الشعيرة الدينية في ترويض الإنسان وإعداده روحياً وفكرياً، ومن جهة أخرى تفاعل الإنسان مع الدين حتى ينعكس ذلك على سلوكه وفاعليته في تحقيق الأهداف التي من أجلها شرعت هذه الشعيرة، وبذلك فإننا بين نظرية إلهية وصياغة ربانية وبين تطبيقات عملية وتفاعلية يقوم بها الإنسان ومدى نجاح هذه المعادلة يتوقف بطبيعة الحال على الإنسان نفسه.

ان مشروع النهضة الحسينية هو مشروع إسلامي يهدف إلى إصلاح المجتمع وتربيته وقد عمل به كل الأئمةعليهم السلام من خلال محاربة الظلم وإقامة العدل، وقد عبّر عن هذا المعنى أمير المؤمنينعليه السلام بقوله: ((اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ وَلَا الْتِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ وَلَكِنْ لِنَرِدَ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ وَنُظْهِرَ الْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ وَتُقَامَ الْمُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ))[١٨].

وإذا جئنا إلى زيارة الأربعين وهي أحدى محطات هذه النهضة فأننا نجدها عبارة عن معسكر تدريبي كبير يضم الملايين من الأنفس البشرية يعمل على ترويضها وتدريبها على التضحية والبذل والفداء من أجل المحافظة على القيم الإنسانية والروحية التي جاء بها الإسلام وحملها الحسينعليه السلام وضحى من أجلها هو وأهل بيته وأصحابه، كما ان الزيارة الأربعينية كممارسة شعائرية قد جمعت بين العفوية والتنظيم لأنَّ من يقوم بجميع مراسيم الزيارة من الزائرين والباذلين لخدمة الزائرين هم الناس العاديين وليس غيرهم من الجهات الحكومية الرسمية ومع ذلك فأن عمل هؤلاء يسير بشكل منتظم دون إي إرباك لدرجة ان جميع الزائرين تؤمَّن لهم كل احتياجاتهم من المأكل والمشرب والمنام وكل ما يحتاجونه أثناء مسيرهم إلى كربلاء، وكل ذلك يتم بإمكانيات ذاتية وشخصية ربما لا تستطيع أية دولة تسييرها بهذا الشكل من التنظيم والإمكانية، وإذا أردنا ان نبحث عن سر نجاح الزيارة الأربعينية على مستوى الممارسة كشعيرة حسينية يمكن إرجاعها إلى عدة أمور:

أولاً: الرعاية الربانية والعناية الإلهية في إنجاح الزيارة الأربعينية لأنه عمل عبادي مقدس قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[١٩].

ثانياً: الإيمان العقائدي عند الجميع بقدسية الهدف واستقامة الطريق، فإذا كان الهدف هو مرضاة الله تبارك وتعالى والطريق الموصل للهدف هو الحسينعليه السلام فإن النتيجة حتماً هي نجاح العمل.

ثالثاً: العمل الجماعي المتمثل بالمواكب والهيئات التي تعمل بشكل جماعي في تقديم الخدمة للزوار في يوم الأربعين، وكل عمل جماعي إسلامي يكون

ناجحاً ومباركاً لقول النبي ﷺ: ((يد الله مع الجماعة)) و((يد الله على الجماعة))[٢٠].

رابعاً: دافع الحب والعشق الحسيني الكبير الذي صيَّر من تلك النفوس شعلة وقّادة تعمل ليل نهار دون ملل أو كلل خدمة للقضية الحسينية، ويبدو أن الحب في الله هو أساس الإيمان والعمل الصالح بل هو القوة المحركة الحقيقية تجاه العمل قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾[٢١][٢٢]، كذلك ورد عن النبي ﷺ ((والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا..))[٢٣] وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: ((وهل الدين إلا الحب))[٢٤].

إن ما تقدم من عوامل ساعدت على نجاح الزيارة الأربعينية هي في الحقيقة تصلح أن تكون مبادئ ناجحة في العمل الاجتماعي، كما ان تطبيقها في ميدان الشعائر الحسينية اثبت مصداقيتها لتكون تجربة عملية ناجحة يمكن اعتمادها من قبل المجتمعات الإنسانية، وهذه النتيجة هي من أبرز الدروس المستفادة من الزيارة الأربعينية في إنجاح إي عمل في جميع نواحي الحياة.

إن من يدرس الزيارة الأربعينية سوسيولوجياً، أي دراسة النشاط الاجتماعي الذي يقوم به الزائرون والخدم ممن يقدمون الخدمات بكافة أشكالها للزائرين وطبيعة التعامل بين الجميع يجد أن هؤلاء استطاعوا أنْ يصلوا إلى تكاملات عملية عالية في بناء العلاقات الاجتماعية تقترب من أن تكون مثالاً حياً عن الدولة المثالية التي نادى بها إفلاطون[٢٥] في جمهوريته ومن بعده الفارابي[٢٦] في مدينته الفاضلة والقديس أوغسطين وتوماس مور وغيرهم من الفلاسفة، ولكن لا بنظرة مثالية بل بواقع عملي أثبت ان الإنسان إذا تجرد من مصالحه الشخصية وأهوائه الأنانية وعمل بحكمته العقلية وفطرته الإنسانية السليمة وعلى ضوء هدى الدين والعقيدة فإنه يصل إلى مبدأ العدالة بل يترقى إلى مبدأ المحبة.

وبالفعل فإن كل ما نراه ونشاهده في الزيارة الأربعينية قائم على المحبة التي أشاعها الإمام الحسين عليه السلام في قلوب محبيه، فالجميع يتعامل في هذه الزيارة بمحبة وإخلاص، وهذه المحبة هي التي أورثت الإيثار فنجد أن الجميع يتنازل حتى عن حقوقه المشروعة ويضحي بها من أجل خدمة الآخرين فنشاهده يتعب نفسه ليرتاح غيره ويجوع ليشبع غيره ويسهر لينام غير بهدوء واطمئنان بل يموت ليحيى غيره، وهذا ما شاهدناه وشاهده العالم، وفي مواقف كثيرة كيف ان أحد العشاق الحسينيين يمسك الإرهابي محاولاً منعه ليتفجر معه فداءً لزوار الإمام الحسين، ولعمري أن هذه هي أقصى درجات التفاني والمحبة لله وفي الله.

رابعاً: الأبعاد السياسية للزيارة الأربعينية

كانت ولا زالت زيارة الأئمة عليهم السلام بشكل عام لصيقة بالسياسة، حتى أن ولادتها سياسية واستهدافها سياسي بالدرجة الأولى، فهناك شعائر وطقوس كثيرة يمارسها المسلمون، إلا أنها لم تثر على مدى

التاريخ اللغط والاحتجاج والعنف والصدام، فالمتصوفة[٢٧] وغيرهم من المسلمين يمارسون طقوساً تشابه في كثير منها طقوس الشيعة فيما يتعلق بالزيارات لبعض الأضرحة المقدسة، إلا أنها لا تثير جدلاً سياسياًوبالتالي لم تشكل مشكلة عقائدية ذلك لأن الاختلاف العقائدي في كثير منه قائم على دوافع سياسية، أما ما يقوم به الشيعة من زيارات لأئمتهم وإن كان جوهرها ديني إلا أنها كانت ذات طابع سياسي على مستوى الوجود والدوافع، فلم يكتب التاريخ أن زيارة قبر شخصية دينية مهما كانت عظيمة القدر قد سببت مشكلة لزائريها كما هو الحال لزيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام[٢٨].

تتجلى الأبعاد السياسية لزيارة الأئمة عليهم السلام عند الشيعة في طقوس زيارة الإمام الحسين عليه السلام بوجه خاص، لأنها شكلت رمزاً لتحدي السلطات السياسية على مر التاريخ وتحولت في ذاتها بعد واقعة كربلاء مباشرة إلى أداة احتجاج سياسية، ثم أصبحت وسيلة لتأكيد الولاء الديني وترسيخ المبادئ الجهادية ضد الظالمين لتصبح في النهاية ركناًثقافياً وأساسياً في بناء المعتقدات الشيعية وما بلورته من هوية مذهبية[٢٩].

إن ما حملته زيارة الإمام الحسين في كل الأوقات ولاسيما يوم الأربعين من معاني ثورية متأصل في أصل هذه الزيارة، فعند تحليل البيئة الأيديولوجية لهذه الشعيرة نجد أن الجانب السياسي لها لم يكن عارضاً من عوارضها يتأثر بالظروف المحيطة ويقوم على أساس رغبة أو طموح سياسي معين وإنما هو شيء ذاتي متأصل في التركيبة الثورية والعقائدية للزيارة التي جاءت للتعبير عن مضامين الثورة الحسينية القائمة على الإصلاح والتغيير السياسي والاجتماعي في الشعوب، فهذه الثورة لم تكن رهينة زمانها ومكانها وإنما هي دعوى أرادها مفجروها لجميع الأجيال وعلى مر العصور للقيام بتغيير الأنظمة الفاسدة وما زيارة الإمام الحسين في يوم الأربعين إلا صياغة تعبيرية عن هذه الدعوة. وبالرغم من عظمة نتائج ثورة الإمام الحسين عليه السلام على مستوى الواقع السياسي والاجتماعي وفي مجال رسم صور المثال والمقتدى إلا أن هذه الحركة كانت بحاجة إلى تجديد دائم فكل جيل يحتاج إلى أن يشهد كربلاء لكي ترتسم في ذهنه صورة الفداء والتضحية في سبيل الأهداف الإلهية التي أعلن عنها الإمام الحسين عليه السلام[٣٠]، بحيث تخلق لديه دوافع تطبيقها على أرض الواقع، لذلك جاء الموروث الشيعي يحمل أسلوباً يسمح بتجديد الواقعة الحسينية دون أن يستشهد إمام الأمة مرة ثانية، تمثَّل هذه الأسلوب بتمتين العلاقة الروحية مع الإمام الحسين عليه السلام وإعادة بعث حركته الثورية في الذاكرة الجماعية للأجيال الشيعية وتجديدها عن طريق زيارته وتجديد العهد به، وبذلك تكون الثورة الحسينية من خلال تمظهرها شعائرياً قد كرست الاتجاه السياسي لحركة التشيع على مدى التاريخ[٣١].

لقد أدركت الحكومات الظالمة وعلى مدى التاريخ إن الإمام الحسين يمثل تحدياً كبيراً بالنسبة لهم حتى بعد موته لاسيما بعد أن أصبح قبره مأوى أفئدة المؤمنين من المظلومين والمضطهدين فهو عنوانٌ للشهادة ورمزٌ للكرامة وكل من أراد ان يستمد منه هذه المعاني يأتي لزيارة قبره.

وقد كان أول الثائرين واللائذين بقبر الحسين هم التوابون الذين ثاروا ضد الظلم الأموي بعد مقتل الإمام الحسين(عليه السلام)، حيث ذكر المؤرخون ان سليمان بن صرد الخزاعي[٣٢] حينما ثار هو وأصحابه سنة ٦٥هـ جاء إلى قبر الإمام الحسين(عليه السلام) وهم يصرخون ويبكون فما شوهد يوم كان أكثر باكياً منه، فأقاموا فيه ليلة ويوم يصلّون ويدعون، وذكر ابو مخنف ان سليمان كان يقول ((اللهم إنا نشهدك أنا على دينهم وسبيلهم وأعداء قاتليهم وأولياء محبيهم.. وإنا نشهدك يا رب أنا على مثل ما قتلوا عليه..))، وما انفك الناس حتى صلّوا الغداة عند قبره ثم ركبوا فكان الرجل لا يلتحق بسليمان وأصحابه حتى يأتي قبر الامام الحسين(عليه السلام) ليزوره حتى ازدحموا على القبر وكان سليمان يقول: ((الحمد لله الذي لو شاء أكرمنا بالشهادة مع الحسين اللهم إذ حرمتناها معه فلا تحرمناها فيه بعده))[٣٣].

وبذلك أصبح قبر الإمام الحسين(عليه السلام) محطة لتطلعات الثائرين، ومن هنا كانت زيارة الإمام الحسين تقلق الظالمين وتهز عروشهم، لذلك عمدوا على هدمه ومحو أثره، وأول من فعل ذلك من العباسيين هو هارون العباسي حينما أمر بهدم قبر الإمام والمسجد وأن تقطع السدرة التي يستظل تحتها الزوار[٣٤]، وفي سنة ٢٣٦هـ أمر المتوكل بهدم قبر الإمام الحسين(عليه السلام) وهدم ما حوله من المنازل والدور وأن يحرث ويبذر ويسقى موضع قبره وان يمنع الناس من إتيانه، ويعاقب كل من وجد عند قبره[٣٥]، وذكر ابن عساكر وغيره من المؤرخين انه لما أجري الماء على قبر الحسين نضب بعد أربعين يوماً وانمحى أثر القبر فجاء إعرابي من بني أسد فجعل يأخذ قبضة ويشمه حتى وقع على قبر الحسين وبكى وقال بأبي وأمي ما كان أطيبك وأطيب تربتك ميتاً ثم بكى وأنشأ يقول:

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه
فطيب تراب القبر دل على القبر[٣٦]

وقد تألم المسلمون لذلك، وكتب أهل بغداد شتم المتوكل على الحيطان والمساجد، وهجاه الشعراء ومنهم علي بن أحمد البسامي حين قال:

بالله إن كانت أمية قد أتت
قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله
هذا لعمرك قبره مهدوما
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا
في قتله فتتبعوه رميما[٣٧]

خامساً: الزيارة الأربعينية وموقف الحكومة العراقية الملكية منها

كانت بريطانيا قبل تشكيل الحكومة العراقية تعلم أهمية الشعائر الحسينية عند الشيعة لاسيما زيارة الإمام الحسين(عليه السلام)، كما أنها تعلم أيضاً ما لهذه الزيارة من أبعاد سياسية خطيرة ولذلك جاء في أحد تقاريرها السياسية لعام ١٩٢٠ ((أن عقائد الطائفة الشيعة مصدر صعوبة محتمل لأي حكومة))[٣٨]، لاسيما وأن بريطانيا سبق وأن أدركت هذا المعنى عند احتلالها العراق في أيام المحرم حينما كانت مواكب الأنصار الوافدة للإمام الحسين(عليه السلام) خلال شهري محرم وصفر تحث على الجهاد ومقارعة

الظالمين[٣٩]، كما أن هذه المواكب كان لها الدور الكبير في الكاظمية بتحشيد الطاقات السياسية ضد الاحتلال وكان للشيخ مهدي الخالصي[٤٠] والسيد أبي القاسم الكاشاني[٤١] دور كبير في ذلك فكان الأخير يعمل على تنظيم المواكب الحسينية بإشراف الشيخ الخالصي وتسييرها إلى كربلاء بمناسبة أربعين الإمام الحسين عليه السلام وهي ترفع شعارات المطالبة بالاستقلال[٤٢].

ولذلك كانت الحكومة العراقية تجد في الزيارة الأربعينية الصورة العاكسة لتظلمات الشيعة التي يمكن أن تستثمر سياسياًمن قبل من يريد أن يغيّر المعادلة السياسية بعد استغلال الأجواء الرافضة لسياسة الحكومة الطائفية[٤٣] بعد تحشيد الجماهير المعزية للمشاركة في مراسيم العزاء وإطلاق الشعارات الرافضة لهذه السياسة، لذلك فان السلطة العراقية كانت تحذر من التجمعات وما تقوم به من مسيرات حاشدة تخلق في أحيان كثيرة أجواء انفعالية وعاطفية لا يمكن الوقوف بوجهها لاسيما وان العلماء يستطيعون تحويل المواكب إلى احتجاجات ثورية ضد الحكومة.

تعاملت الحكومة العراقية في بداية تأسيسها[٤٤] بحذر مع زيارة الإمام الحسين عليه السلام فهي لم تقم بمنعها إلا أنها كانت تراقبها عن كثب، وقد وجدنا أحد التقارير البريطانية وهو يصف ويقيّم زيارة الأربعين ٢٠ صفر ١٣٣٩هـ والتي صادفت ٢/ تشرين الثاني/ ١٩٢٠ كيف أنها من الزيارات المتميزة من حيث العزاء وتنسيق المواكب التي كانت تسير بانتظام وهي تخترق مدينة كربلاء نحو الضريح المقدس، وكان من بين المواكب المتميزة الموكب الكبير لأهالي كربلاء وموكب أهالي النجف الذي يمثل موكب السبايا وهو يتكون من الفرسان والجمال والممثلين الذين يقدمون مشهد تراجيدينا يصور عيالات الإمام الحسين عليه السلام عند مجيئها من دمشق الشام إلى كربلاء حيث زيارة الإمام الحسين، وكان المشهد يبعث على اللوعة والحزن في قلوب المعزين[٤٥].

وفي كتاب صادر من مديرية بغداد بمناسبة زيارة الأربعين ٢٠ صفر ١٣٤٨ والتي كانت تصادف ٢٧/ تموز/ ١٩٢٨، تضمن ضرورة تكثيف الإجراءات الأمنية، وطلب من وكيل القائد العام للقوات المسلحة ان يصدر أوامر إلى وحدات الجيش ان يمنع الجنود من الاشتراك في مراسيم الزيارة الأربعينية سواء كانوا بملابسهم العسكرية أو المدنية[٤٦].

كانت الأمور السياسية داخل البلد تزداد تعقيداً ومنذ منتصف ثلاثينيات القرن الماضي أخذت الحكومة العراقية تمنع إقامة مراسيم العزاء في شهر محرم وصفر وقد ظهر ذلك ولربما لأول مرة في عام ١٩٣٥، بسبب أحداث الفرات الأوسط عام ١٩٣٥ حينما منعت الحكومة إقامة مراسيم العزاء الحسيني في المدن المقدسة طيلة العشرة الأيام الأولى من المحرم بحجة أن الشعائر الدينية تثير البغضاء ضد الحكومة، وقبيل زيارة الأربعين من عام ١٩٣٥ فرضت الحكومة قيوداً على المواكب التي تخرج من الكاظمية والبصرة إلى كربلاء في العشرين من صفر، ومن أجل ان تثني شيعة الكاظمين عن المشاركة في الموكب الكبير الذي يشارك في مراسيم الأربعين في كربلاء أبلغت الشرطة منظمي شعائر محرم ان جمع التبرعات

المالية للموكب الكبير ممنوعاً منعاً باتاً [٧٤]، كما كانت تفرض الحكومة مضابط يوقع عليها أصحاب المواكب التزاماًبأمر المنع ويقدمونها إلى وزارة الداخلية، ومع ذلك كان أصحاب المواكب والمعزين لا يلتزمون بالمنع وبتشجيع من بعض العلماء كانوا يخرجون على شكل جماعات يقومون بمراسم العزاء وحينما تداهمهم الشرطة يتفرقون[٨٤].

وقد كانت الحكومة تستنفر كل طاقاتها العسكرية في الأماكن المقدسة وكان كل مسؤول في هذه المدن يكتب برقيات فورية إلى وزارة الداخلية يقيّم فيها الأوضاع خلال العشرة الأولى، كما كانت الحكومة تزيد من أعداد الشرطة تحسباًلأي طارئ، لاسيما وان عدد الزوار كان يزداد في زيارة الأربعين ((٢٠ صفر)) إلى كربلاء حتى انه وصل عام ١٩٤٣إلى ٣٠٠ ألف زائر[٤٩].

قامت الحكومة العراقية في محرم ١٩٤٨ بالتضييق على بعض مواكب المدن العراقية من الذهاب إلى كربلاء لأداء مراسيم الزيارة محاولة بذلك فصل كربلاء كمركز لإقامة الشعائر العاشورائية في زيارة الأربعين عن بقية الألوية[٥٠]، لم تستطع الحكومة أن تمنع جميع المواكب في الألوية العراقية من الذهاب إلى كربلاء في زيارة الأربعين وكإجراء احترازي طلبت متصرفية كربلاء في صفر ١٩٥٠ من رؤساء المواكب الحسينية تزويدها بمنهاج هذه المواكب أي ما هي الفعاليات التي تقوم بها هذه المواكب عند اشتراكها في العزاء الحسيني، كما طلبت تعهدات من أهل المواكب بعدم استغلال الشعائر لأمور سياسية[٥١]، كما منعت الحكومة من حمل السلاح في مدينتي النجف وكربلاء على اختلاف أنواعه نارية كانت أم جارحة مجازة أم غير مجازة وذلك خلال المدة من ١٥ صفر لغاية ٣٠ صفر والمخالف يعاقب وفق القانون[٥٢].

ومن الإبعاد السياسية الأخرى لزيارة الأربعينية ان بعض الأحزاب السياسية حاولت تسييس الزيارة الأربعينية وتوظيفها لصالح أغراضها السياسية ومن بين هذه الأحزاب الحزب الشيوعي فمع أنه حزب علماني الحادي بعيد كل البعد عن الدين الإسلامي وعن كل ما يتعلق بالشعائر الحسينية، إلا انه أيضا حاول تسييس هذه الشعائر واختراق المواكب الحسينية، وقد كشفت جريدة الحزب كفاح السجين الثوري هذه النوايا في عددها الصادر في ٣٠ آيار ١٩٥٤ حينما دار جدل حول ما يتعلق بشعائر زيارة الأربعين في ٢٠ صفر، ذكرت الصحيفة في مقالة عنوانها ((ما هو موقفنا تجاه المسيرات الحسينية)) فيما إذا كان الواجب محاربة هذه الشعائر ووضع حد لها أم الواجب السعي لتحويلها سلاح في أيدي الشيوعية، وقد رجح صاحب المقال أفضلية تحويل هذه الشعائر والمسيرات إلى ((سلاح للحركة الثورية)) لأسباب أهمها: انه يستحيل اجتثاث المسيرات الحسينية ولذلك فمن الأفضل استغلالها لصالح الشيوعية بعد الاستفادة من التجمعات الجماهيرية الكبيرة وكما يقول لينين ((افعل حيث توجد الجماهير))، كما أن في بلد مثل العراق تمنع القوانين فيه التجمعات والتظاهرات إلا لأغراض دينية لذلك يجب ((الاستفادة من هذه الإمكانيات القانونية لصالح الحركة الديمقراطية))[٣٥].

وبالفعل استغل الشيوعيون التجمعات الشيعية في زيارة عاشوراء وزيارة الأربعين لرفع شعاراتهم وترويج قضاياهم وأفكارهم السياسية وتوزيع منشوراتهم السياسية وكان الشيوعيون وأنصار السلام ومنظمات الشبيبة والطلبة يتظاهرون بأنهم يتبنون أفكار الإمام الحسين الثورية التي استشهد من أجلها وبهذا الاختراق كان الشيوعيون يشاركون في إلقاء خطب حماسية وقصائد شعرية ثورية في الندوات التي تقام بمناسبة عاشوراء[٥٤].

كما أن هناك بعض مواكب العزاء تتخللها بعض الشعارات الشيوعية عن طريق مقطوعات شعرية يرددها الجمهور وقراء المواكب وبذلك استغلوا الجموع الحاشدة للشيعة ليبثوا من خلالها أفكارهم حتى إنهم نجحوا في صرف تلك الشعائر عن هدفها الحقيقي[٥٥]، وذكر السيد طالب الرفاعي[٥٦] إن ((ردات)) بعض القصائد في مراسم العزاء كانت شيوعية قد اختطفت هذه المراسم وحولتها إلى دعاية لصالح المعسكر الشرقي في صراعه مع المعسكر الغربي ومن هذه الردات قول احدهم: ((اتحاد فدرالي صداقة سوفيتية مع الصين الشعبية أيزنهاور[٥٧] ينهار يا حيدر يا كرار))[٥٨].

الخاتمة

توصل الباحث إلى عدة استنتاجات هي:

- ان زيارة الأربعين هي جزء من منظومة دينية قائمة في تشريعها على قاعدة المصالح والمفاسد في الشريعة الإسلامية والتي لا يعلمها إلى الله، إلا أن ما لمسناه من أبعاد اجتماعية لهذه الزيارة تمثلت بمصالح لا يستطيع المجتمع تركها والتفريط بها، لعل من أهمها: بناء المجتمع على القيم الإنسانية التي جاء بها الإسلام والمتمثلة بتعامل الإنسان مع أخيه الإنسان على قاعدة المحبة التي تنطلق من محور أساس وقاعدة ثابتة وهي التولي لأهل البيت عليهم السلام والتبري من أعدائهم، وهذا هو معنى الحب في الله والبغض في الله الذي يجب أنْ نتّبعه تعالى على أساسه ومن أجله قال تعالى ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الله فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.
- من المعروف أن الزيارة الأربعينية هي شيء مهم وأصيل في واقع الفكر الشيعي ويمكن أن نلمس ذلك على مستوى الموروث الشيعي وعلى المستوى العملي والفعلي في إقامة هذه الشعيرة وإحيائها من قبل الشيعة عبر مئات السنين وهي بذلك جزء من ثقافة المذهب لا يمكن التنازل عنها بأي شكل من الأشكال، إلا أنه وفي الوقت نفسه يجب معرفة أن التأكيد على أهمية الزيارة الأربعينية لا لمجرد إقامتها لتكون تقليداً فلكلورياً لا يختلف عن التقاليد التي تُقِيمها المجتمعات الأخرى، وإنما من أجل الاستفادة من أبعادها وغاياتها العبادية والسياسية التي من أهمها تحشيد طاقات الأمة للقيام بحركة تغييرية لإصلاح المجتمع اجتماعياًوسياسياً وفق المبادئ الإسلامية والإنسانية التي أكد عليها الإمام الحسين عليه السلام.
- وبعد دراستنا للزيارة الأربعينية في العراق تبيَّن أن هذه الشعيرة أخذت بعدين سياسيين هما بعد متأصل في وجودها، لأنَّ الجانب السياسي

لها لم يكن عارضاً من عوارضها يتأثر بالظروف المحيطة ويقوم على أساس رغبة أو طموح سياسي معيَّن وإنما هو شيء ذاتي متأصل في التركيبة الثورية والعقائدية للزيارة التي جاءت للتعبير عن مضامين الثورة الحسينية القائمة على الإصلاح والتغيير السياسي والاجتماعي في الشعوب، فهذه الثورة لم تكن رهينة زمانها ومكانها وإنما هي تشريع سماوي وقصد إلهي ودعوة لكل الأجيال على مر العصور للقيام بتغيير الأنظمة الفاسدة، وبذلك شكَّلت الزيارة الأربعينية تحدياً واضحاً للسلطات السياسية الحاكمة على مر التاريخ، لأنها أصبحت وسيلة لتأكيد الولاء الديني وترسيخ المبادئ الجهادية ضد الظالمين.

- البعد الآخر للزيارة الأربعينية هو بعد عارض قائم على أساس تسييس الزيارة الأربعينية واستغلالها لأغراض سياسية وحزبية، وهذا ما قام به الحزب الشيوعي في خمسينيات القرن الماضي.
- ومن أجل المحافظة على أصالة هذه الشعيرة وتحقيق غاياتها وأهدافها لابد من عدم تسييسها أو تمييعها، من خلال إطلاق الشعارات الحسينية الواعية والاستفادة منها في إصلاح وتهذيب النفوس، كذلك تثوير المشاعر ضد الفساد والمفسدين ومحاربة الظالمين.

الهوامش

(١) راجع: جعفر بن محمد بن قولويه القمي، كامل الزيارات، تحقيق نشر الفقاهة، مؤسسة نشر الفقاهة، قم المقدسة، ١٩٩٧، ص٢٣٦-٢٦٢؛علي بن موسى بن طاووس، مصباح الزائر، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم المقدسة، ١٩٩٦، ص١٩١.

(٢) الأحزاب: ٢١.

(٣) الشورى: ٢٣.

(٤) محمد بن يعقوب الكليني، الفروع من الكافي، ج٤، دار الكتاب الاسلامية، قم المقدسة، ١٣٦٧، ص٥٧٦،

(٥) راجع: محمد بن جعفر المشهدي، المزار الكبير، تحقيق جواد القيومي الاصفهاني، قم المقدسة، (د- ت)، ص٣١- ص٤٢؛ جعفر السبحاني، الزيارة في الكتاب والسُّنَّة، دار الأضواء، بيروت، ٢٠٠٤، ص٤٣-ص٤٨.

(٦) النور: ٣٦.

(٧) الصدوق، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، ط٢، منشورات المرتضى، قم، ١٩٤٩، ص٨٣.

(٨) يمكن عد رسالة الشيخ جعفر كاشف الغطاء عام ١٧٩٥ إلى زعيم حركة الوهابية الأمير عبد العزيز آل سعود من الرسائل المهمة التي دافع الشيخ من خلالها عن زيارة قبور الأئمةﷺ. للاطلاع ينظر: جعفر كاشف الغطاء، منهاج الرشاد لمن أراد السداد، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، بيروت، ٢٠٠٠، ص١٤٠-ص١٥٨، وحينما أفتى الوهابية عام ١٩٢٦ بوجوب هدم قبور أئمة أهل البيتﷺ في البقيع كتب محمد حسين كاشف الغطاء رداً فنَّد فيه الفتوى وكشف بطلانها في كتابه (نقض فتوى الوهابية) مدافعاًبذلك عن زيارة القبور وحرمة هدمها. محمد حسين كاشف

الغطاء، نقض فتوى الوهابية، تحقيق السيد غياث طعمة، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت، ١٩٩٨، ص١٧-ص٢٥.

(٩) حمزة الحسن، طقوس الشيعة الهوية السياسية، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠١٤، ص١٩٣.

(١٠) ابراهيم: ٥.

(١١) حسن بن موسى الصفار، عاشوراء خطاب التنمية والإصلاح، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠٠١، ص١٥.

(١٢) جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج٤، دار المعرفة للطباعة، بيروت، (د- ت)، ص٧٠.

(١٣) علاء الدين علي المتقي الهندي، كنز العمال في سنن الأفعال والأقوال، ج٨، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩، ص٦٥٨.

(١٤) أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، مصباح المتهجد، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت، ١٩٩١، ص٧٨٧.

(١٥) المصدر نفسه، ص٧٨٦، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تهذيب الأحكام، ج٦، تحقيق حسن الموسوي الخرسان، دار الكتاب الإسلامي، طهران، ص١١٢؛ تقي الدين إبراهيم العاملي الكفعمي جنة الأمان الواقية وجنة الإيمان الباقية المشتهر بالمصباح، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٣، ص٤٨٩؛ رضي الدين بن طاووس، الإقبال بالإعمال الحسنة فيما يعمل مرة في السنة، ج٣، تحقيق جواد القيومي الاصفهاني، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، (د- ت)، ص١٠١.

(١٦) روى الشيخ الطوسي في (مصباح المتهجد) عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام قال: علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى وخمسين أيّ الفرائض اليوميّة وهي سبع عشرة ركعة والنوافل اليوميّة وهي أربع وثلاثون ركعة، وزيارة الأربعين والتختّم باليمين وتعفير الجبين بالسجود والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم. الطوسي، مصباح المتهجد، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت، ١٩٩١، ص٧٨٨.

(١٧) راجع: محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج١٠١، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٢، ص٢٤؛ كامل الزيارات، ص٢٥٣- ص٢٥٤.

(١٨) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٨، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ١٩٦٠، ص٢٦٣.

(١٩) النساء: ١٧٣.

(٢٠) محمد الري شهري، ميزان الحكمة، ج١، دار الحديث، قم المقدسة، ١٩٩٦، ص٤٠٦.

(٢١) المائدة: ٥٤.

(٢٢) ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج٣، تحقيق أحمد حبيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د- ت)، س٥٥٤.

(٢٣) حسين النوري الطبرسي، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، ج٨، ط٢، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت، (د- ت)، ص٣٦١.

(٢٤) محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، ج٨، ط٢، مؤسسة دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٩٧٠، ص٧٩.

(٢٥) أفلاطون: فيلسوف إغريقي، عاش بين ٤٢٧ ق.م.- ٣٤٧ ق.م، يُعدُّ من أعظم الفلاسفة الاقدمين دون منازع وواحدٍ من أعظم الفلاسفة الغربيين، حتى أن الفلسفة الغربية اعتبرت أنها ما هي الا حواشي لأفلاطون، عرف من خلال مخطوطاته التي جمعت بين الفلسفة والشعر والفن. كانت كتاباته على شكل حوارات ورسائل وإبيغرامات (ابيغرام: قصيدة قصيرة محكمة منتهيه بحكمة وسخرية)، من مؤلفاته

الجمهورية، هو حوار سقراطي ألفه أفلاطون حوالي عام ٣٨٠ قبل الميلاد، يتحدث عن تعريف العدالة، والنظام، وطبيعة الدولة العادلة والإنسان العادل، والجمهورية هي المؤلف السياسي الرئيس لأفلاطون وأسماها «كاليبوس». الدولة المثالية من وجهة نظر أفلاطون مكونة من ثلاث طبقات، طبقة اقتصادية مكونة من التجار والحرفيين، طبقة الحراس وطبقة الملوك الفلاسفة. يتم اختيار أشخاص من طبقة معينة ويتم إخضاعهم لعملية تربوية وتعليمية معينة، يتم اختيار الاشخاص الأفضل ليكونوا ملوكاً وفلاسفة، حيث أنهم استوعبوا المثل الموجودة في علم المثل ليخرجوا الحكمة. لمزيد من الاطلاع راجع: أحمد المنياوي، جمهورية أفلاطون، دار الكتاب العربي، القاهرة، ٢٠١٠، ص٩-ص١١.

(٢٦)الفارابي (٢٥٩ هـ -٣٣٩هـ): هو أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان، ولد في فاراب وهي مدينة من بلاد الترك في أرض خرسان، وهو من أكبر فلاسفة المسلمين، بل هو المؤسس الاول للفلسفة بمعناها الحقيقي، سمي بالمعلم الثاني بعد أرسطو المعلم الاول، وهو أول من حمل المنطق الصوري اليوناني تاماً منظماً الى العرب، من أهم كتبه آراء أهل المدينة الفاضلة ويشتمل على مذهبه الفلسفي مما يتعلق بآرائه في الاخلاق والسياسة، ليضع على أساس هذه الفلسفة خطوط مدينته. لمزيد من الاطلاع راجع: عبد الله نعمة، فلاسفة الشيعة حياتهم آرائهم، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٨٧، ص٥٦٧-٥٦٩.

(٢٧)للوقوف على تاريخ التصوف ومعرفة عقائده ينظر: كامل مصطفى الشيبي، الطريقة الصوفية ورواسبها في العراق المعاصر، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٧ص١٦- ص٣٦.

(٢٨) حمزة الحسن، المصدر السابق، ص٥٢٧.

(٢٩) المصدر نفسه، ص١٩٣.

(٣٠) قال الإمام الحسين عليه السلام ((.... وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر..)) محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٤، ص ٣٢٩.

(٣١)هادي قبيسي، حركة التشيع، بيروت، ٢٠١١، ص٩٨- ص٩٩.

(٣٢) سليمان بن صرد الخزاعي: هو سليمان بن صرد بن الجون بن أبي الجون بن منقذ بن ربيعة بن أصرم الخزاعي، يكنى أبا المطرف، كان من الصحابة المهاجرين. سكن الكوفة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، شارك في حرب صفين، استشهد يوم عين الوردة من أرض الجزيرة طالبا بثار الحسين عليه السلام في ربيع الآخر سنة ٦٥ من الهجرة، وكان عمره يوم قتل ٩٣ سنة. محسن الأمين، أعيان الشيعة، المجلد الاول، تحقيق حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٣، ص١٦٧.

(٣٣) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، (د- ت)، ص ٤٥٦ - ٤٥٧.

(٣٤) مجيد الهر، مشهد الحسين وبيوتات كربلاء، ج٣، مطبعة أهل البيت، كربلاء، ١٩٦٥، ص٢٤.

(٣٥)ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥، ص٥٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١، تحقيق وتعليق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨، ص ٣٤٧.

(٣٦) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ١٤، تحقيق علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٩٤، بيروت، ص ٢٤٥؛ أبو عبد الله شمس الدين الذهبي، سير

أعلام النبلاء، ج ٣، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي ومأمون صاغرجي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣ ص ٣١٧.

(٣٧) أبو عبد الله شمس الدين الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١٧، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧، ص ١٨ – ١٩.

(٣٨) **F.O.371\5226، Report Civil administrator in Baghdad، 30 April 1920**

(٣٩) علي الوردي، لمحات اجتماعية، ج٤، إيران، (د– ت)، ص١٥٦.

(٤٠) محمد مهدي الخالصي (١٨٦١– ١٩٢٥): هو محمد مهدي بن محمد الحسين الخالصي، فقيه ومرجع ولد في الكاظمية المقدسة، في أسرة تسمى الخالصي وهي أسرة علمية، تلقى علومه الدينية في الكاظمية والنجف وسامراء، من أبرز أساتذته الشيخ عباس الجصاني والشيخ محمد حسين الكاظمي، أهم انتاجاته العلمية تلخيص الرسائل للشيخ مرتضى الأنصاري، وحاشية على كتاب الكفاية، العناوين في الأصول، الشريعة السمحاء، القواعد الفقهية.

تميز الخالصي بنشاطه السياسي والجهادي، تصدى إلى الاحتلال البريطاني عام ١٩١٥، وأفتى بحرمة انتخابات ١٩٢٢ الأمر الذي أدى إلى تسفيره إلى إيران. عبد الرزاق أمين، ذكرى الخالصي، مطبعة الاستقلال، بغداد، ١٩٢٥، ص٦– ص١٢.

(٤١) أبو القاسم الكاشاني (١٨٨٧ – ١٩٦٠): رجل دين، ولد في كاشان بإيران، درس العلوم الدينية من الفقه والأصول في النجف، أسس جمعية سرية في الكاظمية تعمل ضد بريطانيا، مثّل المرجعية الدينية عن أهالي بغداد في مفاوضات السلطات البريطانية في الأمور السياسية، ونتيجة نشاطه السياسي حاول البريطانيون إلقاء القبض عليه، مما اضطره ان يترك العراق ويرجع إلى إيران عام ١٩٢٣وبقي هناك إلى أن توفي. أركان مهدي عبد الله السعيدي، الفكر السياسي الشيعي في العراق ١٩١٨–١٩٧٠، دار القارئ، بيروت، ٢٠١٨، ص٩٢.

(٤٢) حسن شبر، العمل الحزبي في العراق ١٩٠٨–١٩٥٨، باقيات، ايران، ٢٠١٠ ص١٠١.

(٤٣) كانت صياغة الحكومة العراقية بلون طائفي واحد ستراتيجية بريطانية طويلة الأمد خطط لها البريطانيون ونفذها السياسيون العراقيون من العلمانيين القوميين الذين اتخذوا من القومية شعاراً لهم في محاربة أتباع الفكر الشيعي الذي طالما وقف بوجه السياسة البريطانية طيلة مدة الاحتلال (١٩١٤–١٩٢٠).

هذه المقاومة هي التي حتمت على صانع السياسة البريطانية في العراق أن يبعد الشيعة عن الحكم لأنه لا يمكن ان يتصور تحقيق المصالح البريطانية في دولة يتحكم بها المعارضون من فقهاء الشيعة، وبهذا الشأن ذكر الميجر ديكسون **Dickson** الحاكم العام للفرات الأوسط ((إن النية يجب أن تتجه لتعيين الرجال ذوي الآراء المعتدلة دون غيرهم في المناصب السياسية وضرب واضطهاد عناصر الثورة في حالة وجودها)). نقلاًعن: وميض جمال عمر نظمي، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية (الاستقلالية) في العراق، ط٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٥، ص٣٩٨.

(٤٤) في ٢٥ تشرين الأول ١٩٢٠ استطاع برسي كوكس تشكيل الحكومة العراقية المؤقتة برئاسة عبد الرحمن النقيب وثمانية وزراء مع مجلس استشاري. راجع: جريدة العراق، العدد ١٢٥، ٢٧ تشرين الأول ١٩٢٠؛ علي ناصر حسين، الإدارة البريطانية في العراق ١٩١٤ – ١٩٢١، مطبعة الكتاب، بغداد، ٢٠٠٩، ص٢٨٥ – ص٢٨٧.

(٤٥) **F. O. 371\ 5074\ 5285، Extract fro Administrative Report of political Officer، Hilla، Regarding Karbala and Status Of Mujtahids، April 5، 1920.**

(٤٦)د.ك. و، ٩٨٠٢/ ٣٢٠٥٠، وزارة الداخلية، صورة كتاب مديرية شرطة بغداد المرقم ١٥٦٥٣، بتاريخ ١٤/ تموز/ ١٩٢٩، و ١٤٨، ص١٧٨.

(٤٧)اسحاق نقاش، شيعة العراق، انتشارات المكتبة الحيدرية، قم، ١٩٩٨، ص٢١٧- ص٢١٨؛ محمد رضا المظفر، من أوراق الشيخ محمد رضا المظفر(١٩٠٤- ١٩٦٤)، المكتبة العصرية، بغداد، ٢٠١٣، ص٨٣.

(٤٨)د.ك. و، ١١٥ / ٣٠٢٠٥، وزارة الداخلية، الموضوع، المواكب العزائية خلال العشرة الأولى من محرم/ الرقم ٥/ ٣٨٣، بتاريخ ٢نيسان ١٩٣٥، و ١٢، ص٣٨؛ محمد رضا المظفر، من أوراق محمد رضا المظفر، ص٨٣.

(٤٩)د.ك. و، وزارة الداخلية ٧٦٢/ ٣٠٢٠٥، انتهاء عشرة محرم بسلام، ١٧ كانون الثاني ١٩٤٣، و٤٥، ص٤٩؛ د.ك. و، وزارة الداخلية ٧٦٢/ ٣٠٢٠٥، متصرفية كربلاء (زيارة ٢٠ صفر)، ٣ آذار ١٩٤٣، و ٢٠، ص٢٠.

(٥٠)د.ك. و.، ٧٦٢ / ٣٠٢٠٥، وزارة الداخلية، المواكب الحسينية التي تفد إلى كربلاء في زيارة الأربعين، ٤/ ١٢/ ١٩٤٨، و٨، ص٧.

(٥١)د.ك. و.، ٧٦٢ / ٣٠٢٠٥، وزارة الداخلية، متصرفية البصرة (زيارة الأربعين)، ١٢ / تشرين الثاني ١٩٥٠، و١٢، ص٢.

(٥٢)د.ك. و.، ٧٦٢ / ٣٠٢٠٥، وزارة الداخلية، متصرفية كربلاء (بيان) بتاريخ ١٤ نيسان ١٩٥٠، و١٢، ص٨.

(٥٣)صحيفة (كفاح السجين)، العدد٣، بتاريخ ٣٠ آيار١٩٥٤، نقلاًعن: حنا بطاطو، الحزب الشيوعي، الكتاب الثاني، ص٣٦٤.

(٥٤) إبراهيم الحيدري، تراجيديا كربلاء سوسيولوجيا الخطاب الشيعي، دار الكتاب الإسلامي، إيران، ٢٠٠٧. ص٤٣٤.

(٥٥) رحيم عبد الحسين عباس العامري، اثر المجددين في الحياة السياسية والثقافية في النجف الأشرف ١٩٤٥- ١٩٦٣، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، كلية التربية- جامعة المستنصرية، ٢٠٠٦. ص١٢٨

(٥٦)طالب الرفاعي: رجل دين ولد في مدينة الرفاعي التابعة لمحافظة ذي قار عام ١٩٣١، من أبرز قيادات حزب الدعوة بل من المؤسسين الأوائل لهذا الحزب، أكمل دراسته الحوزوية في النجف الأشرف على يد مجموعة من العلماء أبرزهم أبو القاسم الخوئي، كان مقرباًمن السيد محمد باقر الصدر فهو صديقه وزميله في الدراسة وشريكه في العمل الحزبي، في عام ١٩٦٩ أصبح وكيلاً للسيد محسن الحكيم في مصر وبقي هناك إلى عام ١٩٨٥، أكمل دراسته في القاهرة ليحصل على شهادة الدكتوراه في العلوم الدينية. لمزيد من الاطلاع ينظر: رشيد الخيون، أمالي السيد طالب الرفاعي، ط٣، دار مدارك للنشر، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٣.

(٥٧)ايزنهاور(١٨٩٠- ١٩٦٩): هو ديفيد دوايت ايزنهاور الرئيس الرابع والثلاثون للولايات المتحدة (١٩٥٣- ١٩٦١). ينظر: ايزينهاور، مذكرات ايزنهاور، ترجمة هيوبرت يونغمان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٩.

(٥٨)رشيد الخيون، أمالي السيد طالب الرفاعي، ص١٣٤.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الوثائق:

أولاً: الوثائق العراقية

- وثائق البلاط الملكي ووزارة الداخلية ووزارة الطيران المحفوظة في أرشيف دار الكتب والوثائق العراقية ببغداد (د. ك. و).

١. د. ك. و، ١١٥/ ٣٠٢٠٥، وزارة الداخلية، المواكب العزائية خلال العشرة الأولى من محرم.

٢. د. ك. و، وزارة الداخلية ٧٦٢/ ٣٠٢٠٥، انتهاء عشرة محرم بسلام.

٣. د. ك. و، وزارة الداخلية ٧٦٢/ ٣٠٢٠٥، متصرفية كربلاء (زيارة ٢٠ صفر).

٤. د. ك. و، ٧٦٢/ ٣٠٢٠٥، وزارة الداخلية، المواكب الحسينية التي تفد إلى كربلاء في زيارة الأربعين.

٥. د. ك. و، ٧٦٢ / ٣٠٢٠٥، وزارة الداخلية، متصرفية البصرة (زيارة الأربعين).

٦. د. ك. و، ٧٦٢ / ٣٠٢٠٥، وزارة الداخلية، متصرفية كربلاء.

٧. د. ك. و، ٩٨٠٢/ ٣٢٠٥٠، وزارة الداخلية، صورة كتاب مديرية شرطة بغداد.

ثانياً: الوثائق الأجنبية.

(الوثائق البريطانية) وثائق وزارة الخارجية البريطانية
Foreign office (F. O.)

1- F.O.371\5226، Report Civil administrator in Baghdad، 30 April، 1920

2-F.O.371\5074\5285، Extract fro Administrative Report of political Officer، Hilla، Regarding Karbala and Status Of Mujtahids، 5 April، 1920

الكتب العربية:

١. الحيدري، إبراهيم، تراجيديا كربلاء سوسيولوجيا الخطاب الشيعي، دار الكتاب الإسلامي، إيران، ٢٠٠٧.

٢. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٨، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار أحياء الكتب العربية، بيروت، ١٩٦٠.

٣. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥.

٤. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج ١٤، تحقيق علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٩٤، بيروت.

٥. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١، تحقيق وتعليق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨.

٦. الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين، تاريخ الإسلام، ج ١٧، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧.

٧. .....، سير أعلام النبلاء، ج ٣، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي ومأمون صاغرجي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣.

٨. الطوسي، ابو جعفر محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام، ج٦، تحقيق حسن الموسوي الخرسان، دار الكتاب الإسلامي، طهران، (د- ت).

٩. .....، مصباح المتهجد، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت، ١٩٩١.

١٠. السعيدي، أركان مهدي عبد الله، الفكر السياسي الشيعي في العراق ١٩١٨-١٩٧٠، دار القارئ، بيروت، ٢٠١٨.

١١. نقاش، اسحاق، شيعة العراق، انتشارات المكتبة الحيدرية، قم، ١٩٩٨.

١٢. ايزينهاور، مذكرات ايزنهاور، ترجمة هيوبرت يونغمان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٩.

١٣. الكفعمي، تقى الدين إبراهيم العاملي، جنة الأمان الواقية وجنة الإيمان الباقية المشتهر بالمصباح، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٣.

١٤. السبحاني، جعفر، الزيارة في الكتاب والسُّنَّة، دار الأضواء، بيروت، ٢٠٠٤.

١٥. القمي، جعفر بن محمد بن قولويه، كامل الزيارات، تحقيق نشر الفقاهة، مؤسسة نشر الفقاهة، قم المقدسة، ١٩٩٧.

١٦. السيوطي، جلال الدين، الدر النثور في التفسير بالمأثور، ج٤، دار المعرفة للطباعة، بيروت، (د.ت).

١٧. الصفار، حسن بن موسى، عاشورا خطاب التنمية والإصلاح، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠٠١.

١٨. شبر، حسن، العمل الحزبي في العراق ١٩٠٨-١٩٥٨، باقيات، ايران، ٢٠١٠.

١٩. الطبرسي، حسين النوري، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، ج٨، ط٢، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت، (د.ت).

٢٠. الحسن، حمزة، طقوس الشيعة الهوية السياسية، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠١٤.

٢١. العامري، رحيم عبد الحسين عباس، أثر المجددين في الحياة السياسية والثقافية في النجف الأشرف ١٩٤٥ - ١٩٦٣، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، كلية التربية - جامعة المستنصرية، ٢٠٠٦.

٢٢. الخيون، رشيد، أمالي السيد طالب الرفاعي، ط٣، دار مدارك للنشر، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٣.

٢٣. بن طاووس، رضي الدين، الإقبال بالإعمال الحسنة فيما يعمل مرة في السنة، ج٣، تحقيق جواد القيومي الاصفهاني، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، (د.ت).

٢٤. .....، مصباح الزائر، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم المقدسة، ١٩٩٦.

٢٥. صحيفة (كفاح السجين)، العدد٣، بتاريخ ٣٠ آيار ١٩٥٤.

٢٦. الصدوق، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، ط٢، منشورات المرتضى، قم، ١٩٤٩.

٢٧. أمين، عبد الرزاق، ذكرى الخالصي، مطبعة الاستقلال، بغداد، ١٩٢٥

٢٨. عبد الله، فلاسفة الشيعة حياتهم آراؤهم، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٨٧

٢٩. نعمة، علاء الدين علي المتقي الهندي، كنز العمال في سنن الأفعال والأقوال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩.

٣٠. الوردي علي، لمحات اجتماعية، ج٤، إيران، (د.ت).

٣١. حسين، علي ناصر، الإدارة البريطانية في العراق ١٩١٤ - ١٩٢١، مطبعة الكتاب، بغداد، ٢٠٠٩.

٣٢. الشيبي، كامل مصطفى، الطريقة الصوفية ورواسبها في العراق المعاصر، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٧.

٣٣. الهر، مجيد، مشهد الحسين وبيوتات كربلاء، ج٣، مطبعة أهل البيت، كربلاء، ١٩٦٥.

٣٤. الأمين، محسن، أعيان الشيعة، المجلد الاول، تحقيق حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٣.

٣٥. الري شهري، محمد، ميزان الحكمة، ج١، دار الحديث، قم المقدسة، ١٩٩٦.

٣٦. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج١٠١، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٢.

٣٧. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، (د.ت).

٣٨. المشهدي، محمد بن جعفر، المزار الكبير، تحقيق جواد القيومي الاصفهاني، قم المقدسة، (د.ت).

٣٩. ٤١- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٨، ط٢، مؤسسة دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٩٧٠، ص٧٩.

٤٠. الغطاء، محمد حسين كاشف، نقض فتوى الوهابية، تحقيق السيد غياث طعمة، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت، ١٩٩٨.

٤١. المظفر، محمد رضا، من أوراق الشيخ محمد رضا المظفر(١٩٠٤-١٩٦٤)، المكتبة العصرية، بغداد، ٢٠١٣.

٤٢. قبيسي، هادي، حركة التشيع، بيروت، ٢٠١١.

٤٣. نظمي، وميض جمال عمر، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية (الاستقلالية) في العراق، ط٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٥.

الابعاد الاجتماعية والاخلاقية لزيارة الاربعين

د. وفاء كاظم
كلية الكفيل – النجف الأشرف

د. نجاة مطر
مركز الارشاد الاسري – العتبة الحسينية المقدسة

الملخص

اشارت الاخبار العالمية ان زيارة الاربعين يتزايد عدد الزائرين عليها باستمرار، ومثلت اضخم زيارة في تاريخ العراق وربما في العالم، وان هذه الزيارة تنمو سنويا باضطراد، اذ بلغ عدد الزائرين المشاركين في زيارة ألاربعينية للعام الماضي، ١٣ مليوناً و٨٠٠ ألفاً و٨٠٠ شخص.

وان عدد المواكب الحسينية المشاركة بلغ اكثر من ١٠ آلاف موكب داخل مدينة كربلاء المقدسة فقط، أما عدد المنتسبين في العتبة الحسينية المشاركين في خدمة الزيارة الاربعينية بلغ نحو ١٣ الف منتسب. وفي العتبة العباسية بلغ ٦ الاف منتسب، أما عدد المتطوعين لدى العتبة الحسينية للمشاركة في تأمين الزيارة بلغ ١٠ آلاف متطوع. وأضاف البيان، ان عدد القوات الامنية المشاركة في تأمين الزيارة بلغ ٥٠ الف عنصر أمني واعداد منتسبي الفرق الصحية المشاركة في الزيارة بلغت ١٢ ألف منتسب.

وتحمل الزيارة الاربعينية بعداً عقائدياً لدى شيعة أهل البيت الذي جاء عن مجموعة النصوص الواردة عن أئمتهم و التي تحث وتأكد على أهمية الزيارة الاربعينية ، يروى أن الإمام الصادق عليه السلام قال: ((حقٌ على الغني أن يأتي قبر الحسين في السنة مرتين وحق على الفقير أن يأتيه في السنة مرة)) ويقول ((مروا شيعتنا بزيارة قبرِالحسين فأن إتيانه يزيد في الرزق ويمد في العمر ويدفع السوء، وإتيانه مفترض على كل مؤمن يقر للحسين بالامام من الله)) وكلمة مفترض تشير الى الوجوب، كل ذلك يؤكد من الناحية العقائدية على مشروعية الزيارة

ونلحظ انه لم تعد هذه الزيارة محصورة بالشيعة المسلمين، وانما تحولت الى مناخ ايماني ديني حر يشمل مسلمي العالم اجمع وربما اديان سماوية اخرى الذين اخذوا بالسير باتجاه هذه الزيارة العالمية.

The social and moral dimensions of the Arbaeen pilgrimage

Dr. Najat Matar

Family Guidance Center

The holy shrine of Imam Hussein

Dr. Wafa Kazem

Al-Kafeel University

The holy city of Najaf

Abstract

Global broadcasting outlets has pointed out that the number of pilgrims practicing the Arbaeen are continuously increasing. It is the largest public gathering in the history of Iraq, or probably the world. This pilgrimage is growing substantially as the number of pilgrims practiced this event last year has reached 13,800. 800 people.

The number of processions participated in this annual ceremony was amounted to more than 10 thousand processions inside the holy city of Karbala only, while the number of employees of the holy shrine of Imam Hussein "pbuh" who provided different services in the Arbaeen was about 13 thousand members, and for the holy shrine of Abbas "pbuh", was 6,000 members, backed up with more than 10 thousand volunteers, as well as 50 thousand security personnel and 12 thousand members as medical teams.

We noticed that this pilgrimage is no longer confined to the Shiite Muslims, but rather has become a free religious environment that includes all the Muslims of the world and other religions followers who took the path in this global event..

الفصل الأول

المشكلة

أشارت الأخبار العالمية ان زيارة الاربعين يتزايد عدد الزائرين فيها باستمرار، ومثلت اضخم زيارة في تاريخ العراق وربما في العالم، وان هذه الزيارة تنمو سنوياً باضطراد، اذ بلغ عدد الزائرين المشاركين في زيارة الاربعين للعام الماضي ١٣ مليوناً و٨٠٠ ألفاً و٨٠٠ شخصاً.

وان عدد المواكب الحسينية المشاركة بلغ ١٠ آلاف موكباً داخل مدينة كربلاء المقدسة فقط، أما عدد المنتسبين في العتبة الحسينية المشاركين في خدمة زيارة الأربعين بلغ نحو ١٣ الف منتسب، وفي العتبة العباسية بلغ ٦ آلاف منتسب، أما عدد المتطوعين لدى العتبة الحسينية للمشاركة في تأمين الزيارة فقد بلغ ١٠ آلاف متطوع. وأضاف البيان، ان عدد القوات الامنية المشاركة في تأمين الزيارة بلغ ٥٠ الف عنصر أمني واعداد منتسبي الفرق الصحية المشاركة في الزيارة بلغت ١٢ ألف منتسب[1].

وتحمل زيارة الاربعين بعداً عقائدياً لدى شيعة أهل البيت حيث جاءت مجموعة النصوص الواردة عن أئمتهم التي تحث وتؤكد على أهمية زيارة الاربعين، يروى أن الإمام الصادق عليه السلام قال: ((حقٌ على الغني أن يأتي قبر الحسين في السنة مرتين وحق على الفقير أن يأتيه في السنة مرة)) ويقول ((مروا شيعتنا بزيارة قبرِالحسين فأن إتيانه يزيد في الرزق ويمد في العمر ويدفع السوء، وإتيانه مفترض على كل مؤمن يقر للحسين بالامامة من الله)) وكلمة مفترض تشير الى الوجوب، كل ذلك يؤكد من الناحية العقائدية على مشروعية الزيارة.

ونلاحظ انه لم تعد هذه الزيارة محصورة بالمسلمين الشيعة، وانما تحولت الى مناخ ايماني ديني حر يشمل مسلمي العالم اجمع، وربما من أديان سماوية اخرى قد اخذوا بالسير لأداء تلك الزيارة التي تكاد تصبح عالمية.

ولا يخفى علينا ان الطابع العام لزيارة الاربعين هو طابع اسلامي ولكن قد تغفل بعض الدراسات العلمية الاخرى عن تناول جانب مهم فيها وهو الجانب النفسي، فنتساءل هل هو شوق وجداني؟ ام اتجاه معرفي وجداني؟

ونتساءل ماهي هذه القوة النفسية التي تفوق القوة المادية؟ وهذا ما لاحظنا بعضاً منه من خلال مسيرة الزائرين رغم عدوان الحكومة السابقة لهم لكنهم أصروا على مواصلة مسيرة الاربعين.

وهل يمكن لزيارة الاربعين أن تعطينا طاقة نفسية مستمرة بحيث تعد محركة للدافعية عند المشاركين فيها؟ وما هي هذه الدافعية التي تحرك السلوك وتستمر في تحريكه باتجاه معين؟

ولعلنا ندرك ان كل عمل معين باتجاه معين لابد ان ينطوي على أبعاد خاصة به، لذلك نتساءل هل تتضمن هذه الزيارة ابعاداً نفسية معينة كالبعد الاخلاقي والبعد الاجتماعي؟ وهل يمكن لهذه الزيارة ان تسهم في بناء الابعاد الاخلاقية والاجتماعية للمجتمع، بحيث يمكنها ان توظف هذه الابعاد بما يخدم الانسانية جمعاء.

لذلك نجد انفسنا امام واجب تسليط الضوء على ابعادها النفسية (الاجتماعية والاخلاقية) لما تحمل هذه الابعاد من معنى يتوقف عليه بناء الامة او انحلالها.

وبات التوقف على هذه المعاني أمراً ضرورياً من جهتين:

١. جهة تفعيل مضامينها المقدسة وتنقية ما يلحق بها من اشكالات في هذه الابعاد.
٢. قد لا نبالغ إذا قلنا ان كثيراً من المشكلات الاجتماعية سواء كانت اسرية او اجتماعية هي مشكلات اخلاقية في صميمها وتعبر عن قصور في النمو الأخلاقي، فاذا ضعف الجانب الاخلاقي فانه يؤثر سلباً على بنية الشخصية وهذا بدوره سيؤثر سلباً على البناء الاجتماعي لاي مجتمع، وقد عُدَّ الضعف في البعد الأخلاقي مظهراً من مظاهر مشكلات مجتمعنا الراهنة التي هي مشكلات أخلاقية في صميمها، فمظاهر انحرافات الشباب إنما هي جميعاً تعبّرعن أزمة أخلاقية وعن قصور في النمو الأخلاقي[٢].

الأهمية

ولقد أثبتت الأيام السابقة ان زيارة الأربعين عصيّة على الاندثار بوصفها عنصراً تبليغياً أسهمت إسهاماً كبيراً في نقل البعد الاخلاقي عن أهل البيت عن طريق ذكر مآثرهم وتضحياتهم في سبيل نصرة الإسلام، بما يتناسب وفهم المخاطبين من أتباع بيت النبوة، وحتى غير الأتباع ممن يدرك نهضة الحسين عليه السلام وخلودها.

لذلك ينبغي ان يفتح باب من الدراسات خاص بهذه الزيارة المليونية لما لها من قيمة منهجية تربوية اخلاقية نفسية اجتماعية تدخل في بناء شخصية الإنسان المفكر الحر.

ان تطور اي مجتمع بأخلاقه، فلا يستطيع أي مجتمع الاستمرار والبقاء المستمر، دون أن تحكمه قوانين اخلاقية تنظّم علاقات أفراده بعضهم ببعض، وتكون لهم بمثابة المعايير المعتمدة في توجيه سلوكهم وتقويم انحرافاتهم لذلك يمكننا اعتبار البعد الأخلاقي من أهم ميادين البحث التي حظيت بالاهتمام من قبل المربين.

ولعل البعد الأخلاقي يمثل جانباً هاماً في بنية الشخصية السوية، لاحتوائه على القيم والمعايير، ومدى اتساقه مع السلوك السوي، لما تبرز أهمية الأخلاق في حفظ المجتمع من المظاهر السلوكية الفاسدة، مما يجعله مجتمعاً قوياً تسوده قيم الحق والفضيلة والإحسان، وتحارب فيه قيم الشر والفساد.

ومما يزيد من أهمية الاهتمام بالبعد الأخلاقي ما يشهده المجتمع البشري اليوم من تحول إلى قرية صغيرة، حيث لا حواجز تحول دون امتزاج الثقافات وتداخلها بكل عناصرها الايجابية والسلبية.

إضافة إلى تعدد وسائل الاتصال والتكنولوجيا ونقلها للخبيث والطيب، والمفيد والضار، الأمر الذي يؤدي إلى تسرب سلوكيات هدامة تؤثر على بناء المجتمع الأخلاقي.

وبما ان للأخلاق تأثيراً مهماً على سلوك الإنسان، فهي تأتي في كونها تهذب وتصقل النفس البشرية،

فصلاح الفعل نابع عن النفس الصالحة، فهناك ترابط بين نفس الإنسان وبين سلوكه[٣].

كما أن الأخلاق تمثل شيئاً ضرورياً لاتزان شخصية الفرد وتكاملها، وبناء الإرادة، فيتعلم التمييز بين الحسن والقبيح، ويختار الفضيلة ويتجنب الرذيلة.

ان زيارة الاربعين المليونية تحمل فكراً واعياً للزائرين ودوراً مهماً في الحياة الاجتماعية، فقد اعطت فرصة للزائر لمراجعة ذاته والمعرفة بوعي ماهي وظيفته في تقدم المجتمع ونصرة الاسلام معاً (النضوج الفكري الاخلاقي الاجتماعي الفعال)[٤].

اضافة الى اهميتها المعرفية الفكرية المتمثلة في نهضة الإمام الحسين عليه السلام فجعلت لذكرى الطف حضوراً وجدانياً قوياً في اذهان الزائرين من حيث الوعي والادراك في تجسيد النبل الاخلاقي الانساني وأعطته تأثيراً نموذجياً عالمياً، اضافة الى تحويل المعرفة الفكرية التي اكتسبت من ثورة الإمام الحسين عليه السلام الى موقف فكري عقائدي واجتماعي.

ولزيارة الأربعين ابعاد اجتماعية تربوية واصلاحية تؤثر في سلوك الزائرين كطريقة التعامل الاجتماعي الصحيح ومعاني تربوية، فقد ورد عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام قوله (رحم الله من أحيا أمرنا، يتعلم علومنا ويعلّمها الناس، فان الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا)[٥].

واصلاحية: نظراً لقول الإمام الحسين عليه السلام (ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وانما خرجت لطلب الاصلاح في امة جدي، لآمر بالمعروف وانهى عن المنكر).

لذلك عُدَّتْ من أهم الصروح الثقافية في تاريخ الحركات الاجتماعية فشملت تهذيب النفس، وتميزت بحرية الفكر الواعي وعدَّته تحدياً يهدد الطغاة والجبابرة، فكانت رافداً مستمراً للابعاد الاخلاقية والنبل الانساني[٦].

وهي ثقافية من خلال تأكيدها على التفاعل والتواصل الاجتماعي الذي يتحقق نتيجة مشاركة الافراد في الزيارة[٧]، لأن في زيارة الاربعين معاني عظيمة وقيماً لا يفهمها إلا من يمارسها ممارسة عملية ويدرك مفاهيمها كسلوك على أرض الواقع.

لذلك فإنَّ هذه الدراسة تسلط الضوء على أهمية زيارة الاربعين في تنمية الابعاد النفسية والاخلاقية والاجتماعية.

الأهمية التطبيقية:

١. تبصير المربين بضرورة تبني برامج تنموية ومناهج تربوية لتنمية البعد الأخلاقي لدى الشباب.
٢. تتوقع الباحثة أن تفيد هذه الدراسة المؤسسات المجتمعية كالجامعات والمجالس الحسينية في كيفية الدخول النفسي لعملية النمو الأخلاقي للشباب، من خلال الندوات والبرامج والمقررات الدراسية والأنشطة، وإتاحة الفرص لمناقشة المواضيع والقضايا الأخلاقية.
٣. تتوقع الباحثة ان تفيد هذه الدراسة وسائل الإعلام للقيام بدورها في مجال العناية بالجانب الأخلاقي لأفراد المجتمع من خلال تخصيص

برامج لتنمية الابعاد الأخلاقية والتشجيع عليها، لما للإعلام من دور هام وفعال في ذلك.

تعريف المصطلحات:

الابعاد الاخلاقية والاجتماعية:

البُعد لغةً: اتِّساع المَدَى. والجمع: أبْعاد.

اصطلاحاً: البعد الاجتماعي: هو المظاهر العملية الاجتماعية.

الخلق لغة: بسكون اللام وضمها جمع أخلاق ويعني المروءة، العادة، السجية، أو الطبع[٨].

قال ابن منظور: الخُلْق والخُلُق: سجِيّة.

وَفِي الْحَدِيثِ: لَيْسَ شَيْءٌ اثقل فِي الْمِيزان مِنْ حُسن الْخُلُق وَحَقِيقَتُه أَنه لِصورة الإنسان الْبَاطِنَة وَهِيَ نفْسه وأَوصافها وَمَعَانِيهَا المختصة بِها[٩].

البعد الاخلاقي: المظاهر العملية الاخلاقية، فالأخلاق هي علم قواعد السلوك، وهي مكتسبة متعلمة من العادات الصالحة النافعة[١٠].

زيارة الاربعين: هي توافد مئات الالاف من الشيعة والموالين من كافة انحاء العالم الى كربلاء مشياً على الاقدام لإحياء ذكرى أربعينية الإمام الحسين عليه السلام[١١].

اهداف البحث:

١. التعرف على البعد الاخلاقي في زيارة الأربعين
٢. التعرف على البعد الاجتماعي في زيارة الاربعين
٣. إبراز أهمية العلاقة بين البعد الاخلاقي والبعد الاجتماعي لزيارة الأربعين
٤. تقديم تصور علمي يمكن الإفادة منه في دراسات جديدة للتواصل الاجتماعي البناء

المطلب الاول: الابعاد الاخلاقية لزيارة الاربعين

مقدمة عن زيارة الأربعين

هي شكل من اشكال الشعائر الاجتماعية يعتقد الفرد بانه يقترب من خلالها الى الله سبحانه، وتعد بمثابة وسيلة لطلب الحاجات من الله سبحانه وتمثل مظهر من مظاهر الولاء لاهل البيت عليهم السلام، لما تتضمن من اهداف دينية ومبادئ انسانية شاملة[١٢] اتسمت بالرصانة والقوة في البناء في كل زمان ومكان، وهذا يعني انها لا تتأثر بالتغيرات السياسية في كل البلدان لأنها ذاتية نابعة من الناس وغير تابعة للسلطة.

وتميزت ببعدها التراثي الاجتماعي الفلكلوري فهي متناقلة عبر الاجيال، واتخذت من الاتجاه نحو هدف معين عملية للبحث عن الحرية الفكرية التي يستمدها الزائرون من قيم الإمام الحسين عليه السلام.

فهي تمثل واحدة من اكبر الحشود المليونية التي يجمع بينها جامع من التشابه أو الانسجام حب الإمام الحسين عليه السلام والعقيدة ورغبتهم في تقديم العزاء والتعبير عن ألم الفاجعة، فكل هذه الحشود من كبار السن والرجال والنساء والشباب وحتى الاطفال ومن كان منهم أمياً او استاذاً جامعياً يسيرون على أقدامهم جنباً الى جنب ولمسافة تتجاوز الايام، يسير فيها هؤلاء الاشخاص وبينهم تواصل حسيني يتضمن الاخلاق الحسينية الحرة.

وبالرغم من اختلاف مستوياتهم التعلمية والاجتماعية إلا انها لم تؤشر على وجود اي نوع من المشكلات الاخلاقية أو حتى التفوه بكلمات فيها نوع من التوبيخ أو التقريع أو التعنيف.

مقدمة عن الاخلاق

الأخلاق هي الصفات النفسية التي نحدد على ضوئها كيف ينبغي أن نكون، وكيف نتصرف ونتعامل في حياتنا الاجتماعية، وكيف يتصرف بعضنا مع البعض الآخر.

وبشكل عام فالأخلاق تبحث في الأخلاق الحسنة والأخلاق السيئة، وستطرق الى الابعاد الاخلاق الحسنة.

فالاخلاق هي صفة شخصية تتصدر سلوك الشخص حتى تصبح ملكة نفسية له، فاذا قلنا سمة شخصية بمعنى انها تدعو الى سلوك معين من غير تفكر او تدبر وقد وصفها الطباطبائي: بأنها العلم الباحث عن الملكات الا نسانية المتعلقة بقوى الإنسان ليميز الفضائل منها عن الرذائل ويستكمل بالتحلي بها سعادته فيصدر عنه من الافعال ما يجلب الثناء الجميل من المجتمع الانساني(١٣).

ولاهمية البعد الاخلاقي فقد جاء في كلام الله سبحانه مخاطبا به رسوله الامين ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم: ١.

وفي هذه الآية وصف الله تبارك وتعالى نبيه محمداًﷺ بالعظمة الأخلاقية، وهو وصف لم يرد لإنسان آخر بهذه الصورة، مما يدل على عظمة منزلة الأخلاق في الإسلام، وعلى المسلمين بمقتضى هذه الشهادة النابعة من القرآن الكريم أن يتخذوه أسوة حسنة لأنه بلغ القمة في الكمال الإنساني.

وقد جاءت الرسالات السماوية لتحث الناس على الالتزام بالأخلاق، واعتبرتها الغاية من بعثة الانبياء لما فيها من اصلاح وصلاح المجتمع ولذلك قال الرسولﷺ (انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق).

لذلك ان الهدف من الاخلاق هو بناء الشخصية الاسلامية فقال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ الحجرات: ١٣.

من صفات القيم الاخلاقية انها ثابتة لا تتغير بتغير الزمان والمكان، وما جاء به القرآن من توضيح للمبادئ الاخلاقية السامية التي تدل على انه انزله رحمة للعالمين، ولذلك قال الرسولﷺ (اكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً) هنا ربط الايمان مع الاخلاق.

فتقدم كل امة من خلال أخلاقها، فهي ثمرة عقيدتها ومقوم مجتمعها، وسعادة المجتمعات ليست ببنائها الفاخر ولا بكثرة اموالها ولا بقوة اسلحتها الفتاكة وانما باخلاق ابنائها لما للاخلاق من إسهام كبير في بناء وتطور اي مجتمع والمحافظة على وحدته، وفي ذلك قال (كانت) (ان نقص الاخلاق في اي مجتمع أشد وطأة وأضر بالإنسان من نقص التعليم)(١٤).

لما للاخلاق دور مهم في بناء الشخصية، وكما ان فهم الطبيعة الإنسانية وفهم القيم والمعايير الأخلاقية يعتمد كل منهما على الآخر.

لا تتضمن الأخلاق أي مبدأ علوي، ولكنها بعد اجتماعي ونفسي يتعلق بالإنسان في المجتمع الذي يعيش فيه، وأن القيم الأخلاقية يجب أن تترجم إلى لغة الظروف الواقعية وإلى القوى العاملة في حياة الناس(١٥).

وذلك لما لهذه الابعاد من دور كبير في تماسك الشخصية وتماسك المجتمع وتحقيق التكيف الاجتماعي وصولاً الى الجمال الاخلاقي، فهي تعمل على تطوير الوازع الديني لدى افراد المجتمع وتهذيب النفس الانسانية، وتبعد الإنسان عن الأنانية الشخصية.

ولذلك عُدَّتْ أبعاد اصيلة في الشخصية لانها تتفق مع الفطرة الانسانية ومبادىء الدين الإسلامي.

المطلب الثاني: ويقسم الى قسمين:

اولاً: قواعد البعد الأخلاقي في بناء المجتمع

قال الرسولﷺ (مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى).

وقد مثّله الرسولﷺ بالجسد الواحد عندما يتعاون على شيء يريده او عندما يمرض عضو فيه فإن جميع الاعضاء تشتكي من المرض رغم انه ليس فيها مرض، فلو أحس الشخص بألم في ضرسه فإنه سيترك النوم من الألم ويقلل الطعام الى أن يشفى من الم الضرس، فالحديث يبني جسد الأمة الواحد على ثلاث قواعد اخلاقية اساسية هي:

١. **التوادد**
٢. **التراحم**
٣. **التعاطف**

لو تأملنا هذه القيم الأساسية لرأينا فيها طابعاً نفسياً وهو حب الآخرين، وقال تعالى: ﴿ان الذين آمَنُوا وَعَمِلُوا الصالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَحْمَنُ وُدّاً﴾.

والحب يؤلف بين القلوب، ويجمع بين الناس المتحابين، وقد ورد عن الساعة، فقالؑ: ((أن رجلاً سأل النبي عن الساعة فقال متى الساعة؟، قال: وما أعددت لها؟ قال: لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله، فقال: أنت مع من أحببت فما فرحنا بشيء فرحتنا بقول النبي))(١٦).

كيفية تكون الأخلاق

أن الإنسان مزود بقوة يستطيع بها أن يفعل الحسن أو القبيح وهذه القوة فطرية اصيلة فيه، ثم يمر بعد ذلك بوسائل التربية المعرفية وقوة الإرادة أو ضعفها يتمكن معها من الانحياز إلى أحد الجانبين في السلوك وعندئذ يكون ذا سلوك خير فقط، أو سلوك شرير فقط(١٧).

العمليات النفسية التي تدخل في تكوين البعد الاخلاقي

تسبق تكوين البعد الاخلاقي عمليات نفسية تحدده ومنها:

١. **الخاطر**: وهو أول ما يرد على قلب الإنسان من حديث نفسي ذاتي، ونفس الإنسان تحدثه بأمور كثيرة، قد يميل إلى أحدها.
٢. **الميل**: هو توجه الإنسان لخاطر من خواطره يتصوره ويدرك الغرض منه، والغاية المترتبة عليه، فإذا تغلب ميل على سائر بقية ميول الإنسان صار هذا الميل رغبة.

٣. **الرغبة:** هي تغلب ميل على بقية الميول الموجودة في النفس الإنسانية فإذا فكر الإنسان في هذه الرغبة واعتقد بمضمونها، وعزم عليها، صارت هذه الرغبة إرادة.

٤. **الإرادة:** هي قوة نف

٥. سية داخلية تخصص رغبة من رغبات التي مالت إليها النفس لكي تتحقق وتوجد، فإذا ما تكررت الإرادة صارت عادة.

٦. **العادة:** هي الإرادة التي تتكرر وتصدر عن حالة راسخة في النفس، وهي الخلق.

وهذه هي مراحل تكوين الخلق) الخاطر، فالميل، فالرغبة، فالإرادة، فالعادة)[١٨].

الابعاد الاخلاقية لزيارة الأربعين

ويعتقد كولبرج عالم النفس أن الأخلاق لا تنمو مرة واحدة، بل هي مكتسبة عبر مراحل الحياة، لذلك يعد نمو البعد الأخلاقي نتاجاً لتفاعل عوامل التنشئة الاجتماعية والأخلاقية مع النمو المعرفي العقلي، فيقوم الفرد من خلال تفاعله الاجتماعي بتعديل بنيته المعرفية الأخلاقية وذلك بإحلال بنى جديدة تبعاً لما يتعرض له من خبرات جديدة[١٩].

ويتضمن البعد الاخلاقي:

١. الامر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وهو ما يستحسن من الافعال وكل ما تعرفه النفس من الخير وتطمئن اليه، وهو دعوة الاسلام للاشخاص المسلمين بتحويل الشعور الباطن بالعقيدة الى حركة سلوكية واقعية من الارشاد والتوجيه وفق ما حث عليه القرآن، وعَدَّهُ فريضة وذلك إذا أُديت وأُقيمت استقامت الفرائض الاخرى هينها وصعبها، وهو من انبل الاخلاق التي بعث بها الانبياء، فقال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ آل عمران: ١١٠.

وفي ذلك قال الإمام الحسين عليه السلام (انما خرجت لطلب الاصلاح في امة جدي، اريد ان امر بالمعروف وانهى عن المنكر، فمن قبلني بقبول الحق فالله اولى بالحق، ومن رد عليّ هذا اصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين).

ومن مضامين الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اصلاح الفساد الاجتماعي، وهو من المبادئ الاسلامية التي تتضمن وقاية الفرد والمجتمع من الانحراف السلوكي ذلك لإنهائه السلوك المنحرف او التقليل منه واضعافه.

قال تعالى ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ الانعام: ١٥٢، و ﴿إِنَّ الله يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ النحل: ٩٠، لذلك انطلق الإمام الحسين عليه السلام للامر بالمعروف والنهي عن المنكر ذلك لتحقيق الامن المجتمعي الانساني وليس الاسلامي فقط ولذلك قال عليه السلام (اللهم انك تعلم انه لم يكن ما كان منا تنافساً في سلطان ولا التماساً من فضول الحطام، ولكن لنُريَ المعالم من دينك ونظهر الاصلاح في بلادك ويأمن المظلوم من عبادك، ويعمل بفرائضك وسننك وأحكامك)[٢٠].

من شروط هذا البعد:

- ان يكون الشخص الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر عارفاً به ومميزاً له
- ان تكون له قابلية التأثير على الآخرين (فن الاقناع)[٢١].

٢. البعد المعرفي الفكري للاخلاق في زيارة الأربعين:

يمثل البناء الفكري عملية تحصيل وربط المعرفة السابقة مع المعرفة الحالية، ليؤدي الى خبرة تؤهله للتفاعل مع المحيط، واشارت دراسة **canter** ١٩٩٠ ان البناء الفكري المعرفي يمثل تميزاً لخطط انجاز الاهداف المستقبلية من خلال ثلاثة مفاهيم (التخطيط والاستراتيجية المعرفية ومهام الحياة)[٢٢].

وقد يغفل البعض عن معلومة هامة في القانون الاخلاقي الانساني طبعت في النفس الانسانية منذ نشاتها فقال تعالى ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ وهنا اشارة الى ان العقل البشري يميز بين الاخلاق الحسنة والاخلاق القبيحة، كما يميز بين السلوك الجميل والقبيح، ويتفاعل الفكر الانساني مع هذا القانون فيمدح السلوك الحسن ويستهجن السلوك القبيح.

وبما ان القانون الأخلاقي له أبعاد متعددة وهو يتعامل مع الشخصية، وبما ان الشخصية تدخل فيها ابعاد كالوراثة والبيئة والتعليم، لذلك قد يواجه البعض صعوبة في كيفية الحفاظ على القانون الاخلاقي في جميع الظروف، لذلك بعث سبحانه الى الناس في ازمنة متعددة نفوساً متميزة ملهمة بالوحي الرباني لها القدرة على ايقاظ الضمير البشري وصقل الاخلاق الانسانية، كما أوجد سبحانه امتداداً لها شخصيات متمايزة مرشدة للبشرية ومصلحة في الوقت نفسه كشخصية الإمام الحسين عليه السلام الذي يمثل المثل الاعلى في الاخلاق الانسانية.

٣. البعد التربوي الاخلاقي:

جاءت الاخلاق لتزكية النفس الانسانية وتربية الإنسان وصولا الى الشخصية، وفي آيات أُخرى قال سبحانه ليبين أهمية التربية الاخلاقية ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ البقرة: ١٦٤، وايضاً تربية الإنسان لنفسه وفي ذلك قال تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ الشمس: ٩-١٠.

٤. البعد الوجداني الاخلاقي:

لا نغفل عن حقيقة وجدانية وهي لا مكان للاخلاق بدون عقيدة وذلك لاتصال العقيدة بذاتية الاخلاق، ومعنى ذلك الايمان بالاخلاق كحقيقة قائمة بذاتها تسمو على الشخصية وتفرض نفسها عليها بغض النظر عن اهوائها ورغباتها، ولذلك فالشخصية المؤمنة تعرف النداء الداخلي للمعبود فهي تمزج الوجدان (العاطفة) مع العقل، وهنا يخضع الإنسان للابعاد الاخلاقية التي رسمتها السماء لتؤكد الالتزام الاخلاقي الذي يؤدي بالإنسان الى الاتجاه نحو الافضل[٢٣].

الاخلاق التي ينبغي اتباعها في زيارة الأربعين

١. الوفاء بالعهد: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ الاسراء: ٣٤، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ المؤمنون: ٣٢.

٢. النهي عن القول بغير علم: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ الاسراء: ٣٦، وقال تعالى ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ النمل: ١١٦.

٣. النهي عن مشية التبختر والتمايل (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا) الاسراء: ٣٧.

٤. دافعية العطاء: هي مجموعة من القوى النفسية التي تحرك السلوك وتوجهه وتعضده نحو هدف من الاهداف[٢٤]. اعطاء كل ذي حق حقه والنهي عن التبذير ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ الاسراء: ٢٦. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ الاسراء: ٢٩.

٥. النهي عن العدوان: فقال تعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ المائدة: ٢.

٦. النهي عن السخرية والتلامز في الاسماء والالقاب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ الحجرات: ١١.

٧. التسامح واللاعنف ان زيارة الأربعين تمثل رسالة للعالم الاسلامي والانساني تكشف عن افكار جوهرية كالتسامح والتعايش السلمي، وفي ذلك قال الإمام علي عليه السلام (العفو تاج المكارم)، وقال الإمام الباقر عليه السلام عندما سئل عن افضل الاخلاق قال (الصبر والسماحة)[٢٥].

قال الإمام الصادق عليه السلام من مكارم الاخلاق (العفو عمن ظلمك، ووصلك من قطعك، واعطاء من حرمك، وقول الحق ولو على نفسك)[٢٦].

٨. التواضع في المسيرة الاربعينية: وفي ذلك رواية عن اخلاق التواضع، قال النبي صلى الله عليه وآله (ان أحبّكم إليَّ وأقربكم منّي يوم القيامة مجلساً أحسنكم خلقاً، وأشدكم تواضعاً)[٢٧].

٩. البدء بالتحية: قال الإمام علي عليه السلام (ان بذل التحية من مكارم الاخلاق).

١٠. الصدق: هو قول الحق والتزام الحقيقة، وهو من سمات الاخلاق لذلك قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ التوبة: ١١٩.

١١. الصبر: ووعدهم الله سبحانه بالجزاء الجميل فقال (عز وجل): ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ البقرة: ١٧٧.

١٢. الايثار على النفس: كشفت زيارة الأربعين عن التسامي بالعطاء والايثار على النفس، فترى الزائر في زيارة الأربعين لا يشعر فيما بذل من وقت او مال او جهد بسبب المشي او فراق الاهل[٢٨].

١٣. الامانة: هي مدى التزام الفرد في المحافظة على ممتلكات الغير وعدم اتلافها واعطاء الحق لصاحبه.

١٤. الاتزان الانفعالي: ان اهمية الاتزان الانفعالي هو الوصول الى التكامل الذاتي للفرد وبما ان المجتمع يتكون من مختلف الافراد لذلك فان الافراد الذين يتسمون بالاتزان الانفعالي يؤثر بعضهم على بعض ذلك ان الواقع النفسي للفرد لا يمكن ان ينفك عن سلوكه الاجتماعي.

١٥. الاخلاص في العمل: من الاركان الاساسية الاخلاقية في زيارة الأربعين هي الاخلاص في العمل فان لم يكن الزائر مخلصاً لله سبحانه في مسيرة الاربعينية وانما يتباهى أمام الآخرين فان هذا يؤدي الى فقدان الاخلاص في العمل لله تعالى[٢٩].

١٦. الإحساس والتعاون: لا يمكن أن يُكتب للمسؤولية المجتمعية عناصر السلامة والنجاح بدون توافر الشعور والإحساس الذاتي اتجاه أي حدث طارئ أو مشكلة ما، ولهذا يستوجب دائماً المبادرة والتعاون في إطار البناء المجتمعي المتماسك بعيداً عن عوامل التفكك والانهيار المجتمعي[٣٠].

نقلت العقيدة افراد المجتمع من حالة التنافس والصراع الى حالة التعارف والتعاون.

وجاء في القران ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ الحجرات:١٣.

كما حث الناس على التعاون ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ المائدة:٢. وقد اثبتت تجارب البشرية ان في التعاون قوة وانه يؤدي الى التقدم كونه الضمان الوحيد والسبيل الامثل لاقامة بناء اجتماعي متماسك تغيب فيه عوامل الصراع والتناحر وتسود فيه عوامل الود والالفة.

١٧. روح التضامن: بمعنى تحسس افراد المجتمع الواحد باحتياجات بعضهم البعض للتعاون من اجل الوصول الى الحضور الوجودي.

فقد ترجموا زوار الاربعينية مفهوم التضامن الاجتماعي بحيث فاق معنى مفهوم التضامن الانساني العالمي، حيث ان الكل يهتم بالكل، ويوفي له[٣١].

مميزات الأبعاد الأخلاقية لزيارة الأربعين

إن الدين ومكارم الأخلاق هما شيء واحد لا يقبل الانفصال، ولا يفترق بعضهما عن بعض، فهما وحدة لا تتجزأ): **Gandhi** غاندي لا وجود للأخلاق دون اعتقادات ثلاثة: وجود الإله، وخلود الروح، والحساب بعد الموت)[٣٢]:**Kant**

١. أنها مبنية على العقيدة: وهي بهذا تقوم على أساس صلب يمكن الاعتماد عليه في التمييز بين الخلق الحسن والخلق السيئ، والإيمان هو أساس الالتزام بكل خلق حسن، والبعد عن كل خلق

سيئ. ولذا فإن الاخلاق مرتبطة بالعقيدة، فان ضيَّعنا العقيدة الإسلامية فقد ضيعنا كل شيء، وإن ضيعنا أخلاقنا الإسلامية فقد عرضنا عقيدتنا الإسلامية إلى الضياع[٣٣].

٢. أنها موافقة للعقل غير متأثرة بالأهواء والشهوات ومراعية المنطق العقلي السليم لتفاوت الناس في الإمكانات والقدرات.

٣. أنها موافقة للفطرة (إنسانية) لذا لا يجد الفرد صعوبة في الالتزام بها، لكونها تلائم ما جبل عليه من حب الفضيلة والبعد عن الرذيلة، وقد فطر الله سبحانه وتعالى الناس على حب الخير.

٤. أنها وسطية: تتسم بالاعتدال البعيد عن الإفراط والتفريط، ومما يدل على اعتدال الأخلاق، فمثلاً السخاء خلق محمود شرعاً، وهو وسط بين التبذير والتقتير.

٥. أنها مثالية واقعية: ليست منفصلة عن الحياة اليومية التي يعيش فيها[٣٤].

٦. وتتميز الأخلاق لزيارة الأربعين بأنها ايجابية، لما لها من قوة نفسية لايملكها اي نظام مادي آخر، وتمثلت في خشية الله سبحانه وطلب رضاه

٧. وتتميز الأخلاق في الإسلام بأنها مفصَّلة تفصيلاً كبيراً بحيث تسع كل أفعال الإنسان وأقواله، وتحكم كل أفعاله. ونجد في آيات القرآن ما يشكل دعوة عامة إلى الأخلاق في صورة مبدأ كما، وإن انهيار الأخلاق مردّه إلى ضعف الإيمان أو فقدانه[٣٥].

٨. كما أن أصحاب الأخلاق الفاضلة والسجايا الكريمة هم أحب الناس إلى النبي مجلساً يوم القيامة، فقال عليه الصلاة والسلام: «إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيقهون» وحسن الخلق يثقل ميزان العبد المؤمن في الآخرة ويكثر من حسناته ويخفف سيئاته، فقال رسول الله ﷺ (ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق)، (إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم)، (اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم وأكثر ما يدخل الناس النار الفم والفرج)[٣٦].

ثانياً: النظريات الاخلاقية

١. نظرية الإمام علي عليه السلام في الاخلاق

تناقش العلماء المنظرون والفلاسفة في ان العقل هو الذي يؤدي الى فهم الاخلاق الحسنة والاخلاق غير الحسنة.

وفي ذلك أشار الإمام عليه السلام الى جملة مقومات أساسية بديهية في التعامل الاجتماعي الاخلاقي يمكن ان تكون بمثابة ركائز اخلاقية عملية.

فقال سيد العلماء المنظرين (الخلق المحمود ثمار العقل والخلق المذموم ثمار الجهل)[٣٧].

وقال عليه السلام (أطهر الناس أعراقاً أحسنهم أخلاقاً)[٣٨]. وقال (روّضوا الناس على الأخلاق الحسنة، فإن العبد المسلم يبلغ بحسن خلقه درجة القائم

الصائم)[٣٩]. وقال(عليه السلام) (جعل الله سبحانه مكارم الاخلاق صلة بينه وبين عباده، فحسب أحدكم أن يتمسك بخلق متصل بالله سبحانه)[٤٠].

وتلتقي الاخلاق مع الضمير فالعلاقة بينهما علاقة تآزرية، ويلتقي الضمير مع الدين في المبادئ والأحكام، ومما يدل على الصلة الوثيقة بين الضمير والدين قول الإمام علي(عليه السلام): (من لم يعن على نفسه حتى يكون له منها واعظ وزاجر لم يكن له من غيرها زاجر وواعظ) والمقصود بالواعظ الضمير الأخلاقي[٤١].

لذلك لا يمكن أن نعدَّ الإنسان انساناً إلا إذا كان يحمل أخلاقاً إنسانية وإلا فهو متجرد عن معنى الانسانية، مهما كان يحمل من ذكاء او علم فإذا تجرد من الانسانية فإنه يمكن أن يصبح وحشاً كاسراً في المجتمع من خلال استخدام ذكائه لخدمة نفسه المريضة نفسياً، ومقابل مصلحته الشخصية الانانية.

وعندما تعد الاخلاق قيمة إنسانية فهي تسهم في تنقية الافكار من الشوائب الضارة بالمجتمع البشري مؤدية الى حياة راقية تحمل معنى الانسانية والتقرب من الله سبحانه، ولهذا يمكن للإنسان ان يعدل من أخلاقه تجاه المصلحة الاجتماعية حيث يقول(عليه السلام) (ما من يوم يمر على ابن آدم الا قال له أنا يوم جديد وأنا عليك شهيد، فقل فيَّ خيراً، واعمل خيراً، فإنك لن تراني بعد أبداً) وهذا يعبر بوضوح أن الإنسان ما أن يموت ينتهي عمله.

كما أشار(عليه السلام) الى المسارعة في عمل الخير بقوله (ما أسرع الساعات في اليوم وأسرع الأيام في الشهر وأسرع الشهور في السنة وأسرع السنين في العمر) وهنا لايشير(عليه السلام) الى السرعة الفيزيائية أو الرياضية فقط، بل الى ما ينجزه الإنسان في فترة زمانية محددة ومحسوبة عليه، فان ما يمكن إنجازه يعتمد على الإنسان، ولكن نظرة الإمام الى الزمن هي بشكل نسبي لسرعة الزمن وبمقدار ما ينجز فيه.

وان العمر الزماني الإنساني موضوع تحت تصرف الإنسان وكيفية استعماله يعود للإنسان، وهو يرتبط بالارادة والتفكير وقدرة استيعابها للحياة وتعقيداتها وتطورها، يقول الإمام(عليه السلام) (الفكرة تورث نوراً والغفلة تورث ظلمة)، ويمكن تفسير ذلك بأنه(عليه السلام) يخاطب الإنسان: أيها الإنسان استعمل عقلك ولا تَخَفْ من الفكرة بل اعمل لها فالفكرة هي تطور الحياة فهي تسطيع إطالة الزمان الفيزيائي نسبياً بما تنجزه في الواقع، ولو نظرنا اليوم من الماضي الى حاضرنا، والسرعة التي تنجز بها الأمور وما كان ينجز بأشهر أصبح ينجز بأيام أوساعات نستطيع أن نفهم فكر الإمام علي(عليه السلام) في فكر الزمان الرياضي الفيزيائي ونسبيته.

ما كان بالأمس وما عليه اليوم وما يمكن أن يكون عليه غداً وأهمية الإستفادة من العقل والرجوع اليه في التعامل مع أمور الحياة حيث يقول (العقل على كل حال حسام قاطع) ومن ثم قوله (لا تفاخروا بالآباء، فالعاقل من كان يومه خيراً من أمسه)، يشير فيها الإمام علي(عليه السلام) إلى أهمية استعمال العقل والرجوع إليه في التعامل مع أمور الحياة، ودور العقل في تطوير أحوال المجتمع، وأن حياة الإنسان على هذه الأرض مهما طال عمره محدودة ولكن عمر الإنسان عبر المجتمع مستمر (الإنسانية)[٤٢].

وفي التعامل الاخلاقي الاجتماعي قال عليه السلام: (الحِلم غطاء ساتر، والعقل حسام قاطع، فاستر خلل خلقك بحلمك، وقاتل هواك بعقلك). قال (عليكم بالصبر، فإن الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد، ولا خير في جسد لا رأس معه، ولا في إيمان لا صبر معه) وقال عليه السلام: (مَنْ كرمت عليه نفسه هانت عليه شهواته). فعلى الإنسان أن يكرم نفسه عن تجنب الشهوات وأن يكبح نفسه عنها، ذلك باحترامه نفسه واحترام الآخرين له.

إن الإسلام دائماً ينصحنا بأدب الحديث والموعظة الحسنة والكلام الطيب لأنه هو الذي يرفع العمل الصالح إلى الباري (عز وجلّ) حتى يثبته تعالى في ميزان الحسنات، فكيف ذلك ونحن نسير في زيارة الأربعين فالأَولى بنا التمسك بذلك وقال عليه السلام في تجنب كشف أسرار الآخرين (فاستر العورة ما استطعت، يستر الله منك ما تحب).

وقال عليه السلام: (إني أكره لكم أن تكونوا سبابين)[٤٣]. وقال عليه السلام: (وبالتواضع تتم النعمة)[٤٤]. (فاعفوا: ألا تحبون أن يغفر الله لكم). وقال عليه السلام (مَن استبد برأيه هلك). عن أداء الأمانة (فقد خاب من ليس من أهلها). وفي النهي عن البخل قال عليه السلام: (البخل جامع لمساوئ العيوب) لأن البخيل يسيء الظن بالله تعالى، وكأن الذي رزقه أول مرة غير قادر على أن يرزقه، وهو يخشى الفقر مع وجود هذه النعم الكثيرة عنده التي هي من الله تعالى أيضاً. (إياك والمنَّ.. فإن المنَّ يبطل الإحسان)[٤٥].

نستنتج ان نظرية الإمام علي عليه السلام يمكن أن تكون لنا بمثابة دستور اخلاقي اجتماعي يمكن الاستفادة منه في زيارة الأربعين بل في جميع مواقف الحياة اليومية.

نظرية الوفاء بالواجب:

أشار هنري برجسون وهو عالم نفس فرنسي وكاتب معاً، انه عندما يفكر الإنسان بالمثل الأعلى ويجده في ضميره ويفكر فيه سيتعرض لعملية نضوج حقيقية من التفكير يخرج فيها بمخرج جديد عن العادة، قائم على مبادئ قانونية أخلاقية يقويها ويفرضها العقل محكومة بنوع من الاحساس بالجمال ورد الجميل[٤٦].

الفصل الثاني:

مميزات الأبعاد الاجتماعية لزيارة الأربعين

يمثل البعد الاجتماعي لزيارة الأربعين دوراً مهم في المجتمع، لأنه يسهم في الاتصال بين الافراد والتنمية الاجتماعية وله دور في الارشاد والتوجيه الديني، كما يدخل في التغيير الاجتماعي، لذلك تميز بجوانب متعددة منها:

١. **الإثبات الوجودي:**

إن الزائرين في زيارة الأربعين كأنما يرسلون رسالة تبليغية الى العالم الخارجي مضمونها اننا موجودون هنا ولا يستطيع أيُّ دكتاتور إفناءنا بل اننا نتكاثر بالملايين اتخذوا من الوجود ليس جواباً وانما سؤال:

is not answer but a question

ولذلك قال السيد المسيح عن الأفراد المحققين لأنفسهم (وجودهم) قال: (من ثمارهم تعرفونهم)[٤٧].

٢. بُعد التوحد الشيعي العالمي:

ان وجود الزائرين في زيار ة الاربعين ليس من العراق فقط، وانما من مختلف الدول العربية والعالمية.

اننا ندرك ان قوافل الحجاج الى مكة المكرمة تقوي الدين الاسلامي كما تعزز العلاقات بين المسلمين ولو كانوا من جنسيات مختلفة، كذلك زيارة الاربعين تظهر للعالم كقوة شيعية عالمية ينبغي ان تحظى بالاهتمام والتقدير(٤٨).

لذلك يمكن القول ان زيارة الأربعين هي رسالة عالمية واضحة الابعاد يفترض ان يكون فيها ذوبان الشخصية المنفردة في جموع الزائرين بحيث يوحدهم حضور وجود مهيب يؤدي الى اندماج الزائرين نفسياً بموضوع الزيارة تاركين مسؤولياتهم الاجتماعية الاخرى.

٣. العمل بروح الفريق تحت كلمة (نحن)

إن فكرة العمل بروح الجماعة قد أسهمت في بناء الكثير من الدول الحديثة وتقدمها فما أحوج بلداننا إلى تفعيل هذه الثقافة.

وزيـارة الأربعين بما لها من خلفية دينية فكرية تملك من الدافعية الداخلية والخارجية على العمل التطوعي لافرادها، وكذلك الإيثار على النفس قدراً يفوق كل الإمكانات المؤسساتية الاجتماعية العالمية في هذا المجال، فعلى مدى آلاف الكيلو مترات ومن جميع الاتجاهات المؤدية إلى كربلاء ولعدة أيام تجد الشيبة والشباب، والنساء في حركة متواصلة يبذلون جهوداً جبارة، وأموالاً طائلة خاصة لهم عن قناعة وإخلاص بحيث يؤثرون على النفس ولو كان بهم خصاصة دون أدنى تذمر أو إحباط ودون أي أجر مـادي دنيوي في قبال ما يبذلونه، بما تستمده من الإمـام الحسين عليه السلام من قيم دينية ومبادئ إنسانية ورصيد فكري حر.

وهم بذلك يكرسون ثقافة المساواة والانسانية عامة وإذابـة جميع الفوارق العنصرية بين الحشود المليونية الزاحفة الى كـربـلاء إذ تجـد فيهم شتى الجنسيات والـقـوميـات والاديـــان والاتجـاهـات الفكرية، كما تجد الفقير والغني وقد تساوى الجميع في (المطعم، المجلس، الخدمة....الخ) بل يسير بعضهم الى التواصل الـوجـداني المتمثل بالاخوة والمحبة ونسيان الـذات والتماهي مع الآخـر وكأنهم تخلوا عن جميع الفوارق وانتزع الغل من قلوبهم بمجرد أنْ وضعوا أقدامهم على طريق كربلاء حتى يبلغ ذلك ذروته عندما تجد أن هذه القوميات والأعراق والألـوان كل منها يفتخر بأن يكون خادماً للآخر بروح ملؤها المحبة والعطاء.

تنمية الشعور الجمعي: ثبت عند العقلاء ان في الاجتماع قوة ومَنَعَةً، فقد جعل الله تعالى فيه الخير والبركة، وفي ذلك قال الرسول صلى الله عليه وآله (يد الله مع الجماعة والشيطان مع من خالف الجماعة يركض)(٤٩).

وفي ذلك دليل على ان الاسـلام دين اجتماعي يحاول ربط الفرد بالجماعة ما استطاع الى ذلك سبيلا.

٤. بعد المسؤولية الاجتماعية

يمكن القول بأن هنالك علاقة بين المسؤولية الاجتماعية والمسؤولية الشخصية التي هي احد اركان البعد الاجتماعي وهي عمل نابعٌ من داخل

الفرد نفسه، ولا يكلف بها أي شخص وإنما من يتمتع بالحرية الكاملة التي تلزمه في القيام بالأعمال والمسؤوليات الملقاة على عاتقه حتى يستشعر حجم المسؤولية التي كُلفّ من أجلها[٥٠].

فكل فرد مسؤول عن سلوكه الفردي وعقيدته، وهو راعي للآخرين (المسؤولية الشخصية) قال رسول الله ﷺ (كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته)[٥١].

أنعم الله سبحانه على الإنسان دون سائر خلقه بالعقل الذي يمكّنه من الإدراك والتعليم والفهم ومعرفة الأحكام الصائبة، كما أنعم عليه بالإرادة وحرية الاختيار وهداه النجدين أي طريق الخير أو الشر وسبيل الهدى أو الضلال، وهذا كله يحمّل الإنسان مسؤولية سلوكه[٥٢].

وتمثل المسؤولية الاجتماعية عاملاً مهماً في البعد الاجتماعي لدخولها في بناء المجتمع، حيث أن الفرد المتسم بتحمل المسؤولية الاجتماعية يحقق فائدة للمجتمع. كما ان ما يلمسه المجتمع من خلل واضطراب يهدد نموه يرجع في جانب كبير منه إلى النقص في نمو المسؤولية الشخصية عند أفراده.

وفي ذلك قال الإمام الحسين عليه السلام حول حسن الخلق (ايها الناس من جاد ساد، وإن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه، وإن أعفى الناس من عفى عن قدرة، وأن أوصل الناس من وصل من قطعه، والأُصول على مغارسها بفروعها تسمو، فمن تعجّل لأخيه خيراً وجده إذا قدم عليه غداً، ومن أراد الله تبارك وتعالى بالصنيعة الى أخيه كافأه بها وقت حاجته، وصرف عنه من بلاء الدنيا ما هو أكثر منه، ومن نفَّس كربة مؤمن فرَّج الله عنه كرب الدنيا والآخرة، ومن أحسنَ أحسنَ الله اليه، والله يحب المحسنين)[٥٣].

ومن الأبعاد الاخلاقية لزيارة الاربعين هي المسؤولية الشخصية، وهي شعور مركَّب بين الثقة بالنفس والاعتماد عليها والتحمل والصبر والمثابرة أثناء زيارة الأربعين.

كما أن الشعور بالمسؤولية الشخصية يجعل كل زائر مسؤول عن نفسه وسلوكه في التعامل مع الآخرين، كما في قوله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ المدثر: ٣٨، وتوصل المسؤولية الشخصية الى التكامل الانساني[٥٤].

النظريات المفسّرة للأبعاد الاجتماعية

١. نظرية الدور

عندما نحلل زيارة الأربعين من وجهة نظر نفسية اجتماعية نرى ان هناك أدواراً اجتماعية وان سلوك الفرد وعلاقاته الاجتماعية تعتمد على أدواره في المجتمع. فيقوم أفراد المجتمع بتطبيقها، وتختلف هذه الادوار باختلاف الظروف الاجتماعية.

٢. نظرية الاعتقاد

اعتقد الاشخاص الذين ذهبوا الى زيارة الأربعين سواء كانوا مشياً ام بواسطة، أن هذه الزيارة تقربهم من الله سبحانه، والرغبة في رضاه.

ومن الناحية النفسية: ان زيارة الاربعين تمثل في اعتقاد الزائرين الاطمئنان النفسي، والامن الفكري[٥٥].

الفصل الثالث:

وتضمن مطالب

أولاً: إمكانية تغير الاخلاق: قال تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ الشمس:٩.

ان الاخلاق مكتسبة متعلمة، ولاثبات ذلك قول الرسولﷺ (بعثت لاتمم مكارم الاخلاق)، وقولهﷺ (تخلقوا باخلاق الله) فهي خير شاهد على امكانية تعديل سلوك الإنسان الى الحسن.

والعلم يقول اذا بإمكاننا ان نغير الفرس الجامح من الجماح الى السلاسة والانقياد فكيف لا تستطيع تغيير سلوك الإنسان الى السلوك الحسن؟ ذلك لان الإنسان لديه عقل ويستجيب للارشاد لاسيما إذا كان نفسياً.

ولذلك قال ارسطاطاليس: (يمكن صيرورة الاشرار أخياراً بالتأديب، إلا أن هذا ليس كلياً، فربما أثر في بعضهم بالزوال، وفي بعضهم بالتقليل، وربما لم يؤثر أصلاً في بعضهم الآخر).

وربما السبب في ذلك ان لكل فرد شخصية معينة وهذه الشخصية تدخل فيها الجوانب النفسية المعرفية بما فيها الاعتقاد، والسمات الاصلية والمكتسبة، وهذه السمات الاصلية بعضها قابل للاستقبال والتغيير والبعض الآخر غير قابل لذلك.

ان التغيير لابد ان يوائم كل شخصية ولذلك قال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ الاسراء: ٨٤.

واذا قلنا هل يتساوى موقف الكريم واللئيم في الانفاق رغم انهم ينفقون ظاهراً نفس المبلغ؟

قال الإمام الصادق (لا يثبت الايمان الا بالعمل)، لذلك إذا أراد الإنسان أن يغير أخلاقه الى الحسنة عليه أن يصحح اعتقاده تجاه هذه الاخلاق أولاً، وأن لايكون مرائياً حتى في اخلاقه، ولذلك قال الإمام الصادق (ان العمل القليل الدائم على اليقين افضل عند الله من العمل الكثير على غير يقين)، لأنه إذا كان على غير يقين يكون لغاية (الثناء او الجزاء الدنيوي) لانه هنا يتوقف على ظاهر العمل لا باطنه، وهذه الامور هي امور اعتبارية دنيوية، بمعنى ان بعض الاشخاص يتوقعون ان يترتب على نتائج أعمالهم الثناء الجميل، فاذا لم يتحقق ذلك ترك العمل ولم يداوم عليه، وهذا عكس بعض الاشخاص الذين تكون أخلاقهم يقينية وهم الموصوفون بهذه الآية ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ الدهر: ٩، وهنا تدخل النية في العمل الصالح، حتى وان نوى الشخص به وفعله غيره (ونية المرء خير من عمله).

لذلك لابد ان يعمل الشخص بروح الـ (نحن) لا بروح الأنا، وفي ذلك قال السيد الخميني (لو اجتمع الانبياء جميعاً في مكان واحد لما اختلفوا، لانه لا أحد منهم يقول أنا)، بل كلٌ منهم يقول (هو)، و(هو) واحد فلا يقع الاختلاف بينهم بل يقع الاختلاف حينما تصير الاعمال لـ (أنا) وهي متعددة، فان الأنا قد تسقط ويحبط كل عمل عمله الإنسان مهما امتدت سنواته، لذلك ان الاخلاص في العمل يؤثر على الآخرين، ويأتي من المعرفة والعلم ولذلك قال الإمام علي (اول الدين معرفته)، ويوضح أبو بكر الرازي أن طرق إصلاح أخلاق النفس يتم عن طريق

مبدأين هامين هما: ضرورة تحكم العقل في الهوى، وقمع الهوى والشهوات. ويذكر الرازي أن مغالبة الهوى وقمع الشهوات أمر صعب كثير المشقة، لكنه يحتاج إلى تمرين النفس على ذلك وتدريجها عليه.

ويرى أن الإنسان لكي يستطيع أن يقوم بإصلاح أخلاقه السيئة، فإنه يجب عليه أن يعرفها، غير أن معرفة عيوب نفسه ليست أمراً سهلاً، إذ أن الإنسان عادة لا يعرف عيوب نفسه، وما دام لايعرفها فانه لا يمكنه الإقلاع عنها.

المطلب الثاني: زيارة الأربعين وتأثيرها على الزائرين

قد تشكو بعض المؤسسات التربوية من ضعف تأثيرها الايجابي على سلوك بعض افراد المجتمع.

وربما فشلت بعض الطرق للارشاد الجماعي في معالجة بعض المشكلات الاخلاقية الاجتماعية.بينما أثبتت بعض الدراسات العلمية تأثير زيارة الاربعين وبفاعلية على سلوك الممارسين لهذه الزيارة.

واثبتت الدراسات ان التاثير الوجداني أشد فاعلية في تغيير السلوك من خلال تصحيح افكار الفرد والتخلص من العادات السلوكية المضطربة، مثل تغير سلوك العزلة الى القبول الاجتماعي من خلال بناء علاقات طيبة مع الآخرين، وتغير سلوك البخل الى العطاء، وتغير السلوك غير السوي الى سلوك سوي من خلال التعلم بالملاحظة وذلك من خلال ملاحظة نماذج الزائرين في زيارة الأربعين.

المطلب الثالث: ثمار زيارة الأربعين

وان المتامل والمتابع لهذه الزيارة يجد فيها ظاهرة الوفاء للرمز القيادي الروحي (الإمام الحسين عليه السلام) وولائهم لهذه الشخصية العظيمة.

وقد ذكر الله سبحانه الولاء بين المسلمين كقيمة اخلاقية اجتماعية عليا فقال سبحانه ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ التوبة:٧١.

ومن ثمارها:

١. إصلاح ما بين الفرد وربه عزَّ وجلَّ، وذلك بإصلاح سريرته وعلانيته، وبناء استقامته الأخلاقية على المراقبة الدائمة لله تعالى، وإحساسه بحضوره الدائم معه.
٢. تكوين الرقيب الأخلاقي الذاتي النابع من ضمير الفرد، والموجه لسلوكه والضابط لتصرفاته والمحاسب له على أخطائه وذنوبه.
٣. تقوية إرادة الفرد وإحساسه بمسؤوليته الذاتية في تهذيب غرائزه، وضبط انفعالاته.
٤. ترقية السلوك الإنساني، وجعله مجسماً للقيم والمبادئ والمثل الدينية والأخلاقية.
٥. ترقية النفس البشرية وتقوية عفتها وتحصينها من الانسياق في تيار الملذات ومهاوي الشهوات.
٦. غرس الأخلاق الكريمة والصفات الحميدة.

الاستنتاج

قدمت زيارة الأربعين بعداً أخلاقياً تميزت بممارسته من بين الزيارات الاخرى العالمية.

ولو تأملنا هذا الأمر سنراه يحتاج الى وقفة تأمل لما

تحمله هذه الزيارة من ابعاد اخلاقية واجتماعية سامية دون (ضغط أو إكراه أو إجبار) اذهلت الانسانية فأعادت اعتبار قيمها الأصيلة بعد أن كادت تندثر وتضعف.

وكأنما هناك شخصية موجهة روحية مؤثرة في هذه الجماهير الكثير بقوة إلهية توجهها الى المحافظة على القيم الاخلاقية، ولا يسع أي زائر أو متابع للزيارة حتى وان كان عبر قنوات الاتصال إلا أن يستجيب لها ويتأثر بدلالاتها.

ولذلك عندما نتطرق الى البعد الاخلاقي نجد ان زيارة الأربعين تمثل ثروة اخلاقية لا يمكن احصائها ومن شأنها ان تعالج الأزمات الاخلاقية المعاصرة التي عصفت بالمنظومة الأخلاقية عبر أعمال منظمة ومخطط لها.

كما ان لزيارة الاربعين دوراً مهماً في تفعيل البعد الاجتماعي واستتباب الأمن النفسي وتبني الحوار الاخلاقي بين جميع شرائح المجتمع.

وتفردت زيارة الأربعين في أبعادها الاخلاقية والاجتماعية الانسانية فلم نجد بمعلوماتنا المتواضعة حدثاً تاريخياً يُعنى بإحياء (القيم الاخلاقية وتطبيقها على أرض الواقع تطوعاً) لأيام مستمرة ومتتالية.

لذلك نستنتج ان هذه الزيارة تخلق عند الفرد الزائر حالة عالية من الضبط النفسي الداخلي، وتحمّل المسؤولية والانسجام مع الآخر، كما تخلق شعوراً عالياً بانتماء الفرد للجماعة، والجماعة للفرد، فضلاً عن حالة فريدة من العطاء والتسامي والإيثار والخدمة للآخر، وحالة عالية من التواصل الاجتماعي والحضاري، الداخلي والخارجي، وهذا الذي ذكر انما يشكل غيضاً من فيض، تسهم به وتشتمل عليه هذه المسيرة الأربعينية المليونية، التي تستحق تسمية مسيرة «الحب الحسيني».

التوصيات:

١. زيادة الاهتمام البحثي التحليلي في زيارة الاربعين وكيفية توظيفها في الارشاد الجماعي.
٢. التركيز على الفئات الشبابية لتربيتها بالقيم الاخلاقية لاهل البيت عليهم السلام.
٣. الارتقاء بالطاقات الفكرية ورفدها لتنمية المجتمع.

الهوامش

(١) وكالة نيوز الاخبارية العراقية ww.alliraqnews.com
(٢) محمد، عادل عبد الله (١٩٩١).
(٣) الشمري، هدى علي جواد (٢٠٠٨): ص ٧١٧-٢٥.
(٤) مؤسسة وارث، ص ٧٢.
(٥) بحار الانوار ٢/ ٣٠.
(٦) الطائي، ١٦٦ص.
(٧) بدر ناصر حسين ١٩٣١.
(٨) المنجد (١٩٩٢): ط ٣٣، ص١٩٤.
(٩) لسان العرب ٨٦ / ١.
(١٠) ناصر، ابراهيم (٢٠٠٦)، ص٢٢.
(١١) اسراء حسين جاسم، ٢٠١٦، ص١٠.
(١٢) مؤسسة وارث، ٢٠١٧، ص ٢٧.
(١٣) الحيدري كمال، ٢٠٠٥، ص ٣١.
(١٤) (قرعوش، ٢٠٠١:٢٥).

(١٥) ديوى، جون، (١٩٨٢): ص ٦١.

(١٦) البخاري ومسلم: ٣ .

(١٧) ناصر، ٢٠٠٦، ص٣٥٧ .

(١٨) جوهري، (١٩٩٩): ص ٤٥.

(١٩) (حميدة، ١٩٩٠، ٤٣).

(٢٠) النصراوي، ٢٠١٦.

(٢١) الصوص، ٢٠١٧.

(٢٢) ملكاوي، ٤١٩٣، العدد ٨٧، ٢٠١٧.

(٢٣) ملكاوي، ٤١٩٣، العدد ٨٧، ٢٠١٧ /Jordan.org index

(٢٤) محمد ٢٠٠٧، ص ١٣٤.

(٢٥) الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص ١٢٢.

(٢٦) الشيخ الصدوق، معاني الاخيار، ١٩١.

(٢٧) الري شهري، ميزان الحكمة، ج١، ص ٨.

(٢٨) ١٦٧ نهى الطائي.

(٢٩) جبار، وفاء كاظم (٢٠١٧)، ص١١٩.

(٣٠) أحمد، فاطمة أمين(١٩٩٩)، ص٢٥٠-٢٥١.

(٣١) إمام مختار، حميدة (١٩٩٦)، ص٢١.

(٣٢) علوان، عبد الله ناصح (١٩٩٩) ص١٣٥.

(٣٣) فهد، ابتسام محمد (٢٠٠٨)، ص٢٠.

(٣٤) (جابر، ١٩٨٩)، ص١٥٦.

(٣٥) الشمري، ٢٠٠٨، عمان ٢٢.

(٣٦) مراد، مصطفى (٢٠٠٥): خلق المؤمن، دار الفجر للتراث، القاهرة ٣٥.

(٣٧) الري شهري، ميزان الحكمة، ج١، ٧٩٨.

(٣٨) البياتي الاخلاق الحسينية، ص ٢٧٦.

(٣٩) مركز الرسالة، دور العقيدة في بناء الإنسان، ص٨٩.

(٤٠) الري شهري، ميزان الحكمة، ج١، ص٨٠٢.

(٤١) مركز الرسالة، دور العقيدة في بناء الإنسان.

(٤٢) فاروق رضاعة /elaph.com/Web/AsdaElaph/2009

(٤٣) منظور الأنصاري - ١٤١٤ هـ.

(٤٤) محمد بن مكرم بن علي.

(٤٥) الحيالي، علي شكر من ص ١٠ - ٥٥.

(٤٦) محمد عبد الله دراز ٢٠٠٣، ص١٠٣.

(٤٧) فروم ٢٠١٥، ص٤٨.

(٤٨) جبار، وفاء كاظم ص١١٣.

(٤٩) محمد الري شهري، ج ١، ص ٤٠٦.

(٥٠) أحمد، فاطمة أمين ١٩٩٩، ص٢٥٠-٢٥١.

(٥١) محمد محمود محمد ٢٠٠٧، ص ١٥١.

(٥٢) إبراهيم، ٢٠٠١، ص٩٦.

(٥٣) زينب عبد الامير .

(٥٤) جبار، وفاء كاظم، ص ١١٨.

(٥٥) النوري، ابتسام سعدون، ص٢٣١.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. أحمد، فاطمة أمين (١٩٩٩): استخدام المقابلة المهنية في خدمة الفرد في دراسة الشعور بالمسؤولية الاجتماعية لدى طلاب المرحلة الثانوية (دراسة وصفية)، مجلة كلية الآداب - جامعة حلوان، العدد السادس.

٣. إمام مختار، حميدة، (١٩٩٦): المسؤولية الاجتماعية لدى طلاب شعبة التاريخ بكلية التربية، مجلة دراسات في التعليم الجامعي، المجلد الأول، العدد الرابع

٤. البياتي، الاخلاق الحسينية، المكتبة الشيعية، shiaonlinelibrary.com

٥. البخاري ومسلم: ٣ .
٦. بدر ناصر حسين (٢٠١١): مفهوم الاتصال البعد النفسي والاجتماعي أنموذجاً، جامعة بابل – مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية.
٧. ثائر عباس النصراوي، مجبل عزيز جاسم، المضامين الاصلاحية في خطب الإمام الحسين مجلة الاصلاح الحسيني ٢٠١٦، مؤسسة وارث الانبياء للدراسات التخصصية.
٨. جبار، وفاء كاظم، (٢٠١٧) (دور المبلّغة الحسينية).
٩. جوهري، محمد ربيع محمد (١٩٩٩): أخلاقنا، مكتبة دار الفجر الإسلامية، المدينة.
١٠. جاسم، اسراء حسين (٢٠١٦): زيارة الأربعين منهج تطبيقي لفكر الإمام الحسين، مؤتمر واقعة الطف الثامن.
١١. الحيدري، كمال، (٢٠٠٥): مقدمة في علم الاخلاق، دار فراقد للطباعة والنشر، ايران قم
١٢. ١٢. الحيالي، علي شكرداود: السلوك والمنهج في نهج البلاغة، الجامعة العراقية ٢٠١٤.
١٣. الشمري، هدى علي جواد(٢٠٠٨): الأخلاق في السنة النبوية، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان.
١٤. الشيخ الصدوق، معاني الاخبار.
١٥. الري شهري ميزان الحكمة ج١.
١٦. عبد الامير، زينب: السلوك الاخلاقي للمنتسبة الحسينية.
١٧. ديوى، جون، ترجمة: عبد الفتاح السيد هلال (١٩٨٢): المبادئ الأخلاقية في التربية،٦١ الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة.
١٨. علوان، عبد الله ناصح (١٩٩٩): تربية الأولاد في الإسلام، المجلد الأول، دار السلام١٣٥ للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة.
١٩. الصوص، صفاء تحسين، (٢٠١٧) جامعة بلاد الشام، دور سبايا أهل البيت عليهم السلام في ديمومة العمل بالامر بالمعروف، المؤتمر العالمي النسوي الدولي مؤسسة وارث.
٢٠. الطائي، نهى حامد (٢٠١٦): تفعيل مشاركة المرأة العراقية خلال المسيرة الأربعينية.
٢١. محمد، عادل عبد الله (١٩٩١): اتجاهات نظرية في سيكولوجية النمو، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
٢٢. محمد مكرم على، جمال الدين: لسان العرب، بيروت، بدون سنة **w.kutub-pdf.com/book/** لسان– العرب.
٢٣. الأنصاري الرويفعى الإفريقى (١٤١٤هـ): القيم الاخلاقية للامام علي عليه السلام (المتوفى: ٧١١ هـ)، الناشر: دار – بيروت، الطبعة: الثالثة.
٢٤. قرعوش، كايد (٢٠٠١): الأخلاق في الإسلام/ كايد قرعوش عمان، الأردن: دار المناهج، ٢٠٠١، ط٢.
٢٥. فروم، التحليل النفسي والدين، ت محمود منقذ الهاشمي، ابو ظبي، دار الحوار ٢٠١٥.
٢٦. فاروق رضاعة، الزمان في فلسفة الإمام علي بن أبي طالب، جريدة ايلاف طالب **http://elaph.com/Web/AsdaElaph/200**
٢٧. فهد، ابتسام محمد (٢٠٠٨): بناء منهج للتربية الخلقية في ضوء الرؤية القرآنية، دار.

٢٨. مركز الرسالة، دور العقيدة في بناء الإنسان، ص٦١، w.aqaed.com/book/188

٢٩. مراد، مصطفى (٢٠٠٥): خلق المؤمن، دار الفجر للتراث، القاهرة.

٣٠. ملكاوي، فتحي حسن، (٢٠١٧): مجلة الفكر الاسلامي المعاصر، مجلة الكترونية تصدر من مركز معرفة الإنسان للدراسات الرقم الدولي ٤١٩٣، العدد ٨٧، Jordan.org/inde

٣١. مؤسسة وارث، (٢٠١٧): المرأة الزائرة في ظل الانفتاح الحضاري، المؤتمر السنوي.

٣٢. المنجد في اللغة والإعلام (١٩٩٢): ط ٣٣، دار الشرق، بيروت.

٣٣. معجم المعاني الجامع – معجم عربي عربي.

٣٤. المجلسي: بحار الانوار ٢/ ٣٠.

٣٥. محمد، عادل عبد الله (١٩٩١): اتجاهات نظرية في سيكولوجية النمو، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

٣٦. ناصر، ابراهيم (٢٠٠٦): التربية الأخلاقية، دار وائل للنشر، عمان.

٣٧. النوري، ابتسام سعدون (٢٠١٦): الدور الاجتماعي للمراة في تصوير القضية الحسينية لدى الاجيال (زيارة الأربعين انموذجاً)، المستنصرية.

٣٨. الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، المكتبة الشيعية الالكترونية.

٣٩. وكالة نيوز الاخبارية العراقية

ww.alliraqnews.com.

أثر زيارة الأربعين في إصلاح المنظومة الأخلاقية للمجتمع الإنساني

م. م. رنا فرحان طاهر الكاظمي

كلية الامام الكاظم عليه السلام للعلوم الاسلامية الجامعة / الديوانية

الملخص

إنَّ أهل البيت عليهم السلام هم خُزّان علم الله، وتراجمة وحيه، وصفوته من خلقه، وحملة رسالاته، وحججه على خلقه في تثبيت كل ما فيه خير وصلاح ورقيّ المجتمع الانساني وصلاح العباد وكمال الإنسانية.

ومن هذا المنطلق الحق نجد أنَّ أهل البيت عليهم السلام شدّدوا وبحسب الروايات التي تسابقت وتظافرت على ضرورة مواظبة المجتمع الانساني وليس الاسلامي وحسب، على زيارة الإمام الحسين عليه السلام في يوم الأربعين أي في العشرين من صفر من كل عام هجري، حيث ورد عن الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام أَنَّهُ قال: (علاماتُ المؤمنِ خَمْس: صلاةُ إحدى وخمسين وزيارةُ الأربعين والجَهْرُ ببسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم والتَّختُّمُ باليمين وتعفيرُ الجبين)[1]. ومن هنا فان زيارة الإمام الحسين عليه السلام يوم الأربعين من أهم علامات المؤمن بشكل خاص والفرد الانساني بشكل عام، وذلك لما تحمله تلك الشعيرة الحسينية الكبرى من معانٍ عظيمة تنحني الجبال إكباراً وإجلالاً لقدرها وهيبتها.

إن البشرية لا تعرف ما لهذه الزيارة من القيمة والفضل العظيم، لأن شرف معرفة فضل وثواب زيارة الحسين عليه السلام قد خُصت فقط بمحمد وآل محمد عليهم أفضل التحية والسلام لأنهم خلاصة الأنبياء والمرسلين وصفوة رب العالمين من الأولين والآخرين، فهي ثورة طرقت أعماق التاريخ الانساني ليصل دويها ومداها إلى مسمع كلّ الأجيال لتخطب فيهم وتنادي بأنّ الحقّ كان ولا يزال يحتاج الى وقفة عزٍّ وفداءٍ وبذلٍ وعطاءٍ كالذي فعله الإمام الحسين عليه السلام، وأنّ هناك طريقين لن يلتقيا إلى يوم القيامة حيث يفصل الله تعالى بين عباده ألا هما طريق الحق والهدى وطريق الباطل والضلالة.

لقد كان هدف ثورة الامام الحسين عليه السلام بناء الأجيال وإصلاح المنظومة الأخلاقية للمجتمع الانساني لأنه يعلم أنه سيقتل وعياله ستسبى ولكنه أصرَّ على البذل والعطاء من أجل تحقيق الهدف السامي في إيقاظ الضمائر وإصلاح النفوس البشرية وهذا ما نراه متجدداً في كل عام من زيارة الإمام حيث أنَّ الأعداد تزداد سنة بعد أخرى رغم أنوف الظالمين.

تبدأ الدراسة بواجهة مختصرة لشرح ماهية زيارة الأربعين ودورها الكبير في دحر الظلم والطغيان الذي أوجده أئمة الكفر عبر التاريخ. بعدها ومن خلال المبحث الاول تتم مناقشة التأثير الايجابي والدور الأخلاقي

لزيارة الأربعين في بناء الجيل الواعي للفرد أيّاً كان توجهه أو انتماؤه للدلالة على اتساع القضية الحسينية وعظم شأنها واحتواؤها للإنسانية أجمع، في حين يتناول المبحث الثاني الأبعاد الأساسية لزيارة الأربعين والآثار الجوهرية لهذه الأبعاد في المجتمع الإنساني ومنها البعد العقائدي والبعد الفقهي والبعد الروحي والبعد التربوي والأخلاقي. أما المبحث الثالث فيهتم بدراسة زيارة الأربعين كمناسبة للإصلاح، ويتشعب من هذا المبحث عدة محاور مهمة منها تكريس المثل والقيم الإنسانية، والاهتمام بالإنسان والمجتمع، وإرجاع الحقوق الإنسانية الى مستحقيها، ورفض المحرمات وإزالة المنكرات. في حين ان موضوع عالمية الامام الحسين في زيارة الاربعين تتم مناقشته في المبحث الرابع. وأخيراً تتناول الخاتمة أهم النتائج التي تمخض عنها البحث.

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

The effect of Arbaeen in the reform of the human society's moral system

Lecturer. Rana Farhan Tahir Al - Kadhimi

College of Imam Kadhim - Shiite endowment directorate

ABSTRACT

In the name of Allah most gracious most merciful and most peaceful and prayerful upon our master and prophet Mohammad and his virtuous family.

Ahlulbait was and still the keeper of Allah knowledge and the interpretation of his prophecy، his elite among his beings ،the bearers of his massages ،and the disproof upon his beings in confirmation all the goodness of human society and people righteousness. Therefore ،they (Ahlulbait) focused on the pilgrimage of Imam Hussain in the twentieth of Safar of each migratory year by the human world not only by Muslim world. Whereas Imam Al Askari said that ‘’the believer’s signs are five; the fifty-one pray ،the pilgrimage of Arbai’n ،the confession by the name of Allah most gracious most merciful ،right ringing ،and earthen the forehead. So ،the pilgrimage of Imam Hussain in Alarbai’n is the most important sign ،especially of the believer and generally of the human being ،because this great shaeira (ritual) bears great meanings that even mountains bow homage and aggrandizement for its status and magnitude.

As such ،the humanity does not know the great virtue of this shaeira since the honor of the grace of such pilgrimage is acknowledged by Ahlulbait only for their status as being the inheritor of all prophets and messengers and the elite of Allah among the headmost and the utmost. It is a revolution that knocked the human history to peak its manual and amplitude for all generations to declaim and speak that the right needs honor pause and sacrifice as Imam Hussain did. Moreover، there are two ways that cannot meet together till judgment day ،whenever Allah differentiates between his beings ،the right way and aberrance way. The aim of Imam Hussain’s revolution was to build the generations and reform the ethic system of the social society because he knew about his assault and his family’s captivity ،and so he insisted on sacrifice for achieving his supreme

aim in reveling the consciousness and reform the human souls. Thus ،this truth is continuous in Al Hussain's pilgrimage of each year and the numeral of pilgrims increase every year ،regardless of oppressive people.

The study begins with a brief impression about the big role of Al Arbai'n pilgrimage in defeating the oppression and injustice that are found by the oppressors cross history. Furthermore، the ethic and the positive role of Al Arbai'n pilgrimage are discussed in the first dimension that is contributed in building the intellectual generation regardless their pertinence or root which represents the greatness of Imam Hussain's matter. The second dimension deals with the basic aspects of Al Arbai'n pilgrimage and the essential impacts of these aspects in the social society that are ،the doctrine aspect ،spiritual aspect ،and the ethical aspect. While the third dimension، it studies Al Arbai'n pilgrimage as a reformation occasion and this dimension is classified into different aspects as devotion of apotheosis and human virtues ،the interest with the human being and society ،the restoration of rights for their owners ،refusal of forbidden and remove of taboo. Whereas the matter of universality of Al Arbai'n pilgrimage is dealt with in the fourth dimension. Then ،the conclusion sums up its main findings.

Finally ،praise be to Allah and peace be upon our prophet and his virtuous family.

المقدمة

زيارة الأربعين ثورة ضد الظلم والطغيان

تعتبر زيارة الأربعين المباركة من الظواهر الاجتماعية التي عززت المذهب الشيعي بالمنازل الرفيعة وبانت على أشدها على مستوى الفرد والجماعة، حيث يشارك فيها كل أفراد وطبقات المجتمع العراقي وعلى مختلف انتماءاتهم الفكرية والدينية في تجمع إنساني يعد الأضخم والأكبر من حيث العدد والأطول مدة على مرّ التاريخ الإنساني.

وكلما مرَّ الزمان نرى أنَّ هذا الاعجاز الالهي يزداد عاماً بعد عام حيث بدأت هذه الزيارة ببضعة ملايين في السنة التي سقط فيها نظام البعث لكننا نرى اليوم أن عدد الزائرين قد بلغ العشرين مليوناً، وهذا لوحده إعجازٌ إلهيٌ قد ارتبط بمعاجز الامام الحسين عليه السلام، لأن الإمام ضحى بكل شيء وبكل ما يملك في سبيل الله حتى بالطفل الرضيع فأعطاه الله كل شيء.

ومن المعروف بأن المشي لهذه المسافات الطويلة جداً يحتاج الى قابليات جسدية جسيمة واستعدادات نفسية هائلة كي يتمكن الفرد من خلالها مواصلة السير وبخطى ثابتة وبشكل مستمر. ومن الجدير بالذكر ان الزائر ماشياً على الاقدام يحتاج إلى المؤونة من الطعام والشراب والمنام والراحة وهذا كله مهيأ بالإعجاز الالهي إذ أنَّ عناية الله عز وجل وبركات أهل البيت عليهم السلام مكّنت الحسينيات والمواكب والمسؤولين على خدمة الزائرين من استيعاب هذه الملايين وتوفير كل ما يحتاجونه من مأكل ومشرب وكذلك توفير الرعاية الصحية المتكاملة التي من شأنها أن تعالج كل ما يتعرض إليه الزائر الماشي من العوارض الصحية الطارئة أو ما كان من الأمراض المزمنة التي أصيب بها بعض الزائرين في وقت سابق قبل الشروع بالمشي، بالإضافة الى عامل الخوف والرعب المصاحب لهذه الرحلة حيث الاختلاف المذهبي المعارض لمثل هذه المسيرة الراجلة والثورة الكبرى التي يذعر لها كل قلب خالٍ من المحبة لأهل البيت وأتباعهم ويشعره هذا الزحف الكبير نحو قبلة العاشقين بالخوف والغيظ والحنق الامر الذي يقود الحقد الاموي الوهابي الى ارتكاب أبشع الجرائم الخارجة عن العرف الإنساني والتي يعتقد أنها ستمنع أو تحد من هذه المسيرة الحسينية اللاهوتية. والعالم بأكمله يعلم ما لاقاه ويلقاه الزائرون من القتل والتفجير والرعب على أيدي عصابات التكفير والضلال الوحشية المرتزقة التي باعت ذمها بالدينار والدرهم ليعترضوا سبيل الزائرين ومنعهم من هذه الشعائر المقدسة التي تزلزل عروش الطغاة.

لذا استمر السيل الجماهيري بالتدفق نحو قبلة العاشقين ضريح الامام الحسين عليه السلام لأداء زيارة الأربعين بالرغم من الحقد الأموي والعباسي والسلطات المتعسفة المتعاقبة على امتداد التاريخ التي حاولت بكل السبل منع هذه البيّنة وقطع الصلة بين الأمّة والحسين عليه السلام عبر قطع الأيدي والرؤوس.

وبالرغم من تسلط وجبروت الحكومات الظالمة عبر التاريخ لم يمنع من بقاء التعلق الوثيق، بل كان عاملاً في تعزيز وتمتين الارتباط والإصرار على زيارة الحسين عليه السلام، وهذا يشير الى وجود حقيقة غيبية إذ إنّها

قطعاً ليست أسراراً اعتيادية، بل هي ألطاف إلهية شملت أولئك الأحرار الذين عشقوا الحسين عليه السلام ولم يقبلوا أنْ يكونوا من جنس تلك الشريحة الفاسدة التي امتدت سيوفها نحو نحر الحسين عليه السلام، فصرحت وأعلنت امتناعها ورفضها لذلك النمط والمنهج الأموي الحاقد على الرسول وآل بيته الميامين عليهم السلام.

ومن هنا فقد وضعنا التاريخ على علم بالقرارات الظالمة التي أطلقها المتوكّل العباسي بقطع يد الزائر الحسيني عندما يهمّ بالدخول إلى الحضرة الحسينية المقدسة حيث يُطالَب بمدّ يده لقطعها فيعطيهم اليد اليسرى فيقولون له: نروم لقطع اليد اليمنى، وإذ به يباغت القوم: لقد قطعتموها في العام الماضي.

المبحث الأول: الآثار الإيجابية لزيارة الأربعين (الدور الأخلاقي لزيارة الأربعين في بناء الجيل الواعي).

أثمرت زيارة الأربعين على مدى الأعوام الماضية عن تجسيد مقولة العلّامة الراحل د. حسين علي محفوظ «الدين هو الحب والحب هو الدين»[٢] بشكل حقيقي وملموس، حيث أنَّ الحُبَّ يجسد العامل المشترك والمحرّك الاساس لهذه الشعيرة الروحية والنفسية بدءاً بحب الله سبحانه وتعالى، حبّ القرآن الكريم، حبّ النبي الأكرم وحفيده الحسين عليهما السلام، حبّ البشرية الإنسانية، حبّ القيم والمبادئ العليا، حبّ التعايش السلمي بين الناس، حبّ الحياة الحرة الكريمة، وحبّ الغد المشرق.

من هنا شكّلت زيارة الأربعين الماراثونية لأكثر من عشرين مليون انسان عراقي مع عدة ملايين من الضيوف الأجانب القادمين من ستين دولة، ظاهرة اجتماعية أخلاقية وإنسانية مؤثرة وفعالة تركت أبعاداً وآثاراً إيجابية جديرة بالمراقبة والبحث والتحقيق والدراسة والتوقف عندها بعد فرزها لحالات وظروف رائعة وأبعاد إيجابية من شأنها أن تشكل حافزاً قوياً للنهوض بمجتمعنا الى مصاف المجتمعات المتقدمة. وبذلك فإنها تنتج واقعاً آخرَ على عكس الواقع المرير من أوضاع وحالات التدهور والنكوص وتفشي الفساد الاداري والمالي في إدارات الدولة التي ابتلينا بها والتي اصطنعتها جهات معادية للعراق ومجموعة الفاسدين والمفسدين الذين كانوا وراء فشل المشروع العراقي الشامخ.

من هنا نجد أنَّ الثورة الحسينية المعاصرة المتمثلة بزيارة الأربعين انتجت العديد من الدروس والعبر والعوامل الايجابية المبهرة المتمثلة بالظهور بمظهر انساني، سلمي، مدني، وحضاري أمام العالم أجمع، مما أذهل المتابعين والمستشرقين بالرغم من التضليل والتعتيم الاعلامي الدولي المعادي لفكر آل بيت الرسول عليهم أفضل الصلاة والسلام، وأنها ساعدت في شيوع مشاعر الإخاء والمحبة والوئام والتعايش وحب الحياة والتضحية في سبيل الآخر، وبروز وانتشار حالات إيجابية من العطاء والتفاني والتضحية والايثار والكرم والضيافة، كما إنها أبرزت وانتجت الشعور والاحساس بحالة من الصحة والعافية بعد ممارسة رياضة المشي التي يوصي بها أطباء العصر الحديث.

هذا وقد ساهمت هذه الرحلة الروحية في مغادرة حالة القلق وضجيج الحياة، والانطلاق بسياحة فطرية في فضاءات الهواء الطلق حيث الانفصال الاختياري عن روتين العمل اليومي والتغيير الايجابي للقاء الجديد من الوجوه المستبشرة، وهذا بطبيعة الحال يقود الى الشعور بالقوة في السير الجماعي نحو هدف أعلى في الحياة، نحو القيم الشامخة والقمم الانسانية والانموذج الالهي ونحو القدوة الحسنة التي باتت نادرة في الحياة العامة، أضف الى ذلك ان هذه الرحلة الروحية تساهم في الحصول على فرصة للحوار مع الذات البشرية ومراجعة النفس في القضايا العامة المهمة وتحديات الحياة اليومية خلال ساعات السير الطويلة وتعلم فن صناعة السعادة من امور بسيطة ودون تكاليف باهظة.

ولا ننسى الدور الرائع للمجتمع العراقي الذي افرز نماذج رائعة من العراقيين الاباة الذين اجتذبوا الاعلام وعدسات الكاميرات وأنطقوا الأقلام الصامتة مما ساعد في الشعور بالطمأنينة التي لم تأت من امتلاك المال والثروة ما يثبت بأن ليس كل الأغنياء سعداء ولا كل الفقراء تعساء، كما أن هذه الرحلة تعزز الثقة بالنفس والقناعة بالإمكانيات الذاتية وترويض النفس الأمّارة بالسوء، وتنتج الشعور الانساني المتأجج بالتنوع في بحر يموج بكتل بشرية متنوعة الاعراق والثقافات. ومن هنا فان الشعور بالعدالة الانسانية في فضاء لا يفرق بين الوزير والأجير ولا يفاضل بين الأمير والفقير الى حد ما يعني أنَّ هذه الزيارة وفرت فرصة ذهبية لإعادة النظر بأفق فهم الانسان لدوره المطلوب في حياته ومحاربة العنف والارهاب من خلال التلاحم والالتحاق في صفوف لواء المحبة والتعايش السلمي وقبول الآخر، حيث تساعد هذه الرحلة على نبذ العقد النفسية العالقة نتيجة الخلل في الثقافة الموروثة من الجهل والظلم والضلالة وتعزز الشعور بالمسؤولية الاخلاقية والوطنية لبناء الوطن والعمل على طرد المفسدين.

اضافة الى ما تقدم فإن هذه الشعيرة تساهم بشكل كبير وملفت للنظر في تمكين الغربيين على فهم الإسلام من خلال توافد عشرات المستشرقين وانخراطهم في هذه المسيرة، فدرسوا التراث والنصوص والمعالم الدينية وعلى أساسها رسموا صورة معينة عن الإسلام وأحوال المسلمين، حيث قادهم بحثهم الى دراسة الحج وبحثوا في أمر البقاع المقدسة عن طريق القرآن الكريم والأحاديث الشريفة وسائر مصادر العلم والمعرفة والأدب مما ساعدهم على إيجاد الطريقة الأفضل للتعامل مع الشعوب الاسلامية وتحديداً الانسان المسلم، وهذا ينافي الاعتقاد بان عهد الاستشراق قد طواه الزمان واستنفد أغراضه لأنَّ معطيات الواقع الحالي تشير الى أنَّ الغربيين الذين يرون أنفسهم رعاة الحضارة المعاصرة ما يزالون يبحثون عن ما خفي عليهم من حقائق تتعلق بالحضارة والإنسانية، وإنْ لم يكن تحت عنوان الاستشراق، فإنه ربما يأخذ عناوين أخرى جديدة.

وتُعدُّ النهضة الحسينية من أبرز الحقائق الكبيرة التي لم يتوصلوا بعدُ الى صورة متكاملة لها حيث انها

باعتقادهم تمثل الحدث التاريخي الأهم ذا الدلالات العميقة وتمثل ثقافة وفكراً تتبناه شريحة واسعة في الأمة يتجلى في إحياء ذكرى الامام الحسين عليه السلام ضمن شعائر وطقوس خاصة في أيام عاشوراء وأيام زيارة الأربعين.

ان هذه الظاهرة الثقافية والشعيرة الروحية تكشف لهم حقيقة عالمية النهضة الحسينية لأن البعد الإنساني في القضية كان العلامة الاولى التي شخَّصها الغربيون سريعاً من أول يوم سمعوا فيه بخبر الواقعة وربما قبل أكثر من ألف عام، لكن الجديد في القضية الحسينية هو الأبعاد الواسعة لهذه العالمية، ففي الماضي كانت القضية في طيات الكتب المخطوطة وفي أدمغة المستشرقين وأهل العلم والمعرفة وهم معدودون في بريطانيا أو فرنسا، في حين ان النهضة الحسينية اليوم وأبعادها الانسانية تخترق مشاعر الاطفال والنساء وتفاصيل حياة الانسان الغربي، بل أي إنسان في العالم بفضل النمو في تقنية الاتصالات ووسائل الأعلام.

من هنا فان هذا التطور الجديد في أمر شيوع النهضة الحسينية وانتشارها في جميع بقاع المعمورة يضعنا أمام استحقاق جديد لمواكبة هذا الانتشار بالوعي الكامل بكل تفاصيل القضية الجوهرية، لأن اللوحة الجديدة التي تنعكس من النهضة الحسينية ستحمل معها مشاهد الزحف المليوني للزائرين في الأربعين الحسيني، ومنها مشاهد المواكب الحسينية الخدمية والتفاعل المثير للطفل والمرأة والمعوّق وغيرهم مع هذه الزيارة. ففي الماضي – على سبيل المثال في القرن السابع الميلادي – عندما يسمع الانسان الغربي عن حادثة استشهاد الامام الحسين عليه السلام فإنَّ المعنيين بأمر الثقافة في البلاد الغربية يجدون أنفسهم مطالبين بملء هذا الفراغ الذهني الجديد بما يرونه مناسباً لهم، والإجابة عن التساؤلات وتقديم التفسيرات لما جرى كما حدث تماماً بالنسبة للدين الاسلامي عندما وصل الى المجتمعات الغربية من خلال الكتب المترجَمَة والمطبوعات العامة وانتشار المبلغين وغيرهم، من ثم جاء دور السينما و(فيلم الرسالة) لتقريب الصورة أكثر الى الاذهان، اما الان فان الصورة الواقعية حاضرة في كل بيت ولا تحتاج الى دليل على درجة الوعي للإنسانية اجمع بكل ما يتعلق بالنهضة الحسينية.

المبحث الثاني: الأبعاد الجوهرية لزيارة الأربعين المليونية

ليس من الغريب ان تكون هذه الثورة الاصلاحية العظيمة إحدى العلامات التي تخص المؤمن والفرد الانساني، فهي دلالة وعلامة ينالها الإنسان بالدم والفداء والتضحية كما انها أصدق تعبير عن الحبّ والولاء لعترة النبي عليه افضل الصلاة والسلام مقابل من أبروا والتزموا طاعة الشيطان وطاعة آل أبي سفيان. لذا كانت هذه الزيارة وما زالت واحدة من الأمور التي حفظت وأرست مسار ديمومة الطريق الحسيني وأدامت توهجه نبراساً ونوراً لا ينطفئ إلى يومنا هذا.

اذ إنها المعين الصافي الذي نهل منه المناضلون والشهداء روح الفداء والعطاء والتضحية فبذلوا الارواح والمهج والأنفس لدوام وحفظ دين الله تعالى ورسالة النبي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله ونهج أهل البيت

المعصومين عليهم السلام، من هنا فان لعرفان فضل زيارة الإمام الحسين عليه السلام في يوم الاربعين آثاراً وأبعاداً عديدة ومتنوعة منها:

أولاً - البعد الروحاني

من حيث البعد الروحاني فان الامام الحسين عليه السلام هو العالم والعارف بالله تعالى، وهو الذي انصهر في حب الله تعالى فوهب لله تعالى كل ما يملك حتى طفله الرضيع، فكرَّمه الله تعالى بكل الأمجاد والكرامات الجليلة في الدنيا والمنازل الرفيعة في الآخرة، وبذلك فان الزائر الحسيني سيعرف الله تعالى كما يعرِّفه له الإمام الحسين عليه السلام من خلال فدائه وتضحيته لدينه بكل ما يملك، ومن خلال كلماته المنيرة وأفعاله البهية وسجاياه الرفيعة ونهجه الصحيح، حيث ان الموالين يتوافدون عبر مئات السنين بل ان الزيارة تمتد إلى ذات السنة التي قتل فيها الحسين بن علي عليهما السلام -سنة ٦٠ هجرية- حيث أن الأخبار دلّت على أن الذي قام بالزيارة الأربعينية الأولى هم جمع من المسلمين كان في مقدمتهم الصحابي الجليل - جابر بن عبد الله الأنصاري- وهذا الرجل معروف بحبه وولائه لأهل البيت عليهم السلام وللحسين بشكل خاص. ومنذ ذلك الحين والمسلمون بل حتى غير المسلمين يتوافدون على هذا الضريح الشريف في يوم الأربعين، والغرض من ذلك هو تكوين علاقة وطيدة بين الناس بصورة عامة والمسلمين بصورة خاصة وبين صاحب هذا الضريح الشريف باعتباره أمام مفترض الطاعة حسب مذهب أهل البيت لأنه خامس أصحاب الكساء عليهم السلام أولاً، وباعتباره الثائر الأول على طاغية زمانه وبذل في نهضته وثورته هذه كل أهل بيته وأصحابه وأولاده ونفسه وعرّض عياله إلى السبي ثانياً. وليس هذا وحسب وانما طيف برأسه بين البلدان هو وأهل بيته وأصحابه بمسيرة امتدت لأكثر من أربعين يوماً ذاقت خلالها العائلة النبوية الكريمة كل ألوان الخوف والقمع والحرمان.

ثانياً - البعد العقائدي والفقهي

وبالنسبة للبعد العقائدي والفكري فإن الزائر الحسيني وإن لم يكن مسلماً فهو سيبحث عن الإمام الحسين عليه السلام أي أنه سيبحث عن نهج وسيرة الإمام الحسين عليه السلام من حيث أخلاقه، عقائده، ومبادئه، لاسيما في التوحيد.

وعندما يتوصل الى العقائد الحقة التي يحملها الإمام الحسين عليه السلام يقوده ذلك الى الاعتقاد بها لأنه يعتقد بمن لا يعتقد إلا بالصدق والحق، لإيمانه المطلق بذلك، وبذلك يكون هنالك اعتقاد بعقائد ومبادئ شيعة اهل البيت عليهم السلام ونبذ كل عقيدة تنافر ذلك كعقيدة التجسيم التي يعتمدها ويتبناها الفكر الوهابي المقيت، كما إن البعد الفقهيّ لزيارة سيد الشهداء عليه السلام يتضمن الفقه، وحقيقة الفقه الذي هو مكنون عند النبي وآله الهداة المعصومين لأن النبي صلى الله عليه وآله علمه من الله تعالى وهو الشارح والمفسر للقرآن الكريم وإنَّ علوم ومعرفة اهل البيت عليهم السلام هي من النبي صلى الله عليه وآله الذي علّم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ألف باب من العلم يفتح له من كل باب ألف باب بحسب تعبير الروايات والأحاديث الواردة ومن هذه العلوم

علم الفقه. لذا فإن الحكم الشرعي الأصيل المطابق للحكم الحقيقي الواقعي لا يكون إلا عن النبي ﷺ وآله عليهم السلام، ومن هنا فان الزائر الحسيني سيأخذ الحكم الفقهي المنبثق من الإمام الحسين والأئمة عليهم السلام وبهذا سيكون قد تخلى عن كل رأي فقهي خالف رأي الإمام الحسين والأئمة من اهل البيت عليهم السلام، وتعليل هذه الحقيقة يكمن في كون الزائر يؤمن بأن لا رأي يقف أمام رأي أهل البيت عليهم السلام، لذا سينمحق المنهج الفاسد المعزو الى الفقه كمنهج القياس والرأي.

ثالثاً - البعد الاخلاقي والتربوي

وبما ان جوهر هذه الدراسة هو بيان أثر الزيارة الاربعينية في إصلاح المنظومة الاخلاقية للمجتمع، لذا فإن البعد الأخلاقي والتربوي يأخذ حيزاً كبيراً في إرساء دعائم هذه الشعيرة المقدسة، لأن الأخلاق الانسانية تُعدُّ وعاء الدين الاسلامي وأنها أول ما يوضع في ميزان الانسان وتمثل الجمال الحقيقي له، فالمجتمع الانساني لابد له من الأخلاق كي يعيش في أمان وسلم، ولكي يرعى بعضه البعض إذ ان الفرد والأسرة والمجتمع بأكمله يحتاج الى الاخلاق لأنها الاساس في التعامل والتعايش السلمي للبشر.

ومن ثمار زيارة الإمام الحسين عليه السلام هي التعرف على أخلاق وسجايا الإمام الحسين عليه السلام لينظر الزائر ويتعلم من الامام عليه السلام كيف كان يعفو عن المسيء، وكيف كان صبره وحلمه على من أغاظه وأغضبه، وكيف كان سخاؤه على الناس بغض النظر عن لونهم او دينهم، وكيف كانت شجاعته ومروءته، وكيف كان حفظه للسر، وكيف كان أداؤه للأمانة، وكيف كان إكرامه للضيف، وكيف كان يرد الكلمة الخبيثة بالكلمة الطيبة والفعل البذيء بالفعل الجميل الحسن.

إذا عرف الزائر هذه السجايا فإنه سيحاول التخلق بتلك السمات والاخلاق الراقية النبيلة العظيمة، وبهذا يسمو الفرد والأسرة والمجتمع ويتكاملون تكاملاً أخلاقياً ضمن منظومة متكاملة من المزايا والصفات النبيلة في إطار من الصواب والوعي والعلم والفكر والمعرفة العقائدية الحقة. وهناك أبعاد أخرى لزيارة الأربعين ونتائج عظمى سنتوصل لمعرفتها من خلال البحث.

المبحث الثالث: زيارة الأربعين مناسبة للإصلاح:

أولاً - تكريس المُثُل والقيم الانسانية

كانت زيارة الاربعين وما زالت موسمَ الرفد والعطاء السماوي وموسم الفضيلة والتقى والأخلاق الحميدة. كما ان عاشوراء العطاء هو موسم العلم والمعرفة وآية لانتصار مبادئ الحق على جيوش التيه والضلال، وإذا كان رفده وعطاؤه قد بلَغَ غاندي محرِّر الهند الذي تعلمَ من الحسين عليه السلام كيف يكون مظلوماً لينتصر، فإنّ المسلمين عامة وشيعة الإمام عليه السلام خاصة أجدر بهذا الرفد والعطاء، فالإنسانية جمعاء تدرك نعمة المطر الذي ينزل من السماء ليحيي الله به الأرضَ بعدَ موتها، اذ إن الاستفادة منهُ على الوجه الأكمل تمكّن الانسان من الحصول على مختلف الثمار

والأزهار حيث تمتلىء الأرض بالحدائق والقلوب بالبهجة، فإذا هبطت نسبة الانتفاع من المطر هبطت نسبة المكاسب التي يُتوقّع نيلها أيضاً فإن لم يستفد منه فإنّه يتسرّب إلى جوف الأرض وبذلك يضيّع الإنسان النعمةَ التي أعطاها الله إليه وربّما تجمع في المنخفضات ليتحوّل إلى ماء آسن وراكد يحملُ الأمراض والميكروبات التي تكون مورداً لكثير من الأوبئة. كذلك الحال في ملحمة كربلاء الحسين عليه السلام فهي كالمطر الذي قد يحوّل العصاة والطغاة ببركات الحسين وزيارة الحسين عليه السلام الى نماذج تفتخر بهم الامم أو قد يتحولون إلى نقيض أهداف زيارة الحسين المثالية وذلك حينما تنتهز هذه الشعيرة لقتل الناس الأبرياء وحرق المساجد والحسينيات والمنشآت المدنية والتعدي على المواكب العزائية وتكريس الفرقة والاختلاف كما تفعله بعض المجموعات الارهابية تنفيذاً لمخطط الاستعمار (فرِّق تَسُد).

وفي الجانب الآخر يُستفاد من الزيارة الاربعينية لإحياء ذكرى سيد الشهداء عليه السلام وما يحفُّ بها من السمات المعهودة، ولا شك في أنّ هذه الشعيرة من أبرّ وأقرب القربات الموجبة لصلاح الدنيا والآخرة، كما ان قول الله سبحانه: ﴿يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِها..﴾[٣] يستوجب الانتفاع من هذه الشعيرة المقدسة أفضل انتفاع وأتم توظيف وفي شتّى مجالات وأبعاد الحياة، وهذا يكمن في قوله سبحانه وتعالى في باب التمثيل: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحاجّ وَعِمارَةَ المَسْجِدِ الحَرامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ واليَوْمِ الآخِرِ وَجاهَدَ فى سَبيلِ اللهِ..﴾[٤] لذا فإنّ (السقاية) و(العمارة) من أفضل القربات عند الله سبحانه، في حين ان تكريس الإيمان والجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى والعمل وفق أعرافه وسننه أرجح وأقرب من السقاية والعمارة بمنازل ودرجات كبيرة عند الله تعالى.

كما ان هذه الدراسة تهدف إلى بيان السبيل الأمثل والأشمل للانتفاع من هذه الفرصة وتوظيفها على الوجه الأحسن لخدمة الدين والبشرية ولإنقاذ الإنسانية من الجهل والتخلف والضلالة، وبذلك يكون من واجب كل إنسان حرّ الاستفادة من ألطاف ورحمة الله تعالى المكنونة في زيارة الأربعين لتركيز الإيمان والعفاف والورع والمثل الأخلاقية السامية في المجتمع الإنساني وإن تحلي الانسان سواء كان مسلماً أم لا بالصفات النفسية العالية يمنحه المناعة من الأمراض النفسية التي شاعت في الكون المادي، وموسم الربع الحسيني وما يصاحبه من شعائر عزائية تقود الى توسعة دائرة المُثُل الاخلاقية الرفيعة والقيم الحسينية السامية لاحتوائها على منازل ورتب.

ومن الضروري أن يجعل هذا الموسم العبادي نقطة الانطلاق للتوجيه والتبليغ ونشر أحكام الله سبحانه وتعالى وتعاليم الرسول صلى الله عليه وآله الداعية إلى التعايش السلمي بين افراد المجتمع وتوطيد روح الأخوّة الإنسانية والسلام وتطبيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتجسّد هذا المفهوم في قول الإمام علي عليه السلام: (الناس صنفان: إمّا أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق)[٥]، حيث ان الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والإمام علي أمير المؤمنين والإمام الحسن عليهما السلام جاهدوا من أجل تطبيق هذه المفاهيم والقيم الانسانية وتركيزها في المجتمع، وكان الامام الحسين عليه السلام الامتداد الطبيعي لنهج الرسول صلى الله عليه وآله ونهج خليفته

امير المؤمنين من بعده في ثورته الميمونة ونهضته ضد الظلم والطغيان وقوى الشرك والنفاق وكان هذا جلياً في قوله المشهور: (إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجتُ لطلب الإصلاح في أمّة جدّي وشيعة أبي علي بن أبي طالب عليه السلام)[٦].

كما انه عليه السلام قال: (نحن وبنو أميّة اختصمنا في الله عزّ وجلّ قلنا: صدق الله، وقالوا: كذب الله، فنحن وإياهما الخصمان يوم القيامة)[٧]. ومن أقواله عليه السلام أيضاً: (اللهم إنّك تعلم أنّه لم يكن ما كان منّا تنافساً في سلطان، ولا التماساً من فضول الحطام، ولكن لنرى المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، ويأمن المظلومون من عبادك، ويعمل بفرائضك وسننك وأحكامك..)[٨].

وبهذا فان الشهرين المباركين محرّم وصفر- وعلى وجه الخصوص موسم زيارة الأربعين العبادي من أفضل الأوقات للدعوة للإسلام ومذهب التشيّع ونشر مبادئ الحق، قيمه، واعتباراته، وهذا ما تضمَّنه الحديث النبوي الشريف: (ما أخذ الله على الجهّال أن يتعلّموا إلاّ وقد أخذ على العلماء أن يعلّموا)[٩]. وقال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: (إذا ظهرت البدع في أمّتي فليُظهر العالم علمه وإلاّ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)[١٠]، وعن الامام علي عليه السلام انه قال: (وما أخذ الله على العلماء أن لا يقارّوا على كظة ظالم وسغب مظلوم)[١١].

ثانياً - الاهتمام بالإنسان والمجتمع

تعتبر زيارة الأربعين موسم الرفد الالهي الذي ينشر رحماته على الانسانية اجمع وهذا يتجسد في دور المؤسسات الدينية والمجالس الحسينية والمواكب العزائية بالاهتمام بالشباب والنساء وكبار السن والأطفال، حيث يمثل الشباب عماد المستقبل، والتغافل عنهم يؤدي الى انحرافهم عن المنهج الصحيح والأفكار السليمة وانخراطهم مع التوجهات المريضة وسقوطهم في مصائد الإلحاد والفساد والإفساد، وبذلك تتحول تلك القوى الشبابية الخيرة إلى معاول للهدم والخراب. فالاهتمام بالطاقات الشبابية يتجسد في الاهتمام بتنشئتهم وتأهيلهم وتثقيفهم وتوفير العمل الشريف لهم وتزويج عزّابهم الخ. كذلك النساء كان لهن نصيب من الاهتمام، فلكونهنّ وجدانيات فإنهنّ معرّضات للاستغلال من قبل المفسدين في الأمور المحظورة والمنافية للطهر والعفاف والمبادئ الاجتماعية فتكون أنوثتهنّ بضاعة لاستدرار المال للفاسدين، ومن الواجب تزويج النساء لئلا يتركن عوانس لأن العنوسة توجب العلل النفسية والجسدية فضلاً عن الاجتماعية، ومن الواجب إرشادهن وإرشاد آبائهنّ وأزواجهنّ أيضاً لكي يكون الترابط بين الزوجين إنسانياً وفقاً للضوابط الإسلامية التي تضمن حقوقهنّ المشروعة وتوفر للجانبين الحياة المرفهة، كما ورد في الحديث الشريف: (عَلِمَ الله ضعفهنّ فرحمهنَّ)[١٢]. كما ان كبار السن أولى بالعطف والرحمة حيث قال الإمام علي عليه السلام في رجل نصراني يتسول: (استعملتموه حتّى إذا كبر وعجز تركتموه)[١٣] فإهمال العجزة وكبار السن خلق المجتمع المتخلّف، وحيث ان الشباب مرشح لأن يكون من العجزة في المستقبل فانه لم يراعِ ويحترم العجزة وكبار السن

فمعناه أنه لم يوقر ويحترم نفسه.

وهذا مصداق قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ وإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَها..﴾[١٤] وكذلك الحال بالنسبة لفئة الأطفال، لأن الأمم التي تبحث عن سعادتها ومستقبلها لا بدّ لها أن تلتفت وتهتم بجيلها المستقبلي وذلك بأن يكون سليم الجسم، خالياً من العقد النفسية كون الأطفال عون للآباء والأمّهات وما يتناولونه ويأخذونه من آبائهم واسرهم ومجتمعهم يسترد عبرهم بعد أعوام و(من لا يحسن لا يُحسن إليه) و(ما أعطيته بيدك اليُمنى تأخذه بيدك اليسرى).

ثالثاً - إرجاع الحقوق الإنسانية الى مستحقيها

تعتبر ثورة الامام الحسين عليه السلام درساً مهماً لتنظيم الواقع السياسي للإنسانية إذ يستفاد من واقعة الطف في حل المعضلات السياسية التي تعاني منها الأمم، ومنها مشكلة الظلم والاستبداد والدكتاتورية الغالبة في العالم الثالث، وفضح الحكام الطغاة الذين اتَّخذوا عباد الله خولاً وأموالهم دولاً ودينهم دغلاً، كما إن المنافع الشخصية للطبقة السياسية تستوجب وجود التحيز والفرقة والاستعباد بين الناس، فالإمام الحسين عليه السلام جاهد وناضل للقضاء على هذا الظلم والطغيان، أليس هو القائل: (إنما خرجتُ لطلب الإصلاح في أمَّة جدّي وشيعة أبي علي بن أبي طالب أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر..)[١٥]. كما إنه قال (على الإسلام السَّلام إذا بُليت الأمّة براع مثل يزيد، ولقد سمعتُ جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: الخلافة محرّمة على آل أبي سفيان)[١٦]. وقوله صلى الله عليه وآله أيضاً: (إنّا أهل بيت النبوّة ومعدن الرسالة... ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله)[١٧].

وفي هذا الدرس الانساني والاخلاقي القويم يكمن سرّ محاربة الطغاة للإمام الحسين عليه السلام فكراً ومسلكاً ونهجاً وبلداً وحرماً وزيارةً وشعائرَ وطقوساً دينية ومصاباً وبكاءً وذكراً. حيث قال عليه السلام: (ألا وإنّ الدّعي بن الدّعي قد ركّز بين اثنتين، بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأنوف حميّة ونفوس أبيّة من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام)[١٨].

ان ثورة الامام الحسين عليه السلام وزيارته يوم الأربعين تعد صرخة حق ضد العرقية والعنصرية التي تعاني منها أغلب بلدان العالم حتى التي تطلق على نفسها البلدان المتمدنة، فالتمييز العرقي والفروق اللغوية والجغرافية والقومية والعنصرية هي المتسلطة والحاكمة في العالم لذا جاءت ثورة الامام الحسين عليه السلام المتجسدة في زيارة الأربعين لتكون درساً اخلاقياً واجتماعياً وتربوياً لتربية وتعليم الامم على نقض هذه الثقافات الدخيلة المتخلفة، ويستفاد من زيارة أبي الشهداء عليه السلام في إطفاء نار الفتن الطائفية والحروب الاهلية التي أضرمتها الدوائر الاستعمارية وقوى الضلال في بلادنا منذ أمد بعيد، حيث ان ٨٠٪ من صراعات العالم الخارجي مسرحها الدول الإسلامية. ولقد ساعدت زيارة الاربعين واستذكار النهضة الحسينية في إيجاد المنظمات الإنسانية لإنقاذ البشرية من الجوع والفقر والمرض ويتم حل المشاكل

التي تواجه المجتمع عن طريق قيام الخطباء بأداء دورهم الديني، وقيام المؤسسات والهيئات الإدارية للمساجد والحسينيات بتوزيع الكتب التربوية والتوعوية والتثقيفية، وكذلك قيام وسائل الإعلام بأدوارها الحقيقية، تنفيذاً لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذينَ آمَنُوا مِنْكُمْ والَّذينَ أوتُوا العِلْمَ دَرَجاتٍ...﴾[١٩]. وتنفيذاً لقوله تعالى: ﴿إنّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكرٍ وأُنْثى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبايِلَ لِتَعارَفُوا إنَّ أكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أتْقاكُمْ...﴾[٢٠]. ومن هنا اصبح من الضروري توسيع دائرة الانتفاع من ثورة الامام الحسين عليه السلام المتجسدة في زيارة الاربعين ودروسها العظيمة لخدمة الإنسانية ولإحراز السَّلام في العالم، ومن الواجب أيضاً أن لا نترك هذه المناسبة تسير سيراً بطيئاً وبدون انتفاع كامل كما هو المعتاد عند بعض المتصدين للمجالس خطيباً كان أو هيئة إدارية.

رابعاً - رفض المحرمات وإزالة المنكرات

من الدروس والعبر الكبيرة لزيارة الحسين وموسم عاشوراء إزالة المنكرات والقبائح التي تؤثر على التعايش السلمي وأمن المجتمع من خلال الطلب من الحكومات بل والضغط عليها لإلغاء القوانين المنكرة المبيحة للمحرّمات وهو الامر الشائع في بلاد الإسلام، كما ان من الضروري الاهتمام الجماعي أو الفردي لإزالة المنكرات بقدر المستطاع – فمثلاً تجمع الأموال لتزويج اللاتي أجبرن للبغاء من الفقر أو الحاجة، وشبه ذلك، حيث ورد أن أمير المؤمنين علي عليه السلام زوّج مومسة، وكذلك من الضروري جمع الأموال لتحويل حانات الخمور إلى محلات لبيع السلع والبضائع المحللة، ولو بدفعها لأصحابها تشويقاً لهم على تغيير المهنة. وبالرغم من توهّم البعض بأن الأعمال الجزئية لا تعطي الآثار والنتائج المطلوبة لذا يجب على الانسان أن يستوعب بأنَّ ما لا يدرك كله لا يترك جلُّه لرفع هذا التوهّم، وهذه قاعدة عقلية قبل أن تكون شرعية، والميسور لا يسقط بالمعسور. كما ان هناك الدروس والعبر الاخلاقية الكبيرة لزيارة الأربعين التي تتضمن الدلالة على عظم الفائدة وقيمة العمل الإرشادي والتوجيهي وقداسته. وهذا مصداق لقول الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله: (لئن يهدي الله بكَ رجلاً واحداً خيرٌ لك مما طلعتْ عليه الشمس)[٢١]، والسبب يكمن في أنَّ هذه الجزئيات لها ملحقات وإلغاؤها إلغاءٌ لملحقاتها أيضاً وهو امتداد وملحق هام للمعروف وهو واجب.

فعلى سبيل المثال غلق حانة الخمر ومنع المرأة الباغية عن البغاء له امتدادات في الأسرة وفي المجتمع أفقياً وعمودياً في عمق الزمن. وبملاحظة كثرة الجزئيات الفاسدة المنحرفة وتدميرها كحاصل ومجموع للمجتمع نجد أن توظيف الموسم العاشورائي والزيارة الحسينية للحيلولة دونها شيء عظيم وذو فائدة كبيرة مرجوة. فإلغاء ألوف المقامر والمخامر والمباغي والحانات والملاهي والمراقص ومراكز الاختلاط وأندية الشذوذ الجنسي يقود إلى طهارة وعفة المجتمع وسلامته إلى درجة كبيرة، ثم إنه عمل يحبُه الله ورسوله وصالح المؤمنين فضلاً عن أنّه عمل بالمنصب الشرعي والوظيفة الشرعية في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر. ومن الواجب

أن تتناصر وتتظافر الجهود لإرجاع الشباب إلى حجور العفاف والفضيلة والتقوى، وصدهم عن المخدرات بل وحتى عن التدخين ونحوهما من العادات الضارة صحياً، والموجبة لهدر المال والصحة ومن ثم هدر العُمر، وكذلك ترك العادات الداخلة في عنوان اللعب واللهو واللّغو سواء بدرجة الحرمة أم الكراهة.

المبحث الرابع: عالمية الامام الحسين في زيارة الاربعين

سميت زيارة الاربعين موسم الحج الاكبر الذي يتم من خلاله التبليغ والتوجيه الاسلامي لجميع الناس ليشمل غير المسلمين من الجماهير، فالدين الإسلامي بمعناه القرآني الذي طبقه الرسول الاعظمﷺ وسار على نهجه الإمام عليؑ يرمي لتخليص الإنسان من براثن العبودية والطغيان والجهل والاستغلال والفقر والمرض والطمع والفوضى: ﴿إذا دَعاكُمْ لِما يُحييْكم﴾[٢٢]، وأكثر البشر وبسبب نأيهم عن أحكام السماء وتعاليم الأنبياء ونهج محمد وآل بيت محمد عليهم السلام ابتلوا بهذه المعضلات. و﴿مَنْ أعْرَضَ عَنْ ذِكْرى فَإنَّ لَهُ مَعيشَةً ضَنْكاً..﴾[٢٣]. وبالرغم من مرور أكثر من أربعة عشر قرناً على بعثة الرسول الأكرمﷺ لا زالت الجاهلية والوثنية شائعة في الكرة الأرضية، كما في الهند والصين واليابان وكوريا بقسميها وبعض بلاد افريقيا ولا زالت الصنمية المغلّفة تسود في أرض الله كالذين يقولون أن المسيح ابن الله أو عزير ابن الله أو الذين يؤمنون بإلهين اثنين مع أن المنطق العقلائي مع وحدة الإله وخواصه الثبوتية والسلبية المشهورة في علم الكلام، اذ إن الفطرة البشرية والطبيعة الصحيحة مجبولتان على موافقة الحق واقتفاء مناهجه ﴿فطرة اللهِ الّتي فَطَرَ النّاس عَلَيْها﴾[٢٤] والمعارض قليل ومنحرف عادةً. لذا فالواجب على اتباع اهل البيتؑ أن ينشروا القيم السماوية وإقامة المجالس الحسينية، حيث ان التاريخ يروي لنا أنه بسبب التبليغ والإرشاد ساد الإسلام في الهند قرابة ألف عام، ولكن نتيجة لتخلف وجهل الحكام وكبار القوم وانغماسهم بالمخاصمات الداخلية والحروب الأهلية والأمور الذاتية، ونتيجة لتقاعس من كانت تقع عليهم مهمّة التبليغ ضعف انتشار الدين الإسلامي في الهند، فلم تتعد نسبة المسلمين فيها في الوقت الحاضر باستثناء الباكستان (٢٠٪) من الشعب وبسبب التبليغ والارشاد والتوجيه الديني ونشر فكر أهل البيت عليهم السلام انتشر الإسلام في الجملة في أوربا وأمريكا واستراليا وبقية دول العالم. كما ان التاريخ الإسلامي حافل بالقصص والشواهد التي تبيّن دور التجّار والعلماء في نشر الإسلام وهداية الناس، وفي وقتنا الحالي يتكرّر هذا الدور الرسالي في موسم زيارة الاربعين وبشكل واسع. وبذلك أصبح من الواجب على الشيعة المساهمة الفعلية وحمل الدور الرسالي في إبلاغ رسالة الإمام الحسينؑ الداعية إلى إحياء معالم الحق وطلب الإصلاح لإنقاذ الإنسانية من غياهب الجهل والشرك والمتاهات الفكرية والعملية.

لقد شكلت الشعائر الحسينية وخصوصاً الزيارة الأربعينية المتمثلة بإحياء المبادئ التي ثار من أجلها الإمام الحسينؑ مادة للبحث العلمي لدى الكثير من الدارسين والباحثين والمستشرقين الغرب. فقد وجدوا فيها مادة وآثاراً تستحق البحث والتنقيب، لذا عمدوا إلى البحث عن المعنى الحقيقي وراء هذه المعجزة والاسباب الخفية والدلالة الالهية الغيبية لها، فانطلقوا بكل امكانياتهم من أجل توصيف المظاهر

السطحية إلى الغور في عمق المعاني المتجلية من هذه الشعائر، وكثيراً ما نرى كتباً ودراسات لمفكرين وباحثين ومستشرقين بعيدين عن الإسلام وعن التشيع ولكنهم تكلموا بلسان من يفهم هذه القضية ويعيش تجلياتها الغيبية ويعاين عمق معانيها السامية، وليس ذلك بالأمر الغريب فثورة الإمام الحسين عليه السلام عالمية ورسالة للإنسانية أجمع وليست حكراً على فئة أو طائفة وإنما هي ثورة أممية وعالمية انطلقت من مدينة كربلاء وامتدت على طول خط الزمان والمكان حيث أن كل ارض كربلاء وكل يوم عاشوراء.

من هنا فإنها لعبت دوراً كبيراً ومؤثراً في الكثير من منعطفات التاريخ ومستجداته، وكان الحكام الظلمة يحسبون لها حسابات عديدة لأنها النور الساطع والسراج الوهاج الذي يضئ درب الاحرار في كل زمان ومكان.

الخاتمة

إن ثورة الامام الحسين عليه السلام المتجددة في زيارة الأربعين من كل عام حوت الكثير من المبادئ والصور التربوية والاخلاقية والدينية المهمة التي تصب في خدمة الفرد والمجتمع الإنساني، تلك المبادئ التي بدونها لا يمكن باي حال من الأحول تحقيق الاهداف المنشودة للمجتمع الإنساني. كما إن الجوانب الخلقية والتربوية كانت في مقدمة المنهج والبرنامج التربوي للإمام الحسين عليه السلام وانها تأتي كأحد الاهداف للثورة الحسينية المباركة لأن هذه الزيارة هي إحدى الزيارات التي فيها تناولٌ للجوانب التربوية بعرض مثير ومحرك يشد السامع ويلفت انتباهه على ان نتخذ منها منهجاً وبرنامجاً أخلاقياً لتربية هذا الجيل بتهذيب سلوك أفراده لنجعل من كل انسان حسين في الطبع والاخلاق والمنهج الاصلاحي القويم.

وبما إن التلاقح الفكري والترابط المعرفي يعتبر أحد أهم الركائز التي بنيت عليها الحضارات في شرق الأرض وغربها وسبب أساس في التعايش السلمي، لذا فقد أوجدت هذه الشعيرة المقدسة مشروع التلاقح الفكري والثقافي والمعرفي والاخلاقي حيث أنها فرصة لالتقاء شتى الحضارات الشرقية والغربية بما يكفل لكل زائر أو صاحب موكب أن يخرج بمحصلة معرفية واخلاقية متنوعة المراجع ففيها تجد الشرقي والغربي ومن شتى الأديان والمذاهب والتيارات الفكرية في حالة من التوائم والتعايش، أضف إلى ذلك أنها تمثل نقطة التقاء بين الشيعة أنفسهم ومن شتى بقاع العالم وبين مبادئهم الإنسانية التي تم اختصارها بنقطة تدعى طف كربلاء. وتعني زيارة الأربعين إقامة وإحياء هذه الشعيرة وتخليد مزاياها الدينية والتربوية والأخلاقية التي لا يحدها مكان او زمان، من هنا فإن إقامة المجالس والمواكب الحسينية في زيارة الأربعين من كل سنة تشكل إحياءً لنهضة الإمام الثائر والتعريف بالظروف القاسية التي أحاطت بها، وخصوصاً تلك التعديات والانتهاكات التي ارتكبها الحكام الأمويون بحق سبط الرسول الأكرم وذويه وصحبه عليهم السلام أجمعين. وتعتبر مراسم زيارة الأربعين صرخة مدوية ضد الظالمين والطغاة ومحفزاً للزائرين على المجيء الى كربلاء المقدسة من أجل تجديد البيعة للإمام الحسين عليه السلام، وهذه علامات كثيرة ومدلولات كبيرة وهي رسالة واضحة المعالم الى كل الطغاة للكف عن أساليبهم في انتهاك حقوق

الأمة، كما انها تساعد على بناء وتنمية المثل العليا للفرد المسلم الملتزم بما يريده الإمام الحسين عليه السلام ممن يناصره كي يُصنَع الضمير الحي لدى كل إنسان قد يجرفه حب الدنيا والأهواء. وكلما أمعن الخطباء والشعراء الحسينيون في رثاء الإمام الحسين وذكروا مصيبته وأهل بيته عليهم السلام تفتح لهم ولزوار الإمام أبواب العفاف والشفاعة والمغفرة، ولهذا باتت هذه الزيارة سياقاً مستداماً لتجديد العهد مع سيد الشهداء من قبل الزوار الكرام في يوم الأربعين من كل سنة، هؤلاء الزوار القادمون من أصقاع العالم كافة، متجشمين عناء السفر والمشقة والتعب والمخاطر التي تتمثل بتهديد حياتهم من قبل المتطرفين والإرهابيين كالدواعش الوهابيين.

إن هذه الشعيرة تمثل أعظم وأكبر تجمع ديني في العالم، لذا فإن أردنا أن نتعرف على الإسلام الحقيقي علينا بزيارة الأربعين، لأنها مناسبة عظيمة لتعضيد القيم والمثل. كما أننا نتعلم من هذه الزيارة تحمل الصعاب والصبر لأنه مفتاح كل شيء وكذلك الوقوف ضد الإرهاب والتكفيريين.

ومن هنا نلاحظ هذا العزم الجهادي والولائي لسبط النبي صلى الله عليه وآله من خلال المشي المليوني والإصرار على التوجه الى كربلاء المقدسة لأداء مراسم زيارة الأربعين، بالرغم مما يتعرض له الزائرون من ألوان العذاب والتهديدات الأمنية أثناء المسير الى كربلاء المقدسة.

الهوامش

(١) تهذيب الأحكام: ٦ / ٥٢، للشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي.

(٢) الطريق الى الحُب (رسالة في التصوف) مروان إبراهيم القيسي، ص ٢٤.

(٣) الاعراف:١٤٥.

(٤) التوبة:١٩.

(٥) نهج البلاغة.

(٦) ناسخ التواريخ ٥٦.

(٧) أهل النخيل ص ٢٤.

(٨) معجم أنصار الحسين ص ٤٥.

(٩) نهج البلاغة.

(١٠) الكليني (اصول الكافي) باب البدع والراي. ص٤٥٧.

(١١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٠٢- الخطبة الشقشقيّة.

(١٢) مكارم الاخلاق- الشيخ الطبرسي ص ٢٣٥.

(١٣) وسائل الشيعة: ج١١ ص٤٩ باب١٩ ح١.

(١٤) الاسراء:٧.

(١٥) الحسين في موكب الخالدين (مناقب الطالبيين) ص٥٧.

(١٦) بحار الأنوار: ٤٤: ٣٦٢.

(١٧) اللهوف في قتلى الطفوف: ١٧ وبحار الانوار: ٤٤:٣٦٢.

(١٨) لواعج الأشجان: ج١ ص١٢.

(١٩) المجادلة: ١١.

(٢٠) الحجرات:١٣.

(٢١) الجامع الصغير والجامع الكبير.

(٢٢) الأنفال: ٢٤.

(٢٣) طه: ١٢٤.

(٢٤) الروم: ٣٠.

المصادر والمراجع

١. ابن شهر اشوب، محمد علي، مناقب آل أبي طالب، مطبعة بيروت، لبنان، ٢٠٠٠.
٢. البحراني، هاشم. معاجز الامام الحسين. مطبعة العلم. البحرين، ٢٠٠٤.
٣. البركتي، محمد عميم الاحسان. قواعد الفقه. مؤسسة الرسالة. بيروت، ١٩٨٦.
٤. الرضي، الشريف (تعليق السيد محمد الحسيني الشيرازي). نهج البلاغة. دار العلوم. بيروت، ١٩٩٨
٥. الزحيلي، محمد بن النجار. شرح الكوكب المنير. مكتبة العبيكان،١٩٩٧.
٦. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. الجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير. دار الفكر للطباعة والنشر. بيروت، ١٩٩٤.
٧. الشوشتري، جعفر بن الحسين. الخصائص الحسينية. المطبعة الحيدرية. النجف، ١٩٥١.
٨. الشيخ الطبرسي، مكارم الاخلاق. المطبعة الحيدرية. النجف، ١٩٧١.
٩. الشيرازي، سيد صادق الحسيني. العلم النافع سبيل النجاة. مطبعة قم. ايران، ٢٠٠٨.
١٠. الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن. تهذيب الأحكام. المطبعة الحيدرية. النجف، ١٩٧٨.
١١. العاملي، محمد بن الحسن الحر. وسائل الشيعة. دار الساقي. بيروت، ١٩٧٧.
١٢. العقاد، عباس محمود. ابو الشهداء الحسين بن علي. مطبعة القاهرة. مصر، ١٩٩٨.
١٣. القيسي، مروان ابراهيم. الطريق الى الحب (رسالة في التصوف). مطبعة القاهرة. مصر، ٢٠١٤.
١٤. الكرباسي، محمد صادق. تاريخ المرأة (الحسين وأهل بيته وأنصاره). مطبعة بيروت. لبنان، ١٩٩٨.
١٥. الكرباسي. معجم انصار الحسين. الجزء الثاني. مطبعة بيروت. لبنان، ٢٠١٠.
١٦. الكرباسي. معجم المقالات الحسينية. مطبعة لندن. المملكة المتحدة. ٢٠١٤.
١٧. الكليني، محمد بن يعقوب. اصول الكافي. دار التعارف للنشر. بيروت، ١٩٩٨.
١٨. الكوراني، فخر الدين. المنتخب للطريحي في جمع المراثي والخطب المشتهر بالفخري. مؤسسة العلم. بيروت،٢٠٠٣.
١٩. المجلسي، محمد بن باقر بن تقي. بحار الانوار. دار التعارف للنشر. بيروت، ٢٠٠١.
٢٠. المعلم، محسن علي. الحسين في موكب الخالدين. مطبعة القاهرة. مصر، ١٩٩٣.
٢١. المهاجر، عبد الحميد. إعلموا إني فاطمة: فاطمة الزهراء والحضارة الاسلامية. مؤسسة دار الكتاب والعترة. جامعة كاليفورنيا، ١٩٩٣.
٢٢. بحر العلوم، حسين. الثورة الحسينية بجذورها ومعطياتها. مطبعة بيروت. لبنان، ٢٠٠٨.
٢٣. بيجوفيتش، علي عزت. الاسلام بين الشرق والغرب. دار الشروق. لبنان، ٢٠٠٦.
٢٤. بيلاني، علي صادق. موسوعة الامام علي. مطبعة بيروت. لبنان، ٢٠٠٦.
٢٥. تاج الدين، مهدي. النور المبين في شرح زيارة الأربعين. دار الكتب العلمية. بيروت، ٢٠٠٥.
٢٦. حلاوي، جنان جاسم. أهل النخيل. دار الساقي. بيروت، ٢٠١٧.
٢٧. سبهر، محمد تقي. ناسخ التواريخ. مطبعة قم. ايران، ٢٠٠٧.
٢٨. شحادة، حسين. الزنبقة في التقاريظ المنمقة. مطبعة بيت العلم للنابهين. لبنان، ٢٠٠٤.
٢٩. عاملي، محسن الحسيني. لواعج الأشجان. مؤسسة العلوم الاسلامية. بيروت، ١٩٩٦.

البُعد الأخلاقي الإجتماعي لزيارة الأربعين بين النظرية والتطبيق

نادين يحفوفي

جامعة المصطفى العالمية – ايران

الملخص

يتناول هذا البحث أهمية زيارة أربعين الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام، ويبيّن دورها في الإصلاح الإجتماعي والأخلاقي، ويعرض ما لها من أبعاد على المستويين من خلال ذكر الأبعاد وتحليلها تحليلاً موضوعياً، مستعيناً بالآيات القرآنية والأحاديث والراويات الشريفة، ومركّزاً على الجانب التطبيقي العملي من خلال ذكر مصاديق ونماذج عملية لكل بُعد من الأبعاد.

ومن حيث كونه بحثاً يدور حول الأبعاد الإجتماعية، فلقد تمّ ذكر العوامل الخمسة التي تحدّد الاختلاف بين المجتمعات والشعوب عند عالم الإجتماع الألماني «هوفستيد» لما لها من أهمية على الصعيد النظري وتطبيقها عملياً على الزيارة المليونية. واعتمد المنهج الوصفي – التحليلي في تبيان مفاصله. كما أنّه خلُص إلى نتائج عملية مهمة للزيارة وبعض التوصيات.

الكلمات المفتاحية: أبعاد، إجتماع، زيارة الأربعين، أخلاق، الإمام الحسين عليه السلام.

The social and moral dimension of the Arbaeen pilgrimage between theory and practice

Researcher: Nadine Yhafofy

PhD student in Comparative Jurisprudence

Islamic Republic of Iran

Abstract

This research deals with the importance of the visit of the forty Imam Abu Abdullah Al-Hussein, and shows its role in social and moral reform, and presents its dimensions at both levels by mentioning the dimensions and analyzing them objectively, using the Quranic verses, Hadiths and honest narratives, and focusing on practical practical aspects through male Paddles and practical models for each dimension.

In terms of research on social dimensions, the five factors that define the difference between communities and peoples in the German sociologist Hofstead have been mentioned because they are theoretically important and practically applied to the millionth visit. The descriptive-analytical approach was adopted in detail. He also concluded with important practical results of the visit and some recommendations.

Keywords: dimensions, meeting, visit forty, morals, Imam al-Husain.

المقدّمة

إعتنى الإسلام بالأخلاق عناية خاصة فهي تشكل إلى جانب العقائد والأحكام ركائزه الثلاث. وتعتبر القيم الأخلاقيّة الحميدة والتصرفات الحسنة من أهمّ أهداف بعثة الأنبياءﷺ، بل إنّما هي الهدف الأساس، فقد ورد عن الرسول الأعظم محمّدﷺ قوله: «إنّما بعثتُ لأتمّم مكارم الأخلاق»[1]. فتهذيب نفس الإنسان، والسعي لتحصيل الكمالات الأخلاقيّة والخصال الإنسانيّة من أهم الغايات في رسالة النبيّﷺ والأئمّةﷺ، وإن قول المعصومﷺ وفعله المصدر الأساس الذي نتلقّى عنه ونتعلّم الأخلاق منه، ذلك لأنّ المعصومينﷺ هم «الأسوة» والقدوة لجميع البشر على مَر العصور. وحُسن الخلق ليس من خلال التعلّم والمعرفة النظرية، بل يحتاج إلى تربية وتطبيق عملي ومواظبة. وبما أنّ الإنسان فرد من أفراد المجتمع الذي ينتمي إليه فإنّ أخلاقه ستنعكس على ذلك المجتمع، فكلّ إنسان يولد على فطرةٍ سليمة ويكون لديه القابلية لمعرفة الحقّ والباطل، فيميل إلى الحقّ والخير. ولكن هذا الاستعداد الفطري يحتاج في إظهاره وتنميته إلى التربية والتهذيب والتعليم، وللمؤثرات البيئية والإجتماعية غير الصالحة الدور الأبرز في انحرافه عن فطرته السليمة، فيميل إلى الباطل والشر.

وتعتبر عاشوراء الحسينﷺ المدرسة الإجتماعية الأخلاقية التي تجلّت فيها مكارم الأخلاق بأكمل صورها في أقوال وأفعال الإمام الحسينﷺ، وفي أقوال وأفعال أهل بيته وأنصارهﷺ الذين كانوا على خطاه. بيان الموضوع.

أكدّ المعصومونﷺ على مواصلة زيارة الإمام الحسينﷺ، فإن المتتبّع لرواياتهم التي تحثّ المؤمنين على زيارة الإمام الحسينﷺ لا يضاهيها من حيث العدد أي روايات أخرى في الحث على زيارة باقي المعصومينﷺ، لاسيما الزيارات المخصوصة كزيارة الأربعين التي هي إحدى علامات المؤمن الخمس، لما لهذه الزيارة من أبعاد على شتى الأصعدة، الإجتماعية، الأخلاقية، العقائدية، الثقافية وغيرها. ويمكن إستنباط عدّة أسباب دعت بهم إلى ذلك منها: إظهار أنّ مظلومية الإمام الحسينﷺ رمزٌ لمظلومية الأئمةﷺ جميعاً كما ورد عن الإمام علي بن موسى الرضاﷺ: «يا بن شبيب إن كنت باكياً لشيء فابك للحسين بن عليﷺ فإنه ذبح كما يذبح الكبش وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً ما لهم في الأرض شبيهون، ولقد بكت السماوات السبع والأرضون لقتلهﷺ[2]. ومنها كثرة الكرامات التي جعلها الله (سبحانه وتعالى) للحسينﷺ ولزائره، وكذلك ما لهﷺ من دور مهم في إحياء الأمم والمجتمعات البشرية عبر التعلّم منه الحياة العزيزة الكريمة، فالمجتمع الذي يرتبط بالحسينﷺ يكون مجتمعاً حيّاً يحيا بمبادئ الحسينﷺ الذي هو حيٌّ عند الله (تعالى) فإنّ الشهداء أحياء عند ربّهم يرزقون فكيف بسيّد الشهداءﷺ، قال الله (سبحانه وتعالى): ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[3] وفي الزيارة الشعبانية لسيد الشهداءﷺ تأكيد على هذا المعنى «أشهد أنَّكَ قُتِلْتَ وَلَمْ تَمُتْ، بَلْ بِرَجَآءِ حَيَاتِكَ حَيِيَتْ قُلُوبُ شيعَتِكَ»[4].

أسئلة البحث: السؤال الأصلي الذي تصدى البحث الإجابة عنه: ما هي الأبعاد الإجتماعية الأخلاقية لزيارة الأربعين؟

أما الأسئلة الفرعية فهي:

١. ما هي أدّلة إستحباب زيارة الإمام الحسين عليه السلام؟
٢. ما هي أدّلة إستحباب زيارة أربعين الإمام الحسين عليه السلام؟
٣. هل هناك ثواب في قصد الإمام الحسين عليه السلام مشياً على الأقدام؟
٤. ما هي أهمية زيارة الأربعين؟
٥. ما هي الأبعاد الإجتماعية والأخلاقية لزيارة الأربعين؟

المنهج المتّبع: بما أنّ البحث يتطلب عرض الأبعاد الإجتماعية والأخلاقية للزيارة الأربعينية، وعرض بعض الأدلة الدالة على مشروعيتها، وحيث أنّنا مارسنا التحليل فكان المنهج المتّبع هو المنهج الوصفي – التحليلي.

فرضية البحث: بيان الأبعاد الإجتماعية والأخلاقية لزيارة أربعين الإمام الحسين عليه السلام.

هدف البحث: هو خطوة لتوضيح أنَّ الإصلاح الحسيني الإجتماعي الأخلاقي حيٌّ متجدّد.

١. أدّلة إستحباب زيارة الإمام الحسين عليه السلام

تستحب زيارة الإمام الحسين عليه السلام إستحباباً مؤكّداً ويمكن تقسيم الروايات حسب ما وردت في مصادرها إلى طائفتين:

أولاً - طائفة دلّت على إستحباب زيارته عليه السلام مطلقاً:

والمراد بالإطلاق أي إستحباب زيارته في كلّ يوم وفي كل شهرٍ من السنة. أَمَّا فِي كُلِّ شَهْرٍ فَلِمَا وَرد عَنِ الإمام الصّادِقِ عليه السلام: (من زَارَ الْحُسَيْنَ عليه السلام فِي كُلِّ شَهْرٍ كَانَ لَهُ ثَوَابُ مِائَةِ أَلْفِ شَهِيدٍ مِنْ شُهَدَاءِ بَدْرٍ)[٥]. وَأَمَّا زِيَارَتُهُ عليه السلام فِي كُلِّ يَوْمٍ فَلِمَا روي أَنَّ الصَّادِقَ عليه السلام قَالَ لِسَدِيرِ بْنِ حَكِيمٍ: (يَا سَدِيرُ أَتَزُورُ الْحُسَيْنَ عليه السلام فِي كُلِّ يَوْمٍ قُلْتُ لَا قَالَ مَا أَجْفَاكُمْ أَفَتَزُورُهُ فِي كُلِّ شَهْرٍ قُلْتُ لَا قَالَ أَ فَتَزُورُهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ قُلْتُ قَدْ يَكُونُ ذَلِكَ قَالَ مَا أَجْفَاكُمْ بِالْحُسَيْنِ عليه السلام أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ للهِ (تَعَالَى) أَلْفَ أَلْفِ مَلَكٍ شُعْثٍ غُبْرٍ يَبْكُونَهُ وَيَزُورُونَهُ وَلَا يَفْتُرُونَ وَمَا عَلَيْكَ يَا سَدِيرُ أَنْ تَزُورَ الْحُسَيْنَ عليه السلام فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّةً قَالَ فَقُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فَرَاسِخُ كَثِيرَةٌ فَقَالَ إِصْعَدْ فَوْقَ سَطْحِكَ ثُمَّ الْتَفِتْ يَمْنَةً وَيَسْرَةً ثُمَّ ارْفَعْ رَأْسَكَ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ تَنْحُو نَحْوَ الْقَبْرِ وَتَقُولُ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه)[٦].

ثانياً - طائفة دلّت على إستحباب زيارته عليه السلام في مناسبات خاصّة منها الأربعين:

والمراد بالمناسبات الخاصة أي المناسبات الدينية العظيمة مثل ليلة الجمعة، ليلة القدر، شهر رمضان، ليلة عيد الفطر والأضحى، ليلة عرفة ويومه، في النصف من رجب، في النصف من شعبان، في العاشر من محرم، وفي العشرين من صفر وغيرها[٧].

٢. الأدّلة الدالة على إستحباب زيارة الأربعين

ومن الروايات التى دلّت على تأكد إستحباب

زيارته عليه السلام يوم الأربعين ما يلي: منها: ما دلّ على أنّها من علامات المؤمن. ورد عنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْعَسْكَرِيِّ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: (عَلَامَاتُ الْمُؤْمِنِ خَمْسٌ صَلَاةُ الْخَمْسِينَ وَزِيَارَةُ الْأَرْبَعِينَ وَالتَّخَتُّمُ بِالْيَمِينِ وَتَعْفِيرُ الْجَبِينِ وَالْجَهْرُ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)[٨].

ومنها: ما ورد في كيفية زيارته عليه السلام يوم الأربعين عند ارتفاع النهار. عَنْ صَفْوَانَ الْجَمَّالِ قَالَ: (قَالَ لِي مَوْلَايَ الصَّادِقُ عليه السلام فِي زِيَارَةِ الْأَرْبَعِينَ- تَزُورُ ارْتِفَاعَ النَّهَارِ وَتَقُولُ السَّلَامُ عَلَى وَلِيِّ اللَّهِ وَحَبِيبِهِ وَذَكَرَ الزِّيَارَةَ إِلَى أَنْ قَالَ وَتُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ وَتَدْعُو بِمَا أَحْبَبْتَ وَتَنْصَرِفُ)[٩].

ومنها: ما ورد من إستحباب زيارته عليه السلام على لسان كبار قدماء علماء الطائفة. ذكر الشيخ المفيد (قدّس سرّه) في كتابه مسار الشيعة في مختصر تواريخ الشريعة، والشيخ الطوسي (قدّس سرّه) في مصباحه، أنّه في اليوم العشرين من شهر صفر كان رجوع حرم سيّدنا أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام من الشام إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وهو اليوم الذي ورد فيه جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله ورضي عنه من المدينة إلى كربلاء لزيارة قبر أبي عبد الله عليه السلام فكان أول من زاره من الناس، ويستحب زيارته عليه السلام فيه وهي زيارة الأربعين[١٠].

٣. في ثواب المشي إلى زيارة الإمام الحسين عليه السلام

وردت الروايات الكثيرة التي أكّدت الثواب والأجر الجزيل على القصد ماشياً إلى كربلاء المقدّسة حيثُ ضريح الإمام الحسين عليه السلام. منها: عنْ أَبِي الصَّامِتِ قَالَ: (سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام وَهُوَ يَقُولُ مَنْ أَتَى قَبْرَ الْحُسَيْنِ مَاشِياً كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ سَيِّئَةٍ وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ دَرَجَةٍ فَإِذَا أَتَيْتَ الْفُرَاتَ فَاغْتَسِلْ وَعَلِّقْ نَعْلَيْكَ وَامْشِ حَافِياً وَامْشِ مَشْيَ الْعَبْدِ الذَّلِيلِ فَإِذَا أَتَيْتَ بَابَ الْحَائِرِ فَكَبِّرْ أَرْبَعاً ثُمَّ امْشِ قَلِيلاً ثُمَّ كَبِّرْ أَرْبَعاً ثُمَّ ائْتِ رَأْسَهُ فَقِفْ عَلَيْهِ فَكَبِّرْ أَرْبَعاً وَصَلِّ عِنْدَهُ وَسَلِ اللهَ حَاجَتَكَ)[١١].

ومنها: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْقَاضِي قَالَ: (دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي غُرْفَةٍ لَهُ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ مَنْ أَتَى قَبْرَ الْحُسَيْنِ مَاشِياً كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ وبِكُلِّ قَدَمٍ يَرْفَعُهَا وَيَضَعُهَا عِتْقَ رَقَبَةٍ مِنْ وُلْدِ إِسْمَاعِيلَ)[١٢]. مما سبق تبيّن أنّه يستحب القصد ماشياً إلى كربلاء الحسين عليه السلام فكلما زادت الخطوات كلّما زاد الأجر والثواب، وأنّ لهذه الخطوات المباركة آثاراً دنيوية وأخروية على قلب القاصد.

٤. أهمية زيارة الأربعين

إن زيارة الأربعين لها أهمية عظيمة، فهي إحدى علامات المؤمن الخمس. وتكمن أهميتها أيضاً في أمور عديدة منها:

أولاً: هي عبارة عن تجديد العَهد والوَلاء وإظهار المحبة لآل الرسول صلى الله عليه وآله، فقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام: (إِنَ لِكُلِ إِمَام عَهْداً فِي عُنُقِ أَوْلِيَائِهِ وَشِيعَتِهِ وَإِنَّ مِنْ تَمَامِ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَحُسْنِ الْأَدَاءِ زِيَارَةَ قُبُورِهِمْ فَمَنْ زَارَهُمْ رَغْبَةً فِي زِيَارَتِهِمْ وَتَصْدِيقاً بِمَا رَغِبُوا فِيهِ كَانَ أَئِمَّتُهُمْ شُفَعَاءَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[١٣]. ومن خلال تجديد العهد للإمام الحُسين عليه السلام عند قصده في أجواء الأربعين هناك بركات وفيوضات تحصُل للزائر الحسيني وهي

عبارة عن آثار دنيويةٍ وأخروية. فإنّ زيارته تَزيد فِي الرِّزْقِ وَتمدُّ فِي الْعُمُرِ وَتدْفَعُ مَدَافِعَ السَّوْءِ[١٤]. وَتدْفَعُ الْهَدْمَ وَالْغَرَقَ وَالْحَرَقَ وَأَكْلَ السَّبُعِ[١٥]. كما تُغفر ذنوب منْ زارَه وتُزاد حسناتَه وتُقضى حوائجَه[١٦] ويُكتب له ثواب ألف حجّة وألفَ عمرة ويكون في رحمةِ الله (تعالى)[١٧]. ويحظى زائره بدعاء الأئمةعليهم السلام له مع الزهراءعليها السلام والرسولصلى الله عليه وآله[١٨] ويأمن يوم الفزع الأكبر[١٩].

وهذا الخير الكثير لاريب فيه لكلّ من زائر المولى أبي عبد اللهعليه السلام في أي وقت من الأوقات وتتأكد هذه البركات في زيارة الأربعين بسبب كثرة الأجواء الروحية الحزينة وتعدد الشعائر المباركة وكثرة الأدعية الجماعية.

ثانياً: إنّ زيارةَ الأربعين عبارةٌ عن أكبر إمتثال عمليّ زمانيّ لأمرِ الإمام أبي عبد الله الصَّادقعليه السلام لإحياء أمر أهل البيتعليهم السلام. ورد عن الإمام الصَّادقعليه السلام: «أحيوا أمرنا رحم الله من أحيا أمرنا»[٢٠]. فإنّها إحياء للأهداف التي إستُشهد من أجلها الإمام الحسينعليه السلام، وتلك الحشود المليونية التي تفد إلى كربلاء المقدّسة في موسم الأربعين تعطي صورة للعالم أجمع بأنّ الأهداف التي من أجلها إستشهد الإمام الحسينعليه السلام ما زالت حيّة.

ثالثاً: إنّ ما يميّز زيارة الأربعين عن غيرها من الزيارات أنّها تأتي في شهر صفر، وهو شهر أحزان الشيعة على آل الرسولصلى الله عليه وآله، فإنّه يأتي مباشرةً بعد شهر محرّم الحرام، شهر إحياء المجالس الحسينية والبكاء على مصاب الإمام الحسينعليه السلام وما جرى على حرائر الرسالة (عليهن أفضل السلام)، فتكون بركات شهر محرّم قدْ هيأت قلبَ المؤمن لأنْ يزور الإمام الحسينعليه السلام عارفًا بحقّه ومظلوميته، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنّ ما يرافق هذه الزيارة المليونية في شكلها الحالي من أجواء روحانية خاصة من حين نزوله أرض العراق حتى وصوله إلى داخل حرم الإمام الحسينعليه السلام. وهذه الأجواء الفريدة لا تعاش في المناسبات الأخرى الفرِحة كالزيارة الشعبانية وغيرها.

رابعاً: إنّ زيارة الأربعين بصورتها الحالية وما يرافقها من مواكب، مجالس، وشعائر متعدّدة لاسيما شعيرة المشي الحاصلة على الطرقات المؤدية إلى كربلاء المقدّسة، ومن خلال التنظيم والأمن المتواجد الذي تقوم به الجهات القيمة على الزيارة من عتبات مقدّسة وغيرها، أعطت صورة للعالم أجمع أنّ الإمام الحسينعليه السلام هو الوحيد في العالم الذي استطاع أنْ يجمعَ هذه الملايين في آنٍ واحد، في مكانٍ واحد، تحت شعارٍ واحد وهو «لبيك يا حُسين» دون نزاعات وخلافات وبشكل حضاري وسلمي.

خامساً: إنّها مليئة بالبركات، الفيوضات والخيرات على شتّى الأصعدة، ولها أبعاد فكرية، عقائدية، إجتماعية، أخلاقية، إعلامية وغيرها.

٥. الأبعاد الاجتماعية والأخلاقية لزيارة الأربعين

مقدّمة

لا يمكن للإنسان أن يحيا في عزلة عن الآخرين، فالإنسان هو مخلوقٌ إجتماعيٌّ يحيا في مجتمعٍ ينتمي إليه ويكون أحد أفراده ومكوناته. كذلك لا يمكن أن نرى أخلاق الإنسان لوحده دون تواجده مع أناسٍ آخرين، فلو وضعنا إنساناً في مكانٍ معزولٍ عن الآخرين لا نستطيع أن نصفه بالصادق أو الكاذب، بالمتواضع أو المتكبر، بالبخيل أو الكريم؛ إذْ أنّ الصفات والقيم الأخلاقية التي يتحلى فيها الإنسان عبارة عن علاقة بينه وبين نفسه، وبينه وبين الآخرين. فالأخلاق لا توجد إلّا داخل مجتمع يتفاعل أفراده فيما بينهم؛ لذا عند دراسة البُعد الأخلاقي لزيارة الأربعين، فإنّ البُعد الإجتماعي لاينفك عنه، والسبب في ذلك يعود إلى أنّ بناء الشخصية المؤمنة في بُعدها الأخلاقي الروحي هدفه تأهيل هذه الشخصية للقيام بوظيفتها الشرعية تجاه ربّها، نفسِها وتجاه مجتمعِها، ولا يمكن عزلهما عن بعضهما البعض.

ومن الأبعاد الإجتماعية والأخلاقية لزيارة الأربعين:

أولاً: التفاعل الفكري والمعرفي بين الحضارات والمجتمعات

تتميّز المجتمعات الإنسانية بميزات ثقافية وحضارية متنوّعة، تشترك في بعضها وتختلف في أخرى. والميزات المختلفة تعكس قيم وعادات وتقاليد كلّ مجتمع إنساني. فالإنسان عندما يولد في هذه الدنيا لا اختيار له في تحديد لونه، أو أسرته أو البلد الذي ينتمي إليه. فيجد نفسه ضمن مجتمع يحيطه وعادات وتقاليد تحكم ذلك المجتمع الذي وُجد فيه. وكلّ مجتمع هو نتاج ثقافته. ومن الدراسات التي حاولت بيان عوامل ومجالات الاختلاف بين الشعوب دراسة لعالم إجتماع ألماني اسمه «جبريت هوفستد»، وأبرز نتائج الدراسة التي توصل إليها تتمثل في أنّ هناك خمسة عوامل تحدّد الاختلاف بين الأمم والشعوب.

أ - العوامل الخمسة التي تحدّد الاختلاف بين الأمم والمجتمعات حسب نظرية «هوفستد»

١. **المسافة الاجتماعية (Power Distance):** تهتم المسافة الإجتماعية بمقدار العلاقة بين مختلف الأفراد في المجتمع، إذْ يحدُث أنّ بعض المجتمعات تقيم وزناً كبيراً لبعض الأشخاص بناءً على قدرهم الإجتماعي بحكم السنّ أو المركز الإجتماعي أو القدرة المالية، والبعض الآخر لا يقيم وزناً كبيراً لمثل هذه العوامل الإجتماعية. مثلاً تهتم المجتمعات الشرقية والعربية خاصة بالإختلاف في السنّ وتظهر احتراماً كبيراً للأكبر سنّاً، في حين أنّ مجتمعات أخرى مثل المجتمعات الإسكندنافية لا تفعل ذلك وتحاول إعطاء الجميع الأهمية نفسها والتقدير ذاته بغض النظر عن السنّ والمكانة والمركز والقدرة المالية.

٢. **الفردية والجماعية (Group Attachment):** وتهتم بقياس قُدرة الأفراد على الانفراد التامّ بأفعالهم بغضِ النظر عن الآخرين، وبالتالي فإنّ

المجتمعات التي تتميز بالفردية يكون الأفراد فيها قادرين على فعل ما يُريدون بغضّ النظر عمّا يعتقده الآخرون، في حين أنّ المجتمعات التي تنتشر فيها الروح الجماعية يتجه أفرادها غالباً إلى الاهتمام كثيراً بمحيطهم الإجتماعي، ما يؤثّر في قراراتهم وأفعالهم، فمثلاً إن مجتمعات أميركا اللاتينية تسجّل أقل النقاط في البُعد الفردي نظراً إلى كونها تعطي القيمة الأكبر لقيمة الجماهير، بينما تسجّل الولايات المتحدة أعلى النقاط في هذا البعد لناحية الفردية ومنح الشخص أقصى درجات الفردية، لذا يعرف المجتمع الأميركي لدى عند علماء الإجتماع بأنّه مجتمع فردي، ولا شكّ في أنّ المجتمعات المُسلمة هي مجتمعات جمعية لأنّ ثقافتها الإسلامية قائمة على ذلك، مثل الصلاة جماعة والحجّ وصلة الرحم والتكاتف والتكافل الإجتماعيين.

٣. **الذكورة والأنوثة (Gender Association):** والمقصود أن المجتمعات الذكورية تركّز على معايير النجاح الرجولية مثل النجاح والتفوّق وزيادة الثروة، في حين أنّ المجتمعات الأنثوية تعرّف معايير النجاح بالعلاقات الإجتماعية وجودة الحياة، وتظهر اليابان بكونها أكثر الدول ذكورية، والسويد أكثر الدول أنثوية، ولا شكّ في أنّ المجتمعات العربية في معظمها مجتمعات ذكورية، لكنها في الوقت نفسه تهتم بالعلاقات الإجتماعية وجودة الحياة وتعتبر المرأة أهم عنصر داخل البيت، مع الاختلاف بين أسرة وأخرى.

٤. **تجنّب المجهول (Uncertainty Avoidance):** وهنا يتم تقويم المجتمعات بحسب قدرتها على التعامل مع التجديد والتغيير من ناحية، والقبول بالمغامرات أو تجنبها من ناحية أخرى، والاختلاف في التأكيد على وجوب مراعاة القواعد الإجتماعية والعملية، والتعامل مع الغريب والأجنبي، وقد احتلت مجتمعات البحر الأبيض المتوسط واليابان مركز الصدارة بحسب هذا المعيار، والواقع أنّ التاريخ يُثبت أنّ الأمّة التي تحب المغامرة وارتياد المجهول هي في الغالب الأمّة التي يمكن أن تتقدّم وتبني حضارة، وكان ذلك ديدن المسلمين في عصورهم الزاهية.

٥. **النظر إلى المدى القريب والمدى البعيد (Time Orientation):** وهذه خاصية تعكس الاهتمام بالحاضر والمستقبل مقارنة بالماضي ومدى تأثير ذلك في القرارات، وثمة مجتمعات تنتشر فيها ثقافة «الآنية» وعبارات مثل عش يومك واصرف ما في الجيب يأتك ما في الغيب[٢١].

وهذه الدراسة تخلص إلى أنّ المجتمعات، حتى في البلد الواحد، تختلف عاداتها وتقاليدها وقيمها، وبالتالي على الإنسان أن يتعرف إلى الشعوب الأخرى وعاداتها وتقاليدها وقيمها ليتعايش معها ويفهم سلوكها على نحو يمكنه من تحسين الروابط وتقويتها معهم والوصول إليهم على نحو حضاري ومقبول، وبشكل لا يتعارض مع الأحكام الشرعية والقيم الأخلاقية التي وضعها الله (سبحانه وتعالى) للبشرية.

ب- تطبيق نظرية «هوفستد» على زيارة الأربعين

وإذا أردنا تطبيق عواملها الخمسة على زيارة الأربعين:

١. **المسافة الاجتماعية**: يحصل أثناء الزيارة تفاعل وتلاقح فكري وإجتماعي بين المجتمعات والشعوب، فإنّ زوار الأربعين ينتمون إلى مجتمعات وبلدان مختلفة، فتتعدّد عاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم وكيفية تعاطيهم. فمنهم العرب، ومنهم الشرقيون ومنهم الغربيون. وتختلف طريقة تعامل كل منهم بحسب مجتمعه، ولكن الذي يوحدهم هو قصد كربلاءالمقدّسة وزيارة المولى أبي عبد الله عليه السلام.

فالذين - حسب مجتمعهم - يعطون الأولوية والأهمية لكبار السن سيتعلمون من خلال رؤيتهم لأفراد يعتنون بالزوار الصغار بأنّ الصغير يجب إحترامه وإعطاؤه أهمية ونوعاً من الحرية في إعطاء رأيه وطريقة تعبيره وقصده للإمام عليه السلام. فالزائر الصغير سيكبر يوماً ما ويصبح كبيراً ولن ينسى معاملة الزائرين له، أو المضيفين... والعكس صحيح أيضاً، فالمجتمع الذي يساوي بين جميع الفئات دون إعطاء الأولوية لفئة على أخرى سيلاحظ أنّه في كثير من الأحيان يجب تقديم الأولوية لبعض الفئات ككبار السنّ لعجزهم، أو لضرورة ما تقتضي ذلك.. وهذا التبادل والتعرّف على حقيقة المجتمع الذي ينتمي إليه المقابل لا يحصل فقط عبر المناقشة وتبادل الأحاديث، بل قد يحصل في كثير من الأحيان من خلال المواقف التي يراها الزائر أو يقوم بها أثناء مشيه وقطعه للمسافة، أو أثناء إستراحته في مضيف ما أو حسينية أثناء السير والعروج إلى كربلاء الحسين عليه السلام...

٢. **الفردية والجماعية**: تعطي زيارة الأربعين آثاراً إيجابيةً على الصعيدين الفردي والإجتماعي.

فهي تعلّم الإنسان المشارك في الزيارة (زائراً، خادماً، وغير ذلك) أنّ الزيارة هي زيارة جماعية يجب مراعاة الجماعة فيها خاصةً مع تواجد أعداد كبيرة وملايين من الأفراد الوافدين إلى كربلاء المقدّسة بل حتى المتواجدين فيها. ومن جمالية هذه الزيارة على الصعيد الجماعي أنّ هناك أخلاقيات عالية لأهالي العراق نشأوا عليها وما زالوا متمسكين فيها، ومنها أنّهم يؤثرون الزوار الآخرين على أنفسهم، فمنهم من لا يخرج من بيته إفساحاً للمجال أمام الوافدين فيفضّل الخدمة على الطرقات وفي المواكب، ومنهم من ينتظر هدية من الله (تعالى) يرسلها إليه وهي عبارة عن استضافة لزوار في بيته أو خدمة توصيل زائر من مكان إلى مكان... بل تجد أنّ أفراد العائلة الواحدة أو العشيرة الواحدة يداً واحدةً صغاراً وكباراً، يخدمون زوار المولى أبي عبد الله وأخيه أبي الفضل العباس عليهما السلام حباً فيهما، وترى في عيونهم عشقاً لا تراه في عيون الآخرين...عشقاً لله يتجسّد صوراً حية وعملية عبرَ التكاتف والسباق في الخدمة الجماعية وهذه الصور لا ينساها كلّ من يراها بل تُعلّم من انتمى إلى مجتمع قائم على الفردية أن في الجماعة القوة والعطاء، في الجماعة البذل والتفاني، في الجماعة السرعة والمروّة... مع العلم أنّ العمل الجماعي لا يعني أن لا يعطى العمل الفردي اهتماماً بل قد يختص البعض بأعمال فردية حسب اختصاصاتهم وقدراتهم، كالطبيب الذي يخدم الزوار، أو الخادم الحسيني الذي يحافظ

على نظافة الطرقات المؤدية إلى كربلاء المقدّسة أو الذي ينقل الزائرين عبر سيارته تطوعاً...ولكن في الزيارة حتى هؤلاء الذين يخدمون بشكل فرديّ يدفعون الزائر الذي يراهم يخدمون بتفانٍ إلى تمني مساعدتهم إن أمكن ذلك. فكم من زائر تصدى تطوعاً لمساعدة الخادم الذي ينظّف الطريق تسهيلاً لحركة المشاية، وكم من صاحب مضيف قدّم لجاره صاحب المضيف الآخر ما ينقصه من عدّة لتحضير الطعام بسبب تعثر وصول المواد بسبب الازدحام وهكذا...

٣ . **الذكورة والأنوثة:** من أبعاد الزيارة أنها تعلم الزائر أنّ الإمام الحسين عليه السلام هو قبلة للعاشقين، قبلة لمن أراد أن يصل إلى محضر الحق (تعالى)، قبلة لمن أراد أن يتعرف على جنّة الله (تعالى) على الأرض.. فالإمام وأخوه أبو الفضل العباس عليهما السلام لم يميزوا يوماً ما بين الزائر رجلاً أو إمرأة.

إنّ الزيارة هي للجميع من دون استثناء. فقلب الإمام عليه السلام مفتوح لمن قصده وأراده. فالزوار- نساءً ورجالاً - لهم الحق في المشي والقصد شرعاً وعرفاً، لهم الحق في الدخول إلى العتبتين المقدّستين والوصول إلى الشباك عبر تنظيم رائع من قبل القيمين على العتبتين، والتقسيم بين مداخل كل من الرجال والنساء مراعاة للتنظيم والناحية الشرعية. كذلك في مجال الخدمة الحسينية، فإن خدّام الإمام الحسين عليه السلام هم من الصنفين سواء في الحسينيات أو في المضيف أو في العتبتين أو في البيوت المفتوحة العامرة حباً لاستقبال الزائرين... نعم، هناك مراعاة للمسائل الشرعية من حجاب وغيره ممّا يجب مراعاته وهذا هو المطلوب، فإنّ الإمام الحسين عليه السلام إستشهد لأجل الأمر بالمعروف وإقامة الصلاة والحفاظ على الإسلام... وأُخته مولاتنا العقيلة زينب عليها السلام رغم كلّ ما جرى عليها من مصائب قدّمت للمرأة دروساً في العفة والطهارة عبر العصور حتّى يومنا هذا وأن تكون زينبية كما أرادها الله (تعالى)... لذلك تجد في هذه الزيارة أن المرأة الزائرة حتى لو كانت من دين آخر كالمسيحية تضع الحجاب أثناء زيارتها إحتراماً وتقديساً لحرمة الزيارة بشكل عام ولخصوصية الحرمين بشكل خاص.

٤. **تجنّب المجهول:** طبيعة الإنسان يتجنّب المجهول بل يخافه حتّى أنّ الكثير من الناس يخافون من القيام بأمرٍ ما لأنّهم لم يقوموا به سابقاً أو بسبب الأعداد الكبيرة.

وما يميّز زيارة الأربعين رغم الاختلافات بين الشعوب أنّ لا وجود فيها للمجهول أو لخوفٍ من مجهول ما، لأنّ هذه الزيارة بالذات تعطي اطمئناناً عجيباً لكلّ من يشارك فيها، فينام الزائر عند أناس لا يعرفهم من قبل قد استضافوه على حبّ الإمام الحسين عليه السلام، ويأكل من طعامٍ يوزّع على الطرقات لم يذقْه من قبل أو يعرف محتواه، ويشرب ويمشي في طريق لم يسلكها من قبل، ويتكلّم مع شعوب لم يرها من قبل، بل يتواصل عبر إشارة، إبتسامة أو حركة دون معرفة سابقة وهذا ما لا يتم عادةً بين البشر، حتّى أنّ البعض يمارس أشياء لم يسبق له ممارستها كالجلوس على الأرض تحت أشعة الشمس الحارقة. كلّ هذه الأمور كانت مجهولة لديه قبل مشاركته في زيارة الأربعين لأول مرة ولكن حبّ أبي عبد الله

الحسين(ع) دفعه لأن يحب هذا المجهول الذي لا يراه مجهولاً بل هناك لذة في ممارسته والقيام به... وكل ذلك بسبب البركات المعنوية المحيطة بهذه الزيارة سواء عَلِمَ بها الزائر أم لم يعْلَم، وحقيقة هي عبارة عن نفحات حسينية تحيط بجميع من تواجد في موسم الزيارة، هذه النفحات تصل إلى الجميع، وتعطي آثارها وتجعل من الخوف اطمئناناً، ومن التعب راحةً ولذة، ومن المسير معراجاً...

٥. **النظر إلى المدى القريب والمدى البعيد:** إن للزيارة المليونية آثاراً على المَدَيَيْن القريب والبعيد، بل إنّها تعكس الماضي، الحاضر والمستقبل، فالإمام الحسين(ع) باقٍ ما بقي الليل والنهار، هو سرّ الوجود، فإنّ الإسلام محمدي الوجود حسيني البقاء... وما دام الإمام الحسين(ع) موجوداً هناك زيارة وزائرون رغم كلّ الصعوبات والمشقات، رغم العوامل المتعددة الإقتصادية والمعيشية، بُعد المكان، المرض وغيره..

إنّ المشاركة في هذه الزيارة المقدّسة تعكس الآنية (المدى القريب) والمستقبلية (المدى البعيد) معاً. فكم من باذلٍ بذَل كلّ ما لديه وصرَف ما في جيبه على محبة الإمام الحسين(ع) ولم يفكّر بغده، وكم من فقير قتّر على نفسه خلال العام وحرَم نفسه لكي يجمع ما تبقى من معاشه بغية المشاركة في إطعام الزائرين، وكم من غنيّ وتاجرٍ ترك تجارته وأقام لمدة شهر وأكثر في حسينيةٍ يخدُم الزائرين تاركاً وراءه أعماله وربحه وتجارته...وكم من مريضٍ قصد ماشياً رغم أوجاعه ناسياً لها قاصداً حبيبه، وكم من جريحٍ مقطّع اليدين أو الرجلين تعالى على جراحاته بل نسيها مواساةً لجراحات الإمام والعباس(ع)... كلّ هذه الصور حاصلة بسبب قُدسية الهدف المقصود والمنشود، ألا وهو الوصول إلى حرم الإمام الحسين(ع). صحيح أنّها حسب الظاهر تصرفات آنية وقتية إلّا أنّ حقيقتها تصرفات نابعة عن عمق المعرفة والحب والعشق الحسيني، تصرّفات لها آثارٌ على كلّ المستويات القريبة والبعيدة، الدنيوية والأخروية، فإنّ العارف بالإمام الحسين(ع) لا معادلات مادية في نظره، نعم إصرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب. فكل المعادلات تسقط في نظر الزائر والخادم وغيرهما، لأنّ هناك معادلة واحدة ألا وهي الحب والعطاء والتفاني.... ومع الحبّ تسقط المعادلات المادية سواء وجع، تعب، مرض، غنى، فقر، وعجز.... أما على المستوى البعيد، فإنّ لهذه الزيارة بركات ولو لم يعلمها من ضحّى وتعب وتفانى. هذه البركات على نوعين دنيوية (مادية ومعنوية) وأخروية وكلّها بإذن الله (تعالى) حتمية الوقوع. من بركاتها الدنيوية المادية الزيادة في الرزق، وشفاء المرضى، الحفظ في العيال والصحة والمال. ومن المعنوية، التقرّب إلى الله (تعالى)، تقوية الإرتباط بالإمام(ع)، وغيرها. أمّا الأخروية، فالأمان من العذاب، نيل شفاعة الامام(ع) ودخول الجنّة. كلّ هذه سينالها القاصد والوافد إلى حرم العشق الإلهي...

ثانياً: نشر ثقافة العمل التطوعي

يعتبرُ العمل التطوعيّ من أحد المصادر المُهمّة للخير لأنّه يساهمُ في عكسِ صورةٍ إيجابيّة عن المجتمع توضحُ مدى ازدهاره وانتشار الأخلاق

الحميدة بين أفـراده، لذلك يعدُّ العمل التطوعيّ ظاهرةً إيجابيّةً ونشاطاً إنسانيّاً مُهمّاً، ومن أحد أهمّ المظاهر الإجتماعيّة السّليمة، فهو سلوكٌ حضاريّ يُساهمُ في تعزيزِ قيم التّعاون ونشر الرّفاه بين سُكّان المُجتمع الواحد[٢٢]. وكلّ عملٍ يقومُ به الإنسان له دافعية، ودافعية العمل التطوعي هي إما الإنسانية أو الدين. فهو عملٌ يقوم به المرء بكامل إرادته واختياره دون إلزام أوفرض من أحد. ويقسّم العمل التطوعي إلى قسمين، هُما: العمل التطوّعي الفرديّ والعمل التطوّعي المؤسساتي.

أ. **العمل التطوّعي الفرديّ**: هو ما يقوم به شخص بذاته وبرغبة منه، مثل المُعلّم الذي يُخصّص من وقته لمراجعة دروس بعض الطلبة المحتاجين مجاناً، والطّبيب الذي يمنح من وقته ليُعالج الفقراء مجاناً. أقسام العمل التطوعي الفرديّ: يُقسّم العمل التّطوعي الفرديّ إلى مستويين، هُما:

٢. **مستوى السلوك التطوّعي**: وهو زمرة التصرّفات التي يقوم بها الشّخص استجابةً وردّ فعل لأمر طارئ، أو لموقفٍ إنسانيّ حصل، كأنْ يهرع المرء لإسعافِ مُصابٍ إثر حادثٍ حصل، أو يُسرِع لإنقاذ غريق، وفي هذه الحالات يقوم المرء بهذه الأفعال نتيجةَ مبادئ وغاياتٍ أخلاقية أو إنسانيةٍ أو غيرها، دون التفكير بمقابلٍ ماديّ.

٣. **مستوى الفعل التطوّعي**: وهو ما يقوم به الشّخص برغبةٍ منه بعدَ تفكيرٍ دون أن يكون استجابةً لأمرٍ طارئ، كمن يشتركُ في أعمال تطوعيّة تمتاز بالاستمراريّة، كالتطوّع في محو الأميّة وتعليم كبار السن مثلاً، أو كمن يتبرّع لصالح جمعياتٍ خيرية تُعنى بكبار السنّ أو الأيتام، أو كمن يطوّع فِكره لأجل الحديث الدائم عن قضيّة معينة للتوعية بها.

ب. **العمل التطوّعي المؤسّساتي**: ويُعدُّ ذا تماسكٍ واستمرارٍ أعلى من العمل التطوّعي الفردي، ويكون غالباً أكثر تنظيماً مما يجعلُ تأثيره منتشراً على مدى كبير في المُجتمع، حيثُ يتطوّع الأفراد ضمن إطارٍ مؤسسي خيري أو تطوّعي ليُشاركوا في خدمة مجتمعهم في المجال الذي يرون فيه رغبتهم وخبرتهم[٢٣].

وإذا نظر الباحث إلى ما يجري في زيارة الأربعين، يجد أنّها تفعّل بشكلٍ كبيرٍ وضخمٍ العمل التطوّعي بل إنّ التطوع هو أبـرز ركائزها بل من أسباب تميّزها وفعاليتها في عصرنا الحالي. والسبب وراء هذا الإقبال الذي لا مثيل له على التطوّع أنّ هذه الزيارة المباركة تمتلك خلفية أساسية وهي الخلفية الدينية، ويرتبط بهذه الخلفية عدّة عوامل منها العامل الإيماني الروحي الغيبي، والمراد به العلاقة مع الإمام الحسين عليه السلام، ومنها العامل الفكري والمراد به ما هو مرتكز عند المشاركين حول الخدمة الحسينية وفضلها وآثارها الدنيوية والأخروية على كلّ من يقدّم خدمة لوجه الله (تعالى) على محبة الإمام الحسين عليه السلام، ومنها العامل المجتمعي إن صحّ التعبير، فـإنّ المجتمع العراقي بالذات لديه هذه الخاصية وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدلُّ على مدى ارتباط هذا المجتمع بأهل البيت عليهم السلام ومدى تضحياتهم في سبيلهم فيُنشئون أطفالهم منذ الصغر على البذل والتطوع في سبيل الإمام عليه السلام. وهذه العوامل المتعدّدة تشكّل في الواقع الدافع الأساسي في تحريك الناس على التطوّع.

وعند إستقراء أشكال التطوّع الأربعينيّ، يجد المُستقرئ أنّ جميع أشكال العمل التطوّعيّ موجودة، من العمل التطوعي الفرديّ بمستوييه إلى العمل التطوعيّ المؤسساتيّ.

نماذج من العمل التطوّعي في زيارة الأربعين

أ - العمل التطوّعيّ الفردي

١. **على مستوى السلوك التطوعي**: تجد الزائر يُسرع لإنقاذ شخص مغمى عليه من تعب المشي بشكل تلقائي، وآخر يقدّم خدمة توصيل الزوار بسيارته إلى أحد الأعمدة الموصلة إلى كربلاء المقدّسة، وشخص يرشد زائراً إلى مكان الوضوء، وهكذا.

٢. **على مستوى الفعل التطوعي**: فالنماذج كثيرة كقارئ العزاء الذي يتصدى لقراءة المجالس في الحسينية التي نزل ليستريح فيها أثناء سيره، وكأصحاب المواكب الذين يقدّمون خدماتهم من خلال تأمين الحسينيات، والخيم ولوازم المبيت والأطعمة والأشربة، وكالأفراد الذين يتطوّعون لطبخ الولائم والأطعمة، لتجهيز المشروبات كالعصائر والشاي والقهوة وغيرها، ولتوزيعها على الزوار، وكالأفراد الذين يتطوعون لمساعدة الزوار وإرشادهم، والعوائل العراقية في شتى المحافظات التي تقدّم بيوتها للزائرين وتبذل لهم كل ما يحتاجونه...

ب. **العمل التطوّعيّ المؤسساتيّ**: إنّ العتبات المقدّسة لها الدور الأكبر والأبرز، فهي التي فتحت باب التطوع للجميع كلّ حسب اختصاصه وقدرته بغية المشاركة في الخدمة الحسينية، لاسيما العتبتين الحسينية والعباسية اللتين تقومان بجهود جبّارة في هذا المجال، وأعمالهما لا تقتصر على مدينة كربلاء المقدّسة بل تتوزع على الطرقات المؤدية إلى كربلاء أيضاً. كذلك هناك مشاركة فعالة للجمعيات من داخل العراق وخارجه في الأعمال التطوّعية عبر أفراد ينتمون إليها يقدّمون مختلف أنواع الخدمات للزائرين. بالإضافة إلى العمل التطوعي الإرشادي للمرجعيات الدينية من خلال تواجد ممثلين عنها ومبلغين يقدمون الإرشادات والإجابة على أسئلة الزائرين الفقهية والعقائدية وغيرها.

ثالثاً: تفعيل مبدأ التكافل الاجتماعي

التكافل الاجتماعي هو مبدأ دعا إليه الدين الإسلامي، وأكّد عليه (سبحانه وتعالى) في محكم كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ وآله الأطهار عليهم السلام. قال (تعالى) في محكم كتابه: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٢٤]. وقال (تعالى) في مورد آخر: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ المتّقُون﴾[٢٥].

والمراد بالتكافل والتعاون الإجتماعي مشاركة أفراد المجتمع في المحافظة على المصالح العامة والخاصة، ودفع المفاسد والأضرار المادية والمعنوية بحيث يشعر كلّ فرد فيه أنّه إلى جانب الحقوق التي له أن عليه واجبات للآخرين وخاصة الذين ليس باستطاعتهم أن يحقّقوا حاجاتهم الخاصة وذلك بإيصال المنافع إليهم ودفع الأضرار عنهم. فالمجتمع الذي يسوده التكافل والتعاون والإنفاق في سبيل الله (تعالى) ستسوده المحبة وتشتد فيه علاقات الأخوة الإسلامية ويكون مجتمعاً كما أراده الإمام الحسين عليه السلام، بينما المجتمع الذي لا تكافل فيه سيسيطر عليه الفقر والجهل والمرض ممّا يفتح أبواب الفساد والرذيلة. وتعتبر المجتمعات التي تعطي أهمية وقيمة لهذا المفهوم من المجتمعات الناجحة التي يحيا الإنسان فيها عزيزاً مكرماً. وكثيرة هي المجتمعات التي تفتقر لتطبيق هذا المفهوم والمبدأ الإسلامي الإنساني. ومن ميزات وأبعاد زيارة الأربعين، أنّها تدعو إلى نشر هذا المفهوم الإسلامي العظيم وتطبيقه عملياً، وذلك عبر كثرة أشكال التكافل الإجتماعي الحاصل في الزيارة المليونية على الطرقات أثناء السير في المواكب والحسينيات في كربلاء المقدسة، في العتبات المقدّسة للأئمة وأحفادهم عليهم السلام ومن خلال الجمعيات والمبادرات الفردية. فإنّ للتكافل الإجتماعي أشكال وصور متعدّدة، ولا تنحصر في التكافل المادي المعيشي بل تتعدّاه إلى كلّ تكافل وتعاون في كلّ خير وبذل للآخرين. ومن صور التكافل الحاصل في الزيارة المليونية:

أ. **التكافل الأدبي**: ويقصد به تبادل مشاعر التواصل الإيجابي، الحب، الرحمة والمعاملة الحسنة بين الناس.

وهذه الأمور ظاهرة بشكل جليّ في الأربعينية لدى كلّ من يُشارك فيها، بل هي من ركائزها. فيجد الزائر أنّ الجميع (خَدَمٌ، قيّمون، زوّار وغيرهم) يتبادلون مشاعر الاحترام، الحب، الرحمة والتعاون. فتسقط مشاعر الحقد والغيظ وتطغى عند الجميع مشاعر الود والتسامح في الله (تعالى) وتمنّي الخير للآخرين. فيطّبقون بأفعالهم وصيّة أمير المؤمنين وسيّد الوصيين علي عليه السلام: «وَعَلَيْكُمْ يَا بَنِيَّ بِالتَّوَاصُلِ وَالتَّبَاذُلِ وَالتَّبَارِّ وَإِيَّاكُمْ وَالتَّقَاطُعَ وَالتَّدَابُرَ وَالتَّفَرُّقَ وَتَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوى وَلا تَعاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوانِ»[٢٦].

ب. **التكافل العلمي**: ويقصد به تعليم العالم للجاهل من دون مقابل من خلال إرشاده ونقل المعلومات الصحيحة وإزالة آثار الجهل عنه.

وحقيقة هذا الأمر أنّه هدف الأنبياء والأئمة عليهم السلام. ولقد ذكر الله (سبحانه وتعالى) ذلك في مُحكم كتابه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[٢٧]. فتجد في الزيارة كلّ أشكال التكافل العلمي، من مبادرات شخصية على صعيد الأفراد كالمبلغين والعلماء وأصحاب البصائر والمعرفة، إلى مؤسساتية على صعيد المؤسسات الدينية التوعوية كالعتبات المقدّسة خاصة العتبتين الحسينية والعباسية عبر القيّمين عليها وإرشاداتهم والبرامج المخصصة لرفع الجهل ونشر علوم أهل البيت عليهم السلام وكممثلي المرجعيات الدينية ووكلائهم.

ج. **التكافل العبادي**: ويقصد به التعاون على صعيد إقامة العبادات جماعة كصلاة الجمعة والجماعة، وإقامة الشعائر الحسينية المختلفة من مجالس عزاء حسينية وغيرها، وإقامة الأدعية المأثورة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام والدعاء للمؤمنين والمؤمنات والدعاء لتعجيل فرج مولانا صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه الشريف. وكلّ هذه العبادات تقام بأعداد ضخمة في أجواء زيارة الأربعين.

د. التكافل المعيشي: ويقصد به كفالة المجتمع ورعايته للفقراء، الأيتام، المرضى والمحتاجين، والاهتمام بمعيشتهم من طعام وكساء ومسكن واستشفاء وحاجات اجتماعية.

قال (سبحانه وتعالى): ﴿يسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّه بِهِ عَلِيمٌ﴾[٢٨]. سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن حق المؤمن على المؤمن قال: «إِنَّ مِنْ حَقِّ الْمُؤْمِنِ عَلَى الْمُؤْمِنِ الْمَوَدَّةَ لَهُ فِي صَدْرِهِ وَالْمُوَاسَاةَ لَهُ فِي مَالِهِ وَالْخَلَفَ لَهُ فِي أَهْلِهِ..»[٢٩]. وتعتبر زيارة الأربعين المليونية من هذه الناحية خيرَ نموذج عملي للتكافل المعيشي يقتدى به. فكثيرة هي المساعدات المالية المعيشية التي توزع على المحتاجين والفقراء والمساكين حباً للإمام الحسين عليه السلام وتقرّباً إلى الله (تعالى)، كذلك عملية تكفّل الأيتام والمحتاجين. وهذه الأفعال الحسنة تعلّم كلّ من شارك بالزيارة أنّ هناك فئات من المجتمع الإسلامي يجب كفالتها ورعايتها رعاية خاصة على الصعيد المعيشي الإقتصادي، خاصةً من خلال تواجد ممثّلين عن الجمعيات الإنسانية والدينية الذين يقيمون حملات توعوية في هذا الجانب، كذلك حملات العتبات المقدّسة في الرعاية الاجتماعية. كلّ ذلك يؤدي إلى نشر ثقافة التكافل الإجتماعي المعيشي على مستوى جميع المتواجدين في الزيارة سواء داخل العراق وخارجه.

رابعاً: إنعدام العنصرية والتعصّب

إنّ زوار الأربعين ينتمون إلى شعوب وأعراق وديانات متعددة، فمنهم ذو البشرة البيضاء ومنهم ذو البشرة السمراء الداكنة، ومنهم الناطق باللغة العربية ومنهم الناطق باللاتينية والفارسية والانجليزية، ومنهم المسلم الشيعي والسني، ومنهم النصراني... وهذه التعددية بلحاظ القوميات، البلدان والشعوب يجمعها لـواء واحـد عنوانه «زوار أبي عبد الله الحسين عليه السلام». فلا تعصبات ولا تمييز، بل بالعكس فالجميع يمشي جنباً إلى جنب بكلّ حب واحترام، وبشكلٍ سلميّ وحضاريّ، ما عجزت عنه الدول الداعية إلى عدم العنصرية، وكذلك الاتفاقيات والبنود التي وضعتها الأمم المتحّدة حول حقوق الإنسان في هذا الشأن. وفي الحقيقة إن هذا الانسجام والتآلف بين الزوّار إنّما يعبّر عن مدى الوعي الموجود عندهم وأنّ الناس إما أخٌ لك في الدين أو نظيرٌ لك في الخلق. وهذا لا يتنافى مع قوله (تعالى): ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٣٠]، فإنّ الآية تدعو إلى قبول الآخر والتعارف بين الشعوب على أساس الأخلاقيات الإسلامية مع ذكر أفضلية للأتقى وذلك نتيجة لتقواه.

خامساً: إنتصار القيم المعنوية والأخلاقية على الماديات

إنّ معنى انتصار الدم على السيف يعني أنّ الانتصار حصل بشهادة الإمام الحسين عليه السلام، فكانت شهادة مفعمة بالبقاء والخلود، شهادة لا مثيل لها عبر تاريخ الانسانية وحاضرها ومستقبلها. شهادة ترجمت للبشرية بأنّ الحقّ هو المنتصر والباطل هو الزهوق. فانتصرت المبادئ والقيم الإسلامية الحقّة على التعلّق الدنيوي بالمال والعيال والسلطة. وهذا الأمر أخبرت عنه السيدة زينب عليها السلام في قسمها الشهير ليزيد عندما قالت: «فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا، ولا تدرك أمدنا، ولا ترحض عنك عارها، وهل رأيك إلا فند، وأيامك إلا عدد، وجمعك إلا بدد، يوم يناد المناد ألا لعنة الله على الظالمين»[٣١]. وهذا ما يراه المشارك في زيارة الأربعين، فإنّها حجّ للملايين إلى البقعة المباركة التي احتضنت أجساد الأطهار عليهم السلام، فتركوا وراءهم ضوضاء الحياة وضجيجها، أعمالهم، تجارتهم وبحثوا عن تقوية العلاقة والارتباط العميق بالإمام الحسين عليه السلام عبر زيارتهم ونداءاتهم الملبية المدوّية في أرجاء العراق كلّه. كلّ هذا إنّما هو تجسيد عمليّ لانتصار القيم المعنوية والأخلاقية على الماديات، لذا يمكن إعتبار زيارة الأربعين منهجاً عملياً للتربية الأخلاقية المعنوية المتجدّدة عبر استمرارها كلّ عام في عطاءاتها. ومن أبرز تلك الأمور المعنوية الأخلاقية التي تتجلى فيها:

أ. **حُسن الخلق**: ورد عَن الإمام زين العابدين عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ أنّه قال: (قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله مَا يُوضَعُ فِي مِيزَانِ امْرِئٍ- يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَفْضَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ)[٣٢]. أمّا حدّ حُسن الخلق، فقد أخبر الإمام الصَّادق عليه السلام هو: (أن تلين جَانِبَكَ وتُطِيبُ كَلَامَكَ وَتَلْقَى أَخَاكَ بِبِشْرٍ حَسَنٍ)[٣٣].

وفي هذه الحياة المليئة بالضغوط والصعوبات والتحديات المادية، تجد الكثير من الناس يصدِر منها التصرفات المزعجة للآخرين كالتذمّر عليهم، القول السيء، القسوة في التعامل، عدم اللين وغيرها. فمثلاً تجد بعض الموظفين في حياتهم العملية اليومية يتذمرون من أمور تزعجهم كتذمّرهم من زحمة السير الخانقة على الطرقات، وتجد الزوج يتذمّر من زوجته في حال تأخرت في تحضير الطعام، وتجد الأم سريعة الانفعال على ولدها إن أخطأ وهكذا... ولكن كلّ هذه الأشكال لا تجدها في الزيارة المليونية. فبالرغم من تواجد الأعداد الكبيرة المليونية تجد الناس في مطار النجف الأشرف رغم الانتظار يتحلّون بأخلاق حسنة، وتجد سريع الانفعال يتحلى بالصبر والهدوء أثناء مسيره إلى كربلاء المقدسة، وتجد الرجل الذي لا يعجبه أي طعام يأكل خلال المسير حتى الطعام الذي لا يتناوله في بيته... كلّ هذا يدل على أن زيارة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام لاسيما في الأربعين تعلّم الجميع أنّ كل شيء فداء للإمام الحسين عليه السلام وأنّ عليهم أن يتحلّوا بأخلاقيات أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، فيتحسن الخُلق لأنّ المقصود أسمى من أي شيء، وذلك خلال مدة الزيارة من حين الخروج من المنزل حتّى العودة إلى ديارهم حيث يسعى الجميع زائرون وخداماً أن يتحلوا بالأخلاق الحسنة بغية التوفيق للزيارة وتسجيل أسمائهم في سجل الزائرين.

ب. **العطاء والسخاء وحسن الضيافة**: ما يشهده المرء من عطاءات وكرم وسخاء في زيارة الأربعين لا يجده في مكان آخر على وجه الكرة الأرضية، فلا مؤتمرات ولا مهرجانات ولا احتفالات ولا مناسبات ولا جمعيات خيرية مهما كانت عظيمة وسخية وضخمة تجد فيها عطاءات تضاهي عطاءات الزيارة المليونية.

فما يقدّم فيها من صور متعددة للكرم والجود يجعلها الحدث الأهم عالميّاً في العطاء من دون مقابل. الجميع يبذل، كباراً، صغاراً، شيوخاً، رجالاً ونساءً. فكم هم كثيرون الذين يدّخرون المال من عام إلى عام لكي يقيموا المجالس والولائم، كم هي كثيرة عطاءات المؤمنين لاسيما العراقيين في موسم الأربعين.. فإنّ العطاء والسخاء من مال، كسوة طعام، مساكن، مسح أحذية، تقديم خدمة الانترنت واهتمام بالضيوف، ضيوف الإمام الحسين عليه السلام هي من مظاهر الإحسان والسخاء. ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: (إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ ارْتَضَى لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً فَأَحْسِنُوا صُحْبَتَهُ بِالسَّخَاءِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ)[٣٤]. كم من مشهد يبكي الزائر حينما يرى أثناء مسيره إلى جنة الله (تعالى) على الأرض أنّ أصحاب المواكب تتزاحم لاستقباله واستضافته، بل البعض منهم تراه يدعوك بدموع العشق الحسيني لتناول وجبة الطعام أو كوب الشاي، أو حينما يسمع الزائر عبارة «هلا بزوار أبو السجاد»، أو عبارة «خادمك» من شيخ طاعن في السن. كلّ هذا هو عبارة عن نماذج راقية من حسن الضيافة، ودالّة على مكارم الأخلاق وعلامات الإيمان. ورد عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: (لَا يُضِيفُ الضَّيْفَ إِلَّا كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ قِرَاءُ الضَّيْفِ وَحَدُّ الضِّيَافَةِ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ فَمَا كَانَ فَوْقَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ)[٣٥]. فإنّ قراء الضيف هي من سمات الصالحين أليس كلّ تلك عطاءات على حب الإمام الحسين عليه السلام... إنّ هذه الزيارة العالمية أثبتت للعالم أجمع أن كلّ الدول عاجزة عن فعل ما يقوم به الموالون والمحبون للإمام الحسين عليه السلام.

ج. **التواضع**: من ميزات زيارة الأربعين بشكلها الحالي أنها تعلّم الزائر التواضع.

فالتواضع صفة مطلوبة عند جميع الديانات وهي سمة الأنبياء عليهم السلام والعظماء، فمن التواضع أَنْ تَرْضى بِالْمَجْلِسِ دُونَ الْمَجْلِسِ، وَأَنْ تُسَلِّمَ عَلى مَنْ تَلْقى، وَأَنْ تَتْرُكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كُنْتَ مُحِقّاً، ولَاتُحِبَّ أَنْ تُحْمَدَ عَلَى التَّقْوى[٣٦]، ومن التواضع أَنْ يَعْرِفَ الْمَرْءُ قَدْرَ نَفْسِهِ، فَيُنْزِلَهَا مَنْزِلَتَهَا بِقَلْبٍ سَلِيمٍ، لَايُحِبُّ أَنْ يَأْتِيَ إِلى أَحَدٍ إِلَّا مِثْلَ مَا يُؤْتى إِلَيْهِ، إِنْ رَأى سَيِّئَةً دَرَأَهَا بِالْحَسَنَةِ، كَاظِمُ الْغَيْظِ، عَافٍ عَنِ النَّاسِ[٣٧]. وإنَّ التواضع يزيدُ صاحبَه رفعةً، فمنْ تواضعَ لله (تعالى) رفعه[٣٨]. فعندما يرى الزائر أنّ الكبير ورئيس العشيرة يخدمه على حبّ الإمام الحسين عليه السلام، وفي خيمة أخرى يجد أن من قدّم له الشاي هو كبير العشيرة، وهناك أثناء العروج تجد الجميع يخدم من دون تأفّف حتّى لو صدر من بعض الزوار بعض الأخطاء بسبب التعب أو الحرارة أو غير ذلك. هذا التواضع يعلم الكثير هذه الصفة مهما علا شأنه ويتعلّم أنْ يطبّقَه في حياته عند عودته إلى دياره.

د. **الإيثار والتضحية**: الإيثار صفة لا يتحلّى بها إلا صاحب الفضل والأخلاق العالية. فإنّ بإيثار

الآخرين وتفضيلهم على النفس ينالُ الإنسان أعلى مراتب الكرم[٣٩].

وهذه الصفة تتجلى في أروع صورها في الزيارة الأربعينية. لا تفكير في النفس، بل كلّ ما يهُم المتواجد في هذه الزيارة من مشاية إلى كربلاء المقدّسة وخدّام المواكب والعتبات المقدّسة، رضا الإمام الحسين عليه السلام الذي هو رضا الله (عزّ وجلّ). فيبذلون كلّ ما عندهم من طاقات للآخرين دون أدنى تفكير أو تراجع أو تأفّف. فمنهم من يؤثر الآخرين في مكان مبيته، ومنهم في طعامه، ومنهم في تقديم الخدمات التي تُسعد قلب الزائر، حتّى أنّ البعض يؤثر الآخرين في وصولهم إلى الشباك المبارك فيفضّلون مرور الزوار على أنفسهم رغم شدّة شوقهم للوصول تحت قبة الإمام الحسين أو ضريح المولى العباس عليهما السلام.

هـ. العفّة والحياء: إنّ الغزو الثقافي في الآونة الأخيرة يسعى في الدرجة الأولى لضرب مفاهيم العفّة والحياء عند الناس، لاسيما عند المرأة المسلمة وبالأخص الشيعية.

فيسعى عبر زرع الأفكار المضرّة بالقيم الإسلامية وفي مقدّمتها ضرب الحياء ونشر ثقافة الانفتاح والتحرّر من جميع القيود لاسيما الحجاب الشرعي عند المرأة. إنّ الحياء مقرون بالإيمان كما ورد في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: (الْحَيَاءُ وَالْإِيمَانُ مَقْرُونَانِ فِي قَرَنٍ فَإِذَا ذَهَبَ أَحَدُهُمَا تَبِعَهُ صَاحِبُهُ)[٤٠]. والحياء حقيقة هو سبب العفة، فعلى قدر الحياء تكون العفة[٤١]. ويلاحظ أنّ زيارة الأربعين تلعب دوراً فعالاً في المحافظة على الحياء والعفة، على الحجاب الإسلامي الصحيح، من خلال تعريف الناس والزوار من هي عقيلة بني هاشم، فإنّ السيدة زينب عليها السلام هي شريكة الإمام الحسين عليه السلام في عاشوراء، هي أم المصائب التي ما رأت إلّا جميلاً لأن كل ما جرى كان بعين الله (تعالى). هي المرأة القدوة لكل إمرأة حرّة في العالم، هي التي أعطت البشرية الدروس والعبر في العفّة والحياء رغم الصعوبات والمآسي التي جرت عليها، وهذه المعرفة إنما تحصل في الزيارة عبر المجالس والمحاضرات، عبر اللطميات، عبر الإعلام المرئي والمسموع، ومن خلال ما تقوم به العتبات المقدسة من إرشادات للمرأة حول عفتها وحيائها وحجابها، ومن خلال البرامج التوعوية وغيرها من الوسائل.

و. الحب في الله (عزّ وجلّ): من يتأمل في زيارة الأربعين بشتّى أبعادها يجد أن المرجع في كلّ مميزات وعطاءات هذه الزيارة المباركة هو الحبّ.

فلا عطاء ولا إيثار ولا تضحيات ولاصبر من دون حب. فالحب هو منبع الخيرات والبركات. ورد عن الإمام الصَّادق عليه السلام: «وهل الدين إلا الحب»[٤٢]. إنّه حبّ الإمام أبي عبد الله الحسين وحبّ أخيه أبي الفضل العباس عليهما السلام اللذيْن يدفعان بالناس إلى تجسيد أجمل وأقدس صور العطاءات والأخلاقيات الرفيعة، إلى ترك التعلّق بالدنيا والسعي إلى التكامل وتطهير النفس من شوائبها وسيئاتها. ورد عن أبي عبد الله الصَّادق عليه السلام: (من أَرَادَ الله بِهِ الْخَيْرَ قَذَفَ فِي قَلْبِهِ حُبَ الْحُسَيْنِ عليه السلام وَحُبَّ زيارته)[٤٣]. فهذا الحب المقدّس يورث المرء حب الله (سبحانه وتعالى). وورد عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا»[٤٤]. هذا هو طريق الإمام الحسين عليه السلام، فلقد بذل (سلام الله عليه) كلّ ما لديه

لأجل الحقّ، لأجل رضا الله (تعالى)، فأعطاه (تعالى) حبّ الناس له، حبّ الوفود إليه، حبّ زيارتهعليه السلام، حب أصحاب الضمائر الحيّة مسلمين وغيرهم، فأحبَّه كلّ من عرف قصته وما جرى عليه. وهذا الحبّ للإمام الحسينعليه السلام يعلّم قاصديه أنْ يسعوا لأنْ يكونوا كما أرادهـم، وأن يتحلوا بما تحلّى به أصحاب الإمام (عليه وعليهم السلام). ومن رزقه الله (سبحانه وتعالى) حبّ الأئمةعليهم السلام فقد أصابَ خيرَ الدنيا والآخرة، فقلد ورد عن الرسول الأكرمصلى الله عليه وآله: «فَإِنَّ فِي حُبِّ أَهْلِ بَيْتِي عشرون خَصْلَةً عَشْرٌ مِنْهَا فِي الدُّنْيَا وَعَشْرٌ مِنْهَا فِي الْآخِرَةِ أَمَّا الَّتِي فِي الدُّنْيَا فَالزُّهْدُ وَالْحِرْصُ عَلَى الْعَمَلِ وَالْوَرَعُ فِي الدِّينِ وَالرَّغْبَةُ فِي الْعِبَادَةِ وَالتَّوْبَةُ قَبْلَ الْمَوْتِ وَالنَّشَاطُ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ وَالْيَأْسُ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ وَالْحِفْظُ لِأَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالتَّاسِعَةُ بُغْضُ الدُّنْيَا وَالْعَاشِرَةُ السَّخَاءُ، وَأَمَّا الَّتِي فِي الْآخِرَةِ فَلَا يُنْشَرُ لَهُ دِيوَانٌ وَلَا يُنْصَبُ لَهُ مِيزَانٌ وَيُعْطَى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ وَيُكْتَبُ لَهُ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ وَيَبْيَضُّ وَجْهُهُ وَيُكْسَى مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ وَيَشْفَعُ فِي مِائَةٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَيَنْظُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ بِالرَّحْمَةِ وَيُتَوَّجُ مِنْ تِيجَانِ الْجَنَّةِ وَالْعَاشِرَةُ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ فَطُوبَى لِمُحِبِّي أَهْلِ بَيْتِي»[٤٥].

سادساً: زيارة الأربعين معراج للإصلاح الإجتماعي المجدّد

إن زيارة الأربعين معراجٌ للإصلاح الإجتماعي المتجدّد، فإنّ الهدف الأوّل من توجّه الإمام الحسينعليه السلام إلى العراق هو طلب الإصلاح في أمة جدّهصلى الله عليه وآله، فلقد ورد في وصيّة الإمام أبي عبدالله الحسينعليه السلام لأخيه محمد المعروف بابن الحنفية ما يلي: «...أَنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشِراً وَلَا بَطِراً وَلَا مُفْسِداً وَلَا ظَالِماً وَإِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةِ جَدِّيصلى الله عليه وآله أُرِيدُ أَنْ آمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَسِيرَ بِسِيرَةِ جَدِّي وَأَبِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍعليه السلام فَمَنْ قَبِلَنِي بِقَبُولِ الْحَقِّ فَاللَّهُ أَوْلَى بِالْحَقِّ وَمَنْ رَدَّ عَلَيَّ هَذَا أَصْبِرُ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْقَوْمِ بِالْحَقِّ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ»[٤٦]. ولا إصلاح من دون أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، فالمعروف يشمل كلّ ما هو حسن، والمنكر كلّ ما هو قبيح في نظر العقل والشرع. ودائرة المعروف والمنكر شاملة أيضاً لجميع الأبعاد في حياة الإنسان، فتشمل أفعاله، أقواله، عبادته، معاملته، عقيدته، أخلاقه، وعلاقته بمجتمعه؛ لذا فإنّ زيارة الأربعين يمكن اعتبارها تجسيداً عملياً لحركة الإصلاح التي دعا إليها أبو عبد الله الحسينعليه السلام، فإنّ حركة الإصلاح الحسيني المتمثلة في زحف الملايين هي حركة تتجدّد في كلّ عام، فتعرف البشرية جمعاء أنّ الإمام الحسينعليه السلام وأهل بيته وأصحابهعليهم السلام أحياء ما زالوا يبذلون عطاءاتهم للناس، لمحبيهم، لقاصديهم، وما زال الحسين وسيبقى ما بقي الليل والنهار نوراً للهداية، مصباحاً للهدى، سفينةَ النجاة عبر الالتزام بمبادئه وأخلاقه واتخاذه القدوة الحسنة لكل مجتمعٍ أراد أن يحيا حياةً كريمةً عزيزة.

الخاتمة

شكّلت واقعة كربلاء عبر العصور مصدراً فياضاً في تعلّم الأخلاق والإقتداء بالأسوة الحسنة في طريق تزكية النفس على الصعيدين الفردي والاجتماعيّ لتحقيق الكرامة الإنسانيّة. فمازال الإمام الحسين

الشهيد عليه السلام تنهل البشرية من كرمه، ويفيض عليها من فيوضاته، في كلّ لحظة وفي كلّ عام لاسيما فيوضات وبركات زيارته عليه السلام في العشرين من صفر، خاصة بنموذجها الحالي حيث تستقطب الملايين من الوافدين من مختلف بقاع الأرض على مختلف فئاتهم وطوائفهم وثقافاتهم ومستوياتهم العلمية والثقافية وتوجههم سيراً على الأقدام بشكل سلمي حضاري إجتماعي إلى كربلاء الإمام الحسين عليه السلام.

ولقد أثبتت فعاليتها وآثارها العملية في عملية الإصلاح الحسيني مستمرة متجدّدة على كافة الأصعدة منها الإصلاح الإجتماعي الأخلاقي. فليست الزيارة عبارة عن تجمّع مليوني فحسب بل هي في حقيقتها تشكّل مجتمعاً حضارياً أخلاقياً إسلامياً يصلح لأن يكون منهجاً معتمداً في حياة المجتمعات والشعوب التي تسعى إلى الرقي والكمال نحو حياة أفضل يرضاها الله (تعالى) للإنسانية، وذلك عبر ما تقدّمه للبشرية من نماذج ومصاديق حيّة للإنسان الحسيني الحرّ وللمجتمع الحسيني العزيز.

ومن أبرز النتائج التي توصل إليها البحث:

١. زيارة الإمام الحسين عليه السلام مستحبة شرعاً في كافة الأوقات.

٢. زيارة أربعين الإمام الحسين عليه السلام مستحبة إستحباباً مؤكداً وهي إحدى علامات المؤمن الخمس.

٣. إنّ في المشي إلى زيارة الإمام الحسين عليه السلام ثواباً وأجراً عظيماً.

٤. إنّ لزيارة الأربعين أهمية عظيمة تتجلى فيما يلي:

أولاً: هي عبارة عن تجديد للعهد والولاء للرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام.

ثانياً: هي أكبر إمتثال علميّ زماني لإحياء أمر أهل البيت عليهم السلام.

ثالثاً: تأتي في شهر الأحزان على النبي وآله الأطهار عليهم السلام وما له من آثار على قلب المؤمن.

رابعاً: إنّها الحدث الوحيد في العالم أجمع الذي يوحّد أكبر عدد من الناس تحت لواء واحد وشعار واحد هو (لبيك يا حسين).

خامساً: أنّها زيارة مليئة بالبركات والنفحات الإلهية وتمتاز بتعدّد أبعادها على شتّى الأصعدة.

٥. لزيارة الأربعين أبعاد أخلاقية وإجتماعية عديدة، تساهم سوياً في عملية رقي المجتمع الإسلامي عبر تحويل المفاهيم الحسنة عقلاً والمحمودة شرعاً إلى مصاديق تطبّق في حياة الإنسان. ومن تلك الأبعاد:

أولاً: التفاعل الفكري والمعرفي بين الحضارات والمجتمعات.

ثانياً: نشر ثقافة العمل التطوعي على المستويين الفردي والمؤسساتي.

ثالثاً: تفعيل التكافل الإجتماعي في شتّى المجالات منها التكافل الأدبي، التكافل العلمي، التكافل العبادي، والتكافل المعيشي الاقتصادي.

رابعاً: إنعدام العنصرية والتعصب بين الشعوب والمجتمعات والأعراق رغم الاختلاف فيما بينهم باللون، اللغة والبلد.

خامساً: إنتصار القيّم المعنوية والأخلاقية على الماديات لذا يمكن اعتبارها منهجاً عملياً للتربية

الأخلاقية. ومن أبرز القيم المتجلية فيها: حسن الخلق، **العطاء والسخاء وحسن الضيافة، التواضع، الإيثار والتضحية، العفة والحياء، والحب في الله (تعالى).**

سادساً: زيارة الأربعين معراج للإصلاح الإجتماعي المتجدّد.

وهناك بعض التوصيات التي يمكن أخذها بعين الاعتبار:

١. إنشاء مركز مختص يعنى بشؤون المرأة في زيارة الأربعين (مفاهيم الزيارة، التركيز على الحجاب الإسلامي وأبعاده الروحية).
٢. إستحداث مركز إسلامي مجازي مختص بترجمة وتأليف المقالات والبحوث باللغات الانجليزية والفرنسية بما يختص بزيارة الأربعين وإظهار مظلومية أهل البيت عليهم السلام.

السلام عليك يا أبا عبد الله وعلى الأرواح التي حلّت بفنائك عليك مني سلامُ الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار ولا جعله الله آخر العهد مني لزيارتكم السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين، والحمد لله ربّ العالمين.

الهوامش

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام، ج١٦، ص٢١٠.

(٢) المجلسي، محمد تقي، روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، ج٥، ص٣٨٣.

(٣) آل عمران: ١٦٩.

(٤) الكفعمي العاملي، إبراهيم بن علي، البلد الأمين والدرع الحصين، ج١، ص٢٨٤.

(٥) الكفعمي، إبراهيم بن علي، المصباح، ص٤٩٠.

(٦) نفس المصدر، ص٤٩١.

(٧) راجع الحر العاملي، محمد بن حسن، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل الشريعة،ج١٤، ص ٤٥٩- ٤٧٩.

(٨) نفس المصدر، ص. ٤٧٨.

(٩) نفس المصدر، نفس الصفحة.

(١٠) راجع الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد، ج١، ص ٧٨٧؛ وراجع المفيد، محمد بن محمد، مسار الشيعة في مختصر تواريخ الشريعة، ج١، ص ٤٦.

(١١) الحر العاملي، محمد بن حسن، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل الشريعة، ج١٤، ص٤٤٠.

(١٢) نفس المصدر، ص.٤٤١.

(١٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٤، ص٥٦٧.

(١٤) راجع ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات، ص١٥١.

(١٥) راجع المجلسي، محمد تقي، روضة المتقين، ج٥، ص٣٨٦.

(١٦) راجع ابن قولويه، جعفر بن محمد، م. س، ص١٥٢- ١٥٣.

(١٧) راجع نفس المصدر، ص١٦٤.

(١٨) راجع المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٩٨، ص٩٣.

(١٩) راجع الحر العاملي، محمد بن حسن، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل الشريعة، ج١٤، ص٤٥٦.

(٢٠) الحر العاملي، محمد بن حسن، هداية الأمة إلى أحكام الأئمة عليهم السلام، ج٥، ص١٣٧.

(٢١) **See Geert Hofstede، Gert-Jan Hofstede، and**

Michael Minkov، Cultures and Organizations: «Software of the Mind»، (Mc GrawHill)،2010.

(٢٢) See John Wilson: "Volunteering"، Annual Review of Sociology، 14-8-2016.

(٢٣) وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع، الإمارات العربية المتحدة، «أهداف وأشكال العمل التطوّعي»، بتصرّف. http://fonoon.gov.ae/VolunteerWorkObjectives.aspx

(٢٤) المائدة: ٢.

(٢٥) البقرة: ١٧٧.

(٢٦) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٧، ص٥٢.

(٢٧) الجمعة: ٢.

(٢٨) البقرة: ٢١٥.

(٢٩) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٢، ص١٧١.

(٣٠) الحجرات: ١٣.

(٣١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٤٥، ص ١٣٥٢.

(٣٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٢، ص٩٩.

(٣٣) ابن بابويه، محمد بن علي، معاني الأخبار، ص٢٣٥.

(٣٤) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٢، ص٥٦.

(٣٥) ابن حيون، نعمان بن محمد المغربي، دعائم الإسلام، ج٢، ص١٠٦.

(٣٦) راجع الكليني، محمد بن يعقوب، م. س، ج٢، ص١٢٢.

(٣٧) راجع نفس المصدر، ص١٢٤.

(٣٨) راجع ابن شعبه حراني، حسن بن علي، تحف العقول، ص٤٦.

(٣٩) راجع الحلواني، حسين بن محمد بن حسن بن نصر، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، ص٤٤.

(٤٠) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٢، ص١٠٦.

(٤١) الري شهري، محمد، ميزان الحكمة، ج٢، ص٧١٧.

(٤٢) ابن بابويه، محمد بن علي، الخصال، ج١، ص٢١.

(٤٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات، ص١٤٢.

(٤٤) نفس المصدر، ص٥٢.

(٤٥) ابن بابويه، محمد بن علي، م.س، ج٢، ص٥١٥.

(٤٦) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٢٩.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. ابن بابويه، محمد بن علي، الخصال، جامعة المدرسين، قم المقدسة – إيران، ط١، ١٣٦٢ش.

٢. ابن بابويه، محمد بن علي، معاني الأخبار، قم المقدسة– إيران، ط١، ١٤٠٣ هـ.

٣. ابن حيون، نعمان بن محمد المغربي، دعائم الإسلام، مؤسسة آل البيت، قم المقدسة – إيران، ط٢، ١٣٨٥هـ.

٤. ابن شعبه الحراني، حسن بن علي، تحف العقول، جامعة المدرسين، قم المقدسة – إيران، ط٢، ١٤٠٤هـ.

٥. ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات، دار المرتضوية، النجف الأشرف– العراق، ط ١، ١٣٥٦ش.

٦. الحر العاملي، محمد بن حسن، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل الشريعة، مؤسسة آل البيت، إيران– قم المقدسة، ط١، ١٤٠٩هـ.

٧. الحر العاملي، محمد بن حسن، هداية الأمة إلى أحكام الأئمة، مجمع البحوث العلمية التابع للعتبة الرضوية، مشهد المقدّسة–إيران، لا. ط، ١٤١٤هـ.

٨. الحلواني، حسين بن محمد بن حسن بن نصر، نزهة

الناظر وتنبيه الخاطر، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم المقدسة – إيران، ط١، ١٤٠٨ هـ.

٩. الري شهري، محمد، ميزان الحكمة، دار الحديث، قم المقدسة – إيران،لا. ط، ١٣٨٩ ش.

١٠. الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت–لبنان، ط١، ١٤١١هـ.

١١. الكفعمي العاملي، إبراهيم بن علي، البلد الأمين والدرع الحصين، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت–لبنان، لا.ط، ١٤١٤هـ.

١٢. الكفعمي العاملي، إبراهيم بن علي، المصباح، دار الرضي، إيران–قم المقدسة، ط٢، ١٤٠٥هـ.

١٣. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، دار الكتب الإسلامية، إيران–قم المقدسة، ط٤، ١٤٠٧هـ.

١٤. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، لا. ط، ١٤٠٣هـ.

١٥. المجلسي، محمد تقي، روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، مؤسسة فرهنكي إسلامي، إيران – قم المقدسة، ط٢، ١٤٠٦هـ.

١٦. المفيد، محمد بن محمد، مسار الشيعة في مختصر تواريخ الشريعة، دار المفيد للطباعة، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤١٤هـ.

١٧. وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع، الإمارات العربية المتحدة، أهداف وأشكال العمل التطوعي.

١٨. **http://fonoon.gov.ae/VolunteerWork Objectives.aspx**

١٩. **Geert Hofstede، Gert-Jan Hofstede، and Michael Minkov، Cultures and Organizations، Software of the Mind، (McGrawHill(،2010**

٢٠. **Jhon Wilson، Volunteering، Annual Review of Sociology، 7-11-2016.**

٢١. عاشوراء الحسين، ماض متألق ومستقبل مشرق: مركز كربلاء للدراسات والبحوث.

٢٢. الموروثات والشعائر في كربلاء: سلمان هادي آل طعمة، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع.

٢٣. صناعتنا الشعبية: عامر رشيد السامرائي، عبد الحميد الدملوجي، مجلة التراث الشعبي، (د.ع)، بغداد، ١٩٦٨م.

٢٤. زيارة الأربعين دلالات وآفاق: محمد عبد الرضا هادي الساعدي.

٢٥. تنبيه الخواطر ونزهة المناظر: الحسيني ورام بن ابي فراس المالكي الاشتري، طبعه طهران سنة ١٣٠٩هـ.

٢٦. المزار الكبير تأليف: الشيخ ابو عبد الله محمد بن جعفر بن المشهدي تحقيق: جواد القيومي الاصفهاني الناشر: مؤسسة النشر الاسلامي الطبعة: الاولى ١٤١٩هـ

٢٧. بحار الأنوار، الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: العلامة محمد باقر المجلسي، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، الناشر: احياء الكتب الإسلامية، سنة الطبع: ١٤٠٣ – ١٩٨٣ م.

المحور الثالث

المحور التاريخي والجغرافي في زيارة الأربعين

أثر زيارة الأربعين في نشوء وتطور المستقرات البشرية

(دراسة جغرافية باستخدام GIS)

أ. د. حسين عليوي ناصر الزيادي
كلية الآداب – جامعة ذي قار

م. م. حمزة عباس حمد
مديرية تربية محافظة المثنى

الملخص

دأب الشيعة منذ استشهاد الإمام الحسين عليه السلام على جعل الصلة نابضة وحية ومستمرة بينهم وبين كربلاء، وهو أمر يشير الى حيوية الأمة، وان الواقعة رسمت بأنامل المأساة فكانت اكثر وقعاً وأشد تأثيراً، فلا يمكن لعوادي الزمن وجور الحكام ان تمحو ذكرها فلم يزل مرقد الإمام سلام الله عليه منذ استشهاده ملهم الاحرار وكعبة الوفاد ومهوى القلوب.

تناول البحث بعداً جغرافياً مهماً لزيارة الاربعين وهو نشوء المستوطنات البشرية على الطرق الرابطة لمدينة كربلاء. وقد استعانت الدراسة بوسائل مختلفة من الأساليب الإحصائية والتمثيل الكارتوكرافي المتمثل بالتقنيات الحديثة الـ GIS بهدف تحديد اتجاهات الزائرين وأحجامهم السكانية والمسافات والقرى الواقعة على الطريق والتي تفصل المدينة المقدسة عن المراكز الاستيطانية الاخرى المتمثلة بمراكز المحافظات والاقضية الاخرى.

تتمثل المشكلة الرئيسة للبحث بالتساؤل الآتي: ما هو تأثير زيارة الاربعين في عملية نشوء القرى على الطرق البرية التي تربط المحافظات بمركز كربلاء المقدسة؟

وهل هناك مناطق بحاجة الى خدمات لأنها تعاني من انخفاض في اعداد المراكز الصحية والخدمية.

وقد تبين من خلال البحث ان هناك مراكز ومستوطنات لم يكن لها وجود قبل عام ٢٠٠٥، وقد أسهمت زيارة الاربعين في نشوء وتطور تلك المستوطنات، وتباين اعداد القرى بحسب الموقع الجغرافي، كما تتباين احجامها تبعاً لعدد السكان، علماً ان بعض تلك القرى تفتقر الى الخدمات اللازمة.

The Effect of the Arbaeen pilgrimage on the emergence and development of human settlements (GIS-based Geographical study)

Prof. Hussein Aliwi Nasser
Faculty of Literature - Dhi Qar University

Lecturer. Al-Zayadi M. Hamza Abbas Hamad
Directorate of Education Muthanna province

Abstract

Since the martyrdom of Imam al-Husayn, the Shiites have always made the connection vibrant and continuous between them and Karbala, which indicates the vitality of the Ummah, and the fact that the incident was painted with the hopes of the tragedy was more striking and more effective. He has since his death inspired the free and Kaaba al-Wafad and Mahwah hearts.

The research dealt with an important geographical dimension to the 40th visit, namely the emergence of human settlements on the roads connecting the city of Karbala. The study used different methods of statistical methods and representation of the cartography of modern techniques GIS to determine the direction of visitors and their sizes and distances and villages located on the road, which separate the holy city from the other settlement centers represented by the centers of the provinces and other districts.

The main problem of the research is the following question: What is the impact of the visit of the forty in the process of establishing villages on the roads linking the provinces to the holy center of Karbala?

Are there areas in need of services because they suffer from a decline in the number of health and service centers.

The survey found that there were centers and settlements that did not exist prior to 2005. The visit of forty people contributed to the development and development of these settlements. The number of villages varied according to geographical location. The size of the villages varied according to the population. Some of these villages lack the necessary services. .

المقدمة

تُعَدُّ زيارة الأربعين من أهم الشعائر الحسينية المقدسة من حيث آثارها وحجمها وتفاصيلها ومصادر زوارها، فهي مناسبة إنسانية يشترك فيها الناس باختلاف دياناتهم وطوائفهم متخذين من الحسين عليه السلام رمزاً ثورياً ونبراساً للتحرر من الطغيان، ولهذه الزيارة بعدٌ فلسفيٌ عميقٌ فهي تمثل اليوم صورة حية لتشوق الإنسانية إلى الحرية ورفض الظلم، فضلاً عما تحمله الجموع المليونية من حب منقطع النظير لابن الرسول الاعظم سلام الله عليه.

ولزيارة الاربعين آثار وفوائد روحية ومادية لا يمكن الإحاطة الا بالظاهر منها، فهي مناسبة للتلاقي الفكري والتواصل المعرفي بين المسلمين، وهي تمثل نقطة تلاق بين الشيعة أنفسهم من شتى بقاع العالم في تظاهرة دينية تتجلى فيها مشاعر الإخاء والمحبة والوئام والتعايش والايثار والتضحية في سبيل الآخر، وقد شهدت زيارة الاربعين بروز حالات ايجابية من العطاء والتفاني والتضحية والكرم والضيافة.

تتمثل المشكلة الرئيسة للبحث بالتساؤل الآتي: ما هو تأثير زيارة الاربعين في عملية نشوء القرى على الطرق البرية التي تربط المحافظات بمركز كربلاء المقدسة؟ وهل هناك مناطق بحاجة الى خدمات لأنها تعاني من انخفاض في اعداد المراكز الصحية والخدمية.

يهدف هذا البحث إلى بيان دور زيارة الأربعين في نشوء وتطور المستقرات البشرية على الطرق الرابطة بين محافظات العراق ومدينة كربلاء وهي الطرق التي يتخذها الزائرون مساراً لهم للوصول الى مدينة كربلاء المقدسة.

اما منهجية البحث فقد تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي بالاستعانة بخرائط التمثيل الكارتوكرافي لبيان حجم المستقرات البشرية على الطريق الرابط بين كربلاء وبقية المدن الواقعة الى جنوب المدينة.

وقد أظهرت نتائج البحث ان هناك العديد من القرى والمستقرات البشرية نشأت على الطرق التي تشهد كثافة عددية للزوار، فضلاً عن ذلك شهدت العقارات والمساكن القريبة من طريق الزائرين ارتفاعاً ملحوظاً في أسعارها(*).

طرق النقل البرية بين كربلاء ومدن جنوبي العراق

إن الحركة والتنقل من أهم الأعمال التي مارسها الانسان سواء كان بحثاً عن الغذاء بالدرجة الاولى او للتنقل والترحال من مكان لآخر بسبب الظروف الجوية او غيرها(١) ويعود تاريخ نشأة الطرق البرية في العراق إلى عهد الوركاء عند اختراع العجلة لأول مرة في تاريخ البشرية عام (٣٥٠٠ ق.م)، وبحكم التطور الحضاري لسكان وادي الرافدين وظهور الحركة التجارية دعت الحاجة إلى إنشاء طرق جديدة صنعها السومريون(٢).

ومن الاسباب الرئيسة لنشأة الطرق وازدهارها في العراق تجارة (الحبوب، التمور، الاقمشة والحلي)،

ونمو العلاقات التجارية المتبادلة بين العراق والبلدان المجاورة كبلاد فارس، والاناضول، وبلاد الشام وشبه الجزيرة العربية واستخدمت الابل كواسطة رئيسة للنقل عبر الصحراء الواسعة بين العراق والجزيرة العربية، ومناطق العالم القديم،[٣]، وكانت قوافل التجارة اثناء سفرها تحتاج الى بعض المتطلبات الضرورية كالطعام، والماء ولراحة المسافرين، فكان من الطبيعي أن تنشأ بعض القرى والمدن كمحطات لاستراحة القوافل على امتداد الطرق في اماكن مناسبة لتقديم المتطلبات والخدمات[٤].

وتتجلى أهمية الطرق الرابطة بين (البصرة – كربلاء) في المناسبات الدينية، إذ ان هذه الطرق تعد الشريان الرئيس في نقل زوار سكان مدن المحافظات الجنوبية والوسطى إلى المراقد المقدسة ذهاباً إلى كربلاء والنجف في مواسم الزيارات وابرزها زيارة أربعينية الإمام الحسين عليه السلام.

شهدت طرق النقل البرية تحسناً كبيراً خلال العهد الاسلامي، فقد أُنشيء نظام محكم للطريق ممثل بوضع العلامات الحجرية على الطريق وبناء المنازل (الخانات)، كما تمكنوا من انشاء طرق جديدة لربط أجزاء الدولة، وكانت الدولة تقوم بوضع الحراس على امتداد الطرق لحراستها ولاستتباب الامن والقضاء على الاضطرابات، واقيمت الجسور والقناطر وتعددت محطات الاستراحة (الخانات)[٥] التي كانت تقف عندها وسائط النقل القديمة لتأدية اعمال مختلفة تساعد على استمرار السفر وتوفير الراحة للمسافرين. فهي إذن تقع عند الطريق او قريباً منه لذا كان يراعى ببنائها بأن تكون المسافة بين خان وآخر حوالي الـ ٢٠ كم، حيث انه بهذه المسافة يتعب المسافرون وحيواناتهم ما يتطلب الراحة لهم فيلجأون الى الخان ومن هنا تنشأ الخانات عند نهاية مثل هذه المسافة، ومن الخانات التي كانت قد شيدت في محافظة كربلاء هي[٦]:

١. خان العطيشي:

ويقع الى الشمال الشرقي من مدينة كربلاء في مركز ناحية الحسينية على الطريق الثانوي كربلاء- حسينية- سدة الهندية، ويبعد مسافة (٨٧٥) م عن مركز الإمامين بما توضحه الخريطة (١).

ولهذا الخان مدخل واحد يقع في منتصف الواجهة الجنوبية الغربية. إن أرضية الخان الحالية قد دفنت بالتربة وفضلات الحيوانات مما أدى الى ضياع الكثير من معالم الخان، اما البئر فتقع بالقرب من الزاوية الجنوبية الغربية للصحن ومدفونة بالأتربة، أما المواد المستخدمة في بناء هذا الخان فهي الآجر والجص.

٢. خان الربع أو خان النخيلة:

ويبعد مسافة (١٧,٦) كم عن مركز مدينة كربلاء، وأُطلق عليه هذا الاسم لأنه يمثل ربع المسافة تقريباً بين كربلاء – والنجف. ويسمى ايضاً بخان آل سمسة، ويقع الى الجنوبي الشرقي من مدينة كربلاء، ويبعد عن الطريق الرئيس كربلاء – نجف (٢٢٦م) على يسار الذاهب الى النجف وهذا الخان مربع الشكل تقريباً وتحيط به جدران ترتفع عن مستوى سطح الارض الحالية خمسة أمتار[٧].

أما اهم الطرق التي كانت تسلكها القوافل عبر مرورها في العراق ومنطقة الدراسة هو طريق البصرة

– كوفة – كربلاء وطريق بغداد – كوفة – كربلاء – عرعر – مكة المكرمة.

الخريطة (١)

موقع الخانات من مدينة كربلاء

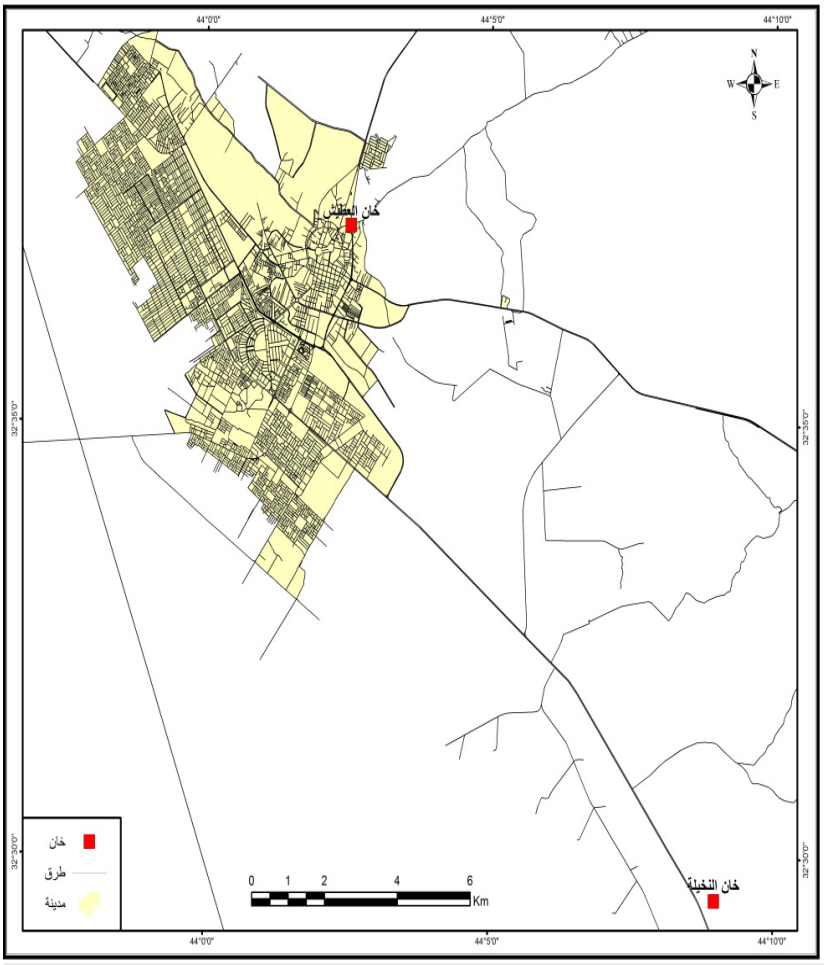

المصدر: الباحثان بالاعتماد على:

١–وزارة الموارد المائية، الهيأة العامة للمساحة، قسم إنتاج الخرائط، خريطة كربلاء، بمقياس ١:٥٠٠٠٠، بغداد،١٩٨٩.

٢–القمر الامريكي كويك بيرد، مرئية مدينة كربلاء، ٢٠١٢.

وقد اضمحلت الطرق البرية بين كربلاء – بغداد وكربلاء – الحلة وكربلاء – النجف وبقيت على حالها ترابية لقلة وجود الاحجار لرصفها إضافة الى كثرة الحفر والمطبات فيها نتيجة لسير العربات عليها وهي محملة بالبضائع والمسافرين خلال العهد العثماني[٨]. وعندما زار الرحالة الانكليزي (موسبيل ألوا) منطقة الدراسة عام ١٩١٥ أشار الى أهمية هذه الطرق من خلال كثرة الحركة والتنقل عبرها (حركة الزوار الى العتبات المقدسة) كما انه شاهد على طريق نجف – كربلاء محطات الاستراحة (الخانات) مثل خان النخيلة (الربع) وخان العطيشي حيث كان يتوقف عندها الزوار المسافرون المتجهون الى العتبات المقدسة في كربلاء والنجف[٩].

أما المدة بين عامي (١٩٥٠–١٩٥٧) فقد شهدت الطرق تطوراً كبيراً تميز بإنشاء الطرق بمواصفات هندسية معتمدة عالمياً وكان أول طريق تم إنشاؤه في منطقة الدراسة، طريق كربلاء – النجف[١٠] بطول ٤٢كم، وهو ذو ممرين بكلفة (١٩٥٣) دينار. ثم انجز طريق كربلاء – الهندية– عام ١٩٥٧ بطول (٥٢كم) وبكلفة (٨٩٤) دينار وأصبح هذا الطريق من الطرق المهمة والرئيسة ذات الممرين والذي يربط محافظة كربلاء بمدينة الحلة.

التصنيف العام للطرق:

يستخدم المختصون في تخطيط الطرق الدولية أُسساً ومعايير مختلفة في تصنيف الطرق، وتبعاً

لذلك فقد تصنف على أساس احتساب عدد ممرات الطريق، أو تصنف على أساس حركة المرور اليومية ومدى حجمها أو يمكن تصنيفها حسب صفاتها النقلية أو حسب أهميتها الاقتصادية[١١] أو على أساس استعمالاتها. إن الغرض من هذه التصانيف هو الوصول الى انسيابية حركة المرور والانتقال بأقل مدة زمنية، وعلى وفق شروط اقتصادية معقولة.

وبالرغم من هذا التباين التصنيفي للطرق بشكل عام إلا أنه يمكن اعتماد تصنيف أساسي يمكن على أساسه تصنيف الطرق في العراق، هو تصنيف دليل تصاميم الطرق لعام ١٩٨٢، وهو التصنيف المعمول به حالياً في العراق عند الهيئة العامة للطرق والجسور، اذ تصنف الطرق على أساس طبيعة استخدامها ودرجة أهميتها في العراق وكما يأتي:

١. **الطرق الرئيسة**: وهي الطرق الدولية المهمة، تصمم على وفق قياسات عالية الكفاءة، تربط مراكز المدن الرئيسة ببعضها، لغرض ربط أجزاء العراق من جهة، وربط العراق بالبلدان المجاورة من جهة اخرى يوضح أبعاد ومواصفات الطرق حسب أصنافها في العراق ضمن دليل تصاميم الطرق لعام ١٩٨٢.

الخريطة (٢)

الطرق الرئيسة والثانوية

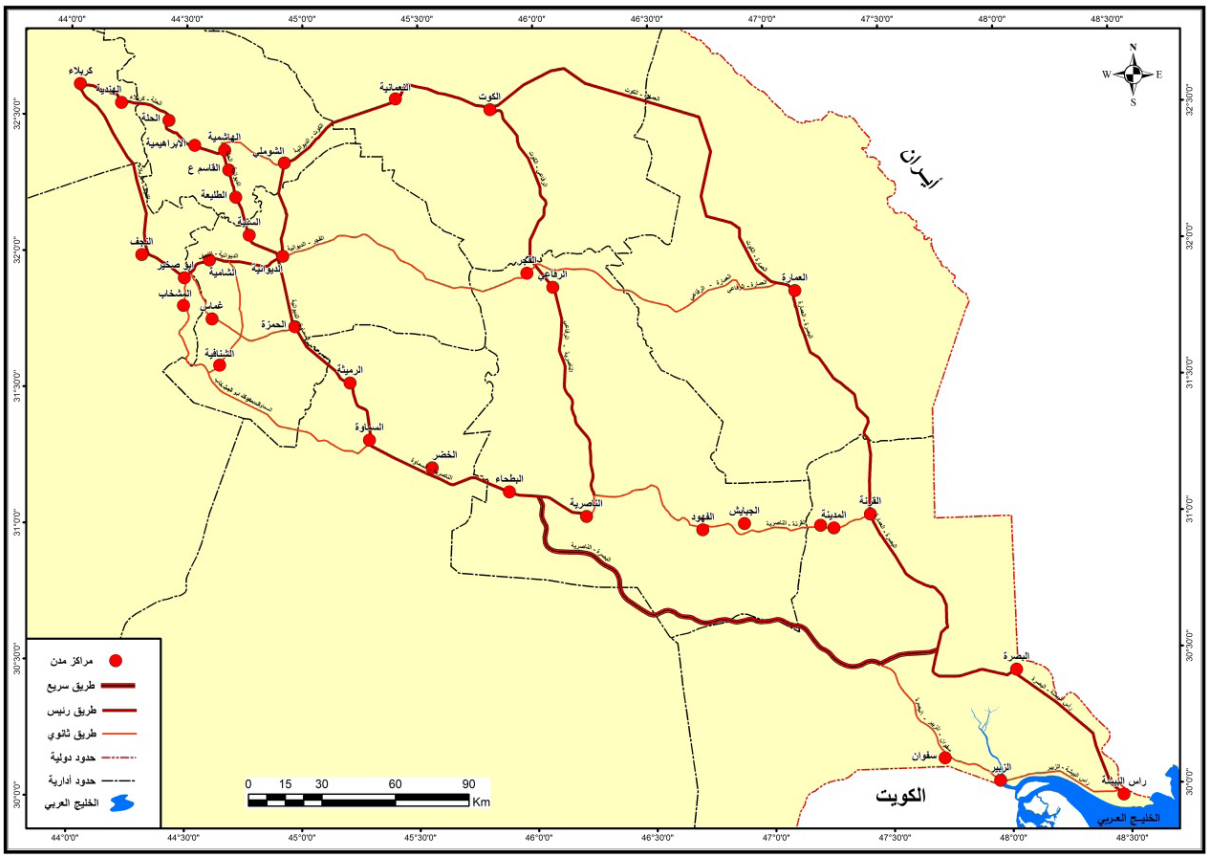

المصدر: الباحثان بالاعتماد على جمهورية العراق، الهيأة العامة للمساحة، قسم إنتاج الخرائط، خريطة العراق الإدارية بمقياس ١:١٠٠٠٠٠٠، بغداد، ٢٠١١.

٢. **الطرق الثانوية**: وهي الطرق التي تربط المدن الرئيسة بمدن أقل أهمية، وخدمتها لأغراض محلية، وتؤدي هذه الطرق عادة الى مراكز الاقضية وتربط المناطق الزراعية والصناعية والتجارية والمواقع السياحية والاثارية المهمة.

٣. **الطرق الشريانية**: وهي الطرق التي تتفرع من الطرق الرئيسة والثانوية، وتؤدي الى الاقضية والنواحي والقرى، وفي الغالب تؤدي هذه الطرق خدمات محلية.

٤. **الطرق السريعة**: تصمم هذه على وفق مواصفات عالية السعة والكفاءة، اذ تصل بالطرق الخارجية الدولية وتتجنب معظم هذه الطرق المرور في قلب المدنية المزدحمة بالسكان، اذ تدور حول المدينة متصلة بها بعض الطرق الجانبية الثانوية (الاقليمية) العاملة على تنظيم وانسياب الحركة الى داخل المدينة وخارجها وتتفرد هذه الطرق بخصائص منها استيعاب مديات كبيرة لحركة المرور، وارتفاع نسبة الامان، والسرعة بحيث تمنع السيارات من السير بسرعة اقل من (٤٠كم، ساعة)[١٢] لمختلف انواع واحجام المركبات، وتكون مسيجة لمنع دخول الحيوانات على طول المسافة التي تتجاوز أحياناً أكثر من (١٠٠٠كم) للطريق الواحد. وتجهيزها بالخدمات الضرورية كساحات الاستراحة ومحطات تعبئة الوقود، وورش التصليح والصيانة التي تنتشر على طول الطرق السريعة وأبرزها طريق المرور السريع رقم (١) انجز عام ١٩٨٧، ويبدأ من سفوان عند الحدود العراقية الكويتية وحتى الحدود الاردنية بطول ١١٩٠كم.

العلاقة بين توزيع السكان والطرق الاقليمية

تعد طرق النقل والمواصلات من العوامل البشرية المهمة المؤثرة في تطور النشاط الاقتصادي للسكان، وهي عنصر مهم في حركة السكان ونشاطهم، وبذلك يظهر تأثيرها على توزيع المستقرات البشرية لما لها من دور في طبيعة النشاط الاقتصادي والاجتماعي لسكان الريف، ويظهر لها دور بالغ الأهمية خاصة في المستقرات البشرية التي تتميز بصغر حجمها السكاني وانتشارها بشكل خطي.

يرجع الارتباط الوثيق بين كثافة السكان وكثافة شبكات النقل المختلفة إلى وجود نشاط اقتصادي كبير أوجد الحاجة إلى التبادل والحركة سواءً على شكل سلع أو أشخاص اعتماداً على شبكات الطرق، وهو ما يفسر طردية العلاقة بين هذه المتغيرات، فالأقاليم كثيفة السكان تتسم بالنشاط الاقتصادي الكثيف وبالتالي الحاجة لشبكات النقل لتسهيل الحركة والعكس بالنسبة للأقاليم ذات الكثافة السكانية المنخفضة.

يتضح من خلال الخريطة (٢) وجود كثافة عالية لشبكات النقل المختلفة تبدأ من محافظة الديوانية لتتفرع بشكل أوسع في بابل، وتبدأ في التناقص كلما ابتعدنا عن جانبي الطريق الرئيس الرابط بين المحافظات الواقعة جنوب كربلاء حيث تقل كثافة السكان باتجاه المناطق البشرية لتتحول إلى شبكات ثانوية وطرق فرعية، وربما طرق زراعية، وينطبق ذلك أيضاً على طريق (بغداد كربلاء).

تنمو المراكز العمرانية وتتوسع بزيادة أعداد

الخريطة (٣)

المسافة بين محافظات العراق ومركز مدينة كربلاء

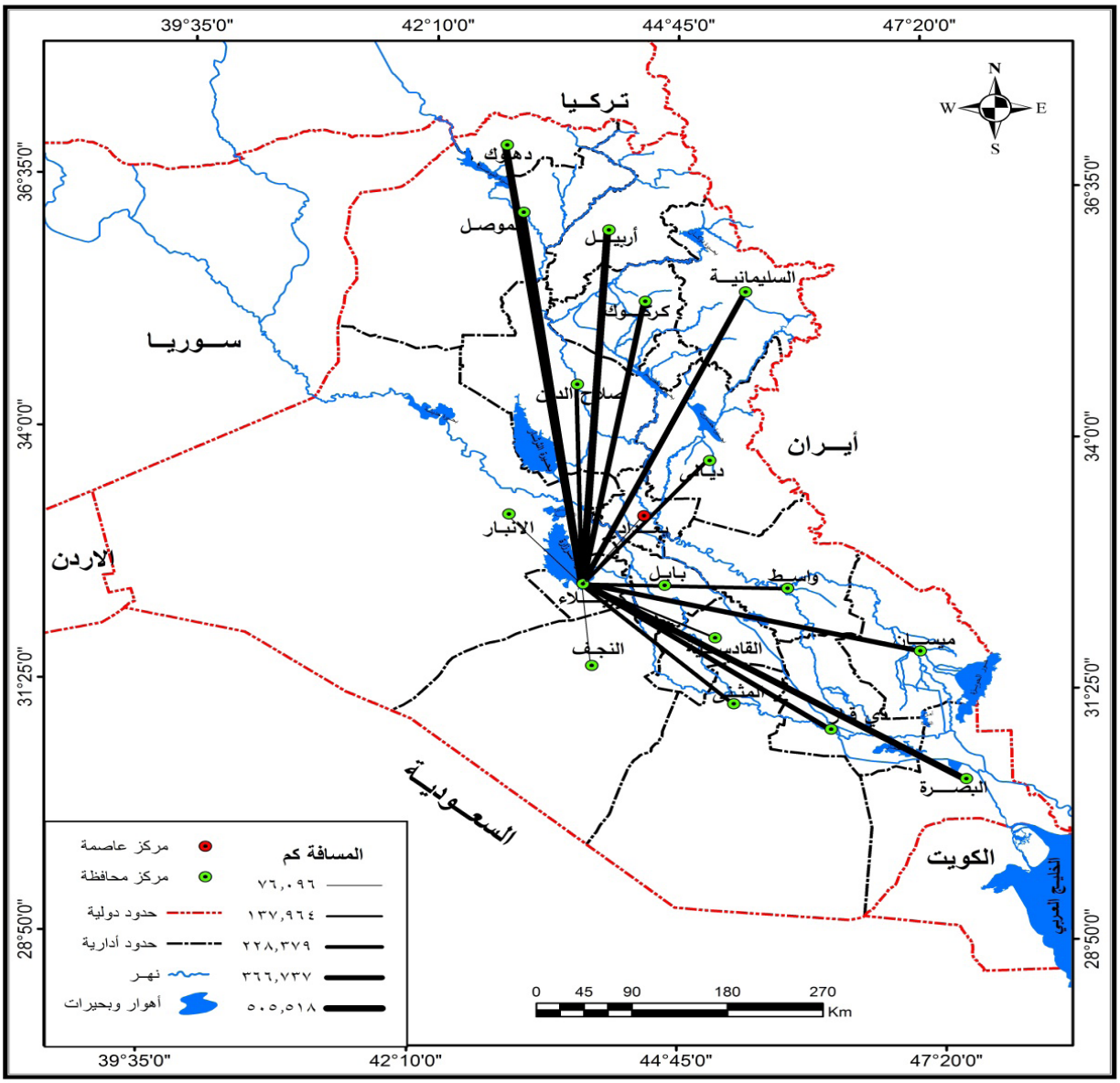

المصدر: الباحثان بالاعتماد على جمهورية العراق، الهيأة العامة للمساحة، قسم إنتاج الخرائط، خريطة العراق الإدارية بمقياس ١:١٠٠٠٠٠٠، بغداد، ٢٠١١.

السكان وتتخذ من مسارات الطرق مجالاً لتوسعها، لاسيما بعد توسع نمو المراكز العمرانية وانتشار المحال التجارية على جانبي الطريق.

إن ازدهار حركة النشاط الاقتصادي ذو ارتباط وثيق الصلة بحجم السكان إذ تتميز المناطق ذات الكثافات السكانية العالية بوجود نشاط اقتصادي كثيف يعتمد بالدرجة الأولى على توافر عامل النقل ونشاط حركة التبادل التجاري وخلاف ذلك صحيح فيما يخص المناطق ذات التواجد السكاني الضعيف، لذا فالارتباط طردي بين كثافة السكان وكثافة شبكات النقل.

الخريطة (٤)

التوزيع الجغرافي للقرى القديمة

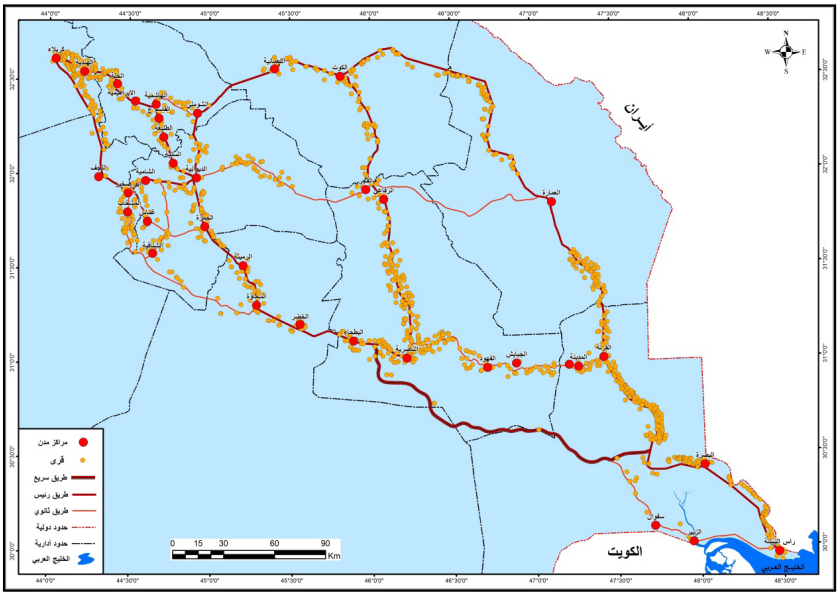

المصدر: الباحثان بالاعتماد على وزارة الموارد المائية، الهيأة العامة للمساحة، الخرائط الطبوغرافية لمحافظات البصرة، ذي قار، المثنى، الديوانية، بابل وكربلاء، بمقياس ١:٥٠٠٠٠٠، بغداد.

الخريطة (٥)

التوزيع الجغرافي للقرى عام ٢٠١٨

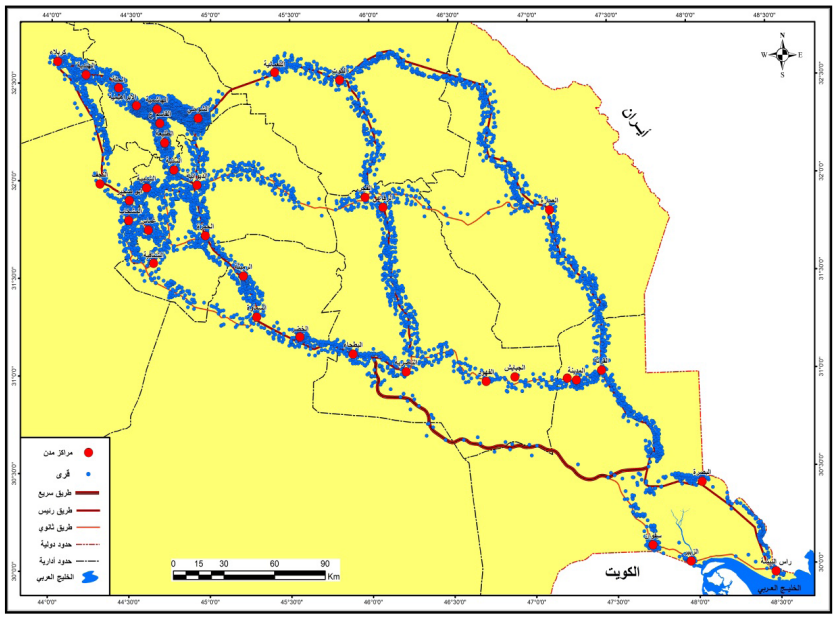

المصدر: الباحثان بالاعتماد على المرئية الفضائية لمنطقة الدراسة لعام ٢٠١٨.

إن دراسة التوزيع الجغرافي للمستقرات البشرية والتنبؤ المستقبلي بها تساعد في تخطيط أنواع ومواقع أنماط استخدام الأرض المستقبلية وكذلك الحال بالنسبة لخدمات البنية التحتية والنشاطات الاقتصادية والخدمية المختلفة[١٣] بما يتبين من الخريطة (٣) والجدول (١).

الجدول (١)

المسافات بين مدينة كربلاء ومحافظات العراق

المحافظات	المسافة كم
دهوك وكربلاء	٥٠٥,٥١٨
الموصل وكربلاء	٤٢٩,٣٧٥
أربيل وكربلاء	٤٠٧,٤١٦
صلاح الدين وكربلاء	٢٢٨,٣٧٩
كركوك وكربلاء	٣٢٧,٩٤٩
السليمانية وكربلاء	٣٦٦,٧٣٧
بغداد وكربلاء	٩٦,٣١٧
ديالى وكربلاء	١٨٧,٠٠٢
الانبار وكربلاء	١٠٣,٦٥٧
النجف وكربلاء	٩٤,٠٠٧
القادسية وكربلاء	١٣٧,٩٦٤
بابل وكربلاء	٧٦,٠٩٦
واسط وكربلاء	١٩٣,١٨٧
المثنى وكربلاء	١٩٩,٨٦٧
ذي قار وكربلاء	٢٨٨,١٥٧
ميسان وكربلاء	٣٢٨,٧١٣
البصرة وكربلاء	٤٢٨,٠٢٨

المصدر: حسابات الباحثين باستخدام برنامج Arc GIS V.10.5.

مما ينعكس بالتالي على توزيع المستقرات وتطورها وتركيبها الوظيفي حيث يُعد السكان الجانب الأساس في مجالات ذلك التطور وتحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية.

التوزيع الجغرافي لحجوم المستقرات البشرية

يقصد بحجم المستوطنة البشرية عدد سكانها والركون لهذا المعيار باعتباره يكشف عن ارتباطه بالظروف البيئية المحلية من جهة والمرحلة التي تمر بها الدولة في التنمية الاقتصادية ونوع الوظيفة الاقتصادية التي تؤديها المستوطنة البشرية والطريقة التي يتم فيها استخدام الأرض من جهة أخرى.

وتتباين حجوم المستقرات البشرية على طرق الزائرين تبعاً لاختلاف الظروف الطبيعية والبشرية، مما ينعكس ذلك على تباين تركيبها الوظيفي، كما إن التوزيع الجغرافي للمستوطنات البشرية وفق الحجم السكاني يختلف بين مدة زمنية وأخرى نظراً لاختلاف الظروف البشرية المتمثلة بالعوامل الاقتصادية والاجتماعية فضلاً عن الظروف الطبيعية حيث نجد تباين توزيع المستقرات البشرية في منطقة الدراسة لسنوات سابقة بلغت (١٣٢٣) قرية ضمن حدود جغرافية عن الطرق بمسافة (٥ كم)[**] بما توضحها الخريطة (٤).

بينما ازدادت أعداد القرى الى (٦٦٤٧) قرية لنفس نطاق المسافة عن الطريق لغاية ٢٠١٨ من خلال ملاحظة الخريطة (٥).

إذ أن الكثافة السكانية تزداد بشكل ملحوظ بين محافظتي بابل والنجف، ويلاحظ من خلال تحليل الخريطة (٦) إن اتجاه الزائرين يكون من محافظة البصرة باتجاه محافظة ذي قار وهؤلاء يتخذون من الطريق المار عبر القرنة – المدينة– الجبايش مساراً لهم لأسباب تتعلق بقصر المسافة وتوفر الخدمات، إلا أن هذا الطريق لا يخلو من صعوبات تتمثل بضيق الطريق وعدم وجود رصيف جانبي لذلك فان الطريق يغلق خلال وقت الزيارة لكثافة أعداد الزائرين.

وعند مدينة القرنة يتخذ الزائرون مسارين، الأول باتجاه محافظة ذي قار مروراً بالجبايش – الحمّار – الفهود، حيث تقل نسبة الخدمات المقدمة لصغر النواحي الإدارية وقلة سكانها، فضلاً عن ازدياد أعداد الزائرين ووجود زائرين من الجمهورية الاسلامية الإيرانية، الأمر الذي يتطلب توفير وتركيز الخدمات ضمن هذه المناطق، وما أن ينتهي الزائر من ناحية الفهود ويدخل ناحية كرمة بني سعيد وقضاء سوق الشيوخ فإن نسبة الخدمة المقدَّمة تكون على أشدها لأن المراكز الحضرية كبيرة الحجم وتنتشر المستقرات البشرية على طول الطريق فضلاً عن إن نسبة من الزائرين اتخذوا من طريق الفهود الاصلاح سيد دخيل مساراً لهم لدخول مدينة الناصرية.

والملاحظ ان هناك مراكز استيطان وقرى جديدة نشأت على طول الطريق الرابط بين قضاء سوق الشيوخ ومدينة الناصرية وقد اسهمت هذه المستقرات في توفير مختلف انواع الخدمة للزائرين، والأمر ينطبق على الطريق الواصل بين كرمة بني سعيد وقضاء سوق الشيوخ.

الخريطة (٦)

محطات الزائرين من البصرة الى كربلاء

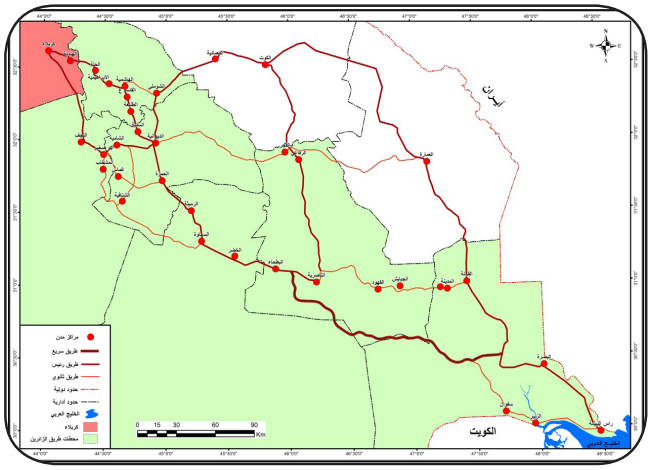

المصدر: الباحثان بالاعتماد على: وزارة الموارد المائية، الهيأة العامة للمساحة، قسم أنتاج الخرائط، الخرائط الطبوغرافية لمحافظات البصرة، ذي قار، المثنى، الديوانية، بابل وكربلاء، بمقياس ١:٥٠٠٠٠٠، بغداد.

وعند مدينة الناصرية يلتقي الزائرون الذين سلكوا طريقين للوصول للمدينة ويلحظ ارتفاع نسب المواكب وزيادة مستوى الخدمات المقدمة ضمن مدينة الناصرية لأسباب تتعلق بارتفاع الحجم السكاني للمحافظة.

يتضح من الخريطة (٧) إن كثافة المستقرات البشرية تتفق مع طرق النقل الرئيسة كما انها تتفق أيضاً مع اتجاه نهري دجلة والفرات، ويتضح ان هناك مناطق تزداد فيها كثافة المستقرات البشرية بينما تنخفض كثافتها في مناطق اخرى فيلاحظ ان المنطقة الواقعة بين محافظتي ذي قار والمثنى تمتاز بقلة المستقرات البشرية وان القرى القليلة الموجودة غير قادرة على توفير ما يكفي من خدمات للزوار ضمن هذا المقطع، وتمتاز هذه المسافة بوجود ناحية البطحاء التي يفصلها ٤٥ كم عن مدينة الناصرية والمسافة

الفاصلة في أغلبها عبارة عن مناطق صحراوية، اما المنطقة الفاصلة بين ناحية البطحاء والسماوة فتقع فيها ناحية الدراجي وقضاء الخضر والمناطق الفاصلة بينهما بحدود (٣٠) كم وهي مدن لا تستطيع استيعاب الزخم البشري الحاصل خلال موسم الزيارة. وبعد قضاء الخضر تبدأ الخدمات المقدمة بالازدياد بسبب القرب من مركز محافظة المثنى ومجيء اغلب الخَدَمَة واصحاب المواكب من مدينة السماوة لنصب خيمهم في هذه المنطقة.

وبعد مدينة السماوة تتفرع الطرق التي يسلكها الزوار الى فرعين رئيسين الاول باتجاه محافظة القادسية مروراً بقضاء الرميثة بمسافة (٩٣) كم من مدينة السماوة الى مركز مدينة الديوانية بينما يتخذ الفرع الثاني من طريق عبد الله بن نجم مساراً له باتجاه محافظة النجف الأشرف بطول (١٢٩) كم من مدينة السماوة الى أبي صخير، ويمتاز الطريق الثاني بقلة الخدمات المقدمة للزائرين لأنه عبارة عن منطقة صحراوية تخلو من وجود المستقرات البشرية، وتزداد مشكلة قله الخدمة بالابتعاد عن مركز مدينة السماوة إضافة عن كونه طريق باتجاهين ذهاباً وإياباً قد يكون خطيراً على الزائرين. أما الطريق الآخر المتجه نحو الديوانية فهو بالرغم من طوله إلا أنه أفضل حالاً لأن المستقرات البشرية تنتشر على ضفتيه، الأمر الذي يهيء للزائر سبل الراحة.الخريطة (٧)

أنماط توزيع القرى بالقرب من الطرق

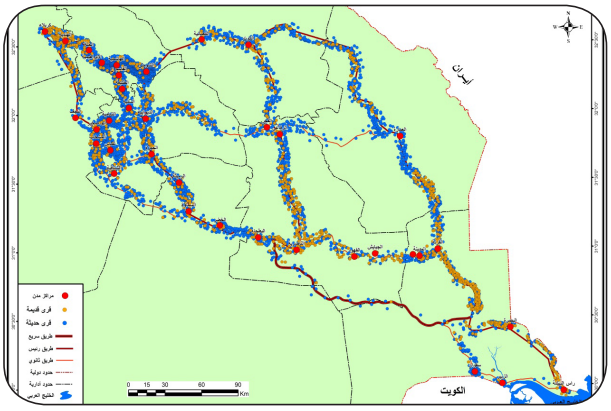

المصدر: الباحثان بالاعتماد على الخرائط (٤،٥).

التوزيع الجغرافي لأنماط انتشار المستقرات البشرية

يتخذ امتداد المستقرات البشرية على سطح الأرض أنماطاً(***) وأشكالاً مختلفة وهي حصيلة عوامل طبيعية وبشرية تتمثل بطبوغرافية الأرض والموارد المائية وعوامل طبيعية أُخرى بالإضافة إلى العادات والتقاليد والنشاطات الاقتصادية المختلفة التي تؤدي إلى تباين أنماط المستقرات البشرية.

وتبعاً لذلك تتباين المستقرات البشرية في منطقة الدراسة بأحجامها وصور انتشارها تبعاً للعلاقة بين نمط الانتشار وتوزيع المستقرات البشرية وعوامل توطنها أو استقرارها(١٤).

ويتم الكشف عن أنماط المستقرات البشرية بعدة طرق منها الملاحظة المباشرة والأُخرى تحليل البيانات والإحصاءات المتعلقة بالمستقرات البشرية وإن هذه الطريقة تم الاعتماد عليها في الدراسة حيث

اعتمدت طريقة تحليل الجار الأقرب **Neighbor Analysis** وهي من الطرق الشائعة الاستخدام حيث يتم قياس المسافة الفاصلة بين النقطة الأولى وأقرب نقطة مجاورة لها مع أقرب خط مستقيم.

تأثير طرق النقل والمواصلات

ويقتصر النقل في منطقة الدراسة على الطرق البرية المتمثلة بطرق النقل بالسيارات حيث تغطي المنطقة شبكة من الطرق الرئيسة والثانوية وتعمل الطرق الرئيسة على ربط المستقرات البشرية مع بعضها البعض فضلاً عن ربطها مع المراكز الحضرية القريبة منها، كما هو الحال في الطريق الرئيس الناصرية-السماوة الذي يمر بمناطق (الخضر والدراجي).

وأن معظم هذه المستقرات تقدم فيها وظائف خدمية حيث تنتشر المواكب على جانبي الطريق. لقد أسهم طريق بغداد - عمارة في توفير فرص الخدمة لسكان المستقرات البشرية القريبة منه.

وتبين لنا من خلال الدراسة الميدانية أن المقاطعات التي يمر بها الزوار ترتفع فيها نسبة المتسوقين ونسبة السكان وبذلك ازداد إنتاجهم بينما تقل نسبة المتسوقين في المقاطعات البعيدة من الطرق وهذا دليل على أن حركة الزوار لها تأثير في تغير التركيب الوظيفي، إذ أن جميع الفعاليات الوظيفية للمستوطنات البشرية تتعلق بوجود النقل.

العوامل الاجتماعية

للعوامل الاجتماعية دور في توزيع سكان المستقرات البشرية على طول طرق النقل إذ يميل السكان الذين ينتمون إلى عشيرة واحدة أو عشيرتين للسكن في منطقة معينة لما تمتاز به الأسر البشرية من تماسك اجتماعي، وهذا ينعكس على شكل المسكن الريفي ونمط الوحدات السكنية، فالعلاقات العشائرية غالباً ما تكون سبباً في ظهور القرى المجمعة طلباً للأمن والخير المشترك ويؤدي إلى ظهور تجمعات سكنية كبيرة[١٥]. يقوم هؤلاء بتوفير الخدمات للزوار بشكل جماعي. وأن طبيعة الظروف الاجتماعية أثرت في التركيب الاجتماعي للمستوطنات البشرية وفي عاداتهم وبذلك انعكس في مجال نشاطهم الاقتصادي وخاصة ما يتعلق بالنشاط الزراعي، فالسكان الذين ينتمون إلى أسرة واحدة أو أسرتين يميلون إلى التماسك الاجتماعي بين أفراد العشيرة بينما السكان الذين ينتمون إلى أكثر من عشيرة تضعف العلاقات ويهاجرون من مناطق سكناهم وعدم استقرارهم في المنطقة.

الاستنتاجات والتوصيات:

١. تتزايد نسبة المستقرات البشرية بالقرب من المدن الرئيسة وتنخفض أعدادها كلما ابتعدنا عن تلك التي تؤجر لفترة طويلة جداً.
٢. ترتفع اسعار الاراضي بالقرب من الطرق التي يسلكها المشاة، وتبدأ بالانخفاض كلما ابتعدنا عن تلك الطرق، وهذا ما أثبتته الدراسة الميدانية للباحثين.
٣. أظهر عامل بُعد المستقرات البشرية عن الطريق الرئيس تأثيراً مهماً على نمط البناء السكني في الريف، ويعود السبب في ذلك الى أهمية سهولة الوصول الى المراكز الحضرية أو غيرها من مناطق

الخدمة التي تحتاجها المستقرات.

٤. أظهرت نتائج البحث ان بُعدَ المستقرة البشرية عن المركز الحضري يرتبط بعلاقة عكسية غير معنوية مع نسبة الوحدات السكنية المبنية من مواد البناء الثابتة وهو ما قد يعود الى توفر وسائل وطرق النقل التي تقلل من عامل البعد او القرب عن المركز الحضري.

٥. لا توجد علاقة بالضرورة بين الحجم السكاني للمستقرة البشرية وتطورها العمراني الممثل بنسبة الوحدات السكنية المبنية من مواد البناء الثابتة.

٦. إن طبيعة الخدمات في معظم مستقرات العيّنة متشابهة بالرغم من الاختلافات في الجانب السكاني والعمراني لهذه المستقرات.

٧. تخطيط المستقرات البشرية الواقعة على طريق الزائرين بالشكل الذي يؤدي الى توسعة الطرق مستقبلًا، وترك ساحات خاصة لإنشاء الخدمات.

٨. توفير الخدمات الصحية والخدمية وغيرها من الخدمات بما يتلاءم مع وضع المستقرات البشرية من الناحية السكانية والاقتصادية والعمرانية.

٩. يجب تنظيم المستقرات البشرية (وبخاصة تلك البعيدة عن المركز الحضري) بما يتوافق مع قاعدة التراتل الهرمي لإيجاد حالة من التفاعل والتأقلم فيما بينها.

الهوامش والمصادر والمراجع

(*) تم التأكد من ذلك من خلال المقابلات الشخصية للباحث مع أصحاب محلات العقار في مدن الناصرية والسماوة

(١) أحمد حبيب رسول، النقل والتجارة الدولية، جامعة بغداد، مطبعة الحوادث، ١٩٨١، ص١٣.

(٢) سعدي علي غالب، جغرافية النقل البري في العراق، ج١، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٨، ص ١٢٩.

(٣) بشار محمد عويد القيسي، طرق النقل البري في محافظة كربلاء دراسة في جغرافية النقل، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٦

(٤) ابن خرداذبة، ابو قاسم عبيد الله بن عبد الله، المسالك والممالك، ليدن، مطبعة برل، ١٨٨٦، ص٢٠٠.

(٥) برهان نزر محمد علي، عمارة وتخطيط الخانات العراقية القائمة على طريق المزارات، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٦، ص٥٢.

(٦) بشار محمد عويد القيسي، طرق النقل البري في محافظة كربلاء دراسة في جغرافية النقل، مصدر سابق.

(٧) برهان نزر محمد علي، المصدر السابق، ص٥٤.

(٨) صلاح الدين الشامي، جغرافية العالم الاسلامي، دار المعارف، الاسكندرية، ١٩٦٠، ص٤٨.

(٩) بشار محمد عويد القيسي، طرق النقل البري في محافظة كربلاء دراسة في جغرافية النقل، مصدر سابق.

(١٠) وزارة التخطيط، دائرة النقل والمواصلات مشروع دراسة النقل على الطرق البرية، الاساليب المتبعة حالياً في انشاء الطرق في العراق، بغداد، كانون الاول، ١٩٧٢، ص (٩٦-٩٩).

(١١)سعدي علي غالب، جغرافية النقل البري في العراق اطروحة دكتوراه، جـ١، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٨، ص١٢٠.

(١٢)محمد علي حسن الانباري، دور شبكة الطرق السريعة في التنمية الاقليمية، رسالة ماجستير، مركز التخطيط الحضري والاقليمي، ١٩٨٥، ص٦٠-٦١.

(**) تم استخراج أعداد القرى باستخدام برنامج ARC GIS

(١٣)عثمان محمد غنيم، تخطيط استخدام الأرض الريفي والحضري، دار الصفاء للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠١، ص٢٠٣.

(***) النمط (Pattern): هو مصطلح يستخدم للدلالة على التوزيع وهو الشكل الذي تتنظم بموجبه العناصر فوق سطح الأرض.

(١٤)خليل اسماعيل محمد، أنماط الاستيطان الريفي في العراق، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة بغداد، ص٨٢.

(١٥)جمال فائق عباس، العوامل المؤثرة في استقرار المستقرات البشرية منطقة الدراسة الصويرة، رسالة ماجستير، المعهد العالي للتخطيط الحضري والإقليمي، جامعة بغداد، ٢٠٠٥.

أثر زيارة أربعينية الامام الحسين عليه السلام في مقاومة نظام البعث

-أحداث صفر ١٩٧٧ انموذجاً-

أ. م. د. سيف عدنان ارحيم القيسي

كلية الآداب – الجامعة العراقية

الملخص

منذ استشهاد الامام الحسين عليه السلام في العاشر من محرم ٦١هـ، والمسلمون الشيعة ملتزمون بأحياء تلك المناسبة الدينية والتي عرفت بالشعائر الحسينية وأصبح شهر محرم يمثل شهراً للحزن، وأصبحت قصة استشهاد الحسين عليه السلام تمثل رمزاً للثورة على الظلم ونصرة للمظلومين.

وبمرور السنوات أصبحت هذه الذكرى تشكل تهديداً وتحدياً كبيراً للأنظمة الحاكمة في العراق، بل عملت على التضييق عليها ومنعها خوفاً من الجموع الزائرة المتوجهة الى كربلاء المقدسة والتي تشمل انحاء العراق المختلفة، والتي ربما تثور بوجه تلك الحكومات بسبب سياستها تجاه الشعب، وهذا ما حدث في احداث ماعرف بإحداث صفر او انتفاضة صفر ١٩٧٧.

لقد حاول البعث منذ مجيئه للسلطة في عام ١٩٦٨ الغاء تلك المراسيم الدينية التي يتمسك بها المسلمون الشيعة منذ قرون عديدة، وتغيير تلك المناسبة الى ايام فرح، والتي عدها المسلمون الشيعة استفزازاً لمشاعرهم ولا يتحملها شعورهم العاطفي مع مأساة الحسين عليه السلام.

أن اول ما بدأه نظام البعث هو العمل على تحجيم دور المرجعية الدينية محاولاً إحداث شرخاً في صفوفها، والعمل على اضعافها وزعزعة مكانتها الدينية في نفوس اتباعها وجعلها تنأى بنفسها عن الوقوف بوجه النظام وهذا ما حدث عندما وجهت اصابع الاتهام للسيد

مهدي الحكيم ابن المرجع الديني السيد محسن الحكيم واتهامه بالجاسوسية في عام ١٩٦٩م.

وعلى الرغم من وضوح الهدف من تلك الفبركة من قبل البعث ومحاولته اضعاف مكانة المرجعية الدينية والزيارة الاربعينية التي تعد في حقيقتها تجديداً لوحدة المسلمون الشيعة، تفجر ذلك الموقف في احداث صفر ١٩٧٧م.

والغريب ان نظام البعث في اجراءاته هذه اعتمد على المؤازرة من حليفة الحزب الشيوعي العراقي والذي يعود تحالفهم الى ايام الجبهة الوطنية والقومية التقدمية التي انبثقت عام ١٩٧٣م محاولين اعتماد المنهج العلماني للوقوف بوجه التيار الديني وهو ما ستبينه اوراق البحث.

The effects of Imam Hussein's Arbaeen in the resistance against the Baath regime – Suffr's uprising 1977 as an example

Prof. Saif Adnan Arheem Al-Qaisi

Faculty of Literatures – Al-Iraqia University

Abstract

Since the martyrdom of Imam Hussein on the tenth of the Islamic month of Muharram 61 Hijri, the Shiite Muslims are committed to the revival of the religious rituals known as "Al-Sha'air al-Husseiniya", as the Islamic month of Muharram has become a time of sadness, while the story of the martyrdom of Hussein "pbuh" became a symbol of revolution against injustice and a major support for the oppressed.

Over the years, this anniversary has become a threat and a major challenge to the ruling regimes in Iraq, who worked to prevent it for fear of crowds heading the holy city of Karbala, which could arise against these governments because of its policies towards the people. This fear has become true in the uprising known as "Suffar 1977".

Since its coming to power in 1968, the Baath regime has tried to abolish these religious decrees held by Shiite Muslims for many centuries, and to change them into days of joy, which considered by Shia Muslims as a provocation to their feelings and intolerance of their emotional feelings with the tragedy of Hussein.

التمهيد

منذ استشهاد الامام الحسين عليه السلام في العاشر من محرم ٦١هـ، والمسلمون الشيعة ملتزمون بإحياء تلك المناسبة الدينية التي عرفت بالشعائر الحسينية وأصبح شهر محرم يمثل شهراً للحزن، وأصبحت قصة استشهاد الحسين عليه السلام تمثل رمزاً للثورة على الظلم ونصرة للمظلومين. وبمرور السنوات أصبحت هذه الذكرى تشكل تهديداً وتحدياً كبيراً للأنظمة الحاكمة في العراق، بل عملت على التضييق عليها ومنعها خوفاً من الجموع الزائرة المتوجهة الى كربلاء التي تشمل انحاء العراق المختلفة، والتي ربما تثور بوجه تلك الحكومات بسبب سياستها تجاه الشعب، وهذا ما حدث في ما عرف بأحداث صفر أو انتفاضة صفر ١٩٧٧.

لقد حاول البعث منذ مجيئه للسلطة في عام ١٩٦٨ إلغاء تلك المراسيم الدينية التي يتمسك بها المسلمون الشيعة منذ قرون عديدة، محاولين تغيير تلك المناسبة الى أيام فرح والتي عدَّها المسلمون الشيعة استفزازاً لمشاعرهم ولا يتحملها شعورهم العاطفي مع مأساة الحسين عليه السلام.

أن اول ما بدأه نظام البعث هو العمل على تحجيم دور المرجعية الدينية محاولاً إحداث شرخ في صفوفها، والعمل على إضعافها وزعزعة مكانتها الدينية في نفوس أتباعها وجعلها تنأى بنفسها عن الوقوف بوجه النظام وهذا ما حدث عندما وجهت أصابع الاتهام للسيد مهدي الحكيم نجل المرجع الديني محسن الحكيم واتهامه بالجاسوسية في عام ١٩٦٩.

وبالرغم من وضوح الهدف من تلك الفبركة من قبل البعث ومحاولته إضعاف مكانة المرجعية الدينية وزيارة الأربعين التي تعد في حقيقتها تجديداً لوحدة المسلمين الشيعة، تفجر ذلك الموقف في أحداث صفر ١٩٧٧.

الغريب إن نظام البعث اعتمد في إجراءاته على المؤازرة من حليفه الحزب الشيوعي العراقي حيث يعود تحالفهم الى أيام الجبهة الوطنية والقومية التقدمية التي انبثقت عام ١٩٧٣ محاولين اعتماد المنهج العلماني للوقوف بوجه التيار الديني وهو ما ستبينه أوراق البحث.

بدايات المواجهة

لا يراد هنا تتبع بداية جذور الصراع الطائفي في العراق، لاسيما موقف الشيعة المعارض لأنظمة الحكم التي عدّوها بأنها هضمت حقوقهم نتيجة لسياسة الإهمال بحقهم، فبقيت المعارضة الشيعية احتمالاً قائماً، لاسيما بعد وصول حزب البعث للسلطة في ١٧ تموز ١٩٦٨، فلقد كانت للمرجعية مواجهة ولكن من نوع آخر هذه المرة اتسم بالعنف عندما بدأ البعث يتخذ من استخدام العنف تجاه خصومهم المعارضين، والبداية تعود انه تم الاتصال المرجعية الدينية من قبل البعث قبل الانقلاب والسؤال ماذا(تريدون)؟ وبهذا كانت المرجعية قد تهيأت للحدث، وكان لديها تصور بأن رئيس الجمهورية عبد الرحمن عارف لن يبقى، وكان الموقف لا محاربة ولا مسالمة، وتمت لقاءات جمعت بين وكيل المرجع الديني في بغداد والرئيس احمد حسن البكر، حول مشروع جامعة الكوفة الذي

تبنته الحوزة الدينية في النجف، ولقاءات أخرى حول عدم شمول طلبة الحوزة الدينية بالخدمة العسكرية، وكان جواب البكر أنهم يعدونهم للجهاد[١].

والواقع أنه نظراً للشكوك والرفض الذي لاقاه النظام البعثي من قبل القوى السياسية الاخرى في البداية فإن إحساسه بالهشاشة، دفعه اضافة الى ذلك العمل على ترويع خصومهم أو العمل على كسب شعبية لدى المواطن، ولكن ترويع المعارضة كان هو الطاغي على ما يبدو، والتزام جانب الخشونة في تحطيم ما عرف بمصطلحهم بـ«المؤامرات»، و«كسر حلقات التجسس»، وذاك ما نالت منه المرجعية الدينية نصيباً وافراً[٢].

أن الامثلة المطولة أعلاه ليست ممارسة نادرة، بل هي متأصلة في نهج البعث المستند الى عنصرين أساسيين كما دلت الاحداث على ذلك وهي:

١. خلق سيناريوهات خيانة وغدر وهمية.
٢. جذور شوفينية في التعامل والتحليل مع الخصوم[٣].

وأن بداية الصراع بين الحكومة والمرجعية الدينية يعود الى حزيران ١٩٦٩ عندما بدأ السيد الحكيم بزيارة الى بغداد واللقاء بممثلي المرجعية الدينية والتي عدَّها البعث بأنها موجهة ضدهم لتوجه التهمة هذه المرة الى نجل المرجع الاعلى السيد مهدي الحكيم واتهامه بالتجسس لصالح الولايات المتحدة الامريكية وإسرائيل[٤].

المفارقة ان السيد مهدي الحكيم وقبل ساعات من اتهامه على شاشات التلفاز كان في زيارة للقصر الجمهوري للمطالبة بالرد على مذكرة سبق وأن قدَّمها للنظام والتي يحتج بها على تصرفات النظام ويقدم مقترحات محددة بشأنها وقد قال له الرئيس العراقي احمد حسن البكر، أنهم سيردّون عليه غداً[٥]، ويبدو ان الرد جاء سريعاً للتخلص من النقد الذي كان يوجهه لهم.

ومما حفز النظام على خلق جبهة معارضة للقوى الدينية هو تبنيه سياسة تقوم على أساس العلمانية السياسية، وبداية تحجيم نفوذ الدور الديني، هذا من جانب ويبدو أن الجبهة الوطنية والقومية التقدمية ١٩٧٣ بين الحزبين المتحالفين البعث – الشيوعي قد أعطت تصوراً أكثر وضوحاً بأن الحزب الشيوعي هو الآخر يناقض الدين فتناول أحداث كربلاء بقراءة يشوبها التشويش وعدم الفهم العميق للأحداث، ربما يعود لهيمنة السلطة على مقاليد الحكم من جهة وضعف الجهاز الحزبي للحزب الشيوعي من جهة أخرى في ظل سياسة تقليم دوره الجماهيري، إضافة لدور الإعلام الحكومي في بلورة ضبابية لتصوير تلك الأحداث، يبدو أن عقد الجبهة كان بداية لانحسار نفوذ (ح. ش. ع) والقوى الحزبية الديمقراطية، لاسيما ما بدأه حزب البعث من تحجيم نفوذ تلك القوى، فيصف أحد الكتاب المهتمين بالشأن العراقي بأنه «أنتج فراغاً بدأ الإسلاميون بملئه»[٦]،حيث بدأ النفوذ الديني بالسطوع نتيجة لجهود الحكومة لثني دور المؤسسة الدينية التي تشكل عائقاً أمام الدولة ونشاطها وبهذا فإن ما حدث أبان أحداث صفر مثَّل قوة مجابهة للبعث وللشيوعيين على حد سواء.

بالرغم من محاولة حزب البعث تقليص حليفهم

في الجبهة الحزب الشيوعي جماهيرياً، لذا ليس من الغريب أنه حينما يثار التحدي الإسلامي ضد الدولة خلال عقد السبعينيات اختار الحزب الشيوعي مرة أخرى جانب حزب البعث كونه على ما يبدو يمثل التيار العلماني، فكانت الحركات السياسية المحرِّضة دينياً تعمل بشكلٍ سرّي منذ عام ١٩٥٧، وكان في مقدمة تلك المجاميع حزب الدعوة الذي أسسه محمد باقر الصدر[٧]، وقد تأُسس كردّ فعل لمناهضة المد الشيوعي ومقاومة العلمانية، فشعرت قيادة الحزب الشيوعي العراقي أن الوقت قد حان لشجب، ما تسميها بـ«الرجعية» السياسية الدينية[٨].

ولهذا فان الحليفين البعث – الحزب الشيوعي اصطفّا هذه المرة تجاه القوى الدينية المتمثلة بقوى المرجعية الدينية التي وصفها بيان للشيوعيين بأنها قوى «رجعية»، ولهذا أصدر توجيهاً داخلياً أكد فيه بأن الوضع الداخلي «يشهد حالياً تفاقماً في النشاطات التآمرية الموحى بها من قبل الأوساط الإمبريالية والرجعية، أن هذا التفاقم في الوقت الحاضر يستغل المشاعر الدينية والطائفية بأعمال إستفزازية تحت هذه الواجهات بمناسبة أربعينية الإمام الحسين عليه السلام، ويبدو من الوقائع التي جرت خلال الأيام السابقة أن النشاط «الديني الطائفي» المعادي للسلطة الوطنية، ما هو إلا ستار لمؤامرة رجعية إمبريالية تستهدف المسيرة الثورية لبلادنا، إن حزبنا الشيوعي العراقي يقف بحزم إلى جانب السلطة الوطنية، وحزب البعث الحليف، ويعتبر هذه النشاطات التآمرية المعادية تحت أي صورة ظهرت موجهة الى مجموع شعبنا المناضل وجماهيره الكادحة ومكتسباته التقدمية، إن المكتب السياسي يدعو منظمات حزبنا، والرفاق كافة الى رفع اليقظة ومراقبة النشاطات التآمرية والاتصال بمنظمات حزب البعث العربي الاشتراكي الحليف، وتنشيط لجان الجبهة الوطنية والقومية التقدمية لغرض التنسيق للقيام بأعمال مشتركة ضد التآمر وإعمال التخريب والاستفزاز»[٩].

من المعطيات المتوفرة، أن اشتداد نقمة الشيعة يعود الى ان القيود المتشددة المفروضة على زيارة العتبات المقدسة والمزارات الدينية، أدت إلى حصول أضرار اقتصادية فقد أدى الحظر الى تقليص نفوذ العوائل التي تتولى قيادة الشعائر الحسينية، وبوجه خاص في النجف، وهي في:

منع زيارة الأربعين

حقيقة الأمر تعدُّ أكبر تحد لحكومة البعث التي بدأت تعمل لعلمنة الدولة والعمل على إبعاد أي دور لقوى أخرى تعمل لتقويض قوة ونفوذ سلطة البعث، فكان من ضمن الاختبارات التي بدأتها الحكومة على مستوى الجماهير، محاولة منع المواكب الحسينية لخوفهم بأن وراءها دوافع سياسية تقوض قوة الدولة، وبدأت تلك المحاولات لمنع زيارة الاربعين في عام ١٩٧٧ وهي العادة المتوارثة عن الآباء والأجداد[١٠].

كان المبرر لفرض الحظر على الزيارة حسب الإدعاء الحكومي ما قيل عن إلقاء القبض على عميل سوري مزعوم بأنه اعترف بوجود مؤامرة لزرع قنبلة موقوتة في ضريح العباس عليه السلام في كربلاء وحذّرت الأجهزة الأمنية قادة المواكب والزوار من

مغبة المجيء، غير أن شعوراً بالتحدي كان يلوح في أجواء حشود الزوار، وقاد ذلك التحدي مجموعة من الشبان من محافظة النجف وكان قائد المجموعة أحد شباب النجف ويدعى محمد البلاغي، وكانت المجموعة تتألف من حوالي إثني عشر شاباً ينحدرون بصورة رئيسة من محلتي البراق والعمارة، وكان معظمهم طلبة أو جنوداً في العشرينيات من أعمارهم وينتمون الى عوائل من صغار التجار، فإن المجموعة شكلت مركزاً عفوياً للقيادة[١١]،إضافة لدور رجال الدين لشحذ همم الزوار ومنهم محمد باقر الصدر، وتقديم الأموال للمواكب الحسينية[١٢].

في حين يعطي حنا بطاطو تصوراً آخر لأسباب النقمة للشيعة بانها كانت بسبب نقص تدفق مياه الفرات لأراضيهم، والقيود التي فرضت على حلقات الدراسة في الحوزة الدينية والإجراءات التي فرضتها الحكومة على زيارة الاربعين خوفاً من اضطراب الاوضاع هناك[١٣].

تفجر الانتفاضة

ويبدو أن سياسة التحريض تعكس المزاج السائد في النجف. وفي يوم الجمعة المصادف ١٥صفر وزعت المجموعة مناشير بخط اليد تحث النجفيين والزوار على المشاركة في مواكب الأربعين الى كربلاء، فبدأت مجاميع الزوار مسيرتها من النجف في طريقها إلى كربلاء على الرغم من التحذيرات الحكومية وحاولت الحكومة أن تمنع المسيرة لكنها لم تستطع إيقاف التدفق البشري لحوالي (٣٠) الف شخص، غير أن الصدامات في بدايتها كانت محدودة وفي اليوم التالي وصلت الى خان النص، وهنا فتحت قوات الأمن النار على الزائرين الذين بدورهم بدأوا بالهجوم على مركز شرطة خان النص[١٤]، قرب منطقة الحيدرية، وهم يهتفون «يا صدام شيل إيدك، شعب العراق ما يريدك»[١٥]، وعلى أثر ذلك حاصر اللواء المدرس السادس للجيش تعززه المروحيات جموع الزائرين[١٦]،هكذا عرف أهالي الجنوب يومين أسودين لتأديتهم زيارة الاربعين.

وكانت نتيجة المواجهات التي حدثت بين الطرفين، وقتلت القوات الحكومية من جانبها عدداً غفيراً من الزوار، وتم اعتقال ألفي مواطن من بينهم السيد محمد باقر الحكيم. ويبدو من مجرى الأحداث الفعلي أن النظام استخدم تلك الحادثة ذريعة لثني أي تجمهر قد يكون في المستقبل قوة رئيسة تهدد الحكومة العراقية، وربطت الحكومة من جانبها أن سياستها التي اتبعتها تعود لمخاوفها ان يستغل النظام السوري المناوئ للبعث في العراق تلك التجمعات لصالحه، فبدأ حزب البعث في العراق يكثف حملته ضد نظرائه السوريين، حيث كان النظام مشتبكاً معهم بخلاف، إضافةً للخلاف الفكري فإن مشكلة مياه الفرات كانت من ضمن المشاكل التي طفت على السطح بعد تشييد السوريين لسد الطبقة[٧١].في هذه الأحداث برزت القوى الدينية من جديد، بعد محاولة حكومة البعث منذ مجيئها للسلطة ثني تلك المؤسسة واتهام بعض رموزها بالعمالة، كما حدث مع مهدي الحكيم نجل المرجع الديني محسن الحكيم.

في حين يعطي رشيد الخيون تحليلاً آخر للحادث: حصل ذلك الصدام وفيما يعرف بـ«خان النص» شباط

١٩٧٧ في الطريق الى كربلاء أثناء زيارة الأربعين وتظاهر أو تجمع الزائرون، بسبب تصرف مسؤول منطقة الفرات الأوسط (الحلة وكربلاء والنجف والديوانية) وعضو القيادة القطرية حسن العامري بما آثار الزائرين، فقد تجرأ على قلب قدور الطعام وإهانة أصحابها فحصل ما يشبه التمرد والعصيان، ورددت شعارات فحسب ذلك انتفاضة،استغلته الاحزاب الدينية من جانبها[١٨].

في ضوء التوصيف السابق، فإن بعض القوى المعارضة أرادت تحت غطاء الطقوس الدينية إثارة أجهزة النظام كي يتدخل في قضايا الإيمان بأسلوب غير منضبط، وغير عقلاني على أمل عزل البعث عن الجماهير بخلق حالة الخناق المتداخلة حيث من الصعب التمييز بين الصديق والعدو[١٩].

وفي خضم التصدي للمتظاهرين، يذكر عامر عبد الله الوزير الشيوعي في حكومة البعث عن أحداث صفر بالقول: «لدى وصول خبر هذه المسيرة والتوجس من عواقبها عجلت بالاتصال بأقرب من كان متيسراً وجوده من أعضاء المكتب السياسي للحزب الشيوعي، وهو ثابت حبيب العاني، حيث توجهنا الى دار العضو الآخر زكي خيري، وأعطيت لمن في داري رقم تلفون بيته، وخلال أقل من ساعة اتصل بي على التليفون عزة الدوري الذي بدا لي من صوته أنه متطيرٌ وكان يستنجد بالحزب الشيوعي في هذه اللحظة الحرجة، ثم أعطى التليفون لصدام حسين الذي بادر على طريقته الخاصة بإعلامي أن المسيرة قد شتت وألقي القبض على المئات منهم، وهم الآن في سجن رقم (١) في معسكر الرشيد، واشتغلت الخيزرانات على ظهورهم على حد تعبيره، قلت له: ليس هذا هو الأسلوب الصحيح، وليست هذه المسيرة حادثة اعتيادية لأنها معبأة بمشاعر دينية، مثل هذه الحالات تتطلب أقصى درجة من الاحتراس والتروي، وبالتالي فنحن نقترح أن نلتقي فوراً ويفضل اليوم ليلاً أو غداً صباحاً، فأجاب بالموافقة، وقد تم في اليوم التالي عقد إجتماع اللجنة العليا للجبهة وأَحضر إلى الاجتماع رئيس المخابرات آنذاك سعدون شاكر لكي يروي للحاضرين وقائع المسيرة، أكدنا على ضرورة التعامل بحذر مع هذه الحادثة باعتبارها مقطعاً من وضع متفاقم في المدن المقدسة وبين جمهور الشيعة، وهكذا توجهت انا وطارق عزيز الى مبنى وزارة الإعلام وهناك دار بيننا نقاش طويل امتد الى ما بعد منتصف الليل، واستكملناه في داره، أثار دهشتي وفزعي ذلك القدر من النقمة والقسوة في نظرته إلى هذه الحادثة، وبينت أنه يجب أن يجري التعامل مع هذه الحادثة بالتسامح والتعقل تساءل: هل هذه هي وجهة نظرك، أو وجهة نظر الحزب الشيوعي؟ أجبته بل هي وجهة نظر الحزب، قال إذن سأنقل ذلك الى السيد النائب فوافقته على ذلك»[٢٠]، وهذا يتناقض مع بيان (ح.ش.ع). في السياق نفسه، يذكر عدنان عباس مسؤول لجنة الفرات الأوسط عن موقف الحزب «استجابت قيادة الحزب الشيوعي على الفور لذلك وجرى اتصال هاتفي مع أحد ممثلي الحزب آنذاك بالوزارة المرحوم عامر عبد الله مع مقر منطقة الفرات في بابل مساء ذلك اليوم، وإستدعاء المرحوم محمد حسن مبارك[١٢] إلى المقر وإبلاغه بوجهة الحزب التي استجابت لطلب البعث»[٢٢]،

بدأ الحزب الشيوعي العراقي من جانبه يواكب التطورات من خلال صحافته وبياناته، أهم ما جاء في صحافته «قال ناطق بلسان وزارة الداخلية: إن زمرة خائنة مأجورة حاولت يومي الخامس والسادس من شباط الجاري استغلال استعداد الجماهير لتأدية مراسيم زيارة الأربعين لمرقد الإمام الحسين فاندست في أحد المواكب الراجلة لتنفيذ مآربها الدنيئة، وأضاف الناطق: إن الزمرة المجرمة صارت تهتف هتافات معادية للثورة وترفع شعارات مشبوهة بتخطيط وتوجيه من الدوائر الصهيونية والاستعمارية، وتحرض على التخريب»[٢٣]. في حين عبّر البيان الرسمي للحزب عن تلك الأحداث «بأن أعمال الاستفزاز والتخريب التي لجأت إليها بعض القوى الرجعية المرتبطة بأسيادها من الرجعيين والإمبرياليين وراء الحدود خلال الأيام الماضية والتي أعلن عنها بيان الناطق الرسمي، جاءت هذه الأحداث لتسجل مرحلة لا ينبغي التقليل من خطرها في النشاط المعادي لشعبنا ومصالحه الأساسية،إن النشاط الإستفزازي المشبوه الذي أقدمت عليه هذه الزمرة موجه ضد شعبنا وضد مكتسباته وفي مقدمتها سيادته الوطنية ونظامه التقدمي، ولايخدم سوى أعداء شعبنا من الإمبرياليين والصهيونيين»[٢٤].

وفي البيان الصادر من اجتماع اللجنة العليا للجبهة الوطنية والقومية التقدمية لإدانة الحادث وقد أكدت اللجنة في إجتماعها «إن الأعمال التخريبية التي تمت يوم (٥-٦) من شباط في محافظة النجف الأشرف إنما هي من صنع الدوائر الإستعمارية والرجعية الحاقدة على مسيرة الثورة ومكتسباتها الديمقراطية والتقدمية مما يطلب فضح أغراضها والقوى الرجعية والإستعمارية التي تقف وراءها ومواجهة مثل هذه الأعمال والمخططات بحزم، استنكرت اللجنة بشدة المحاولة المجرمة التي حاولت اجهزة النظام السوري القيام بها لتفجير صحن الإمام الحسين يوم الثلاثاء الثامن من شباط والتي لو تحققت لأودت بحياة الآلاف من ابناء الشعب المتجمعين هناك، بمناسبة زيارة الأربعين...»[٢٥].

محاكمة الزائرين

على أية حال، شكل مجلس قيادة الثورة محكمة خاصة لمحاكمة المتهمين بمسيرة كربلاء، وكانت برئاسة عزة مصطفى وعضوية حسن علي، وفليح حسن الجاسم[٢٦]، ولكن عزة الدوري عضو مجلس قيادة الثورة ترأس المحكمة الخاصة بعد رفض عزة مصطفى رئاسة المحكمة، بسبب الأحكام المسبقة بحق المعتقلين، فيذكر عامر عبد الله عن ذلك الموقف «اتصلت به من مكتبي وهنأته على هذا الموقف وشجعته على التمسك به»[٢٧]، ولكن هذا الموقف يشوبه الغموض عن دور مؤيد لـ (ح. ش.ع) في العلن واتصالات سرية لقادته لمواقف، ومنها موقف عزة مصطفى الرافض للقرارات المسبقة للمحكمة بحق المنتفضين.

من هذا وذاك، ثمنت اللجنة الوطنية والقومية التقدمية القرارات التي اتخذتها الحكومة تجاه زوار الاربعينية، وموقفها إزاء أحداث كربلاء، ودعت الى ضرورة وقوف القوى الوطنية والقومية التقدمية المؤتلفة تحت راية الجبهة «صفاً واحداً وإرادة واحدة في

مواجهة كل شكل من أشكال التخريب والتآمر ضد مسيرة العراق الثورية، ونظامه التقدمي»[٢٨]، وناقش الحزب الشيوعي العراقي في الاجتماع الاعتيادي للجنة المركزية تطورات الأوضاع بعد أحداث خان النص، وسمى هذه النشاطات «بالتآمرية المعادية»، وتحت أي صورة ظهرت، وبأي شعار تسترت»، يبدو أن المقصود بذلك الغطاء الديني الذي تستر به المنتفضون، مشيراً في الوقت ذاته الى» أن القوى المعادية تبتكر أساليب عمل وأشكال تنظيم ودعاية جديدة باستمرار، وتهتم باستغلال مشاعر فئات مختلفة من المجتمع، ومن بينها فئات الشبيبة، وهذا يفرض على قوى الثورة مواجهة هذه الأساليب الجديدة وردم الثغرات التي تنفذ منها، وإحباط مساعيها لاستغلال المشاعر الدينية والطائفية والقومية والاهتمام بالتعبئة الجماهيرية، وخصوصاً بين الشباب. إن اتخاذ إجراءات الحزم ضد النشاط التآمري حق من حقوق الثورة»[٢٩]، وهو بهذا يخول الحكومة باتخاذ ما يلزم من إجراءات بحق المنتفضين.

ان هذه التقارير بعيدة عن الواقع محاولين إعطاءها بعداً حزبياً وهو ما ينفيه المجتهد اللبناني آية الله السيد علي الأمين بما حدث في خان النص وكان من ضمن من تم القبض عليهم ذكر بأن «ما حدث في خان النص كان عملاً عفوياً لم يكن من صنع حزب الدعوة ولا غيره، وليس للسيد محمد باقر الصدر ولا لغيره يدٌ فيه، وكان ماشياً مع مواكب المشاية منطلقاً من النجف الى كربلاء وعند خان النخيلة علم بأن هناك مشكلة ما في خان النص، وكانوا يعتقلون عشوائياً»[٣٠].

وفي السياق نفسه، وفي خضم إجراء المحاكمات التي أجريت طلب صدام حسين من مكرم الطالباني «أن يغادر إحدى الجلسات، ويسارع في إخبار الحزب الشيوعي بأننا قد اخذنا بوجهة نظرهم وقد تبين لي أن الأخذ بوجهة النظر هذه كان تخفيض عدد المحكومين بالإعدام من(٤٦) الى عشرة[٣١]، وهو ما كُنّا نعمل بجهد لتداركه ونسعى لإطلاق سراح الجميع»[٣٢]، وكان قرار المحكمة كما يبدو قد جاء وفقاً لرغبات الحزب الشيوعي العراقي كي لا تتوسع موجة الاستياء والغضب الشعبي، فاتخذت المحكمة قراراً بالحكم بإعدام ثمانية أشخاص[٣٣].

وبصدد تلك الأحداث وتعامل الحزب الشيوعي مع حيثيات الموضوع بعد ان فقد رصيده بين صفوف الطبقة الكادحة، فيذكر الكادر الشيوعي صاحب جليل الحكيم تلك الأحداث» كان موقف الحزب مع الأسف الشديد مهادناً للسلطة بإجرائها القمعي، وقد وصف القيام بهذه الشعائر الدينية وبهذه الصورة الجماهيرية الواسعة، بأنها مؤامرة على السلطة الوطنية وأعتقد أنه وصف غير واقعي، وكان هذا الموقف مسايراً لرغبة السلطة وحزب البعث، وطبع البيان ووزع على المنظمات الحزبية، وبعد عدة أيام من إعدام الشهداء من أبناء مدينة النجف قمت بزيارة للمدينة، وانهالت عليّ الأسئلة كيف يقدم الحزب على إصدار هذا البيان المنافي للحقائق، وسألت بعض الرفاق: وهل وزعتم البيان؟ أجاب الرفاق من الصعوبة بمكان توزيع هكذا بيان، وإذا أطلعت الجماهير على هذا البيان فستلعن الحزب وتبتعد عنه على أقل تقدير»[٣٤].

في حين يعزو حميد مجيد موسى ذلك الموقف المتسم بالضبابية «هذه الأحداث حدثت وكان الحزب في تحالف مع حزب البعث، وهنا تجسدت بشكل أوضح إدارة النشاط الجبهوي، فكان بالضرورة ومطلوب من الحزب الشيوعي أن يتصدر هذه الأحداث مبيناً أحداثها بدليل أن الذي ظهر على صفحات الجريدة هو مجاراة للتحالف ولكنه لم يتطابق مع السلوك العملي للحزب الذي طالب رئيس الجمهورية، وأعضاء مجلس قيادة الثورة، بالتعامل القانوني المرن مع المنتفضين»[٣٥]، وهو على ما يبدو محاولة من قادة (ح.ش.ع) لنفي الموقف الرسمي لهم وعلى صفحات «طريق الشعب»، التي هي لسان حال الحزب والمعبرة عن موقفه الرسمي.

الهوامش

(١) رشيد الخيون، الاسلام السياسي بالعراق، جزءان، مركز المسبار للدراسات والنشر، الامارات العربية المتحدة،٢٠١٣،ص١١٩-١٢٠.

(٢) حنا بطاطو، العراق، ٣ أجزاء، دار القبس، الكويت، ١٩٩٣، ج٣، ص٤٠٥.

(٣) احمد راسم النفيس، الشيعة في العراق (جذور راسخة وواقع متغير)، دار اكيودي للثقافة، بيروت،٢٠١٤، ص٦٣.

(٤) رشيد الخيون، المصدر السابق، صص١١٩-١٢٠.

(٥) جعفر الحسيني، العراق على حافة الهاوية ١٩٦٨-٢٠٠٢، دارالروسم، بغداد، ٢٠١٥، ص١٣٣.

(٦) جوناثان ستيل، الهزيمة لماذا خسروا العراق، ترجمة بسام شيحا، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت،٢٠٠٩، ص٢٨٢.

(٧) محمد باقر الصدر: ولد عام ١٩٣٥ في مدينة الكاظمية من أسرة دينية معروفة، درس العلوم الدينية والفقهية في مدارس النجف، وهو من مؤسسي الحركة الإسلامية في العراق ولعب دوراً محورياً في جميع نشاطات الحركة الإسلامية في العراق منذ الخمسينيات. أسهم في تأسيس حزب الدعوة الإسلامية عام١٩٥٧، أعتقل مرات عديدة بسبب نشاطه السياسي المناهض للحكومة ووضع تحت الإقامة الجبرية وأُعدم في التاسع من نيسان ١٩٨٠، للمزيد ينظر: حسن لطيف كاظم الزبيدي، موسوعة الأحزاب العراقية، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت،٢٠٠٧، ص٤٤١.

(٨) **Johan Franzen،Red Star Over Iraq(Iraqi-Communism Before Saddam،Hurst Company Publishers،London،2011،p237.**

(٩) المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي، توجيه داخلي عاجل الى جميع اللجان الحزبية، ٨ شباط ١٩٧٧.

(١٠) صلاح الخرسان، حزب الدعوة الإسلامية (حقائق ووثائق، المؤسسة العربية للدراسات والبحوث الاستراتيجية، دمشق، ١٩٩٩، ص٢٢٠.

(١١) فالح عبد الجبار، المصدر السابق، صص٣٥٥-٣٥٦.

(١٢) صلاح مهدي علي الفضلي، الدور الوطني للمرجعية الدينية في تاريخ العراق الحديث والمعاصر١٩٠٠-٢٠٠٢، دار مصر مرتضى، بغداد،٢٠١١، ص٣٤٢.

(١٣) حنا بطاطو، العراق، ج٣، ص٤٠٥.

(١٤) حازم صاغية، بعث العراق(سلطة صدام قياماً وحطاماً)، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٣، ص١١٢.

(١٥) حنا بطاطو، الحركات السرية الشيعية في العراق، ترجمة وتعليق: شاكر العزاوي، منشورات مكتبة عدنان، بغداد، د.تاريخ، ص٤٢.

(١٦) حازم صاغية، المصدر السابق، ص١١٢.

(١٧) ماريون فاروق سلوغلت وبيتر سلوغلت، المصدر السابق، ص٢٦٤.

(١٨) رشيد الخيون، المصدر السابق، ص٢١٩.

(١٩) حنا بطاطو، المصدر السابق، ص٤٤.

(٢٠) عامر عبدالله،حقائق عن مسيرة -خان النص- في شباط ١٩٧٧، رسالة العراق (لندن)، العدد،٢١، أيلول ١٩٩٦، ص١٤.

(٢١) محمد حسن الشيخ حسين مبارك: ولد في النجف في عام١٩٣٢، خريج الدراسة المتوسطة أنتخب مرشحاً للجنة المركزية في المؤتمر الثالث، متخصص في العمل التنظيمي في منطقة الفرات الأوسط، خلال فترة الجبهة الوطنية كان عضو مكتب منطقة الفرات الأوسط، اختفى داخل العراق بعد انهيار الجبهة وأبعد عن اللجنة المركزية خلال مؤتمر الحزب الرابع ١٩٨٥ لبروز اتجاهات يمينية مغايرة لنهج الحزب حسب ذكر الوثائق، للمزيد ينظر: عبد العزيز عبد الصمد، دور المعلومات والخبرة الأمنية في متابعة الحزب الشيوعي العراقي، ص٢٤٤.

(٢٢) عدنان عباس، هذا ما حدث، مذكرات عدنان عباس، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠٠٨، ص١٧٧.

(٢٣) طريق الشعب، العدد ١٠٢٨، ١١ شباط ١٩٧٧.

(٢٤) طريق الشعب، العدد١٠٢٩، ١٣ شباط ١٩٧٧.

(٢٥) طريق الشعب، العدد١٠٣٢، ١٦ شباط ١٩٧٧.

(٢٦) طريق الشعب، العدد ١٠٣٩، ٢٤ شباط ١٩٧٧.

(٢٧) عامر عبد الله، حقائق عن مسيرة (خان النص)، ص١٤.

(٢٨) طريق الشعب،العدد١٠٣٣،١٧ شباط ١٩٧٧.

(٢٩) بيان الإجتماع الإعتيادي الكامل الثاني للجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي في ١٨شباط ١٩٧٧، للمزيد ينظر: الثقافة الجديدة، العدد ٩٢، نيسان ١٩٧٧، ص٨٨.

(٣٠) رشيد الخيون، المصدر السابق، ص٢٢٠.

(٣١) يبدو ان عامر عبد الله وقع في سهو في ذكر الرقم بأنه (عشرة) في حين ان الرقم الحقيقي هو ثمانية كما ذكر في حكم الإعدام، الباحث.

(٣٢) عامر عبد الله، حقائق عن مسيرة (خان النص)، ص١٤.

(٣٣) وهم كل من عباس هادي عجينة، وصاحب رحيم سماوي أبوكلل، ويوسف ستار عبد الحسن، وكامل ناجي مالو، ومحمد سعيد جواد، وغازي جودى محمد خوير، وناجح محمد كريم، ومحمد علي أحمد نعناع وبالسجن المؤبد لكل من وديع فاهم وداعة، وبلاسم ناجي جواد، وجمال احمد سالم، ومحسن جداوى جاسم علي نصير جاسم، وكامل خضير سباب، وباسم عبد الأمير حسون، وأموري رزاق عبد رحيمي، وهادي مرزه زاير، وعد سلطان حاجم، وراهي شاكر سماوي، وأسعد سلطان حاجم، وعباس كاظم جعفر فخر الدين، وحسن جبر حمزة، ومحمد باقر سيد محسن، كما قررت الإفراج عن (٨٧) شخصاً، للمزيد ينظر: (طريق الشعب)، العدد١٠٤٠، ٢٥ شباط ١٩٧٧.

(٣٤) صاحب جليل الحكيم، المصدر السابق، ص٢١٠.

(٣٥) مقابلة مع حميد مجيد موسى، (بتاريخ ٤/ ٩/ ٢٠١٢).

المصادر والمراجع

الكتب العربية والمعربة

١. احمد راسم النفيس، الشيعة في العراق (جذور راسخة وواقع متغير)، دار اكيودي للثقافة، بيروت، ٢٠١٤.

٢. حسن لطيف كاظم الزبيدي، موسوعة الأحزاب العراقية، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٧.

٣. فالح عبد الجبار، العمامة والأفندية سوسيولوجيا خطاب وحركات الاحتجاج الديني، ترجمة أمجد حسين، منشورات الجمل، بيروت، ٢٠١٠.

٤. جوناثان ستيل،الهزيمة لماذا خسروا العراق، ترجمة بسام شيحا، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠٠٩.

٥. حازم صاغية، بعث العراق (سلطة صدام قياماً وحطاماً)، دار الساقي، بيروت،٢٠٠٣.

٦. حنا بطاطو، الحركات السرية الشيعية في العراق، ترجمة وتعليق: شاكر العزاوي، منشورات مكتبة عدنان، بغداد، د. تاريخ.

٧. حنا بطاطو، العراق، (٣) أجزاء، دار القبس، الكويت، ١٩٩٣، ج٣.

٨. رشيد الخيون، الاسلام السياسي بالعراق، جزءان، مركز المسبار للدراسات والنشر، الامارات العربية المتحدة،٢٠١٣، ص١١٩-١٢٠.

٩. عامر عبد الله، حقائق عن مسيرة (خان النص) في شباط ١٩٧٧، رسالة العراق (لندن)، العدد، ٢١، ايلول ١٩٩٦.

١٠. عبدالعزيز عبد الصمد، دور المعلومات والخبرة الأمنية في متابعة الحزب الشيوعي العراقي.

١١. عدنان عباس، هذا ما حدث، مذكرات عدنان عباس، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠٠٨.

١٢. صلاح الخرسان، حزب الدعوة الإسلامية (حقائق ووثائق)، المؤسسة العربية للدراسات والبحوث الاستراتيجية، دمشق، ١٩٩٩.

١٣. صلاح مهدي علي الفضلي، الدور الوطني للمرجعية الدينية في تاريخ العراق الحديث والمعاصر١٩٠٠-٢٠٠٢، دار مصر مرتضى، بغداد،٢٠١١.

١٤. فالح عبد الجبار، العمامة والافندية سوسيولوجيا خطاب وحركات الاحتجاج الديني، ترجمة أمجد حسين، منشورات الجمل، بيروت،٢٠١٠.

١٥. ماريون فاروق سلوغلت وبيتر سلوغلت، من الثورة الى الديكتاتورية العراق منذ ١٩٥٨، منشورات الجمل، ٢٠٠٣.

الوثائق غير المنشورة

١. المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي، توجيه داخلي عاجل الى جميع اللجان الحزبية، ٨ شباط ١٩٧٧.

٢. بيان الإجتماع الإعتيادي الكامل الثاني للجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي في ١٨ شباط ١٩٧٧.

الصحف

١. طريق الشعب، العدد١٠٢٨، ١١ شباط ١٩٧٧.

٢. طريق الشعب، العدد١٠٢٩، ١٣ شباط ١٩٧٧.

٣. طريق الشعب، العدد١٠٣٢، ١٦ شباط ١٩٧٧.

٤. طريق الشعب، العدد١٠٣٩، ٢٤ شباط ١٩٧٧.

٥. طريق الشعب، العدد١٧، ١٠٣٣ شباط ١٩٧٧.

٦. طريق الشعب، العدد١٠٤٠، ٢٥ شباط ١٩٧٧.

٧. مقابلة مع حميد مجيد موسى، (بتاريخ ٤/ ٩/ ٢٠١٢).

المصادر الاجنبية

- **Johan Franzen، Red Star Over Iraq (Iraqi Communism Before Saddam، Hurst Company Publishers، London، 2011.**

ستراتيجية حل مشكلة النقل في الزيارة الأربعينية

(دراسة في جغرافيا النقل)

م. د. حيدر عبود كزار

كلية الآداب – جامعة القادسية

الملخص

تشهد زيارة أربعينية الإمام الحسين عليه السلام في العشرين من شهر صفر توافد ملايين الزوار من داخل العراق وخارجه، وبسبب هذا العدد الكبير – والتوقعات التي تؤكد أنها سوف تتجاوز الاعداد الحالية بكثير في المستقبل – ومن أجل تسهيل عملية إيصال الزوار الى مناطق سكناهم بسهولة وانسيابية وتجنب الاختناقات والازدحامات المرورية التي تعيق حركة السير، وتقديم الخدمات لهذه الأعداد الغفيرة بصورة تتلاءم وقدسية الزيارة، كان من الضروري أن تكون هناك ستراتيجية تعمل على فك تلك الاختناقات وتحمّل الأعداد التي من المتوقع أن تصل الى مدينة كربلاء مشياً على الأقدام، وهذا ما سوف يعمل عليه البحث.

The strategy to solve the transportation problem in the Arbaeen pilgrimage- a study in the geography of transportation

Dr. Haidar Aboud Igzar

Faculty of literatures / Al-Qadisiyah University

Abstract

Attest visit the death of Imam Hussein (AS) on the twentieth of the month of Safar influx of millions of visitors from inside and outside Iraq، and because so many expectations and confirms that it is in the future will far exceed the current setup، In order to facilitate the process of sending visitors to their home areas and easily streamline and avoid traffic jams and congestion that hinder traffic and providing services to these large numbers are fit and the sanctity of the visit، It was necessary to have a strategy of working to decode those bottlenecks and carrying numbers which are expected to arrive in the city of Karbala on foot، and this is what will work the search.

المقدمة

يمكن أن يؤدي الجغرافي دوراً كبيراً في توجيه التخطيط التنموي ودفع المخطط أن يرسم صورة أُخرى للمسرح الجغرافي يلتزم بموجبه بالخصائص الجغرافية وإجراء التحويرات والتعديلات عليها حتى تتناسب مع طبيعة وكفاءة ووظيفة هذه الخدمة أو تلك، ومن هنا انطلقت هذه الدراسة محاولةً بناء ستراتيجية متكاملة لحل مشكلة تكاد تكون مزمنة في ظل عجز الحكومات المتعاقبة على حلّها رغم انها تمتلك مفاتيح تلك الحلول، إلا أنَّ ابتعادها عن الأخذ برأي أصحاب الخبرة والاختصاص حال دون ذلك.

مشكلة البحث:

جاءت مشكلة البحث كالآتي: كيف يمكن وضع ستراتيجية متكاملة قصيرة وبعيدة المدى لتنظيم قطاع النقل في داخل مدينة كربلاء المقدسة لاستيعاب الأعداد المليونية للزوار القادمين إليها من مختلف أنحاء العالم وخاصة في الزيارة الأربعينة؟

فرضية البحث:

تعتمد الاستراتيجيات الموضوعة لحل مشكلة النقل الداخلي والخارجي في مدينة كربلاء المقدسة على مجموعة من الخطوات والمراحل والسيناريوهات، تستند في بنائها على قدسية المدينة أولاً، والأعداد الغفيرة من الزوار ثانياً، والإمكانات الجغرافية المتوفرة فيها ثالثاً.

أهمية البحث:

تأتي أهمية البحث في كونه يسلط الضوء على مشكلة كبيرة يواجهها زوار الامام الحسين عليه السلام القادمون والمغادرون من ضعف كفاءة النقل فيها وعدم قدرتها على أداء دوره بانسيابية وسهولة، وهذا يرجع الى سوء التخطيط والإدارة للمؤسسات ذات العلاقة.

هدف البحث:

تهدف الستراتيجية المقترحة إلى تطوير خيارات طويلة الأمد لسياسة نقل بريّ، وأهداف قابلة للقياس ينبغي تحقيقها لدى تطبيق هذه الخيارات، وتُعد (إدارة الطلب على النقل) مقاربة شائعة لحل مشاكل النقل، تستند على استعمال القدرات الموجودة استعمالاً أكثر فعاليةً، ويمكن أن يخفّف هذا حركة السير الى حدّ كبير، مما يؤدي الى حل فعّال إذا ما تمّ التفكير بكل التأثيرات، كما يهدف البحث الى وضع مجموعة من الخطط والاستراتيجيات بغية التغلب على الصعوبات التي تواجه عملية التوسع في طرق النقل وكفاءتها في استيعاب الأعداد المتزايدة من الزوار سنوياً.

منهج البحث:

تم استعمال المنهج التحليلي والاصولي في معرفة الأسباب والقوانين التي حكمت تلك الوظيفة وحددت مدى كفاءتها.

الحدود الزمانية والمكانية البحث:

تقع منطقة الدراسة فلكياً ما بين دائرتي

عرض(٨ـ ٣٢ ° ـ ٥٠ـ ٣٢ ° ش) وما بين خطي طول (١٠ـ ٤٣ـ ° ١٩ـ ٤٤ ° ق)، وهي بذلك تقع وسط العراق في الجزء الشمالي الغربي من إقليم الفرات الأوسط*، وتحديداً في الجزء الغربي من السهل الرسوبي وشرق الهضبة الصحراوية، أما الحدود الإدارية لمنطقة الدراسة فتحدها من الشمال والغرب محافظة الأنبار، ومن الشرق محافظة بابل، فيما تحدّها من الجنوب محافظة النجف الأشرف، أما مساحتها فتبلغ (٥٠٣٤) كم٢ إذ تشكل(٥،١٪) من إجمالي مساحة محافظات الفرات الأوسط البالغة (٩٨٨٧٠) كم٢، وهي تتكون إدارياً من ثلاثة أقضية وثلاث نواحي، فهي تضم قضاء كربلاء المقدسة ويتبعه إدارياً ناحية الحسينية وناحية الحر، وقضاء الهندية ويتبعه إدارياً ناحيتا الجدول الغربي والخيرات، وقضاء عين التمر، خريطة (١).

أولاً: ستراتيجية النقل والمخططات المقترحة

تنطلق العملية التخطيطية من خلال مفاهيم محددة لسياسات النقل واستراتيجياته، لذلك يتم تحديد السياسات والاستراتيجيات الخاصة بالنقل تجاه المنطقة المراد عمل مخطط نقل لها، سواء كانت سياسات خاصة أو عامة، إذ أن التأثير الرئيس لستراتيجية النقل لا تكمن فقط في توسيع وتحسين شبكة الطرق لمواكبة النمو العمراني وتحسين نظام النقل وتوسيع مساهمته في التنقل، بل تركز ستراتيجية النقل على إدارة أفضل للتجهيزات الاساسية الموجودة والاستفادة منها بشكل أفضل عوضاً عن مجرد زيادة الطاقة الاستيعابية، كردة فعل رئيسة للازدحام المروري ولزيادة الطلب على التنقل، ويتم تخطيط متطلبات النقل كمراحل محددة كما يوضحه الشكل (١).

يشكل موسم زيارة الاربعينية تحدياً كبيراً أمام كافة قطاعات الدولة وخصوصاً قطاع النقل، ذلك ان كتلة عظيمة من البشر تتطلب مقتضيات تلك الشعيرة تحركها بين داخل وخارج مركز المدينة، ضمن وقت محدد وفي أماكن محدودة ما يتطلب إدارة عالية الكفاءة لتنظيم هذا النوع من النقل الذي تكاد تنفرد به مدينة كربلاء دون غيرها من المدن ولا يوجد لها شبيه في العالم، كما أن حركة الزوار تكون عبر الطرق البرية بشكل رئيس ومن كافة الجهات من خلال قدومهم من كافة محافظات العراق وخاصة الجنوبية ومن خارجه أيضاً وبأعداد تتجاوز الملايين سنوياً وهي بازدياد مستمر، ولاشك في أن قطاع النقل تقع عليه المسؤولية الكبرى في ذلك وتتحول مغادرة الزوار سنوياً الى مشكلة تتطلب تدخلاً مباشراً من قبل كبار المسؤولين في وزارة النقل وتقديم الكثير من التسهيلات وتحويل استعمال الكثير من السيارات وخاصة الكبيرة منها الخاصة بوزارات الدولة وحتى آليات الجيش المختلفة تساهم في نقل الزوار وإيصالهم الى مناطق تواجد سيارات تنقلهم الى محافظاتهم ومناطق سكناهم.

خريطة (١)

الموقع الجغرافي والفلكي والوحدات الإدارية لمحافظة كربلاء

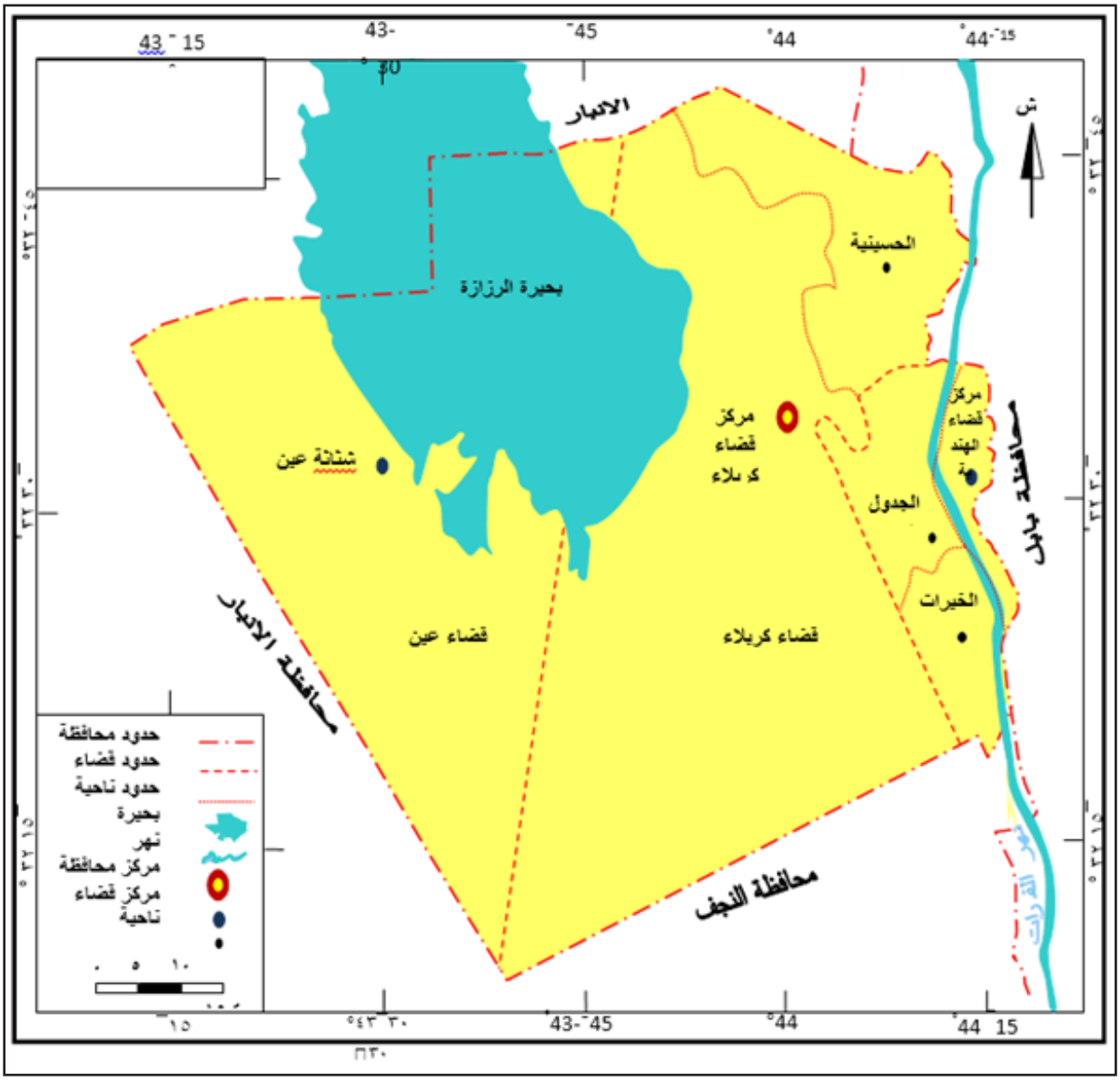

المصدر:

١. جمهورية العراق، وزارة الموارد المائية، المديرية العامة للمساحة، خارطة كربلاء الإدارية، مقياس ١/ ٥٠٠٠٠٠، سنة ٢٠٠٧ .

٢. عذراء طارق خورشيد البياتي، محافظة كربلاء دراسة تطبيقية في الخرائط الإقليمية، الجزء الأول، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات / جامعة بغداد، ٢٠٠٩، ص٢.

شكل (١)

تطوير ستراتيجية النقل في محافظة كربلاء

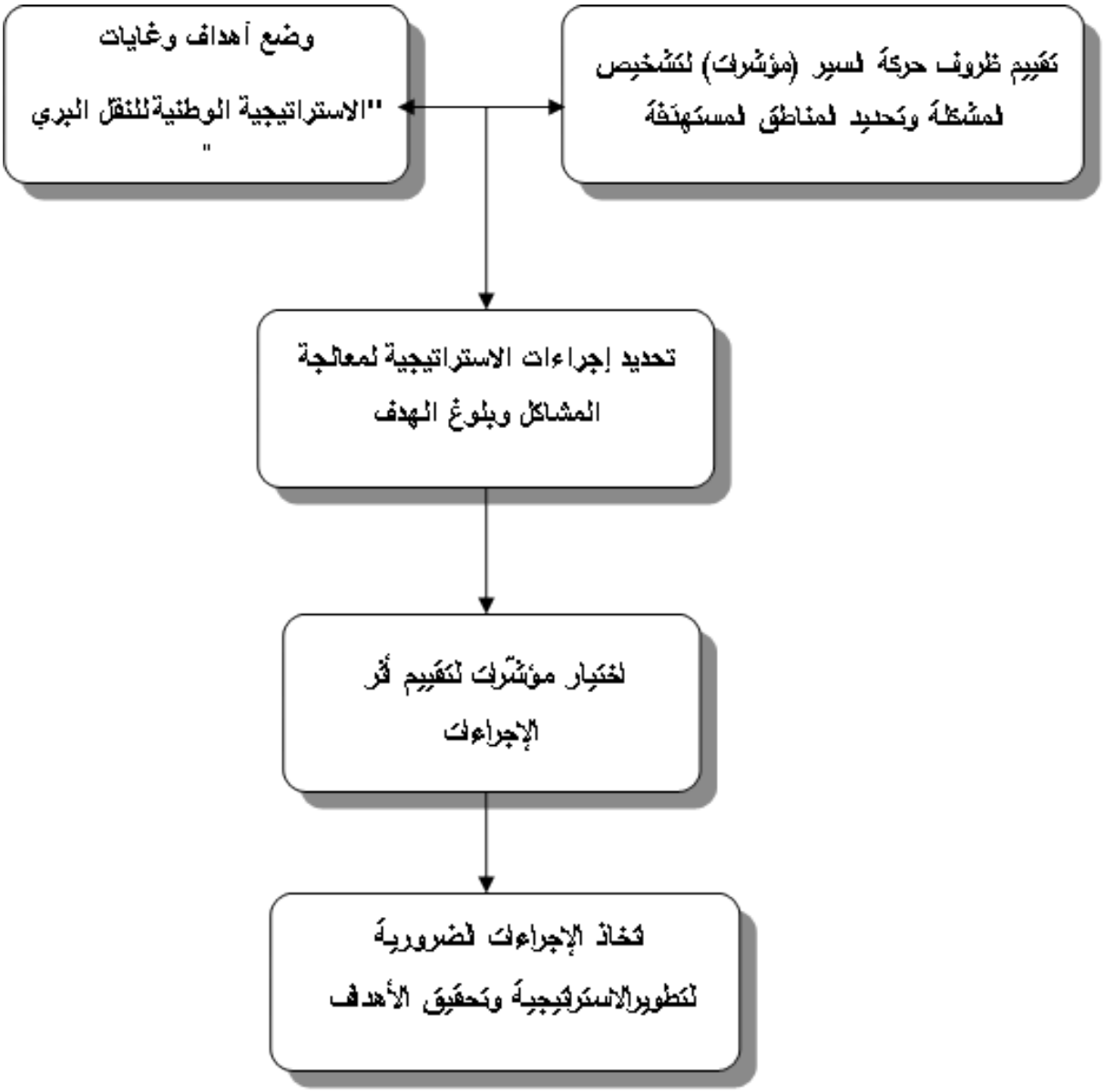

المصدر: وائل حميدان، الخيارات الستراتيجية الوطنية للنقل البريّ في لبنان، جمعية الخط الأخضر، بيروت، لبنان، ٢٠١٠، ص٩.

ومن أجل تذليل تلك المشكلة وايجاد حلول جذرية تطلب الأمر أن تكون هناك ستراتيجية متكاملة الأركان تهدف الى استحداث نظام نقل عالمي متميز ومستدام لخدمات تتسم بالفعالية وتقنيات متكاملة وسياسات مبتكرة عالمياً، ويعمل هذا النظام على دعم الاحتياجات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والبيئية من خلال:

- توفير خدمات نقل تتسم بالفعالية والجودة العالية لكل من الركاب والبضائع.

- زيادة معدلات السلامة وإتاحة الفرص للجميع.
- استعمال الموارد بطريقة مسؤولة والحد من التلوث والحفاظ على البيئة الفريدة وبما يحفظ قدسية المكان لمنطقة الدراسة.
- توفير قطاع نقل متكامل يشمل جميع الأنماط لمواكبة الاحتياجات المستقبلية لمنطقة الدراسة بالسلامة والفاعلية والكفاءة والتطور التقني.
- تشجيع وتعزيز التنمية الاقتصادية والقدرة التنافسية على المستوى الدولي، كما يضمن توفير بيئة صحية وآمنه لأفراد المجتمع[١].

إن الفلسفة الحقيقية من وراء الستراتيجية هي السماح لكل نمط من أنماط النقل بأن يلعب دوره في النظام من أجل تلبية الطلب ضمن إطار عمل يضمن الاستدامة الاجتماعية والاقتصادية والمالية والبيئية.

إنّ الستراتيجية المقترحة هي مزيج من الإجراءات التنظيمية (التشريعات والأنظمة) ومشاريع البنية التحتية المصممة لمواجهة هذه التحديات، وهي محصلة أعمال مطولة من التقييمات والمقارنات والتشاور مع جهات متعددة، ولمواجهة تحديات قطاع النقل في السنوات القادمة يتطلب ذلك نهجاً متعدد الوسائط، بحيث يستطيع كل نمط المساهمة في تحقيق الهدف النهائي، وهو إيجاد نظام نقل يدعم الاقتصاد والمواطن في آن واحد، والجدير بالذكر أن تعدد الوسائط يتطلب تنسيقاً وترابطاً بين كافة الأنماط وتعاوناً بين سلطات النقل المختلفة، ولذلك على الستراتيجية تحقيق الهدفين الآتيين:

- صياغة إطار عمل متناسق بحيث تكون كل أنماط النقل مترابطة فيما بينها وتسهم بأكبر قدر ممكن في تكوين نظام نقل منسجم ومترابط.
- وضع مزيج دقيق من الاستثمارات في البنية التحتية والإجراءات التنظيمية بحيث تساهم في تطوير أداء المرافق والخدمات الموجودة مسبقاً وتحسين استخدامها واستغلالها مستقبلاً بأفضل شكل ممكن وذلك لتقليل الكلف الاجتماعية والبيئية والعقبات غير المادية والمتطلبات المالية من أجل الالتزام بقيود الميزانية، وينبغي أن تكون الستراتيجية مرنة لتتأقلم مع السياق الإقليمي[٢].

يفضَّل في الدول النامية إعتماد الستراتيجيات المستندة إلى الجدوى المادية على تلك التي تشجّع أفضل تكنولوجيا متوفّرة، وذلك بسبب محدودية الموارد، لذا تقدم إدارة الطلب على النقل حلولاً عملية تشجّع على سلوك تنقّل فعّال وتقدّم مجموعة من الفوائد الاقتصادية والاجتماعية والبيئية. إن تقليص إجماليّ الطاقة التي يستخدمها قطاع النقل البريّ، عبر وضع خطة إدارية قابلة للتنفيذ تهدف إلى تحويل الطلب الى وسائل نقل مستدامة، ويمكن تحقيق ذلك بتسهيل استعمال وتفعيل وسائل نقل معينة وتشجيعها أو بتقليص عدد السيارات الصغيرة.

إن ستراتيجية كهذه هي ليست الطريقة الأمثل لتخفيف تأثيرات النقل البريّ فحسب، بل أيضاً الأكثر فعالية على الصعيد المادي والبيئي[٣].

تستند الستراتيجية المقترحة على أربعة ركائز أساسية هي:

١. **تطوير النقل الجماعي كماً وكيفاً The development of mass transit in quantity and quality وتتضمن:**

- بناء وتوسيع شبكة نقل بالحافلات الكبرى ذات الكفاءة العالية وعلى مدار ٢٤ ساعة.
- إنشاء وتطوير خطوط ذات قدرات استيعابية كبيرة (خطوط حافلات مرتفعة الاستيعاب) واستحداث خطوط للترام والمترو واختيار محطاتها بعناية كبيرة.
- استعمال الباصات الصغيرة كوسيلة تكميلية.
- امتيازات وأولويات في استعمال بعض الطرقات للرفع في السرعة والانتاجية.
- اشراك القطاع الخاص في التشغيل والاستثمار (حوافز وسياسة مناسبة لجذب القطاع الخاص الرسمي).

٢. **تحديث وتنفيذ خطط إدارة المرور ووقوف السيارات في وسط المدينة Update and implement traffic management plan:**

- خطة مرور لوسط مدينة كربلاء وضواحيها من الإزدحامات.
- تحديث إشارات المرور وتصميم جديد لقطاعات النقل المختلفة.
- خطط لوقوف السيارات وتسعيرها وإدارتها بمشاركة القطاع الخاص.

٣. **تعديل المكون المؤسسي Disable the institutional component:**

- تأسيس لجنة إشرافية عليا للنقل في المدينة المقدسة.
- تأسيس هيئة نقل في المدينة المقدسة خاصة بزيارة الأربعينية تشترك فيها جميع المديريات ذات العلاقة.
- تنفيذ إصلاحات في هيئة النقل العام بالمدينة وفصل التشغيل عن التنظيم.
- منح عقود لتشغيل مسارات الحافلات تدريجياً إلى الشركات العامة أو الخاصة.
- تأسيس وتقوية أقسام إدارة حركة المرور وأقسام انتظار السيارات على مستوى المحافظات (جميع المدن الكبرى).
- تأسيس هيئة الطرق السريعة التي يتطلب المرور عليها دفع رسوم.
- مساعدة شرطة المرور في تطبيق القواعد أثناء الحركة.

٤. **التمويل المستدام للقطاع Sustainable finance sector:**

وذلك بوضع سياسة جديدة للتسعير وللدعم ومصادر تمويل جديدة للاستثمار والدعم والتشغيل عند الحاجة ونقل الاشخاص بوسائل اكثر ملائمة للبيئة، مما ينعكس بصورة مباشرة على تحسينات بالبنية التحتية، إضافة الى تطوير وسائل نقل جماعية ملائمة للبيئة واكثر كفاءة في استخدام الطاقة[٤].

هنالك الكثير من الستراتيجيات الناجحة التي تنفذ حالياً في كثير من المدن المكتظة بالمركبات يدور جلُّها حول سياسات متشابهة، وترتكز الطويلة الامد منها خصوصاً على محاور رئيسة عدة أهمها العمل على تفاقم الازدحام المروري لجميع فئات المجتمع، كما إنَّ هنالك ثلاثة عناصر رئيسة تقوم عليها هذه الستراتيجية وهي:

١. الاستخدام الأمثل لشبكات النقل الحالية.
٢. تطوير نوعية وسائل النقل العام.
٣. استهداف استثمارات مستدامة في البيئة التحتية[٥].

١-١. الاستخدام الأمثل لشبكات النقل الحالية Optimum use of existing transport networks:

يتأتى ذلك من خلال تركيز الجهود على سبعة عناصر هي:

١-١-١. الخيارات الذكية **smart choices**: لابد من توفير المعلومات الدقيقة للناس كي يتمكنوا من اختيار الوسط الصحيح ذات العلاقة بالقيمة المادية للرحلة، كما إن الإجراءات التي هي في صالح تشجيع استعمال وسائل النقل العامة وتحسين كفاءة شبكات النقل بشكل نوعي، وهذه الستراتيجية تسعى الى زيادة الوعي لدى جميع الفئات من الزوار والسياح على ان وسائط النقل قد تكون غير قادرة على استيعابهم دفعة واحدة وانما هناك مجموعة من الخيارات ينبغي الإهتمام والأخذ بها.

١-١-٢. الطرق الحمراء **Red roads**: هي الطرق التي يمنع عليها التوقف بشكل كامل فلا يسمح بإنزال أو صعود الركاب عليها، وبمعنى أدق ان تكون هناك محطات (STATIONS) معينة ومحددة.

١-١-٣. تطوير إدارة حركة المرور والتحكم فيها داخل المدن **Develop traffic management and control within cities**: إن أدوات التحكم في السير كالإشارات الضوئية والدوارات وعلامات التوقف وغيرها من أجهزة التحكم في السير تؤثر على كفاءة شبكات النقل داخل المدن بشكل واضح، كما أن من شأنها زيادة حجم الملوثات التي تنطلق في الهواء، من أجل تطوير كل ذلك لابد من تطوير البرامج المتعلقة بها وكذلك الأجهزة التي تسيرها وزيادة الكفاءات البشرية التي تديرها وإيجاد الأدوات والخصائص اللازمة لقياس كفاءة أدائها.

١-١-٤. توفير مواقف للسيارات **Provide parking**: وذلك من أجل تيسير استعمال وسائل النقل العامة وتقليص أعداد المركبات التي تدخل في دائرة المناطق المزدحمة.

١-١-٥. دعم معلومات النقل **Support transport information**: للتأكد من أن جميع المستخدمين يستوعبون الخيارات المختلفة المتوافرة للنقل، ولا يتحقق ذلك ما لم تعرض في المواقع التي يصل اليها عامة الناس.

١-١-٦. إدارة شبكات النقل **Transport networks administration**: إن إدارة شبكات النقل بشكل عقلاني وعلمي بالموارد المتوافرة وتشغيل وصيانة ودعم البنية التحتية للطرق، من شأنه تحسين أدائها التشغيلي والتنافسي، كما أن الصيانة الجيدة للطرق تشجع الناس على المشي، إذ لابد من مقارنة القيمة الإنشائية لأية بنية تحتية جديدة للطرق بالبدائل الاخرى للنقل، لأنها قد تكون أقل كلفة على المدى البعيد من القيمة الحالية المراد صرفها على الطرق.

١-١-٧. إدارة حركة السير **Traffic management**: يمكن بهذه الاداة تقليص أو خفض قيمة التنقلات للرحلات التي هي في غير أوقات الذروة، كما يمكن تعديل أوقات المدارس والجامعات بحيث يمكنها المساهمة في خفض أعداد المركبات في أوقات الذروة.

١-٢. دعم نوعية وسائل النقل العام Supporting quality public transport:

• ينبغي أن تؤدي وسائل النقل الجماعي دوراً بارزاً في الاستراتيجيات الحديثة، إذا ما أُريد تحويل جزء من مستخدمي السيارات الشخصية نحوها، ولعل من أبرز أهداف ذلك ترك الازدحام المروري على وضعه الحالي دونما حد لامتداد تأثيراته، ومن هنا كان لابد لوسائل النقل العامة والجماهيرية من استيعاب الزيادة الحاصلة في أعداد الرحلات، ومن أجل أن تكون منافساً قوياً للطرق في استقطاب المستخدمين، ينبغي مراعاة نظافتها وتوفير خدمة عالية الجودة تجاه مستخدميها ودعم منع التدخين فيها والتأكيد على الجوانب الأمنية فيها وأن تكون ذات جاذبية معينة، كما لابد من توفير المعلومات التي يحتاجها المستخدمون بشكل ميسر، وكذلك لابد من توفير معايير عالية لدى المشتغلين، كما لا بد من العمل على التكامل بين الحافلات ووسائل النقل الجماهيرية كالقطارات.

١-٣. الحافلات Buses:

تركز هذه الستراتيجية على زيادة ثقة المستخدمين في الحافلات وعلى دقة مواعيدها وسرعة رحلاتها، لذا ستحاول هذه الستراتيجية الاستثمار في البنية التحتية للحافلات مثل المواقف الحديثة والمسارات الخاصة بالحافلات والتخطيط المروري الذي يعطي أولوية السير للحافلات كي يتم الوصول الى الأهداف التي تركز عليها الستراتيجية، كما لابد من استعمال حافلات النقل السريعة (Express).

١-٤. المترو Metro:

• توفر القطارات الخفيفة (المترو) دفعة مغايرة في النوعية والكفاءة والجاذبية، ويُعدُّ التوسع في مثل هذه الوسائل من العناصر الهامة في الستراتيجيات، ومن أجل تحويل ودعم الاستعمال نحو تلك الوسائط لابد أن يكون بمقدور عامة الناس استعمالها وتعطى بعض الاولويات وتحمل مطالب التغيير باستمرار.

١-٥. القطارات الثقيلة Heavy trains:

• تظهر القطارات الثقيلة أهمية كبيرة للمسافات التي هي متوسطة وطويلة، ولابد من توفير مواقف كبيرة للسيارات الشخصية لاستعمالها فيما بعد[٦].

٢- نظم النقل الذكية Intelligent Transportation Systems:

يُعدُّ الارتقاء بمستوى قطاع النقل والمواصلات في الوقت الحاضر أحد أهم المعايير أو المؤشرات الدالة على مستوى التنمية العمرانية والتطور الحضري، إذ يتم قياس تقدم الدول بتقدم وسائل ونظم النقل فيها لا سيما إذا اعتمدت على تطبيقات تكنولوجية وأنظمة ذكية حديثة، وقد برز مؤخراً استعمال مصطلح نظم النقل الذكية (I.T.S) كلفظ موحَّد لما كان يعرف سابقاً باسم النظم الذكية للمركبات والطرق، وهي تعني تلك النظم التي تعتمد على استعمال تقنيات الحاسب الآلي والالكترونيات والاتصالات والتحكم بغية الحصول على معلومات تتعلق بأداء مرافق النقل، وأحياناً عن الطقس والظروف الجوية والبيئية بغية

مجابهة العديد من التحديات التي يمكن أن تواجه الزوار أثناء عملية النقل البري، وهو الأمر الذي من شأنه أن يساهم في تحسين مستويات السلامة والإنتاجية والحركة العامة، كما تعرف على أنها النظم التي تعمل على تطبيق مختلف التكنولوجيات الحديثة في النقل من أجل التوصل إلى تحقيق:

- المساعدة في قيادة المركبات وتحديد المواقع، خاصة استعمال نظام تحديد المواقع الجغرافية (GPS).
- تيسير حركة المرور وتسهيل انسياب تدفقات الحركة المرورية وذلك عن طريق التحكم في الإشارات الضوئية المرورية.
- إدارة السلامة المرورية عن طريق إرسال معلومات لمستعملي الطريق، مثل إرسال معلومات حول الأحوال الجوية كالضباب والامطار أو الحوادث المرورية... الخ)[٧].
- يصنف نظام النقل الذكي إلى عدة أنظمة فرعية أهمها: نظم الموقع الأوتوماتيكي للمركبات (AVL) ونظم التعداد الأوتوماتيكي للراكبين (APC) ونظم جمع المرور مستندة على البطاقات الذكية (CAP) ونظم التحديد من خلال الترددات الراديوية (RFID) ونظم التخطيط الزمني ونظم المعلومات الجغرافية (GIS) ومعلومات المسافرين، وعادة ما تستخدم هذه النظم مع نظم تحديد الموقع العالمي (GPS) من أجل عرض المعلومات ذات الطابع المكاني[٨].

٢-١. تخفيف الازدحام المروري:

- نشر إرشادات الإزدحام المروري من خلال:
- وجود إذاعة متخصصة للمرور.
- توفير خدمة إستعلامية عن المرور عبر التليفون المحمول.
- تطبيق نظام GPRS لتوفير إرشادات مرورية.
- توفير أماكن للانتظار (الكراجات):
- تحديد الأماكن التي تصلح للانتظار بالمناطق المزدحمة وإسنادها للقطاع الخاص.
- إنشاء أماكن للانتظار خارج المدينة تجاور محطات نقل الركاب.
- إلزام المشاة بعبور الطرق وفقاً لإشارات المرور من خلال تبني عدد من الآليات تتنوع بين التحذير وبين فرض غرامات فورية باعتبارها إعاقة لحركة المرور.

٢-٢. شبكة طرق متكاملة Integrated road network:

- تشجيع مشاركة القطاع الخاص في إنشاء الطرق السريعة بـ(رسوم).
- مراجعة وتحديث العلامات الارشادية بالشوارع والطرق.
- تطبيق برامج للصيانة الدورية للطرق.
- المتابعة الدورية لحالة الطرق.
- إنشاء وحدة مستقلة لتلقي شكاوي المواطنين والمجتمع المدني.
- تنويع مصادر تمويل صيانة الطرق[٩].

٣- النقل المستدام Sustainable Transport:

هناك العديد من الاتجاهات والمحاولات لضم أهم العناصر المتعلقة بهذا المصطلح، إذ عرفت لجنة

الاتحاد الاوربي لوزارات النقل نظام النقل المستدام على أنه:

- يسمح بتحقيق التنقلات الأساسية ومتطلبات التنمية لكلٍّ من الافراد والمؤسسات وبظروف آمنة بشكل يتفق مع الصحة الشخصية والسلامة البيئية كما أنه يوفر العدالة بين الأجيال المتعاقبة فيما بينها.
- النقل المستدام في المتناول من حيث التكلفة والقدرة على الاستغلال والفعالية، فهو يوفر خيارات أنماط النقل المختلفة ويدعم التنافسية الإقتصادية فضلاً عن دعمه لموازنة (تقارب) التنمية بين المناطق المختلفة.
- يحد من الانبعاثات ومن الهدر، فهو نظام يستعمل المصادر المتجددة في نفس المستوى أو أقل من مستوى إصدارها، كما أنه يستعمل المصادر النابضة بمستويات أدنى لما تتطلبه التنمية مع حد الاثر من استعمال الأراضي وانتشار الضوضاء[١٠].

تشمل الستراتيجية الداعية الى تحقيق النقل المستدام في العموم مجموعة كبيرة من المجهودات الحكومية والمؤسساتية للتأثير على الوفرة والجودة والتكلفة الخاصة بتنقلات الافراد والبضاعة، ولعل من أبرز المبادئ لاختيار السياسات المعتمدة الأكثر دفعاً لاستدامة النقل في الدول المتقدمة النموذج المعروف (**الربحية المزدوجة لحل مشكلة النقل Win-Win Transportation Solutions**)، الذي يأخذ في الإعتبار كل الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والبيئية لمعالجة مشكلات النقل على مستوى واحد من الأهمية أو على الأقل يعمل على عدم التأثير على حل تم اختياره لفائدة بعد معين على حساب بعد آخر أو البعدين الآخرين.

١-١. العوامل الرئيسة لتحقيق سياسات النقل المستدام Sustainable transport policies:

يوجد في الحقيقة العديد من العوامل التي تستطيع سياسات النقل من خلالها تحقيق التنمية المستدامة، إذ لابد من مراعاة أربعة مقاييس أساسية عند التفكير في سياسات النقل المستدام متمثلة بالآتي:

١-١-٣. توفير بدائل ذات جودة عالية Provide high quality alternatives:

إن تحسين الشروط والخيارات المتعلقة بتوفير خدمات النقل أمر مهم من أجل جعل النقل في متناول كل فئات المجتمع وتشجيع العمل على توفير البدائل لأنماط النقل المختلفة شرط أن تكون أكثر رفقاً بالبيئة، ومن الأمثلة لسياسات يمكن من خلالها زيادة خصائص النقل وعرض خيارات لتنقلات أكثر مثالية:

- إنشاء هياكل جديدة أو تمديدها أو تطويرها خاصة أنماط نقل الحشود (Mass- transit) كقطار الأنفاق والميترو والترام[١١].
- إنشاء هياكل قاعدية تخص تنقلات الراجلين والتنقلات بذوي العجلتين.
- دعم النقل العمومي.
- دعم سياسات تكميلية فيما يخص إدارة نظام النقل وإدارة حظيرة السيارات المعتمدين.

٣-١-٢. تهيئة أنظمة نقل اكثر فعالية

Create more efficient transport systems:

يهدف التطوير في إدارة نظام النقل الى جعل النظام المعتمد وهياكله القاعدية أكثر فعالية، وذلك بتوفير مستوى أعلى أو جودة خدمات من دون الحاجة الى إنشاء هياكل جديدة، إذ أن السياسات تتمثل في تطوير العمليات من طرف مصالح النقل، ومن بين هذه السياسات يمكن ذكر الآتي:

- ضبط وتغيير توقيتات إشارات المرور بشكل مستمر تماشياً مع طبيعة الحركة المرورية (إشارات المرور الذكية).
- إعطاء أولوية عند تغيير توقيت إشارات المرور لمركبات النقل الجماعي والعمل على إنشاء ممرات خاصة بها.
- إنشاء ممرات خاصة بالمركبات الخاصة بالحشود
- إرساء معدات أنظمة النقل الذكية.
- إحترام حدود السرعات المقدّرة.

٣-١-٣. إدارة فعالة لاستعمال المركبات Effective management of the use of vehicles:

تسعى إدارة استعمال المركبات الشخصية والتجارية الى تقليل فترة التأخير ونسبة الانبعاثات عن طريق مراقبة عدد ونوع ومدة رحلات المركبات داخل المناطق الحضرية، إذ أن تخفيض نسبة الانبعاثات يتوقع أن يتم عن طريق تقليل عدد المركبات في تيار الحركة المرورية، كما أن تسهيل حركتها يعود الى تقليل الازدحام ولهذا فإن سياسات منع المركبات (وخاصة القديمة منها) أو سياسات منع الرحلات تحتاج الى توفير بدائل ذات خصائص لائقة، تضمن للأفراد والبضائع من البلوغ الى تحقيق إحتياجاتهم من النقل، ومثال ذلك:

- منع أو الحد من استعمال السيارات الخاصة أو التجارية خلال فترات الزيارة وفي أوقات معينة.
- فرض تراخيص للتنقل في مناطق معينة (كمركز المدينة) أو في المنطقة التجارية (CBD) القريبة من منطقة الحرمين.
- نقل المواقف والكراجات الى خارج المنطقة التجارية ورفع تسعيرة الوقوف لتقليل الرغبة في اقتناء أو التنقل بالسيارات الشخصية.
- تحديد غرامات معينة على السيارات المتسببة بالإزدحام[١٢].

٣-١-٤. الحد من الإنبعاثات Reduce emissions:

تسعى سياسات النقل المستدام بالإضافة الى تقييد عدد المركبات ومراقبة الإزدحام في مراكز المدن، الى جعل حظائر المركبات أكثر رفقاً وصداقةً للبيئة وذلك بتفضيل المركبات الأقل افرازاً للغازات الدفيئة، مثل هذه السياسات تتجسد من خلال:

- تشريع قوانين تخص انبعاثات الغازات الدفيئة.
- تحفيز التكنولوجيات الخضراء (الصديقة للبيئة).
- فرض رسوم على تسجيل السيارات.
- فرض رسوم وتحفيزات تخص كيفية استهلاك الوقود[١٣].

٤ - إدارةُ أنظمة المرور وتخطيطها Traffic management systems and planning:

هي عمليةُ التخطيط والتشغيل لخطةِ المواصلات في المناطقِ الحضرية على المدى القصير، وتتلخص أهدافها الرئيسة في الاستخدامِ الأفضل لشبكةِ المواصلات الموجودة بأقلِ كلفةٍ ممكنة، ورفعِ كفاءة هذه الشبكة من حيثُ تحسين قابلية الحركة والتنقل إلى أقصى حدٍ ممكنْ، مع الحفاظِ على خصوصيةِ وبيئةِ المنطقة الحضرية. وتشتمل خطط إدارة أنظمة المرور على كافةِ أنواع المركبات بما في ذلك المركبات العامة والتاكسيات والمشاة حيث يتم التنسيق فيما بينها جميعاً، وكذلك مواقف المركبات والممرات والتقاطعات الرئيسة، بالإضافة إلى الأمورِ الإدارية والسياسات المتعلقة بأنظمةِ المرور.

وما يميز التخطيط قصير الأمد عن طويلِ الأمد، هو أن التخطيط قصير الأمد مدته الزمنية (٥) سنوات وتحتاج إلى رأسمالٍ أقل وتمتاز بالمرونة، إذ تتشكل بدائلُ عن الخطةِ طويلةِ الأمد، وتكون أكثرَ تحديداً للمشاكل وحلها، وتمتاز كذلك بسهولة التنفيذ والتطبيق، في حينِ أن الخطط الطويلةُ الأمد تصل إلى مدةِ ١٥ سنة، وتحتاج إلى رأسمالٍ أكبرْ وهي أقل مرونة وأصعب في التنفيذ، ويعتبر مخطط قصير الأمد عبارة عن خطط مرحلية للمخطط طويل الأمد للوصول إلى تنفيذ السياسات والاستراتيجيات التنموية[١٤].

تخطيط النقل هو عملية تعاونية تهدف إلى تشجيع المشاركة من جميع المستخدمين لنظام النقل كالهيئات الحكومية المختصة المناط بها عملية التخطيط والمجالس المحلية والمنظمات البيئية ومجتمع رجال الأعمال والمسافرين وشركات الشحن والجمهور، وذلك من خلال المشاركة العامة في عملية الاستبيان التي تقوم بها هيئات تخطيط المدن الكبرى والتنسيق مع وزارات النقل القومية، ومتعهدي النقل العابر. ولتخطيط النقل دور أساسي في تحقيق الرؤية المستقبلية لنظام النقل في الدولة والمجتمع الذي يتضمن دراسة شاملة للاستراتيجيات الممكنة وتقييم مختلف وجهات النظر الناتجة عن المشاركة التعاونية بين هيئات تخطيط النقل وبين الوكالات والمنظمات ذات الصلة من جهة والمشاركة العامة من جهة أُخرى[١٥].

إن عملية تخطيط النقل الحضري قضية متعددة الجوانب ومتعددة المراحل والهدف منها وضع القواعد اللازمة لضمان الاستقرار الدائم لنظم النقل لتلائم عملية التطور الحضري المستمر وفقاً لبرامج وأهداف محددة تلبي قدر الإمكان رغبات السكان في التنقل بسهولة ويسر وأمان وبمستوى خدمة مناسب

١. التخطيط الستراتيجي لتطوير وسائل النقل (الخطط الطويلة الأجل) وعادة ما بين ٢٠-٤٠ سنة في المستقبل.
٢. خطط تحسين وسائط النقل أو خطط العمل التنفيذية لتحديد مشاريع محددة البرامج التي ستنفذ في غضون بضع سنوات.
٣. خطط النقل الخاصة بإنشاء مسار معين أو تحديد المشاريع والبرامج التي ستنفذ على ممرات محددة، مثل طول أحد الطرق السريعة الخاصة، جسر أو طريق[١٦].

٤-١. بدائل وسائط النقل العام:

تم تقويم معظم البدائل المستخدمة عالمياً ضمن وسائط النقل العام، وهي قطارات السكة الحديد

الثقيلة والخفيفة ومترو الأنفاق والحافلات بمختلف أنواعها ومختلف طرق تشغيلها وعربات النقل الصغيرة عالية التواتر، وذلك من خلال تطبيق عدد من المعايير الأساسية التي تشمل كلاً من الطاقة الاستيعابية والسرعة، إلى جانب بعض المعايير الأخرى مثل إمكانية استخدام تقنية معلومات متقدمة وإمكانية التشغيل في مواقع أخرى وقابلية التوسع في الطاقة الاستيعابية والتغطية المكانية ودعم ستراتيجية التطوير الحضري وملاءمة التقنية لمتطلبات المستخدمين وطول مدة التنفيذ التحتية المطلوبة.

٤-٢. التقنيات التي يتعين أخذها بعين الاعتبار (لكن تتسم ببعض القيود):

١. أنظمة النقل بواسطة السكة الحديد الأحادية الأوتوماتيكية.
٢. أنظمة قطارات الأنفاق.
٣. النقل على مسارات الأولوية للعربات ذات الطاقة الاستيعابية العالية والحافلات.

٤-٣. الأنظمة التي يتعين دراستها فوراً:

٤-٣-١. النقل بواسطة السكة الحديد الخفيفة:

توفر أنظمة السكة الحديد الخفيفة مستوى من الخدمة يعد كافياً للايفاء بالمتطلبات اللازمة لمعظم المدن التي يتوقع أن يكون حجم الركاب فيها متوسط الحجم، ومن مميزات تشغيلها أنها عادة تفصل عن حركة سير العربات بواسطة فاصل وسطي أو بواسطة تشغيلها على حرم طريق خاص بها، ولكن يتم تشغيل بعضها على الشارع نفسه خاصة عندما تكون الشوارع ضيقة. وتتكون القطارات الخفيفة من عدة وحدات لكن نادراً ما يتعدى طولها ٨٠ متراً، وقد تكون أرضية العربات منخفضة أو عالية اعتماداً على تصميم محطات الوقوف وحجم المساحة المتوفرة للمواقف.

٤-٣-٢. النقل بواسطة الحافلات والأنظمة المرتبطة بها:

تعد الأنظمة المبنية على الحافلات التقليدية من بين كافة أنظمة النقل العام الأكثر مرونة ويمكن أن توفر درجة عالية من إمكانية الوصول، إذ أن معظم الطرق يمكن أن تستوعب العربات عليه، يمكن إعطاء الأولوية للحافلات بعدة طرق. تتطلب الحافلات المسيَّرة ومسارات الحافلات الموجهة فصلاً مادياً بين حركة المرور الأخرى، بينما يتطلب مسار الحافلات التقليدية فرض قانون الحركة المرورية لتنفيذه.

هنالك العديد من أنظمة تقنية المعلومات المتوفرة التي تمد الركاب بالمعلومات في محطات التوقف وتعطي الحافلات الأولوية عند تقاطعات الطرق، وتعد سرعة الحافلات والمسافات بينها متماثلة تقريباً مع الترام، إلا أنه قد تكون في بعض الأحيان أكبر إذا كانت الحافلات تعمل بدون توقف.

تتفاوت الحافلات تفاوتاً كبيراً في أحجامها ووحدات الطاقة لديها والتصميم الداخلي، وفي العادة تكون محطات توقف الحافلات على الرصيف، غير أنه من المهم أن تكون للحافلات المسيرة والحافلات الموجهة محطات توقف منفصلة بالقرب من مسار التوجيه.

٤-٣-٣. نظم التخطيط الزمني:

تولد نظم التخطيط الزمني حلولاً للمشاكل المزمنة والمرتبطة باستغلال شبكات النقل، وقد قسَّم أحد الباحثين عملية التخطيط في قطاع النقل الى خمس مراحل هي:

١. إنشاء الطرق، ويتم ذلك في مرحلتين، تصف الاولى الطرق وفي المرحلة الثانية يتم حساب تكرار حركة المرور.
٢. تحديد تواتر المرور.
٣. تطوير الجدول الزمني ويهدف الى تخفيض الوقت للراكبين.
٤. تخفيض الجدول الزمني للحافلات، تعدد المرائب وطريقة الفصل والتقييم التدريجي.
٥. تخطيط أوقات عمل السائقين وتطوير ستراتيجية للفصل والتقييم المحلي لتخطيط أوقات عمل السائقين[١٧].
٦. توسيع شبكة مترو الأنفاق لتغطي مساحة أوسع من المدينة وأطرافها، لأن المترو لا يزال المشروع الاقل كلفة على المدى المتوسط والبعيد، ولأنه يرقى بخدمة النقل الجماعي الى وضع متحضر كما تزداد قيمته باعتباره مشروعاً اقتصادياً يدر عائداً مجزياً قد لا يظهر في موازنة الحكومة ولكن نتائجه تظهر في وقت قصير وتقليص مساحة الشارع الى حدود الصفر وحجم الراحة التي تتحقق للراكب، فضلاً عن ذلك فإن خط المترو الواحد يعادل (١٢) طريقاً بطول خط المترو.

الخاتمة

يعود السبب الأكبر في تعاظم مشكلة نقل الزوار من وإلى مدينة كربلاء المقدسة في أيام الزيارات وخاصة زيارة الأربعينية الى سوء التخطيط وعشوائية التنظيم وعجز القرارات الموضوعة عن فهم جوهر المشكلة وأبعادها الستراتيجية، وهي من ضمن القضايا التي تستحق المناقشة والتفكير لكونها تتكرر سنوياً وليس هنالك من حل يضع الحد لهذه المشكلة التي تثير استياءً شعبياً كبيراً كونها تمس في الصميم شريحة واسعة من أتباع أهل البيت عليهم السلام، الذين يجاهدون في الوصول الى سيد الشهداء في يوم أربعينيته ويتحملون مشاق الطريق ومفخخات الإرهاب، وفي الوقت الذي تشكل فيه هذه الشعيرة ركناً مهماً من أركان الولاء والانتساب الى عترة رسول الله صلى الله عليه وآله، كان من الواجب على الأكاديميين أن تكون لهم مساهمة في وضع الحلول والستراتيجيات لفك هذه العقدة وتحويل هذه الشعيرة الى مناسبة عالمية تظهر الولاء المطلق والتضحيات التي يقدمها أتباع أهل البيت سنوياً.

التوصيات:

١. تطوير عناصر شبكة الطرق ومرافق النقل في المدينة، برفع كفاءة العناصر القائمة وإضافة عناصر جديدة وتحديد أولويات التطوير في ظل ستراتيجية التطوير الشامل للمدينة وذلك للمساهمة في الإيفاء بمتطلبات التنقل القائمة والمتوقعة.
٢. زيادة خيارات النقل وتوفير بدائل فاعلة للتنقل لجميع فئات المجتمع تقلل من الإعتماد على المركبات الخاصة وتساهم في الحفاظ على سلامة البيئة من خلال تطوير وتفعيل نظام النقل العام بالمدينة وتحسين بيئة المشاة في الأحياء السكنية ومناطق التسوق.
٣. توصيف برنامج إدارة مرورية شامل يعنى برفع كفاءة تشغيل نظام النقل ورفع مستوى السلامة المرورية على شبكة الطرق وإدارة الطلب

المروري وتوظيف التقنيات الحديثة المناسبة لرفع كفاءة الأداء.

٤. وضع المعايير الكفيلة بتحقيق التكامل بين توزيع استخدامات الأراضي والأنشطة الحضرية المختلفة وتطوير عناصر نظام النقل بشكل يساعد على ترشيد استخدام هذا النظام وتقصير مسافات التنقل وتقليل عدد الرحلات.

٥. تقويم بدائل تمويل واستثمار عناصر نظام النقل المختلفة بالمدينة بغية التقليل من الإعتماد على الدعم الحكومي وزيادة الإعتماد على تمويل القطاع الخاص مع الحرص على رفع كفاءة الأداء.

٦. تطوير وتفعيل الهياكل الإدارية والكوادر البشرية والإمكانيات التقنية القادرة على تقويم أداء نظام النقل باستمرار وتوصيف الإجراءات الكفيلة بتطوير وتحديث هذا النظام بما يتلاءم مع متطلبات التنقل القائمة والمتوقعة بالمدينة.

الهوامش

(١) وائل حميدان، خيارات الستراتيجية الوطنية للنقل البريّ في لبنان، جمعية الخط الأخضر، بيروت، لبنان، ٢٠١٠، ص٩.

(٢) وزارة النقل، مديرية تخطيط وتطوير النقل، ستراتيجية النقل، المملكة الاردنية الهاشمية، ٢٠١٢، ص٥.

(٣) المصدر نفسه، ص١٠.

(٤) ستراتيجية النقل المستدام في أبو ظبي، مجلة الاستدامة، العدد الثاني، مجموعة أبو ظبي للاستدامة، ٢٠١٣، ص٣٥.

(٥) **Mayor of London،Traffic congestion clogs up roads، threatens business and damages London's status as a thriving World City".**

(٦) هاشم محمد المدني، التجارب العالمية في التخطيط المروري، مركز الدراسات والبحوث، الجزائر، ٢٠٠٩، ص ١٧.

(٧) ابتسام بو لقواس، تقنية نظم النقل الذكية كستراتيجية لتطوير قطاع النقل، جامعة الحاج لخضر باتنة، مجلة رؤى اقتصادية، العدد السادس، ٢٠١٤، ص١٥٦.

(٨) سعد بن عبد الرحمن، نظم النقل الذكية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية، ٢٠١٠، ص ٢٢.

(٩) يحيى الزنط، نحو ستراتيجية مقترحة لحل أزمات النقل والمرور بالإمكانات المتاحة من خلال وثائق التأمين، السعودية، ٢٠١٠، ٢٠٠٤، ص٣٠.

(١٠) محمد المزغني، نظام النقل الحضري المستدام، دبي، ٢٠١١، ص٤.

(١١) خليل ابراهيم علي ومحمد سعد الجوراني، المتطلبات التصميمية في محطات نقل الركاب البرية المستدامة، المجلة العراقية للهندسة المعمارية، المجلد ٣١، العدد٣، ٢٠١٥، ص٩٧.

(١٢) نظم النقل الذكية أهم مواضيعها وفرص تطبيقها في المملكة العربية السعودية.

http://www.trafficsafetyksa.com.

(١٣) حليمة بن عبد العزيز، واقع ومستقبل النقل المستدام، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاقتصادية والتجارة، جامعة الحاج لخضر، الجزائر، ٢٠١١، ص١٧.

(١٤) احمد حسن المصلح، تحليل ونظرة مستقبلية فصيرة الامد لمخطط المواصلات في مدينة جنين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح، فلسطين، ٢٠٠٦، ص٨٠.

(١٥) الأصم عبد الحافظ أحمد الأصم، القواعد الجغرافية للطرق السريعة، مركز الدراسات والبحوث، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، المملكة العربية السعودية، ٢٠١٤، ص١٥.

(١٦) خليل أحمد أبو أحمد، التصميم والتخطيط الهندسي للطرق الحضرية والخلوية، مطبعه الاهرام، مصر، ٢٠٠٨، ص ٢٤.

(١٧) سامية لحول وراوية حناشي، مساهمة نظم النقل الذكية في الحد من التلوث البيئي، مجلة اسيوط للدراسات البي.

المصادر والمراجع

١. ابتسام بو لقواس، تقنية نظم النقل الذكية كستراتيجية لتطوير قطاع النقل، جامعة الحاج لخضر باتنة، مجلة رؤى اقتصادية، العدد السادس، ٢٠١٤.

٢. احمد حسن المصلح، تحليل ونظرة مستقبلية فصيرة الامد لمخطط المواصلات في مدينة جنين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح، فلسطين، ٢٠٠٦.

٣. ستراتيجية النقل المستدام في أبو ظبي، مجلة الاستدامة، العدد الثاني، مجموعة أبو ظبي للاستدامة، ٢٠١٣.

٤. الأصم عبد الحافظ أحمد الأصم، القواعد الجغرافية للطرق السريعة، مركز الدراسات والبحوث، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، المملكة العربية السعودية، ٢٠١٤.

٥. سامية لحول وراوية حناشي، مساهمة نظم النقل الذكية في الحد من التلوث البيئي، مجلة اسيوط للدراسات البيئية، العدد ٤٠، مصر، ٢٠١٤.

٦. حليمة بن عبد العزيز، واقع ومستقبل النقل المستدام، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاقتصادية والتجارة، جامعة الحاج لخضر، الجزائر، ٢٠١١.

٧. خليل ابراهيم علي ومحمد سعد الجوراني، المتطلبات التصميمية في محطات نقل الركاب البرية المستدامة، المجلة العراقية للهندسة المعمارية، المجلد ٣١،العدد٣، ٢٠١٥.

٨. خليل أحمد أبو أحمد، التصميم والتخطيط الهندسي للطرق الحضرية والخلوية، مطبعه الاهرام، مصر، ٢٠٠٨.

٩. سعد بن عبد الرحمن، نظم النقل الذكية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية، ٢٠١٠.

١٠. محمد المزغني، نظام النقل الحضري المستدام، دبي، ٢٠١١.

١١. نظم النقل الذكية أهم مواضيعها وفرص تطبيقها في المملكة العربية السعودية.

• **http://www.trafficsafetyksa.com.**

١٢. هاشم محمد المدني، التجارب العالمية في التخطيط المروري، مركز الدراسات والبحوث، الجزائر، ٢٠٠٩.

١٣. وائل حميدان، خيارات الستراتيجية الوطنية للنقل البريّ في لبنان، جمعية الخط الأخضر، بيروت، لبنان، ٢٠١٠.

١٤. وزارة النقل، مديرية تخطيط وتطوير النقل، ستراتيجية النقل، المملكة الاردنية الهاشمية، ٢٠١٢.

١٥. يحيى الزنط، نحو ستراتيجية مقترحة لحل أزمات النقل والمرور بالإمكانات المتاحة من خلال وثائق التأمين، السعودية، ٢٠١٠، ٢٠٠٤.

١٦. **Mayor of London،Traffic congestion clogs up roads، threatens business and damages London's status as a thriving World City.**

أُسس النهضة في الثورة الحسينية

أ. د. محمد جواد محمد سعيد الطريحي
كلية العلوم الاسلامية – جامعة بغداد

أ. م. د. عمار باسم صالح
كلية العلوم الاسلامية – جامعة بغداد

(ما أقول في حقِّ رجلٍ أخفى أعداؤه فضائله بغياً وحسداً، وأخفى أحباؤه فضائله خوفاً ووجلاً فخرج ما بين الفريقين ما ملأ الخافقين).

محمد إدريس الشافعي[1].

الملخص

إن المرحلة الحرجة التي نعيشها ويعيشها بلدنا تجعل الحديث عن الموضوعات اللصيقة بالرقي بالمجتمعات ولاسيما الإسلامية منها، حديثاً ضرورياً، لأنه تطبيق عملي لما تقرر في الكتاب والسُّنَّة وسيرة آل البيت الأطهار، وإن أهمية الحديث عن أسس النهضة في ثورة الحسين عليه السلام تكمن في كونها تضع الأُسس الفكرية والمنهجية اللازمة لحركة الأمة على وفق التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان. إذ لا يخفى أنَّ موضوع الدراسة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بأهم قضية، وهي الغاية من وجودنا، وإنَّ نهضة هذه الأمة وإصلاح حالها، وإخراجها مما أصابها من تراجعٍ حضاري، هو في ذاته توفير لشروط التمكين والاستخلاف في الأرض.

وما أحوجنا اليوم ونحن نقارع الإرهاب من استذكار تلك الملحمة التأريخية التي خاضها سبط الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وما أحوجنا إلى أخلاقه في المعركة تلك، لاشك أن عنوان الارهاب في عصرنا انما يستمد شرعيته من تلك النصوص نفسها التي قام الطغاة في زمن الحسين عليه السلام بتأويلها وحرفها من أجل شرعنة مسيرتهم بعد أن كشف الإمام سوأة نظامهم المنحرف وممارساته الشاذة، والإرهاب كما كان في القديم يحاول إلغاء الآخر ورفض أي محاولة للتصحيح فهو اليوم يحاول ذلك بقوة، فالمعركة القديمة هي نفسها ومن أراد أن ينتصر في هذه المعركة فعليه استلهام تجربة الامام الحسين وأن يقف على ملامح تلك الثورة ويرسمها في ذهنه ويرسخها في وجدانه ويعيشها في واقعه بعيداً عن شعارات الانتماء من غير اقتداء حقيقي بها، وهذا يعني محاربة الارهاب بجرأة ومن غير رياء، ولا سمعة، محاربة تأتي عليه في هيكله الكثيب لتسقطه وتزيله من الوجود من خلال عمل مدروس يقوم على تغيير المنكر ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً. وتُعدُّ الثورة الحسينية أكبر وأنجح ثورة على مر التأريخ، كونها نجحت في تحقيق النهوض للأمة وإيقاظها من الغفلة التي سدرت فيها حيناً من الزمن.

وقد نجحت الثورة الحسينية في إبراز الإسلام المحمدي وتنقيته من المخالفات التي رسخها الحكام الطغاة. وقد رسخت الثورة الحسينية الحاكمية لله تعالى فحثت عليها لما له من تأثير في جوانب الحياة المختلفة، وقد حرص الإمام الحسين عليه السلام على مؤسسة الحكمأ، تسير وفق الخط الإسلامي الصحيح لما في ذلك من صلاح البلاد والعباد. وقد كان أبرز سمات النهضة هو الإصلاح، أي إصلاح موجه بالاساس الى رأس الحكم فبصلاحه صلاح الرعية وبفساده فسادهم. كما يُعدُّ الفرد (الإنسان) محوراً لعملية الإصلاح الحسيني، ولهذا فقد كان هدفاً أساساً لمن يريد النهوض بأي أمة، وهذا ما حفلت به الثورة الحسينية وأكدت عليه. أخيراً نجحت الثورة الحسينية في التأكيد على التجديد والإحياء في منظومة المسلمين الحياتية، وتجلى ذلك من حرص الإمام الحسين عليه السلام في إسباغ الطابع الشمولي على ثورته؛ فهي ليست خاصة بشيعته بل هي عامة للأمة التي من شأن تمسكها بمنظومة القيم للامام في ثورته أن تعود حياتها صافية نقية كما كانت في عهد الرسالة الاول.

Renaissance foundations in the Husseiniya revolution

Prof. Mohammed Jawad Mohammed Saeed Al-Turaihi

Prof. Ammar Bassem Saleh

College of Islamic Sciences / Baghdad University

Abstract

The critical stage in which we live and live our country makes to talk about topics inherent sophistication communities، particularly Islamic ones، newly necessary; because it is my job to decide in the Quran and Sunnah and the biography of Al al-Bayt pure application، and the importance of talking about the foundations of the Renaissance in Hussein revolution "p" lies in being put intellectual foundations and methodology necessary for the movement of the nation according to the Islamic concept of the universe، life، and human. It is no secret that the subject of the study is closely related to the most important issue، which is the purpose of our existence، and the renaissance of the nation and the reform of the same، and thus remove them hit by the decline of civilization، it is in itself provide the terms of empowerment and succession in the ground And much need today and we Ngara terrorism recalling that historical saga fought by the tribe of the Prophet Muhammad، "p" and much need to morals in the battle of that، no doubt that terrorism address in our time but derives its legitimacy from those same texts by the tyrants in the time of Hussein، "p" Ptooelha and crafts in order to correct their careers after they revealed Imam Saah their system deviant and practices anomalies، and terrorism، as it was in the old trying to cancel the other and to reject any attempt to correct it today is trying so hard old battle are the same and wanted to win in this battle he must draw inspiration from the experience of Imam Hussein and stands the features of that revolution and painted in his mind and Arschha in his conscience and live in an incident away from the slogans of loyalty from non-real by following the example، this means fighting terrorism boldly it is hypocrisy، not reputation، fight comes in the structure of the dune to drop a drive and remove it out of existence through the thoughtful work of the to change the evil that we have been able to afford it.

Hosseinieh revolution and is the largest and most successful revolution Throughout history، they have succeeded in achieving the advancement of the nation and Aigadha of negligence that Sdrt the neighborhood of time. Hosseinieh revolution has succeeded

in projecting Islam Mohammadi and purified from the irregularities that entrenched dictators.

Hosseinieh revolution has carved governance to God she urged them because of its impact on different aspects of life، Imam Hussein، "p" is keen on the ruling establishment is going according Asahhih Islamic calligraphy because of the goodness of the country and its people.

The most prominent features of the Renaissance was to reform، any reform directed mainly to the head referee Vbeslaha Salah parish and Pfsadh corruption

It is also an individual (human) the focus of the reform process Husseini، but this was mainly a target for anyone who wants the advancement of any nation، and this is what their catalog Hosseinieh revolution and confirmed it

Finally Hosseinieh revolution succeeded in emphasizing the renewal and revival in the life of Muslims system، as evidenced by the keenness of Imam Hussein، "p" in Giving the holistic nature of the revolution; it is not a private Bshiath but is a general of the nation which would adherence to system values forward in his revolution to return her life net pure as it was in the era of the first letter.

المقدمة

الحمدُ لله الأكرم، الذي علَّمَ الإنسان ما لم يعلم، وجعلهُ خليفةً ونوّطهُ بحمل الأمانة، أمانة التكليف والقيام بأعباء الاستخلاف في الأرض لبناء الحضارة، والصلاة والسلام على معلِّم الناس الخير، الذي علَّمنا المجاهدة بالقرآن، وأرشدنا إلى أن تكون حياتنا في القرآن وبالقرآن، وصلِّ اللهم على أهل بيت الطاعات، آل محمد خير سادة، ومحل السعادة، أخص منهم الإمام الحسين الشهيد من تشرَّف القلمُ وصاحبُه بالكتابة عنه، ونعوذ بك اللهم أن نكون ممن رغب عن طريق هو لها سالك، وقال: هلك الناس وهو في جملتهم هالك.

وبعد...

فلعلَّ المرحلة الحرجة التي نحياها، تجعل الحديث عن الموضوعات اللصيقة بالرقي بالمجتمعات ولاسيما الإسلامية منها، حديثاً ضرورياً، لأنه تطبيقٌ عمليٌ لما تقرر في الكتاب والسنة، وإنَّ أهمية الحديث عن أسس النهضة في ثورة الحسين عليه السلام تكمن في كونها تضع الأسس الفكرية والمنهجية اللازمة لحركة الأمة على وفق التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان، إذ لا يخفى أنَّ موضوع الدراسة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بأهم قضية، وهي الغاية من وجودنا، وإنَّ نهضة هذه الأمة وإصلاح حالها، وإخراجها مما أصابها من تراجعٍ حضاري، هو في ذاته توفير لشروط التمكين والاستخلاف في الأرض، فالمجتمع الذي يحقق العمران والنهوض الحضاري، يعني أنهُ مجتمع قام بواجبات الاستخلاف وحقق الغاية من خلقه التي فرضها عليه الإسلام.

وقد اعتمدت دراستي تقديم رؤية للأفكار الإصلاحية والنهضوية لدى شخصية عظيمة حافلة بالعطاء الإنساني هي شخصية الإمام الحسين عليه السلام، فقد كان الإمام الحسين عليه السلام عنواناً مضيئاً في حياة الإنسانية، ومعلماً شامخاً في حركة التاريخ والمسيرة الإنسانية، نطق بتطهيره الوحي، ونطق بفضائله ومقاماته النبي، ولهج بذكره المسلمون من جميع المذاهب، وهو علم الهدى وقدوة المتّقين، عُرف بالعلم والحكمة والإخلاص والوفاء والصدق والحلم وسائر صفات الكمال في الشخصية الإسلامية.

وقف عليه السلام مسانداً للحق منذ صباه، وعاش الأجواء السياسية وتداعياتها السلبية على آل البيت الطاهر، ومع كل ذلك كان حريصاً كل الحرص على رفعة الإسلام وسموِّه متعالياً على جراحاته، جاعلاً مصلحة الإسلام المنزلة العليا في سياسته والحاكمة على جميع خطواته، حتى قاده ذلك إلى أن يكون الشجى المعترض في حلق القائمين على السلطة الغاشمة التي خطّطت لتغييبه وقتله، فاستشهد«ع» مظلوماً بعد أن أدّى مسؤوليّاته في بناء قاعدة شعبية تواصل مسيرة التكامل والسموّ، وبعد أن رسم لوحة النصر والنهضة بمدادٍ من دمه الطاهر الزكي ليروي أرض كربلاء فتخلد باسمه ويخلد ذاك اليوم الذي ارتفعت فيه النفس الزكية الى بارئها لصدق قول من قال: «لا يوم كيومك أبا عبد الله».

لقد جاء هذا البحث على تعتعته ولمِّ صاحبه محاولة لنيل شرف الحديث عن الحسين عليه السلام بذكر الاسس التي يمكن الخروج منها والتي من شأنها أن تسهم بالنهوض بواقع الأمة السيء ويعمل على تضميد جراحها باستذكار عظم التضحية التي بذلها

الإمام عليه السلام لتستيقظ الأمة من سباتها، وتفيق من غفلتها بسيرها على خط الانحراف والبعد عن جادة الحق.

أخيراً هذا جهد المُقِل، فما فيه من صواب فهو محض فضلٍ من الله، وما كان فيه من خطأ وتقصير فهو مني، والله من وراء القصد.

المبحث الأول:

تحديد مصطلحات البحث

المطلب الأول: الأسس لغةً واصطلاحاً

الأسس في اللغة: بتتبع مظان اللغة وقواميسها نجد بأن الأساس يتمحور حول عدة معان تكاد لا تخرج عنها:

- المعنى الأول: أصل الشيء ومبتدؤه[٢].
- المعنى الثاني: البناء[٣].
- المعنى الثالث: القدم والوجه[٤].

الأسس اصطلاحاً: مع كثرة الاستعمال اليومي لكلمة الأسس في مناحي الحياة المختلفة إلا إنه من الغريب ألاّ نقف على تحديد مصطلحي لهذه المفردة، ولا نكاد نجد اتفاقاً بين أصحاب العلوم المختلفة على تعريف واحد متفق عليه بينهم، فقد اعتبر الأُس مفرد الأسس في المنطق الكلاسيكي يدل على قضية أُولى تشترط عملية إستنتاجية أو عدة عمليات إستنتاجية، ومثال ذلك: أن المنطق الأرسطي يقوم على ثلاثة أصول للإستنتاج، وهذه الأصول هي الأسس، إذن الأس هو الأصل والأسس هي الأصول عند هذا الفريق[٥]، أما علماء الرياضيات؛ فيرون أن الأس هو المقدار الذي يجب أن يرفع إليه عدد معين يسمى «الأس» (حتى يتم الحصول على العدد المطلوب؛ فيسمى العدد الأصلي الأساس والمقدار المرفوع الأس)[٦]، ولا شك أن المعنى الأخير غير مراد لنا في بحثنا هذا بل المراد هو المعنى الأول وهو اعتبار المصطلح ذي دلالة على الأصل[٧].

مما سبق نستنتج أن مفهوم الأُسس مفهوم واسع، وذلك ملاحظ من خلال إستعمال العلماء له قديماً وحديثاً كون الأساس أصل البناء الصحيح وهذا هو المعنى المستنتج من المفاهيم السابقة.

وهو ما نعنيه هنا في بحثنا، إذ أن المقصود بأُسس النهضة هي الأصول والمرتكزات التي انبنت عليها النهضة بكافة عناصرها من خلال الثورة الحسينية وفي رحاب الشهادة الحسينية.

المطلب الثاني: مفهوم النهضة لغةً واصطلاحاً

أولاً: مفهوم النهضة لغةً

النهضة مأخوذة في اللغة من الفعل الثلاثي (نهض)، والنون والهاء والضاد من أصل الكلمة، وهي تدل على الحركة والعلو، والنُهوض من مكان ما: أي القيام عنه، ونَهَضُ النَبتْ، أَي استوى واستقام، والناهِضُ: أي الطائر الذي وفر جِناحَيهِ وتهيأ للنُهوضْ والطيران[٨].

ثانياً: معنى النهضة اصطلاحاً

يُعدُّ مفهوم النهضة حديث التداول في الفكر العربي والإسلامي بصورة خاصة، ولذلك فعندما يستعمل مفهوم النهضة الحضارية اليوم فنحن بذلك نستعيد به دلالات كانت تشير إليها الكلمة

الأوربية «renaissance» وتعني «الولادة الجديدة» وقد استعمل الأوربيون هذا المصطلح للدلالة على فترة معينة من تاريخ أوربا، وما عرفته تلك الفترة من تحولات فكرية وسياسية وإقتصادية وإجتماعية، وما واكب هذه التحولات من إتجاهات مجددة في مجالات الدين والعلم والفلسفة وغيرها، وغالباً مايراد الإشاره بلفظ النهضة الى حالة انبعاث أو انتعاش كما في اللغة الفرنسية، كما تعني عودة شيء ما أو شخص معين الى الظهور من جديد، وهذه الدلالات جميعها استعملها الأوربيون لفترة معينة من تاريخهم الفكري والاجتماعي كما مر ذكره سابقاً[٩].

وتعرف أيضا باسم الإحياء والولادة (RINASCIMENTO)، لأنها أحيت التراث اليوناني وانفتحت على ما به حتى ولو خالف الإيمان أو الكنيسة، وقد تمثل ذلك في إحياء الفلسفة بأسلوب حديث لذلك يمكن أن نطلق على كلمة النهضة: «بأنها الحركة الثقافية التي بدأت في إيطاليا في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي وانتهت في القرن السابع عشر وامتدت من إيطاليا الى بقية أوربا»[١٠].

أما في الفكر العربي والإسلامي فقد استُعمل مصطلح النهضة الحضارية بمعانٍ ومفردات عديدة منها: النهضة التجديد والإحياء والتمدن وغيرها، ويرى بعضهم بأن النهضة الحضارية تعني: «نظرية الصعود من درجة الى أعلى»[١١]. وعرَّفها إسماعيل صبري: «بأنها إيصال العرب الى مستوى الحضارة الكونية»[١٢].

المطلب الثالث: أُسس مصطلح النهضة

لقد استُعمل مصطلح النهضة بمعانٍ ومرادفات عديدة منها: الإصلاح، التجديد، الإحياء وغيرها.

١. **الإصلاح: reform**: الإصلاح في اللغة ضد الفساد، يقال: «صلح الشيء يصلح صلوحاً، وجميعها تدل على الصلح وهو نقيض الفساد؛ فيقال صلحت حال الرجال، أي أزيل الفساد عنه»[١٣].

اصطلاحاً: «هو إعادة تشكيل الشيء وتجميعه من جديد، أو هو تحسين الحالة أو تصليحها وبنائها، أو هو تعديل غير جذري في شكل الحكم، أو العلاقات الاجتماعية دون المساس بأُسسها، وهو ليس سوى تحسين في النظام السياسي الإجتماعي القائم دون المساس بأُسس هذا النظام»[١٤].

وقد استُعمل مصطلح الإصلاح في القرآن والسُّنَّة النبوية حيث إننا لو تدبرنا النصوص القرآنية نجدها صريحة في إستعمال هذا المصطلح منها قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾[١٥].

وقول النبي محمدﷺ: ((أَلا وَإِنَ فِي الْجَسَدْ مُضْغَةً إِذا صَلُحَتْ صَلُحَ الْجَسَدُ كُلهُ وَإِذا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُله أَلا وَهِي الْقَلبْ))[١٦].

فالإصلاح في الإسلام جاء مصطلحاً عاماً وملمّاً بجميع النواحي الفكرية والاجتماعية؛ فالنبيﷺ جعل محور رسالته هو الإصلاح الذي من خلاله استطاع أن يمحي العادات والأفكار الجامدة؛ فأخرج من الإندثار الإصلاح ومن الجمود النماء[١٧].

٢. **الإحياء:** يُعدُّ مصطلح الإحياء من المصطلحات البارزة في الفكر الإسلامي وهو أحد المصطلحات التي تدلّ أو تعبّر عن النهضة؛ وذلك لكونه استهدف التفكير الذي يُعدُّ من المحاور الأساسية التي تقوم عليها النهضة.

وقد شاع هذا المصطلح في العقدين الأخيرين من القرن العشرين، ومن أبرز العلماء الذين استعملوا هذا المصطلح هو الغزّالي في كتابه (إحياء علوم الدين) الذي تحدث فيه عن العقائد والعبادات وغيرها بأسلوب عصري، وقد أثنى عليه الكثير من العلماء وأعدَّه البعض من أَجَلّ الكتب التي تناولت المسائل الإسلامية تناولاً تفصيلياًحديثاً، وقد جاء استعمال هذا المصطلح في الكتاب والسُّنَّة النبوية الشريفة ومنها قوله (سبحانه وتعالى) في محكم كتابه العزيز: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ الله يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[١٨]، أي إحياء التعاليم والأحكام الإسلامية وتوضيح قوانينها وأحكامها العملية من خلال جعلها جزءاً من السلوك، فالإحياء في الفكر الإسلامي معناه إحياء التفكير الصحيح الذي يستند الى العقيدة والشريعه النقية الصحيحة.

٣. **التجديد والاستمرارية:** يعد مصطلح التجديد من أوسع المصطلحات استعمالاً في العصر الحديث التي تدل على النهضة، والتجديد كما وصفه بعض العلماء بأنه: جعل الشيء جديداً، فتجديد الدين: «يعني إعادة نضارته ورونقه وبهائه، وإحياء ما اندرس من سننه ومعالمه ونشره بين الناس».

فمفهوم التجديد ارتبط بما تمر به الأمة من كون التجديد دعوة مستمرة للإصلاح وسعي دائم نحو الأفضل، وهو سمة من سمات التواصل الحضاري بين الثقافات والأمم وإذا كان التجديد هو عنوان الإصلاح فإن الحاجة إليه تكون أكثر إلحاحاً أبان الأزمات التي حصلت في تاريخ الأمم والحضارات»[١٩].

المطلب الرابع: الحسين عليه السلام وواجبات الإمامة

تقدم الحديث بأن الامام الحسين عليه السلام قام بثورته لتحقيق أمر مهم، وهو إيقاظ الأمة من غفلتها بسبب انصرافها عن طريق المصطفى؛ ليعيد للامة ما فقدته من مقوماتها وذاتياتها، ويعيد لشرايينها الحياة الكريمة التي تملك بها إرادتها وحريتها في مسيرتها النضالية لقيادة أُمم العالم في ظل حكم متوازن تذاب فيه الفوارق الاجتماعية، وتقام الحياة على أُسس صلبة من المحبة والأخاء، وقد اضطلع الإمام للقيام بهذه المهمة بواجبات صعبة بل من المستحيل أن ينوء بحملها غير الوارثين لميراث النبوة، ولهذا فقد انتصر الحسين في عرف كل العقلاء؛ فهو إن كان قد خسر المعركة لكنه ربح الحرب، والأيام منذ ذلك التاريخ والى يوم الناس هذا تردد في صماخ الكون كلمات النور للامام الحسين عليه السلام.

(أما بعدُ؛ فقد نزلَ بنا ما ترون، وإن الدنيا قد تغيرت، وتنكرت وأدبر معروفُها، ولم يبقَ منها إلا صبابةً كصبابةِ الإناءِ، وخسيسَ عيشٍ كالمرعى الوبيل ألا ترون إلى الحق لا يُعملُ به، وإلى الباطل لا يُتناهى عنه؛ ليرغب المؤمن في لقاء الله، فإنّي لا أرى الموت إلا

سعادةً والحياة مع الظالمين إلا برما)[٢١]، وقد عاش الإمام يوم إن مات، ومات شانئوه ومبغضوه أيضاً يوم أن مات، والدنيا لمّا تذكر الإمام ومناصريه، فهي تذكرهم بكل صفات الرفعة والشرف والسؤدد، بينما تذكر مبغضيه بكل صفات النقص واللؤم والخسة والنذالة، ولهذا قد يبدو للنظرة الأولى إن كلمة (الحسين) تعني عند المسلمين، المعنى الظاهر منها، وإن دلالتها لتقف عند ذلك الحسين بن علي وشخصه... ولكن سرعان ما تتحول هذه النظرة إلى معنى أشمل وأكمل من الذات والشخصيات لدى الناقد البصير، ويؤمن إيمانا لا يشوبه ريب بأن كلمة (الحسين) تعني مبدأ الفداء ونكران الذات، وان (الحسين) ما هو إلا مظهر ومثال لهذا المبدأ في أكمل معانيه... ودليل الأدلة على هذه هو هذا الادب الذي نحن بصدد دراسته، استجلاء معانيه وصوره، فلقد كان الأدب وما زال الصورة الحية التي تنعكس عليها عقلية الأمة وعقيدتها وعاداتها وبيئتها[٢٢].

فاسم الحسين عليه السلام يعني الثورة، الثورة بكل معانيها على الظلم والطغيان والجور، منذ الزمن الذي استشهد فيه والى عصرنا هذا، فالظلم هو هو، والجور هو هو. ((ان نهج أبي عبد الله الحسين عليه السلام لا يزال يبعث شلالاً من النور في كل أفق، وإن نهج أعدائه الظالمين لا يزال يعارض سبيل الشهادة، وانهما نهجان لا يلتقيان))[٢٣].

إن الحسين عليه السلام مصنوع على عين الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله فهو من اعتنى به صغيراً وتولى تعليمه وتربيته فكان خريج مدرسة النبوة وما كان يصح له أن يزل ويخطأ، فمن أراد الحق واستوصى به فلينظر في أي جانب هو الحسين عليه السلام، فعن مجاهد قال: جاء رجل إلى الحسن والحسين، فسألهما، فقالا: إنَّ المسألة لا تصحُّ إلا لثلاثة: لحاجة مُجحفة، أو لحمالة مثقلةٍ، أو دينٍ فادح؛ فأعطياه ثم أتى ابن عمر؛ فأعطاه ولم يسأله؛ فقال له الرجل: أتيتُ إبني عمِّك؛ فسألاني؛ وأنت لم تسألني؛ فقال ابن عمر: ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله إنَّهما كانا يُغرّان بالعلم غرّاً[٢٤].

وقد كان النبي الأكرم يحبّه ويثني عليه كثيراً أمام الصحابة في أكثر من موضع ليوقفهم على عظيم حرمتهم وأنها من حرمته صلى الله عليه وآله، فقد جاء عن سلمان المحمدي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله، يقول: ((الحسن والحسين ابناي، ومن أحبهما فقد أحبني، ومن أحبني أحبه الله، ومن أحبه الله أدخله الجنة، ومن أبغضهما فقد أبغضني، ومن أبغضني أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله النار))[٢٥].

وقد حفلت كتب الفريقين بالروايات الكثيرة التي تدلل على هذا المعنى، فعن أبي سعيد الخدري (رض) عن النبي صلى الله عليه وآله؛ أنَّه قال: ((الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة))[٢٦].

وحدّث أبو هريرة، قال: ما رأيت الحسين إلا فاضت عيني دموعاً، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله خرج يوماً، فوجدني في المسجد، فأخذ بيدي واتكأ عليّ، فانطلقتُ معه حتى جاء سوق بني قينقاع، قال وما كلّمني فطاف ثم رجع ورجعت معه، فجلس في المسجد، واحتبى قال لي: ادع لي لكاع، فأتى الحسين يشتدّ حتى وقع في حجره، ثم أدخل يده في لحية رسول الله صلى الله عليه وآله، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يفتح فم

الحسين، فيدخل فاه في فيه، ويقول: ((اللهم إني أحبُّه فأحبَّه))[٢٧].

هذه الروايات وغيرها إن دلت على شيء فإنها تدل على صوابية فعل الحسين عليه السلام، فابن المدرسة النبوية وخريجها لايمكن أن يخطأ ويسوق أهل بيته للموت المحتم لولا أنها التضحية التي جعلت جدَّه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله يحتمل أذى قريش وظلمها له، هم ذرية بعضها من بعض، وفيما يأتي أوجز أهم الواجبات التي اضطلع بها الامام لينتصر في معركة الوجود مع مناوئيه.

١ . الواجبات الدينية:

لقد تربى الحسين الشهيد في حجر الرسول وتخرج في مدرسته، ولهذا فهو أصغى بسمعه الشريف لما ظهر وبرز من فم جده، حين يقول: (كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته) وهكذا نظر الحسين عليه السلام الى الامة بهذا اللحاظ فهي أمة جدِّه وهو أكثر الناس يستشعر بأنهم رعية له لذا فهو مسؤول أمام الله عن رعايتهم، والسهر على مصالحهم، والدفاع عنهم.

وفي ضوء هذه المسؤولية الكبرى ناهض الامام جور الامويين، وناجز مخططاتهم الهادفة الى استعباد الامة واذلالها، ونهب ثرواتها، وقد أدلى عليه السلام أمام الحر وأصحابه بما يُحتّمه الاسلام عليه من الجهاد لحكم الطاغية يزيد، فقال عليه السلام: (يا أيها الناس: إن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: (من راى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله، مخالفا لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان، فلم يغير عليه بقول ولا فعل كان حقاً على الله أن يدخله مدخله).

لقد كان الواجب الديني يحتّم عليه القيام بوجه الحكم الاموي الذي استحل حرمات الله، ونكث عهوده وخالف سنة رسول الله صلى الله عليه وآله.

من أجل ذلك لم يجد المسلمون وغير المسلمين في تاريخهم الطويل، قصة أنبل اسماً من قصة الحسين، فـ((لم يسجل التأريخ شبيها لاستشهاد الحسين في كربلاء))[٢٨]، فهل للحسين عليه السلام الشهيد وأبي الشهيد وسيدهم شبيه في التضحية؟ وهل لتضحيات أرباب الديانات قديمهم وحديثهم شبه بما ضحاه سبط النبي؟ لا في استشهاده ولا في مجالي بطولاتهم ورجولاتهم ما يقرب منها أو يدنو إليها بوجه من وجوه الشجاعة التي جمعت صفتي الوداعة والقوة، فقد خلصت قصة الحسين عليه السلام في شخصه من أحداث الضراوة التي يتسم بها كثير من الابطال الغالبين، كما تجردَ عن روح الضراعة التي يتسم بها كثير من المستضعفين المغلوبين، وكانت بذاتها مزاجاً محبباً لكل نفس يعنيها دفع الظلم بغير ظلم مثله، ورد العادية بدون استخذاء لها، وهو سبيل ندر أنْ سلكه غالب أو مغلوب.

٢ . الواجبات الاجتماعية:

لاشك بأنه لم يكن على وجه الأرض ابن بنت رسولٍ غير الامام الحسين عليه السلام ولهذا فقد اكتسب عليه السلام مكانة مرموقة ومحترمة عند جميع المسلمين، وحتى مبغضيه والناصبين له ولأهل بيت النبوة العداء ما كانوا يستطيعون أن يجدوا ثلمة فيه يتسللون من خلالها للطعن فيه والانتقاص منه، وكثيراً ما كان الامام الحسين يستشعر بثقل هذه المكانة في نفوس الامة، وكان كثيراً ما يستشعر بمسؤوليته أمام الامة

عما مُنيت به من الظلم والاضطهاد من قبل الامويين، وَمَنْ هو أولى بحمايتها وردّ الاعتداء عنها غيره فهو سبط رسول الله ﷺ وريحانته، والدينُ دينُ جدّهِ، والامةُ أمةُ جدّهِ، وهو المسؤول بالدرجة الاولى عن رعايتهما.

لقد رأى الامام أنه مسؤول عن هذه الامة، وأنه لا يجدي بأي حال في تغيير الأوضاع الاجتماعية التزام جانب الصمت، وعدم الوثوب في وجه الحكم الاموي المليء بالجور والآثام، فنهض عليه السلام بأعباء هذه المسؤولية الكبرى، وأدى رسالته بأمانة وإخلاص، وضحى بنفسه وأهل بيته وأصحابه ليعيد على مسرح الحياة عدالة الإسلام وحكم القرآن؛ فثار عليه السلام ثورته الكبرى التي فدى بها دين الله، فكان دمه الزاكي المعطر بشذى الرسالة، هو البلسم لهذا الدين، وقد سبق أن نظر النبي ﷺ من وراء الغيب واستشفَّ مستقبل امته، فرأى بعين اليقين، ما تُمنى به الأمة من الإنحراف عن الدين، وما يصيبها من الفتن والخطوب على أيدي أُغيلمةٍ من قريش، ورأى أن الذي يقوم بحماية الاسلام هو الحسين عليه السلام فقال ﷺ كلمته الخالدة: «حسين مني وأنا من حسين»[٢٩] فكان النبي ﷺ حقاً من الحسين لأن تضحيته كانت وقاية للقرآن، وسيبقى دمُه الزكي يروي شجرة الاسلام على ممر الأحقاب والآباد. وهكذا ذهبت نفس الامام الحسين أسىً على ما عانته الأمة من ضروب المحن والبلاء، فقد أمعن الولاة الأمويون في ظلمهم وإرهاقهم وفتكوا بهم فتكاً ذريعاً، وراح يقول للامام الحسين: «يا أبا عبد الله علمتَ أنا قتلنا شيعة أبيك فحنطناهم وكفناهم وصلينا عليهم ودفناهم»[٣٠] وقد بذل قصارى جهوده في تصفية الحساب معهم، وكانت أبرز ممارساته تتمثل في الآتي:

١. إعدام أعلامهم كحجر بن عدي، وعمرو بن الحمق الخزاعي وصيفي بن فسيل وغيرهم.
٢. صلبهم على جذوع النخل.
٣. دفنهم أحياء.
٤. هدم دورهم.
٥. عدم قبول شهادتهم.
٦. حرمانهم من العطاء.
٧. ترويع السيدات من نسائهم.
٨. إذاعة الذعر والخوف في جميع أوساطهم. إلى غير ذلك من صنوف الإرهاق الذي عانوه. لقد كانت الإجراءات القاسية التي اتخذها الحكم الاموي ضد الشيعة من أسباب ثورته فهبَّ لإنقاذهم من واقعهم المرير، وحمايتهم من الجور والظلم[٣١].

ومن ألمع الأسباب التي ثار من أجلها أبو الشهداء عليه السلام هو أن الحكم الاموي قد جهد على محو ذكر أهل البيت عليهم السلام واستئصال مآثرهم ومناقبهم وقد استخدم معاوية في هذا السبيل أخبث الوسائل وهي:

١. إفتعال الأخبار في الحط من شأنهم.
٢. إستخدام أجهزة التربية والتعليم لتربية النشئ على بغضهم.
٣. معاقبة مَنْ يذكر مناقبهم بأقصى العقوبات.
٤. سبّهم على المنابر والمآذن وخطب الجمعة.

وقد عقد الإمام الحسين عليه السلام مؤتمره السياسي الكبير في مكة المكرمة وأحاط المسلمين علماً بالاجراءات الخطيرة التي اتخذها معاوية[٣٢]، وكان عليه السلام يتحرق

شوقاً إلى الجهاد، ويود أن الموت قد وافاه ولا يسمع سبَّ أبيه على المنابر والمآذن[٣٣].

المطلب الخامس: الثورة الحسينية نبراسٌ لمحاربة التطرف والارهاب

انتقلت النفس الزاكية الأبية للامام الحسين عليه السلام إلأى بارئها في يوم الجمعة العاشر من محرم من سنة إحدى وستين من الهجرة في كربلاء[٣٤]، وتولى كبرَ الأثم بقتله أنس بن سنان النخعي، وقيل شمر بن ذي الجوشن، وجاء برأسه خولي بن يزيد[٣٥].

فهل انتهت قصة الحسين عليه السلام؟ بالتأكيد أن الإجابة عن ذلك هي بالنفي، والدليل عليه أننا لا زلنا نستذكره ونستدعي ذكراه في كل مناسبة، وما أحوجنا اليوم ونحن نقارع الإرهاب من استذكار تلك الملحمة التأريخية التي خاضها سبط الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وما أحوجنا إلى أخلاقه في المعركة تلك، لاشك أن عنوان الارهاب في عصرنا انما يستمد شرعيته من تلك النصوص نفسها التي قام الطغاة في زمن الحسين عليه السلام بتأويلها وحرفها من أجل شرعنة مسيرتهم بعد أن كشف الإمام سوأة نظامهم المنحرف وممارساته الشاذة، والإرهاب كما كان في القديم يحاول إلغاء الآخر ورفض أي محاولة للتصحيح فهو اليوم يحاول ذلك بقوة، فالمعركة القديمة هي نفسها ومن أراد أن ينتصر في هذه المعركة فعليه استلهام تجربة الامام الحسين وأن يقف على ملامح تلك الثورة ويرسمها في ذهنه ويرسخها في وجدانه ويعيشها في واقعه بعيداً عن شعارات الانتماء من غير اقتداء حقيقي بها، وهذا يعني محاربة الإرهاب بجرأة ومن غير رياء، ولا سمعة، محاربة تأتي عليه في هيكله الكثيب لتسقطه وتزيله من الوجود من خلال عمل مدروس يقوم على تغيير المنكر ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً.

لَّما توفّي الحسن عليه السلام في العام الخمسين من الهجرة أوصى بالإمامة للحسين عليه السلام؛ فاجتمعت الشيعة حوله، يرجعون إليه في حلّهم وترحالهم، وكان للسلطة الغاشمة عيون في المدينة يكتبون إليه ما يكون من الأحداث المهمّة التي لا توافق هوى السلطة الأموية المنحرفة، والتي قد تشكل خطراً جدياً على وجودها غير المشروع، ولقد كان همُّ هذه السلطة هو الإمام الحسين عليه السلام لما يعرفونه عنه من موقف لا يلين ولا يهادن في الحق، ومن هنا فقد كتب مروان بن الحكم – وكان عامل معاوية على المدينة: إنّ رجالاً من أهل العراق ووجوه أهل الحجاز يختلفون إلى الحسين بن علي وأنّه لا يأمن وثوبُه، ولقد بحثت عن ذلك فبلغني أنّه لا يريد الخلاف يومه هذا، ولست آمن أن يكون هذا أيضاً لما بعده، ولما بلغ الكتابُ معاوية كتب رسالة إلى الحسين هذا نصّها: أمّا بعد: فقد انتهت إليَّ أمور عنك إنْ كانت حقاً فإنّي أرغب بك عنها، ولعمر الله إنّ من أعطى الله عهده وميثاقه لجدير بالوفاء، وأنّ حقّ الناس بالوفاء من كان في خطرك وشرفك ومنزلتك التي أنزلك الله لها...، ولما وصل الكتاب إلى الحسين بن علي، كتب إليه رسالة مفصّلة ذكر فيها جرائمه ونقضه ميثاقه وعهده، نقتبس منها ما يأتي: (ألستَ قاتل حجر بن عدي أخا كندة وأصحابه المصلّين العابدين، الذين ينكرون الظلم، ويستفضعون البدع، ويأمرون بالمعروف،

وينهون عن المنكر، ولا يخافون في الله لومة لائم، ثمّ قتلتهم ظلماً وعدواناً من بعد ما أعطيتهم الأيمان المغلّظة والمواثيق المؤكّدة، ولا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم، جرأة على الله واستخفافاً بعهده. أوَ لستَ قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله، العبد الصالح الذي أبلته العبادة فنحل جسمه واصفرّ لونه، فقتلته بعد ما أمنته وأعطيته العهود ما لو فهمته العصم لنزلت من شعف الجبال. أوَ لستَ المدَّعي زياد بن سميّة المولود على فراش عبيد بن ثقيف فزعمت أنّه ابن أبيك، وقد قال رسول الله ﷺ الولدُ للفراش وللعاهر الحجر، فتركتَ سنّة رسول الله ﷺ تعمّداً وتبعت هواك بغير هدى من الله، ثمّ سلّطته على أهل الإسلام يقتلهم، ويقطع أيديهم وأرجلهم، ويُسمل أعينهم، ويصلبهم على جذوع النخل، كأنّك لست من هذه الأمّة وليسوا منك، أوَ لستَ صاحب الحضرميين الذين كتب فيهم ابن سمية أنّهم على دين علي صلوات الله عليه فكتبت إليه: أن اقتل كلَّ مَنْ كان على دين عليّ، فقتلهم ومثّل بهم بأمرك، ودينُ علي هو دين ابن عمه ﷺ الذي كان يضرب عليه أباك ويضربك، وبه جلستَ مجلسك الذي أنت فيه، ولولا ذلك لكان شرفك وشرف آبائك تجشّم الرحلتين رحلة الشتاء والصيف)[٣٦].

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله الطاهرين أجمعين.

وبعد؛ فلكل بداية نهاية ولكل حديث خلاصة، ولابد من وقفة تأمل واستذكار لما حققه البحث من مقاصد وما توصل اليه من نتائج بعد هذه الرحلة المباركة في رحاب الشهادة، وعلى النحو الاتي:

١. إن الثورة الحسينية تعد أكبر وأنجح ثورة على مر التأريخ، كونها نجحت في تحقيق النهوض للأمة وإيقاظها من الغفلة التي سدرت فيها حيناً من الزمن.
٢. لقد نجحت الثورة الحسينية في إبراز الإسلام المحمدي وتنقيته من المخالفات التي رسخها الحكام الطغاة.
٣. إن الحاكمية مبدأ سامٍ حث عليه الإسلام لما له من تأثير في جوانب الحياة المختلفة، وقد حرص الإمام الحسين عليه السلام على مؤسسة الحكم أ، تسير وفق الخط الإسلامي الصحيح لما في ذلك من صلاح البلاد والعباد.
٤. يعد الإصلاح أبرز أسس النهضة في الثورة الحسينية وهو إصلاح موجه بالأساس الى رأس الحكم فبصلاحه صلاح الرعية وبفساده فسادهم.
٥. يُعدُّ الفرد (الإنسان) محور عملية الاصلاح ولهذا فقد كان هدفاً أساساً لمن يريد النهوض بأي أمة وهذا ما حفلت به الثورة الحسينية وأكدت عليه.
٦. نجحت الثورة الحسينية في التأكيد على التجديد والإحياء في منظومة المسلمين الحياتية، ولهذا حرص الإمام الحسين عليه السلام في إسباغ الطابع الشمولي على ثورته فهي ليست خاصة بشيعته بل هي عامة للأمة.

انظر الى الاجيال يأخُذُ مقبلٌ
عن ذاهبٍ ذكرى أبي الشهداء

كالمشعل الوهّاج إلا أنها
نور الإله يجلُّ عن اطفاءِ[٣٧]

الهوامش

(١) الأنوار البهية – الشيخ عباس القمي – ص ٧،الأمالي للصدوق: ص ٣٣٣ ح ١٣ . وحلية الأبرار: ج ١ ص٢٩٤، كشف اليقين – العلامة الحلي – ص ٤.

(٢) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٩٩٣م، ١/ ٢٩، الخوري، سعيد، أقرب الموارد، دار الأسوة للطباعة والنشر – إيران، ط١، ١٨٨٩م، ١/ ٥٥ .

(٣) ابن منظور، لسان العرب: ١/ ٢٩.

(٤) المصدر نفسه، ١/ ٩٦.

(٥) الفراهيدي، الخليل أحمد، مفاتيح العلوم الإنسانية، دارالطليعة – بيروت، ١٩٨٩م، ص٣٥ـ٣٦.

(٦) ينظر: بارووم، د. أحمد محمد، وآخرون، الرياضيات في الاقتصاد والإدارة للانتظام والانتساب، دار الشروق للنشر ـ بيروت، ١/ ١١٢ـ ١١٣، ومثال ذلك قولنا: ٢= ٢×٢×٢×٢ =١٦، وذلك يعني حاصل ضرب العدد ٢ في نفسه أربع مرات.

(٧) ينظر: الأسنوي، جمال الدين، نهاية السول في شرح منهاج الوصول في علم الأصول، دار الكتب العلمية– بيروت، ١٩٩٩م، ١/ ١٦ .

(٨) لسان العرب، ٤/ ١١٠، باب النون والهاء، المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين، المكتبة الاسلامية للنشر والطباعة – القاهرة، ١٩٩٣م،١/ ٩٦٧، باب النون والهاء، مرعشلي، نديم، الصحاح في اللغة والعلوم، دار الحضارة العربية ـ بيروت، ط١، ١٩٧٤م، ٢/ ٦١٦.

(٩) ينظر: وقيدي، محمد، أحميدة النيفر، لماذا أخفقت النهضة العربية، دارالفكر – دمشق، ٢٠٠٢م، ص٩٠ـ٩١.

(١٠) الحنفي، عبد المنعم، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، مكتبة مدبولي – القاهرة، ١٩٩٩، ٢/ ١٤٣٢– ١٤٣٣.

(١١) غليون، د. برهان، إغتيال عقل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت، ١٩٩٢م، ص٩٢.

(١٢) مجلة المستقبل العربي، (مقال بعنوان نحو نهضة عربية ثابته الضرورة والمتطلبات، إسماعيل صبري، مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت، العدد، ١٤١٢هـ– ١٩٩٢م، ص٤.

(١٣) الصحاح في اللغة والعلوم، ٢/ ٢٩، الجر، خليل، المعجم العربي الحديث، مكتبة لاروس ـ باريس، ط١، ١٣٨٣هـ ـ ١٩٧٣م، ص١١١.

(١٤) بعلبكي، منير، المورد، دار العام للملايين ـ بيروت، ١٩٨٦م، ص٧٧٠.

(١٥) البقرة: ١١.

(١٦) راجع بحار الأنوار: ج٥٨ ص٢٣ ب٤٢. وفي الخصال ص٣١: (قالﷺ): في الإنسان مضغة إذا هي سلمت وصحَّت سلم بها سائر الجسد فإذا سقمت سقم بها سائر الجسد وفسد، وهي القلب)..

(١٧) ينظر: الغزّالي، محمد، الإسلام والطاقات المعطَّلة، دار الكتب الحديثة ـ القاهرة، ١٩٦٤م، ص٨١.

(١٨) الأنفال: ٢٤.

(١٩) قطب، محمد، من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر، دار الشروق للنشر والتوزيع – مصر، ٢٠٠٣م، ص١٧٠ .

(٢٠) تاريخ دمشق: (١٤/ ٢١٨)، مقتل الحسين، للمقرم: ص ٢٤٣–٢٤٤.

(٢١) تاريخ دمشق، لابن عساكر: (١٣/ ٧٤).

(٢٢) ينظر مغنية، محمد جواد، مقدمة أدب الطف جواد شبر، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١م، ١/ ٨.

(٢٣) المُدَرّسي، محمد تقي، الامام الحسين قدوة الصديقين، ص ٦٢.

(٢٤) تاريخ دمشق: (١٤/ ١٧٤).

(٢٥) المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري: (٣/ ١٦٦) . أعلام الورى، للطبرسي: ص٢١٩.

(٢٦) تاريخ دمشق، لابن عساكر: (١٤/ ١٣٦).

(٢٧) المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري: (٣/ ١٧٨).

(٢٨) يارا، انطوان، الحسين في الفكر المسيحي، مكتبة فدك ـ قمّ المقدّسة. ٢٠٠٥م: ص٥٦.

(٢٩) ينظر: تاريخ الطبري ٦ / ١٩٧.

(٣٠) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٠٦.

(٣١) تاريخ الطبري ٦ / ٢٠٠.

(٣٢) الثائر الاول في الاسلام ص ٧٩.

(٣٣) سبط الرسول ص ١٣٣.

(٣٤) مقاتل الطالبيين، للأصفهاني: ص٥٢، تاريخ دمشق: (١٤/ ٢٤٧).

(٣٥) أسد الغابة: (٢/ ٢١) .

(٣٦) ينظر: تاريخ اليعقوبي: (٢/ ٢٣١).

(٣٧) بدر شاكر السياب ديوان أساطير، مطبعة العربي الحديثة، بغداد، ١٣٦٩هـ، ص٨٦.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. ابن الأثير، أبو الحسن علي، أسد الغابة، دار ابن حزم، ٢٠١٠.

٢. ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن ، تاريخ دمشق، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت – ١٩٩٥.

٣. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

٤. الأسنوي، جمال الدين، نهاية السول في شرح منهاج الوصول في علم الأصول، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٩٩٩م.

٥. الأصفهاني، أبو فرج، مقاتل الطالبيين، دار الكتاب للطباعة والنشر، قم، ايران، ١٩٦٥.

٦. باروم، د. أحمد محمد، وآخرون، الرياضيات في الاقتصاد والإدارة للانتظام والانتساب، دار الشروق للنشر بيروت.

٧. بعلبكي، منير، المورد، دار العام للملايين بيروت، ١٩٨٦م.

٨. الجر، خليل، المعجم العربي الحديث، مكتبة لاروس باريس، ط١، ١٩٧٣م.

٩. الحنفي، عبد المنعم، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، مكتبة مدبولي – القاهرة، ١٩٩٩.

١٠. الخوري، سعيد، أقرب الموارد، دار الأسوة للطباعة والنشر – إيران، ط١، ١٨٨٩م.

١١. السياب، بدر شاكر، ديوان أساطير، مطبعة العربي الحديثة بغداد، ١٣٦٩هـ.

١٢. صبري، اسماعيل، مجلة المستقبل العربي، مقال بعنوان نحو نهضة عربية ثابته الضرورة والمتطلبات، مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت، العدد ٤، ١٩٩٢م.

١٣. الطبرسي، الفضل بن الحسن ، أعلام الورى، دار المعرفة للطباعة و النشر – بيروت.

١٤. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٨٧.

١٥. الغزالي، محمد، الإسلام والطاقات المعطلة، دار الكتب الحديثة القاهرة، ١٩٦٤م.

١٦. غليون، د. برهان، إغتيال عقل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت، ١٩٩٢م.

١٧. الفراهيدي، الخليل أحمد، مفاتيح العلوم الإنسانية، دار الطليعة – بيروت، ١٩٨٩م.

١٨. قطب، محمد، من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر، دار الشروق – مصر، ٢٠٠٣م.

١٩. المجلسي، محمد باقر ، بحار الأنوار، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت٢٠٠٨ م.

٢٠. مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط، المكتبة الاسلامية للنشر والطباعة القاهرة، ١٩٩٣.

٢١. محمد تقي المدرسي، الامام الحسين قدوة الصدّيقين، طهران،٢٠٠١.

٢٢. محمد جواد مغنية، مقدمة أدب الطف جواد شبر، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١م.

٢٣. مرعشلي، نديم، الصحاح في اللغة والعلوم، دار الحضارة العربية بيروت، ط١، ١٩٧٤م.

٢٤. المقرم، عبد الرزاق، مقتل الحسين، دار الكتاب الإسلامي، بيروت لبنان، ١٩٧٩م.

٢٥. النيسابوري، أبو عبد الله الحاكم،المستدرك على الصحيحين، المطبعة العلمية، بيروت.

٢٦. وقيدي، محمد، أحميدة النيفر، لماذا أخفقت النهضة العربية، دارالفكر – دمشق، ٢٠٠٢م.

٢٧. يارا، انطوان، الحسين في الفكر المسيحي، مكتبة فدك قمّ المقدّسة.٢٠٠٥ م.

٢٨. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر ، تاريخ، دار صادر – بيروت.

المسار التاريخي لزيارة الأربعين

(النشأة والتطور)

د. محمد حميد السلمان

باحث - مملكة البحرين

(من أحب أن يكون مسكنه الجنّة، ومأواه الجنّة، فلا يدع زيارة المظلوم، صاحب كربلاء)[1]

الإمام الصادق عليه السلام

الملخص

في كل عام هجري نقف مع جموع تلك الزيارة المليونية التي تحث الخطى إلى كربلاء في العشرين من شهر صفر الذي يُصادف ذكرى مرور أربعين يوماً على استشهاد الإمام الحسين عليه السلام في العاشر من محرَّم الحرام من العام ٦١هـ (٦٨٠م) وهي، فيما اُصطلح على تسمية (زيارة الأربعين)، التي تُعد من أعظم الزيارات الحسينية. ففيها، تضم كربلاء، على الرغم من صغر حجمها، في هذه الزيارة؛ ملايين من البشر الذين يشدون الرحال إلى أرضها من مختلف البلاد الإسلامية القريبة من العراق أو النائية عنه، وفيها، يتوافد مئات الآلاف من الناس من كافة أنحاء العالم لزيارة قبر الحسين عليه السلام. حيث يتوجه هؤلاء الزوار إلى كربلاء بعاطفة جياشة، وولاء ملحوظ وهم في حالة مشي على الأقدام بأطفالهم، وشيوخهم، كباراً وصغاراً، ونساءً ورجالاً، من مدن العراق البعيدة، وبعض مدن الدول المجاورة، حاملين الرايات تعبيراً عن النُصرة للإمام الحسين عليه السلام. يقطع بعضهم ما يزيد على (٥٠٠) كيلومتر مشياً، تضمهم مواكب يتراوح عدد الزوار بها بين الخمسمائة والألف نسمة. ويسير موكب المعزين بكل سكينة ووقار في مظهر من الحزن العميق، مرتدين الملابس السوداء علامةً على الحداد، وبعضهم يبكي ويلطم على الصدور تعزية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بمقتل سبطه الإمام الحسين بن علي عليهما السلام. كما يقوم أهالي المدن والقرى المحاذية لطريق الزائرين بنصب الخيام بأحجامها المختلفة، أو يفتحون بيوتهم لاستراحة الزوّار وإطعامهم معتبرين ذلك تقرباً إلى الله وتبركاً وثواباً.

The historical path of the Arbaeen pilgrimage – the emergence and development

Dr. Mohammed Hamid Al-Salman

The kingdom of Bahrain

Abstract

In every Hijri year, we stand with the million-people masses that trek toward Karbala on the 20th of the Islamic month of Safar, which marks the 40th day anniversary of the martyrdom of Imam Hussein on the Muharram 10, 61 Hijri / 680 AD, which was named later as "Arbaeen" that considered as one of the biggest pilgrimages ever.

Despite its small size, the holy city of Karbala includes millions of people who travel to it from various Islamic countries close to or far from Iraq, as many of them walk for more than 500 Km on foot, accompanied by processions that include between five hundred and one thousand people.

The processions of the mourners walk with humility and sadness in a look of deep sorrow, wearing black clothes as a sign of mourning, while some of them weeping and banging on their chests in condolence to the Prophet for the death of his grandson Imam Hussein bin Ali "peace be upon them", as the people of the cities and villages nearby are erecting tents of different sizes, or open their homes for the pilgrims and providing them with comfort and food, considering all of these services as a blessing from Allah Almighty.

مدخل

في كل عام هجري نقف مع جموع تلك الزيارة المليونية التي تحث الخطى إلى كربلاء في العشرين من شهر صفر الذي يُصادف ذكرى مرور أربعين يوماً على استشهاد الإمام الحسين عليه السلام في العاشر من محرَّم الحرام من العام ٦١هـ (٦٨٠م) وهي، فيما اُصطلح على تسميته بـ (زيارة الأربعين)، تُعد من أعظم الزيارات الحسينية ففيها، تضم كربلاء – على الرغم من صغر حجمها– ملايين من البشر الذين يشدون الرحال إلى أرضها من مختلف البلاد الإسلامية القريبة من العراق أو النائية عنه، وفيها، يتوافد مئات الآلاف من الناس من كافة أنحاء العالم لزيارة قبر الحسين عليه السلام حيث يتوجه هؤلاء الزوار إلى كربلاء بعاطفة جياشة، وولاء ملحوظ وهم في حالة مشي على الأقدام[٢] بأطفالهم وشيوخهم، كباراً وصغاراً، ونساءً ورجالاً، من مدن العراق البعيدة، وبعض مدن الدول المجاورة، حاملين الرايات تعبيراً عن النُصرة للإمام الحسين عليه السلام، يقطع بعضهم ما يزيد على ٥٠٠ كيلومتر مشياً، تضمهم مواكب يتراوح عدد الزوار بها بين الخمسمائة والألف نسمة. ويسير موكب المعزين بكل سكينة ووقار في مظهر من الحزن العميق، مرتدين الملابس السوداء علامةً على الحداد، وبعضهم يبكي ويلطم على الصدور تعزية للنبي صلى الله عليه وآله بمقتل سبطه الإمام الحسين بن علي عليهما السلام[٣]. كما يقوم أهالي المدن والقرى المحاذية لطريق الزائرين بنصب الخيام بأحجامها المختلفة، أو يفتحون بيوتهم لاستراحة الزوّار وإطعامهم معتبرين ذلك تقرباً إلى الله وتبركاً وثواباً.

وقد اعتنى الشيعة بهذه المناسبة، اعتماداً على روايات وأحاديث شريفة وردت حول هذه الزيارة لإقامة الشعائر الحسينية في يوم الأربعين مع ذكرى رجوع الرأس الشريف للإمام الحسين بن علي عليهما السلام من الشام إلى العراق، ودفنه مع الجسد الطاهر في يوم العشرين من صفر كما جاء في الأثر[٤]. ويسمى هذا اليوم في العراق والخليج تحديداً ردود الراس (أي رجوع أو عودة الرؤوس)، حيث تُقام الشعائر استذكاراً لهذه الحادثة الأليمة فتتجدد الأحزان على مصاب أهل البيت الكرام.

وبداية، لسنا بصدد بحث لعرض كافة المناقشات والرؤى التاريخية في تحديد أقدمية أول زيارة تمت في العشرين من صفر بعد استشهاد أبي الأحرار الحسين بن علي عليهما السلام، وهل كانت في صفر من العام ٦١هـ(٦٨٠م)، أم في صفر التالي لسنة موقعة كربلاء العام ٦٢هـ(٦٨١م)، فذلك المبحث نُشرت فيه العديد من الدراسات العلمية، والرؤى والمناقشات والحوارات المتباينة والمرتبطة بمناسبة زيارة الأربعين على مدى السنوات الماضية.

ولكن سنحاول هنا التوقف عند محطات مضيئة تاريخياً مرت بها زيارة الأربعين في العديد من الحقب والعصور في فترة ما بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وحتى العصر الحديث، متتبعين فيه بقدر الإمكان، ما توافر من معلومات متفرقة في بطون المصادر والمراجع، أو افتراضات بحصول زيارة الأربعين في بعض السنوات والحقب بين سطور تلك المعلومات.

كما سنحاول حثيثاً العثور على إجابات وافية لحقيقة تأصل وتواصل زيارة الأربعين بشكل موسمي

بعد الزيارة الأولى التي قام بها الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري وتابعه عطية العوفي[٥] لموقع قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام في العشرين من صفر بعد موقعة كربلاء مباشرة.

حيث لم ترد أية إحصائيات أو متابعات رقمية محددة، أو حتى كمية شبه مقربة، في المصادر والمراجع لمثل هذه الزيارة والناس المشاركين بها، والطريقة التي تمت من خلالها مراسيم الزيارة بعد سنة الحادثة أو السنوات والقرون التالية لها. أي أن الزيارة الخاصة في يوم الأربعين لمرقد الإمام الحسين عليه السلام، لم تأخذ زخمها وديمومتها وظهور إحصائيات متكررة حولها بشكل رقمي بيّن وبشكلها الحالي إلا في القرن العشرين الميلادي تقريباً[٦].

ويمكن ملاحظة، أن ثبات زيارة الأربعين بشكل عام خلال تلك القرون الغابرة، رغم كل الطغيان الأموي والعباسي وتحت عسف وتجبر السلطات الجائرة التي أعقبتهم طوال قرون هُوَ إعلامٌ إلهي مستمرٌ لقضية الحسين عليه السلام أمام كل أشكال الإعلام المضاد المتطور تقنياً على مر العصور والدهور. إعلامٌ إلهي حُسينيٌ بقي وسيبقى ليفضح الطغاة والظلمة أبداً، ولتبقى ذكرى كربلاء وجور بني أمية مسبَّة لهم في التاريخ لا تنتهِي بل تتجدد حتى يوم القيامة.

وتاريخياً، كان المسار الايجابي لزيارة الأربعين هو الذي حوَّل العاطفة البكائية في تلك الزيارات عموماً إلى غضب يتفجر ضد أولئك الذين صنعوا المأساة في التاريخ، وضد الذين يصنعون مآسي الأمة ومآسي الشعوب في كل زمان وفي كل مكان. وطوال مسيرة الأربعين واستذكار الواقعة الأليمة في مضمونها الواعي شكَّل صرخة غاضبة في وجه كل يزيد يتجدد عبر التاريخ. فبقدر ما يتكرر أمثال هذا الطاغية في كل زمان ومكان، اقتضت الحكمة الإلهية على مر العصور أن تتكرر زيارة الأربعين وتتواصل لآخر الزمان، لتبقى عنواناً شامخاً لأهم دروس كربلاء الحسين عليه السلام، وهو درس الحرية والموقف الواعي من الظلم والطغاة أبداً. حيث كتب الإمام الحسين عليه السلام بدمه ودماء ثلة الخيرين من أصحابه أعظم رسالة حضارية في التغيير والإصلاح في التاريخ الإنساني والإسلامي تحديداً، كانت اعتى الجيوش المدججة بالسلاح وأقوى الأفكار والفلسفات المدونة لتقف عاجزة عن بلوغها على مر الدهور.

ولذا، لابد من التأكيد على أنه لا ينبغي إيقاف زيارة الأربعين أو عدم استدعاء التاريخ وإسقاطه على الواقع المعاصر، بحسب ما يدَّعي البعض، لأن ذاك التاريخ قد مضى بأحداثه ورجاله ولا حاجة لإعادة الخلاف والصراع حوله. وهنا ينبري أحد العلماء في الرد على هؤلاء المعترضين الذين يطالبون بالسكوت عن رموز الجريمة في التاريخ، بكلمات عميقة موضحاً إن كان الوضع كذلك: "فلماذا دوَّن القرآن الصراعات التي حدثت في التاريخ؟ ولماذا تحدث عن خط الأنبياء وخط الطواغيت؟ وعن المستضعفين والمستكبرين، وعن الصالحين والفاسقين، ولماذا تحدث القرآن عن المؤمنين والمنافقين، وعن أولياء الله وأولياء الشيطان؟"[٧].

كما أنه رداً على كل هؤلاء، كان ثبات الشيعة الموالين لبيت النبوة عبر التاريخ على أن تبقى مراسيم زيارة الأربعين والعزاء الحسيني رغم كل التحديات

والصعوبات، لحفظ هذه المناسبات والشعيرة العقائدية طوال حقب التاريخ، وإن كلفهم في بعض مراحل التاريخ أرواحاً ودماءً وسجوناً وملاحقات من قِبل مَنْ حاربوا زيارة الأربعين كما حاربوا الزيارات الأخرى للإمام الحسين عليه السلام. وقد هُزمت كل تلك المحاولات أمام خط الإمام الحسين عليه السلام الصادق، والولاء للعقيدة المحمدية الأصيلة التي أعاد رسمها من جديد سيد الشهداء عليه السلام، بعد أن حاول يزيد بنظامه المنحرف عن الدين أن يلوي تلك العقيدة ويفسدها بمجونه وتحلله السافر.

الحث على الزيارة عقائدياً:

قال الإمام أبو عبد الله جعفر الصادق عليه السلام: (زوروا الحسين عليه السلام ولا تجفوه، فإنه سيد شباب أهل الجنّة من الخلق وسيد الشهداء)[٨].

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: (مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين عليه السلام، فإن إتيانه يزيد في الرزق، ويمد في العمر ويدفع مدافع السوء، وإتيانه مفترض على كل مؤمن يُقرّ له بالإمامة من الله)[٩].

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: (من أتى قبر الحسين عليه السلام ماشياً كتب الله له بكل خطوةٍ ألفَ حسنةٍ، ومحا عنه ألفَ سيئةٍ، ورفعَ له ألفَ درجةٍ)[١٠].

مثل هذه الأحاديث وغيرها بالعشرات في فضل زيارة الإمام الحسين عليه السلام وأهميتها للإنسان المؤمن في حياته، جاءت لتؤكد استحباب أن يُزار سيد الشهداء عليه السلام بشكل عام في كل الأوقات والمناسبات، سواء في شهري محرم أو صفر أو غيرهما. إلا أننا نرى بأن إصرار وتأكيد الشيعة على خصوصية زيارة الأربعين في العشرين لشهر صفر من كل عام، ونعني بها الزيارة الأم التي جاءت بعد أربعين يوماً من استشهاده عليه السلام؛ إنما تواصلت على مر العصور منذ فاجعة كربلاء، لإحياء دروس النهضة الحسينية وتأصيلاً وحفراً في ذاكرة الزمن لشعائر الثورة الحسينية، وتجديداً لاستمرارها وحيويتها في الوجدان الشيعي.

ويبدو أن قضية الرقم أربعين الذي تكرر في القرآن الكريم في مواضع عدة أيضاً، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾[١١]، وفي قوله: ﴿قال فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[١٢]، وكذلك في قوله: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾[١٣]، لتبدو للعيان بأن هذا الرقم له خصوصية وسراً لا يمكن اكتشاف مكنونه بتفكيرنا البشري البسيط، كما هي تلك الخصوصية التي تتميز بها زيارة الأربعين وبتركيز شديد في الوجدان الشعبي الشيعي الذي حافظ عليها طوال عصور التاريخ منذ حدوثها وحتى اليوم.

ولربما جاءت خصوصية الأربعين - كما يذكر السيد المقرّم - لأن النواميس المطردة تتوجه للاعتناء بالفقيد بعد أربعين يوماً من وفاته وذلك بإسداء البر إليه وتأبينه وتعداد مزاياه في مناسبات تُعقد، وذكريات تدون تخليداً لذكراه[١٤]. ويؤيد هذا الرأي ما ورد عن أبي ذر الغفاري وابن عباس عن النبي

محمدﷺ، أنه قال: «بأن الأرض لتبكي على المؤمن أربعين صباحاً»[١٥]. وما ورد عن زرارة عن أبي عبد الله الصادقؑ في بعض ما قاله: (إن السماء بكت على الحسينؑ أربعين صباحاً بالدم، والأرض بكت عليه أربعين صباحاً بالسواد، والشمس بكت عليه أربعين صباحاً بالكسوف والحُمرة، والملائكة بكت عليه أربعين صباحاً)[١٦].

ومثل هذه الأحاديث والروايات وغيرها، هي من دعّمت زيارة قبر الإمام الحسينؑ، وتحديداً زيارة الأربعين، وجعلتها جزءاً من العقيدة ونبراساً لطريق الولاء عبر الزمن.

نشأة زيارة الأربعين:

في الواقع إن زيارة الأربعين، لم تبدأ مع تشييد أول قبة صغيرة من الآجر والجص على قبر الإمام الحسينؑ، في العامين ٦٥هـ (٦٨٤م) أو ٦٨هـ (٦٨٧م) على يد المختار بن أبي عبيد الثقفي عندما حكم الكوفة كما تذكر أحداث التاريخ[١٧]، إنما سجلت نفسها كزيارة معتبرة لها شعائر خاصة بها، منذ وطئت أقدام الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري وخادمه عطية العوفي أرض كربلاء[١٨] في نفس عام استشهاد الإمام ٦١هـ (٦٨٠م). ونرجح في هذا المقام الرأي الذي يميل لحدوثها في نفس هذا العام، إذا تتبعنا ذات سياق العناية الربانية التي مكنت الإمام زين العابدينؑ، وهو العليل حتى لحظات السبي ودخوله مع السبايا مجلس ابن زياد في الكوفة، في العودة بعد ثلاثة أيام لدفن الأجساد وحتى دون علم عمته زينبؑ. أي أنه في حالة الركون إلى الإيمان بالجانب الغيبي في هذا الأمر، يمكن الاطمئنان بأن ذلك حدث أيضاً في عودة ركب آل البيت بعد أربعين يوماً بالضبط إلى كربلاء، في ذات الوقت لوجود الصحابي جابر الأنصاري، إذ سريعاً ما انضم إليه الركب الحسيني في زيارة ملفتة ومؤثرة جداً للقبر الشريف سجلتها كتب التاريخ، فغدت تلك الزيارة جماعية منذ ذاك الوقت[١٩].

وبناءً عليه، غدا يوم العشرين من صفر مشهوداً معروفاً لكل الناس، فتتوافد مئات الآلاف من الزائرين على كربلاء لزيارة الإمام الحسينؑ وإقامة الشعائر وتجديد هذه الذكرى الأليمة.

وهذا ما جعل – في الواقع – بداية نمو كربلاء كمعلم حضاري مدني مقدس، بتأثير سفك دم الحسين الطاهر على تربتها، ولتصبح شامخة ومحط وملفى القلوب من كل أصقاع العالم منذ ذلك التاريخ والى اليوم والى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وذلك ببركة وجود قبر الإمام الحسينؑ وأهل بيته وأصحابه الذين استشهدوا دونه في واقعة خلَّدها التاريخ وخلدتها قبله السماء منذ ولد الإمام الحسينؑ، وبالتالي رسختها النفوس المؤمنة بهذه القضية إلى اليوم.

إن زيارة الأربعين بما تحمله من سمات الولاء للعقيدة ولأهل البيت على مر عصور التاريخ، واستمرارها تنحو ذات الخط الذي قدمت فيه قوافل الشهداء دماءها رخيصة على خط الولاء المحمدي الأصيل. وبقدر ما أعطى السيد محمد باقر الصدر دمه في خط الولاء، وكذلك بنت الهدى، والسيد

مهدي الحكيم، والسيد الصدر الثاني، والسيد محمد باقر الحكيم، والشيخ مطهري، والسيد دستغيب، وشهداء المقابر الجماعية في العراق. وكما قدم الشيخ راغب حرب والسيد عباس الموسوي وشهداء المقاومة دماءهم، وأعطت أرضنا وأراضي كل الشرفاء دماً عزيزاً على طريق الولاء المحمدي[٢٠].

تطور زيارة الأربعين عبر التاريخ:

ليست هناك إحصائيات متواترة متسلسلة للزوار في مناسبة يوم أربعين الإمام الحسين عليه السلام على مر التاريخ لعدم وجود مَنْ كان يقوم بذلك أساساً من الأنظمة التي مرَّت على العراق الجريح حيث أن معظمها كان يحارب مثل هذه الزيارة، بل ويمنعها كما فعل المتوكل العباسي أو النظام الصدامي البائد.

وبناءً عليه، لا يمكن للباحث أن يتقصي كل زيارات مناسبة الأربعين إلى كربلاء، أو الحائر الحسيني كما كان يُطلق عليه سابقاً؛ أو للمشهدين الحسيني والعباسي المقدسين بها، مروراً بفترات التاريخ كافة، لأنها واقعاً لم تُذكر بهذا التحديد ضمن الزيارات المعتادة في كل وقت ومناسبة منذ القرون الغابرة، ولاسيما بدءاً من القرن الخامس الهجري بعكس الحال في تتبع الفترات التاريخية لتعمير وبناء المرقد الحسيني الشريف، أو كربلاء بشكل عام التي كانت أكثر وضوحاً وتحديداً. وحتى زيارات ملوك وسلاطين ورؤساء وحكام الدول ومسؤوليها وسواهم، طوال العهود السابقة، لا نستطيع اعتبارها ضمن زيارات الأربعين، حيث أن معظمها قد تم إما قبل شهر محرم، ما عدا القلة النادرة، أو بعد شهر صفر، وغالباً في شهري ربيع الأول والثاني أو جمادى الأولى والثانية[٢١].

ولكن في خلال تتبع حركة تعمير كربلاء والمرقد الشريف وازدياد مكانته وعظمته في نفوس المسلمين شيعة وسنة وغيرهم، يمكننا غالباً تتبع أطوار زيارة الأربعين للمراقد الشريفة ضمنياً عبر عدة محطات وفترات بين المنع والسماح، والتوقف تماماً والعودة بزخم كبير، بحسب المراحل الآتية:

حقب الزيارات بشكل غير متتابع:

١. زيارة جابر الأنصاري وأهل البيت العام ٦١هـ (٦٨٠م)، وعودة الرأس الشريف مع بقية الرؤوس إلى كربلاء ودفنها مع الأجساد على يد الإمام زين العابدين عليه السلام[٢٢].

٢. شُيدت القبة العام ٦٥هـ (٦٨٤م) أو ٦٨هـ (٦٨٧م)، في عهد المختار الثقفي حتى نهاية دولته.

٣. في عهد الخليفة المأمون العباسي العام ١٩٣هـ (٨٠٩م)، أُعيد موضع القبر الشريف وأقيم الحائر الحسيني[٢٣].

٤. زمن المنتصر بالله العباسي ابن المتوكل، العام ٢٤٧هـ، (٨٦١م) الذي أمر ببناء وعمارة المرقد والمباني حوله[٢٤].

٥. في عهد الدولة البويهية قام عضد الدولة (فنا خسرو بن ركن الدولة بن بويه الديلمي)، بعمارة وتجديد مشهدي النجف وكربلاء العام ٣٦٩هـ(٩٧٩م) وأكرم سكان كربلاء، ومجاوري الحرم، والزوار[٢٥].

٦. بعد بناء سور الحائر العام ٤٠٧هـ، (١٠١٦م)[٢٦]، على يد وزير سلطان الدولة البويهي ابن سهلان الرامهرمزي بعد أن شبت فيه النار واحترقت القبة، ساعد ذلك على استقرار الزيارة أكثر لتوافر بعض الأمان حول البقعة المباركة. وأصبح هذا السور حصناً حصيناً لكربلاء والمشهد المقدس يقيه من غزوات الأعداء[٢٧].

٧. عادت وزادت زيارة الأربعين، افتراضاً ضمن بقية الزيارات، في عهد البويهيين، حين ازدهرت كربلاء في عهدهم ازدهاراً ملحوظاً، وزاد الزوار بها في كل المناسبات، ما عدا فترة الفتنة في أعوام ٤٢٢-٤٤٢هـ (١٠٣٠-١٠٥٠م) [٢٨]. وفي العام ٥٢٩هـ (١١٣٤م)، وبالذات في محرم وصفر، زاد عدد الزوار في كربلاء، كما تذكر كتب التاريخ ونحسب أن زيارة الأربعين من ضمنها. حيث يذكر ابن الجوزي بأنه "مضى في هذه الأيام إلى زيارة علي ومشهد الحسين عليه السلام، خلق لا يحصون"، وأضاف جملة لطيفة جداً بقوله "وظهر التشيع"، كدليل على كثرة الزوار[٢٩].

٨. وكذلك أُعيد تعمير سور كربلاء في أيام (الجلائريين السلاجقة) في القرنين السابع والثامن الهجريين لحماية الزوار والساكنين بها[٣٠].

٩. مناسبة الوفود الزائرة في العام ٤٤٢هـ (١٠٥٠م)، لكربلاء والتي رافقها وفد من طائفتي الشيعة والسنة من أهالي بغداد في المسير من خارج كربلاء إلى حدود الحرم المقدس، بعد أن انقطعت الزيارة من العام ٤٢٢هـ (١٠٣٠م)، أي حوالي عشرين عاماً. حيث قام هؤلاء الزوار من خارج العراق كما يبدو بتوزيع الأموال والدراهم على الفقراء والمساكين بجوار قبر الحسين عليه السلام[٣١].

١٠. ازدادت الزيارات في عهد الناصر لدين الله العباسي[٣٢] لأنه كان محباً لأهل البيت عليهم السلام بخلاف أسلافه. لذا عادت في عهده حرية الشيعة في الزيارة، وقام بوضع صندوقاً من الخشب على قبر الإمام الحسين عليه السلام في العام ٦٢٠هـ (١٢٢٣م)[٣٣].

١١. في العهد الصفوي في الفترة ما بين ٩٠٧-١١٣٥هـ (١٥٠١-١٧٢٢م)، شهدت مدينة كربلاء في العام ٩١٤هـ (١٥٠٨م) - عندما دخلها الشاه إسماعيل الصفوي منتصراً - توسعاً عمرانياً ربما زاد في عدد الزوار، ومنهم زوار الأربعين. فقد أسرع الشاه لزيارة العتبات المقدسة وأصلح أحد الأنهر التي تجلب إليها المياه فسُميّ "نهر الشاه"، وتمتع العراق ومنه العتبات المقدسة بحقبة من السلم والهدوء، كما يصفها لونكريك، حتى العام ١٥٢٤م. وكذلك إبان عهد الشاه عباس الكبير الأول ٩٩٦- ١٠٣٨هـ (١٥٨٨-١٦٢٩م) إذ بعد دخولها تحت السيطرة الصفوية من جديد عام ١٦٢٣، تمتعت العتبات المقدسة بأمان وعناية ملحوظة لم تحدث لها من قبل[٣٤].

١٢. بداية العهد العثماني، في عهد السلطان سليمان القانوني ٩٢٦-٩٧٤هـ (١٥٢٠-١٥٦٦م) حيث زار كربلاء في العام ٩٤١هـ، (١٥٣٤م)، وأبدى اهتماماً كبيراً بالمدينة وعمرانها وتشجيع زيارتها والسكن بها، وخصوصا بعد إصلاح جدول الماء الذي كان يمر بها وذلك لإرواء

كربلاء وإعادة زراعة بساتينها، فسُمي بـ(نهر السليمانية) نسبة إلى السلطان، ويسمى اليوم بنهر الحسينية. وبالمثل حدث في عهد السلطان مراد الثالث العثماني، ٩٨٢-١٠٠٣هـ. (١٥٧٤-١٥٩٥م)، ذلك أنه أمر والي بغداد في العام ٩٩١هـ (١٥٨٣م)، بترميم الحائر الحسيني وإعادة تعميره للزوار[٣٥].

١٣. ومنذ عشرينيات القرن العشرين وحتى القرن الحالي، زادت ونُظمت الزيارة وتطورت بشكل ملحوظ ومسجل أحياناً نتيجة لتحسن المواصلات والخدمات، وبروز الدور الديني الطليعي والاجتماعي والاقتصادي لمدينة كربلاء بسبب وجود المرقدين الشريفين بها.

حقب تعثر الزيارات أو انقطاعها:

١. فترة الدولة الأموية: لم تكن هناك زيارة منتظمة للحسين ولا حتى زيارة الأربعين بشكل علني طوال عهد الدولة الأموية بعد فاجعة كربلاء وحتى انهيار الدولة الأموية العام ١٣٢هـ(٧٤٩م)، عندها انهال الناس لزيارة الإمام الحسين عليه السلام كما حدث بعد انهيار نظام البعث الديكتاتوري العام ٢٠٠٣م.

٢. عهد المتوكل العباسي: انحسرت الزيارة عموماً في فترة المتوكل العباسي الذي ناصب أهل البيت العداء السافر. ففي عام ٢٣٦هـ (٨٥٠م)، أمر المتوكل بهدم قبر الحسين عليه السلام بكربلاء وتم حرث الأرض حوله وأُغرقت بالماء، ومُنع الناس من الزيارة تحت تهديد العقاب قسراً. ونودي أن كل من وجد عند قبر الحسين عليه السلام بعد ثلاثة أيام يتم سجنه، فهرب الناس وتركوا الزيارة فأدى ذلك أيضاً لتدهور الزراعة وإهمال عمران كربلاء زمناً ليس بالقصير[٣٦].

٣. في العام ٤٢٢ وحتى ٤٤٢هـ، توقفت وتعثرت الزيارة لكربلاء ومنها زيارة الأربعين، بسبب أعمال الفتنة والشغب التي سادت العراق حينها[٣٧]، وبالذات في المناطق الشيعية والمزارات المقدسة. وقامت بها مجموعة من المتعصبين فيما يمكن قوله ما أشبه الليلة بالبارحة، مما سبب رعباً للزوار، فاثر ذلك سلباً على مواسم الزيارة - ومنها الأربعين بالطبع - إلى مدينة كربلاء والعتبات المقدسة بشكل خاص.

٤. كما تعطلت الزيارة في العام ٤٨٩هـ (١٠٩٥م)، خلال هجوم عشيرة خفاجة[٣٨] على مشهد الحسين عليه السلام، حيث يدون ابن الجوزي هذه الحادثة بقوله أن بني خفاجة "أتوا إلى المسجد بالحائر فتظاهروا بالمنكر، فوجه إليهم سيف الدولة[٣٩] عسكراً فكبسوهم بالمشهد، وأخذوا عليهم أبوابه، وقُتل منهم خلق عند الضريح"، كما يؤكد ابن الأثير ذلك، وأنهم في المشهد الحسيني "تظاهروا بالفساد والمنكر"[٤٠].

٥. تعطلت الزيارات عموماً كما يبدو، ومنها الأربعين لبعض الوقت عام ٦٥٦هـ (١٢٥٨م)، حين هاجم المغول الدولة العباسية والعراق تحديداً. خصوصاً وأن هجومهم على العاصمة العباسية كان بين شهري محرم الحرام وصفر للعام ٦٥٦هـ، بعد فتنة مذهبية حدثت بين السنة والشيعة في بغداد على جاري عادتهم، كما يذكر أبو الفداء. وقام المغول بتصفية آخر الخلفاء العباسيين، وهو المستعصم بالله[٤١]، وأشاعوا

الدمار والقتل والخراب في كل بغداد وما جاورها لمدة أربعين يوماً[٤٢]. وقام أهل الحلة والكوفة لدفع القتل والسبي عن أنفسهم، بجمع مبلغ كبير من المال أعطوه إلى هولاكو فتراجع عن قتلهم[٤٣]. وليس هناك معلومات موثقة عما حدث في زيارة الأربعين في فترة تواجد المغول في العراق وما أحدثوه من قتل وتدمير لمعظم المواقع الحيوية في العراق، وبغداد بالذات باعتبارها كانت عاصمة الخلافة العباسية[٤٤].

٦. في الفترة ما بين ٨٣٠-٨٣٥هـ (١٤٢٦-١٤٣١م) خلال سيطرة الحكومات التركمانية على مقاليد الأمور في العراق، وقعت حروب داخلية متفرقة كان من نتيجتها الخراب الذي عم العراق، ومنه غلاء الأسعار وانتشار الأوبئة والأمراض كالطاعون وغيرها. وبالتأكيد إن هذا الوضع أثَّر كثيراً على قدوم الزوار للأضرحة المقدسة ومنها زيارة الأربعين لكربلاء المقدسة[٤٥].

٧. في العام ٨٥٧هـ (١٤٥٣م)، دخل السلطان علي بن محمد بن فلاح المشعشعي[٤٦] الحلة فأحرقها وخربها، ونهب المشاهد المقدسة، وتجاسر على النجف والعتبات المقدسة بكربلاء، ودخلها عنوة وفعل ما فعل ثم نقل أموالها إلى البصرة والحويزة[٤٧]. وبالتالي لم تتم الزيارة بسبب هذه الأحداث حتى العام التالي ٨٥٨هـ (١٤٥٤م)، حين أنهى هذا الوضع (پير بوداق) بإرسال عساكره من شيراز إلى بغداد، ومن هناك توجه إلى الحلة واستردها، وأعاد بناء سوقها والمشهد، وعمّر بها قلعة[٤٨].

٨. في القرنين السابع عشر والثامن عشر للميلاد، خلال فترة الصراع الصفوي العثماني، تأثرت كربلاء وزياراتها بين مد وجزر بسبب تلك الصراعات وما خلفته من حروب ودمار وعدم الأمان[٤٩]. فمثلاً في العامين ١٠٣٥- ١٠٣٦هـ (١٦٢٥-١٦٢٦م) تعطلت الزيارة خلال حصار بغداد من قبل العثمانيين في عهد السلطان مراد الرابع، وقد تم الاستيلاء على الحلة، وكربلاء، حيث وقعت حروب دامية قُتل فيها الآلاف[٥٠].

٩. الهجوم على كربلاء في الفترة الوهابية، خلال شهر ذي القعدة من العام ١٢١٦هـ هـ(١٨٠١م)، مما أدى لانقطاع الزيارة بعد هدم الأسوار ونهب المدينة وسرقة النفائس في المرقدين الشريفين وحرقهما. كما وصفها بن بشر: "وقصدوا أرض كربلاء، تسوروا جدرانها ودخلوها عنوة وقتلوا غالب أهلها في الأسواق والبيوت، وهدموا القبة الموضوعة بزعم من اعتقد فيها على قبر الحسين، واخذوا [أي سرقوا] ما في القبة وما حولها وجميع ما في البلد من الأموال والسلاح واللباس والفرش والذهب والفضة والمصاحف الثمينة وغير ذلك مما يعجز عنه الحصر. ولم يلبثوا فيها إلا ضحوة، وخرجوا منها قرب الظهر بجميع تلك الأموال، وقتل من أهلها نحو ألفي رجل[٥١].

١٠. في العام ١٢٢٢هـ (١٨٠٧م)، حين هجمت عشائر الجرباء والظفير والرولة وعاثت بالقصبات فساداً شمل الحلة، وكربلاء، والنجف، وكان هناك حوالي أربعين ألف زائر من إيران في كربلاء تعرضوا للحصار، وكانت

فيهم حرم الشاه فتح علي القاجاري وبعض الخانات في عهد الوزير سعيد باشا. وقد نذرت حرم الشاه إن نجت منهم تكسي الإيوان الحسيني ذهباً. وفعلا نجت من الحصار ووفت بنذرها. ولعلها كانت تلك زيارة الأربعين[٥٢].

١١. تعطلت زيارة الأربعين العام ١٢٥٨هـ (١٨٤٢م)، في عهد الوالي العثماني محمد نجيب باشا[٥٣]، الذي حاصر كربلاء حوالي شهراً ودخلها عنوة بعد أن دمر أسوارها بالمدفعية، واستباحها جنوده، وقام بمجزرة مروعة راح ضحيتها ٤ آلاف أو ٩ آلاف في قول آخر أكثرهم من النساء والأطفال[٥٤].

١٢. في العام ١٣٢٢هـ (١٩٠٤م)، قرر القنصل التركي في العراق، منح ٢٣ ألف جواز سفر كل عام للزوار المسافرين إلى العراق على الخيول أو البغال أو الحمير، أما المشاة (المشاية) من النساء والأطفال فليسوا بحاجة إلى جواز سفر. وكان يُقدر عدد الزوار الذين يسلكون طريق "كرمنشاه" إلى العراق بين ٥٠ إلى ١٠٠ ألف زائر كل عام[٥٥]. وربما بقي هؤلاء الزوار إلى زيارة الأربعين، ذلك لأن المسافة للعودة إلى ديارهم بعيدة وقد لا يتمكنون من الرجوع في نفس شهر محرم فيبقون إلى زيارة الأربعين ولابد.

الرحالة وزيارة الأربعين:

حتى الرحالة الذين زاروا كربلاء أو الحائر الحسيني تحديداً طوال التاريخ، لم يذكروا لنا للأسف أي شيء عن مناسبة زيارة الأربعين، لا من حيث عدد الزوار، أو أية أحداث عنها، أو حتى مجرد ذكر لها. ولربما غالباً لم يكونوا متواجدين في رحلاتهم خلال شهر صفر، أو أن هذه الزيارة لم تكن بهذا المظهر المميز الذي نشاهده بها اليوم.

ففي الفترة بين القرن السابع والقرن الثامن الهجريين، نجد أسماء بعض الرحالة مثل الرحالة أبو الحسن الهروي[٥٦]. وكذلك ما ذكره الطنجي، ابن بطوطة، الذي زار مدينة كربلاء عام ٧٢٧هـ (١٣٢٦م)[٥٧].

بينما ذكر الرحالة البرتغالي (بيدرو تكسيرا) في شهر جمادى الأولى للعام ١٠١٣هـ (سبتمبر ١٦٠٤م)، وذكر أن بها خانات للزوار، ربما منهم زوار الأربعين، وأسواقها مبنية بناءً محكماً بالطابوق وبها العديد من السلع التجارية، وشاهد فيها أكثر من ٤ آلاف بيت معظمها من الطين المجفف[٥٨].

وحتى الرحالة (كارستن نيبور) زار كربلاء في ديسمبر العام ١٧٦٥(١١٧٩هـ.)[٥٩].

وكذلك ما سُجل عن كربلاء ضمن رحلة العالم الجغرافي الانجليزي جون أشر (John Ussher)[٦٠] العام ١٨٦٢م.(١٢٧٩هـ)[٦١].

كما زار المنشئ البغدادي كربلاء وكتب عنها ضمن كتابه "رحلة المنشئ البغدادي"[٦٢] في العام ١٨٢٢[٦٣].

كما أن أحد الصحفيين الفرنسيين ويُدعى (غوستاف. بابِن.)، زار كربلاء في مطلع القرن العشرين عام ١٣٢٦هـ (١٩٠٨م)، وذكر معلومات

قيّمة عن الزوار في شهر محرم فقط، دون الإشارة لشهر صفر ولزيارة الأربعين. ولعلها لم تكن ملحوظة آنذاك أو بذاك الزخم والتنظيم كما هي اليوم بالطبع. جاء ذلك في المجلة الفرنسية المسماة (الالسترسيوان) الصادرة في باريس بمقالة تحت عنوان "الكعبة الثانية"، نقلاً عن هذا الصُحفي الفرنسي الزائر لها. حيث كتب أن زوار كربلاء يكثرون في الشهر المُحرم، حيث تأتي إليها من كل صوب القوافل مئاتٍ مئات، فيكون شهر المُحرم هو شهر الصلوات والأدعية والتوبة[٦٤].

كما زارها في العام ١٣٢٨هـ (١٩١٠م)، الرحالة الهندي محمد هارون الهندي الملقب بالزنگي پوري، وذكر بأن زوار قبر الإمام الحسين عليه السلام، لا يقتصرون على أهالي مدينة كربلاء، بل إنهم من الأعراب والفرس والأتراك والأكراد وأهل الهند والسند وأهل الصين والتتار وأهل روسيا وروما وأهل أفريقيا وأمريكا وأهل أوروبا وآسيا. وقدم وصفاً دقيقاً ومطولاً للزيارة وكيفيتها وأدعية وصلوات الزائرين. وأصدر كتاب رحلته في العام ١٣٢٩هـ (١٩١٢م). إلا أن الملفت للنظر في وصفه الدقيق لكافة أنواع زيارات المرقد الشريف، أنه لم يذكر زيارة الأربعين تحديداً رغم أهميتها. فما هو السر في ذلك؟ أليست كانت مستمرة ومشهورة عند الناس؟ أم خشي الرحالة الهندي المسلم ذكر زيارة الأربعين من باب التقية في بلاده التي تشيع منها ديانة الوثنية، فقال "لها زيارات مخصوصة"؟ إذ يقول الرحالة: "منذ أمد بعيد كانت أبواب الحضرة الحسينية وكذا العباسية مفتوحة طوال ليالي شهر رمضان وليالي شهر محرم الحرام وليالي الجمعة، والأعياد الثلاثة الأضحى والفطر والغدير، بالإضافة إلى ليالي المناسبات الدينية كأول رجب ونصفه، ونصف شهر رمضان، ويوم عرفه وغيرها من المناسبات التي لها زيارات مخصوصة، أما سائر الليالي فتُغلق الأبواب بعد مضي ثلث الليل"[٦٥].

إحصائيات زيارة الأربعين في التاريخ المعاصر:

في تقرير كتبه المسؤول السياسي الانجليزي بالحلة في شهر أبريل من العام ١٩٢٠ يذكر فيه أن عدد زوار الأربعين في ذلك العام من النجف فقط بلغوا بين ستة إلى سبعة آلاف شخص يتقدمهم عشرون موكباً للعزاء ضم أكثر من مئة شخص أي حوالي ٢٠٠ شخص شاركوا في العزاء مباشرة أما البقية، كما فيصفهم التقرير، فشكلوا "فرقة من الفرسان العرب، يليهم عدد كبير من الجمال حاملة لوزام منزلية وبعض الشخصيات التي تمثل عائلة الحسين التي أُسر أفرادها ويقال أنهم وصلوا من دمشق في مناسبة كهذه. وكان يلي هذا موكب كبير من الطبقات الآتية: أولاً السادة، ثانياً رجال اللاهوت والمنورون الدينيون وثالثاً، كبار التجار والوجهاء، ثم اللاطمون على الصدور والمتسوطون بالسلاسل"[٦٦].

أضف إلى ذلك، يبدو من تتبع الإحصائيات المتوافر بعضها للفترة من أربعينيات القرن العشرين وحتى اليوم أن هناك تطوراً ملحوظاً في ازدياد وتنوع عدد زوار الأربعين، وزوار الدول القريبة والنائية الذين يفدون منها إلى كربلاء العراق. حيث تشير الإحصائية بتاريخ الأحد ٢٣ صفر للعام ١٣٦٥هـ

(٢٧/ ١/ ١٩٤٦م)، بحسب ما أوردته جريدة الأخبار البغدادية في تغطية لها تحت عنوان «يوم الأربعين في كربلاء»؛ إلى أن عدد زوار الأربعين وصل إلى ثلاثة أرباع المليون نسمة[٦٧]. بينما كان عددهم يوم الأربعين للعام ١٣٨٧هـ(١٩٦٨م)، أكثر من نصف مليون زائر، ثم عاد ليرتفع من جديد ويصل في بداية السبعينات إلى حوالى مليون زائر[٦٨]. ولهذا بدأت سلطات النظام البائد بسياسة قمع الزوار ومنعهم من تلك الزيارة المليونية.

أما في السبعينيات من القرن العشرين، فيذكر أحد الزوار، وكان شاهداً على زيارة الأربعين في العامين ١٩٧٧ و ١٩٧٨، إنه في الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين، كان أهل العراق يتوجهون إلى زيارة الأربعين بالسيارات، ويضيف: «ولم أتذكر أنني رأيت أعداداً كثيرة تذهب لزيارة الأربعين مشياً، ربما النزر اليسير منهم، وحتى الأعداد التي تذهب لزيارة الأربعين لم تكن كبيرة لأن الموظفين والمرتبطين بالدوام الحكومي لا يذهب منهم إلا النزر اليسير الذين يأخذون إجازة، ولا أظن أن زواراً من مناطق بعيدة عن كربلاء يذهبون مشياً. ربما هنالك أعداد من المدن القريبة من كربلاء». وقد كان العام ١٩٧٧ صعباً ودموياً على زوار الأربعين في ظل النظام البائد بسبب محاولاته المتكررة لمنع زيارة كربلاء. ومن غرائب تلك الفترة المظلمة، أن زيارة الأربعين تمت في يوم ٢٨ صفر من العام ١٩٧٨، أي في ذكرى وفاة الرسول محمدﷺ، وليس يوم الأربعين تماماً بسبب إجراءات السلطات البعثية ضد الزوار[٦٩].

إلا أنه في العام ١٤١٧هـ (١٩٩٧م)، ورغم كل إجراءات نظام صدام الأمنية بمنع الزيارة، بلغ عدد الزوار ٧ ملايين نسمة تقريباً[٧٠].

كما أنه العام ١٤٢٠هـ (٢٠٠٠م)، توافد على مدينة كربلاء بمناسبة الأربعين حوالي أربعة ملايين زائر. وقد منعت سلطات الحكم آنذاك، دخول الناس إلى مركز المدينة من على بُعد سبعة كيلومترات بسبب الازدحام الناتج عن هذا العدد الهائل من الزائرين.

وفي ٢٠ صفر من العام ١٤١٢هـ(١٩٩١م)، قامت سلطات النظام السابق، بمنع الزائرين من الوصول إلى كربلاء في يوم الأربعين، وأطلقت الرصاص عليهم بعد أن أحاطت بالمدينة من كل جانب[٧١]. أما في مناسبة أربعين عام ١٤٢٢هـ (٢٠٠١م)، فقد بلغ عدد الزائرين بين ٧ و٨ ملايين نسمة[٧٢] في أول أربعين لشهر صفر العام ١٤٢٤هـ (٢٠٠٣م)، بعد سقوط نظام الحكم البائد بلغ عدد الزوار أكثر من ٨ ملايين زائر. وجاء هذا العدد أولاً إحياءً لذكرى الأربعين، وثانياً، ابتهاجاً بسقوط النظام البائد وتلبية لنداء القيادات السياسية من أتباع مدرسة أهل البيت بهدف المطالبة بحقوق الشيعة ورحيل المحتل الأمريكي. وبسبب عدم انتظام أساليب الحماية في تلك الفترة المضطربة فقد قام الأهالي بالمحافظة على الأمن وتنظيم سير المواكب الحسينية[٧٣].

إلا أنه في أربعين العام ١٤٢٥هـ (٢٠٠٤م)، بلغ عدد الزوار مليوني نسمة، رغم تحذير سلطات الاحتلال الأمريكي من هذه الزيارة حينها، مع أنه

كان المفترض أن يصلوا إلى حوالي ١٠ ملايين نسمة، لولا تردى الظروف الأمنية آنذاك[٧٤].

ثم تحولت هذه الزيارة في السنوات التي تلت سقوط نظام البعث سنة ٢٠٠٣م، إلى تظاهرة مليونية يتحرك فيها شيعة العراق من جميع النواحي والقرى والمدن الصغيرة والكبيرة ويشكلون شبكة بشرية – لا مثيل لها في العالم – وصلت إلى أكثر من عشرة ملايين نسمة. وكأنها ردة فعل شعبية بزخم منظور ضد كل طغاة عصر يزيد والعهد البائد الذي صبّ جام غضبه على الشعائر الحسينية طيلة فترة حكمه خوفاً من تأثيراتها السلبية عليه لأنه يعتبر تلك الايجابية في حراك الشارع الحسيني في الأربعين تحديداً، سوف ينعكس سلباً على نظامه.

وعندما تحسنت النواحي الأمنية في العام ١٤٣٥هـ (٢٠١٣م)، وصل عدد زوار الأربعين، بحسب تقديرات مجلس محافظة كربلاء إلى ١٧ مليون زائر تقريباً من جميع الدول، وفي العام ١٤٣٦هـ (٢٠١٤م) ازداد العدد إلى أكثر من ٢٠ مليون زائر[٧٥]. كما تم في نفس العام إقامة أكبر صلاة جماعة في العالم للزوار، في الطريق الرابط بين محافظتي كربلاء والنجف بتوجيه من المرجع الديني سماحة آية الله العظمى السيد علي السيستاني، حيث امتدت لنحو ٣٠ كم بمشاركة آلاف المصلين والزائرين[٧٦].

وبلغ عدد زوار الأربعين في العام ١٤٣٨هـ (٢٠١٦م) ٢٢ مليون زائر من أكثر من ٧٠ دولة حول العالم، بينما قدرهم تقرير إذاعة الهدى الإسلامية بحوالي ٢٧ مليوناً[٧٧].

وأخيراً، في العام ١٤٣٩هـ (٢٠١٧م)، بلغ عدد زوار الأربعين من ٢٩ بلداً، ١٥،٣٨٥٠٠٠ بحسب إحصائيات رسمية أصدرها مركز كربلاء للدراسات والبحوث ضمن نشرته السنوية لزيارة الأربعين المباركة للعام ١٤٣٩هـ[٧٨].

الخاتمة:

إن كافة زيارات الإمام الحسين عليه السلام، مهمة ولها موقع في العقيدة والوجدان الشيعي المسلم، إلا أن زيارة الأربعين – وخصوصاً في العصر الحاضر– غدت عملاً تطبيقياً في النفوس، كثورة أبي الأحرار يوم كربلاء. وهي لشديدة الإثارة ولها من الدلالات عدة وجوه في تحويل الموقف الروحي والعاطفي والفكري، إلى مسلك وحركة ايجابية وليست بنمط خُلقي وسلوكي كريم وبناء فقط، في حياتنا اليومية من أجل أن تبقى جذوة الحرية على طريق الولاء لعترة الرسول الطاهرة، محمد صلى الله عليه وآله، خفاقةً في فضاء الروح، وبين حروف الفكر، وفلسفة العقل، ما بقي الزمان.

الهوامش

(١) القمي، أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه، كامل الزيارات (قم، د.ت)، ص ٢٦١، ٢٦٩–٢٧٠.

(٢) يُطلق على هؤلاء في المصطلح الشعبي "المشاية"، وزيارة "المشاية".

(٣) آل طعمة، عبد الجواد الكليدار، تأريخ كربلاء وحائر الحسين عليه السلام، ط١، (دار جواد الأئمة عليهم السلام)، (بيروت، ٢٠١٢)، ص١٢٨–١٢٩.

(٤) الخوارزمي، أبو المؤيد الموفق بن أحمد بن أبي سعيد،

تحقيق محمد السماوي، (قم، ١٤١٨هـ.)؛ ابن الجوزي، سبط، تذكرة الخواص (قم، ١٤١٨هـ.)؛ المقرّم، عبدالرزاق، موسوعة مقتل الحسين عليه السلام (بيروت، ٢٠٠٨م.)؛ القمي، أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه، كامل الزيارات، مرجع سابق؛ الري شهري، محمد، موسوعة الإمام الحسين في الكتاب والسنة والتاريخ، ط١ (بيروت، ٢٠١٠م)، ج٧-٨.

(٥) عطية بن سعد بن جنادة العوفي أو الكوفي: ويُنسب إلى عوف بن سعد، وهم فخذ يعود نسبهم إلى ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان. يُكني بأبي الحسن، ولد عام ٣٧ هـ على الأرجح وتوفي العام ١٢٧هـ. والده سعد بن جنادة من الصحابة الأوائل الذين وفدوا من الطائف على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولحق به لقب الكُوفي بعد انتقاله وأهله من الحجاز إلى الكوفة. أدرك عطية عصر إمامة الإمام جعفر الصادق عليه السلام وتوفي خلالها. كان عطية يرى مذهب أهل البيت عليهم السلام، ويُقال أن من سماه بهذا الاسم (عطية الله) هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وانه شيعي إمامي وظهر ذلك من مروياته عن أهل البيت وفي مواقفه، فقد شارك في فك الحصار الذي قام به ابن الزبير على الهاشميين بمكة المكرمة، وكذلك امتناعه عن لعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فتحمل ألم ٤٠٠ سوط من جلاوزة الحجاج الثقفي. يُعتبر عطية العوفي تلميذاً نجيباً للصحابيين الجليلين جابر ين عبد الله الأنصاري، وأبو سعيد الخدري، وقد نقل عن الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وآله حديث الأئمة من بعدي اثنا عشر. وكان أول من تشرَّف بزيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام بأرض كربلاء مع الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري ونقل هذا الحدث مباشرة فصار من أهم مروياته. انظر: الكوفي، عطية بن سعد بن جنادة العوفي، تفسير القرآن الكريم، تحقيق: عبد الرزاق بن محمد حسين حرز الدين، ط ١ (قم،١٤٣١هـ)، ج١، ص ١٩-٣٢.

(٦) انظر: عنوان إحصائيات زيارة الأربعين في التاريخ المعاصر، من هذا البحث ص ٢٤-٢٧.

(٧) الغريفي، السيد عبد الله، عاشور: قراءة في ممارسات الإحياء (البحرين، ٢٠٠٩)، ص ٢١.

(٨) القمي، أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه، كامل الزيارات، ص ٢١٦-٢١٧ ح ٣١٦.

(٩) الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد، ضبط وتصحيح وتخريج الأحاديث محمد جعفر شمس الدين (بيروت، ١٩٩٢م)، ج ٦، ص ٣٥-٣٦.

(١٠) القمي، أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه، كامل الزيارات، ص ٢٥٥ ح ٣٨١، و ص ٣٩١-٣٩٢ ح٦٣٦.

(١١) البقرة: ٥١.

(١٢) المائدة: ٢٦.

(١٣) الأعراف: ١٤٢.

(١٤) المقرّم، عبد الرزاق الموسوي، مقتل الحسين عليه السلام أو حديث كربلاء، (قم، شوال ١٣٩٤هـ)، ص ٣٦٤.

(١٥) المقرّم، عبد الرزاق الموسوي، مقتل الحسين عليه السلام، ص ٣٦٤، نقلاً عن: ميرزا حسين النوري الطبرسي، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، (قم، ١٤٠٧)،/ ٢١٥، الباب الرابع والتسعون.

(١٦) آل بحر العلوم، السيد محمد التقي، موسوعة مقتل الإمام الحسين عليه السلام، ط١ (بيروت، ٢٠٠٦)، ص ٤٢.

(١٧) آل طعمة، عبد الجواد الكليدار، تأريخ كربلاء وحائر الحسين عليه السلام، ص ١٤٢.

(١٨) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار

الأئمة الأطهار، ط ١، (قم، ١٤٣٠هـ)، ج ٩٨، ص٩٨، ٩٩.

(١٩)مرجع للحادثة الري شهري، محمد، موسوعة الإمام الحسين في الكتاب والسنة والتاريخ، ج ٥، ص ٢٨٩.

(٢٠)الغريفي، السيد عبد الله، عاشور قراءة في ممارسات الإحياء، ص ٤٩.

(٢١)على سبيل المثال زيارات كل من: سلاطين البويهين (الملك جلال الدولة أبو طاهر بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه للمشهدين العلوي والحسيني العام ٤٢٢هـ، والسلاجقة (الملك أبو كاليجار، وملكشاه ونظام الملك) بين أعوام ٤٣٦-٤٧٩ هـ، الحاكم العباسي (المقتفي لأمر الله) العام ٥٥٥هـ، أو الأيوبي (الناصر) العام ٦٥٦هـ، أو المغوليين (أرغون بن أباقا خان بن هولاكو، ومحمود غازان بن أرغون) في العامين ٦٩٠هـ،و ٧٠٣هـ، أو المستبصر بمذهب أهل البيت السلطان المغولي (أوليجاتو محمد خدابنده بن أرغون) في العام ٧١٦هـ، والسلطان (أويس الجلائري الايلخاني) في العام ٧٧٦هـ، والمغولي (تيمورلنك) في العام ٨٠٨هـ. ولا زيارة السلطان التركماني (قره يوسف القره قويونلي) من قبيلة الخروف الأسود في العام ٨٣٩هـ، أ و حتى زيارة (الشاه إسماعيل الأول الصفوي) في القرن العاشر الهجري، أو السلطان (سليمان القانوني) في العام ٩٧٤هـ، وذلك لاستمالة قلوب الشيعة نحو الدولة العثمانية بعد ما اضطهدهم أبوه (سليم الأول) كثيراً بسبب صراعه مع الفرس على الحدود الشرقية لدولته، فقام بصيانة المرقد الحسيني وشق القناة الحسينية غالباً. انظر: ابن الأثير، عزالدين أبو الحسن الشيباني، الكامل في التاريخ، ط ١، (بيروت، ٢٠٠٥)، ج٢؛ ابن الساعي، علي بن أنجب، مختصر أخبار الخلفاء، (بولاق، ١٣٠٩هـ)؛ الخزرجي، نضير، أشرعة البيان قراءة موضوعية في الموسوعة الحسينية (بيروت، ٢٠١٢). ص ١٥٣-١٥٤.

(٢٢)المقرم، عبدالرزاق الموسوي، مقتل الحسين عليه السلام أو حديث كربلاء، ص ٤٦٩.

(٢٣)آل طعمة، عبد الجواد الكليدار، تأريخ كربلاء وحائر الحسين عليه السلام، ص ١٤٤.

(٢٤)الجميلي، رياض كاظم سلمان، مدينة كربلاء: دراسة في النشأة والتطور (كربلاء، ٢٠١٢) ص ٦١.

(٢٥)آل طعمة، عبد الجواد الكليدار، تأريخ كربلاء وحائر الحسين عليه السلام، ص ١٥٢.

(٢٦) بينما يذكر الجميلي، أن أول سور لكربلاء بُني العام ٣٧١هـ (٩٨٢م). انظر: الجميلي، رياض كاظم سلمان، مدينة كربلاء: دراسة في النشأة والتطور، ص ٦١.

(٢٧)آل طعمة، عبد الجواد الكليدار، تأريخ كربلاء وحائر الحسين عليه السلام، ص١٦٠-١٦١؛ الكرباسي، محمد صادق، دائرة المعارف الحسينية: تاريخ المراقد، ط١، (لندن، ٢٠٠٣)، ج٢، ص ١٨.

(٢٨)يُذكر أنه مع مطلع عام ٤٢٢ هـ، تجددت أعمال الشغب في العراق بدءاً من منطقة الكرخ، على سبيل المثال، التي أطلق عليها ابن الجوزي "فتنة السنة والروافض". ثم شملت أجزاء في البصرة وغيرها من مناطق العراق حتى عمت جمعاً من عوام الناس. وحدث أن اعترض أهل باب البصرة جماعة من زوار مدينة قم الإيرانية جاءوا لزيارة النجف وكربلاء وقتلوا وجرحوا عدداً منهم، فامتنع الناس عن الزيارة في ذلك العام. وفي ذات العام كان موت الخليفة العباسي القادر بالله وتولي ابنه القائم بأمر الله، وفيه حدثت مشاحنات بين الأتراك ومنهم أكثر جند الدولة العباسية، وبين الأكراد والأعراب، وكثرة مشاغبات العيارين وبعض المماليك وغيرهم، حتى انقطعت طرق الحج بين

خراسان والعراق لانقطاع الطرق وزيادة الاضطراب. كما تجددت الفتن بين الوزير جلال الدولة البويهي وحاجب الحجاب للخليفة العباسي القائم بأمر الله عام ٤٢٨هـ، وبينه وبين الأتراك عام ٤٣١هـ وغيرهم. انظر للمزيد عن هذه الاضطرابات وحوادث الفتن: أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، مراجعة وتصحيح نعيم زرزور (بيروت، ١٩٩٢م)، ج ١٥، حوادث الأعوام ٣٨٧-٤٤٧ هـ؛ ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن بن عبد الكريم الجزري الشيباني، الكامل في التاريخ، ط١ (بيروت،٢٠٠٥)، ج ٢، ص١٩٧٨، ١٩٩٢، ١٩٩٩.

(٢٩) أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، مراجعة وتصحيح نعيم زرزور (بيروت، ١٩٩٢م)، ج ١٧، ص ٣٠٢.

(٣٠) آل طعمة، عبد الجواد الكليدار، تأريخ كربلاء وحائر الحسين عليه السلام، ص ١٦٦-١٦٧.

(٣١) الكرباسي، محمد صادق، دائرة المعارف الحسينية: تاريخ المراقد، ج٢، ص ٢٠-٢٢.

(٣٢) الناصر لدين الله العباسي: هو ابو العباس أحمد الناصر بن المستضئ بأمر الله العباسي، وهو يشكل الرقم ٣٤ في حكام بني العباس، حكم لمدة ٤٦ سنة وحوالي ١١ شهراً، بين أعوام ٥٧٥-٦٢٢هـ. انظر: ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن بن عبد الكريم الجزري الشيباني، الكامل في التاريخ، ط١ (بيروت،٢٠٠٥)، ج ٢، ص٢٥٢٣، ٢٧٣٧.

(٣٣) الكرباسي، محمد صادق، دائرة المعارف الحسينية: تاريخ المراقد، ج٢، ص ٣٠-٣٢.

(٣٤) لونگريك، ستيفن همسلي، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، ط ٦ (بغداد، ١٩٨٥م)، ص ٣٢، ٧٩.

(٣٥) الخليلي، جعفر، موسوعة العتبات المقدسة: قسم كربلاء، ط ٢ (بيروت، ١٩٨٧)، ج ٨، ص ٢٦٥-٢٦٦.

(٣٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١، ص ١٣٧٢.

(٣٧) انظر هامش ٤ ص ١١-١٢ من هذا البحث للإطلاع على تلك الفتن وأحداث الشغب.

(٣٨) خفاجة: بفتح الخاء المعجمة والفاء والجيم، وهي عشيرة من بني عمرو بن عقيل بن كعب بن عامر بن صعصعة. انتقلوا من شبه الجزيرة العربية وسكنوا على أطرف الكوفة في العراق منذ القرن الرابع الهجري. وذكر القلقشندي بأن طائفة من خفاجة سكنت مرج دمشق وفي البحيرة بمصر. كانت هذه القبيلة كثيرة السلب والنهب وإحداث الشغب في الكوفة وكربلاء، كما حدث بين أعوام ٣٩١- ٤١٧هـ في الكوفة وعلى مدى سنوات أخرى متفرقة، حتى صار من أسباب خراب الكوفة نهبها الدائم، كما يذكر الرحالة ابن جبير، على يد «قبيلة خفاجة المجاورة لها، فهي لا تزال تضرّ بها». انظر للمزيد حول القبيلة وتاريخها: القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط ٢ (القاهرة، ١٩٨٢)، ص ١٢٢- ١٢٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ١٨٨٣؛ ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد، رحلة ابن جبير (بيروت، د.ت)، ص ١٥٣.

(٣٩) سيف الدولة الأسدي: هو صدقة بن منصور بن دبيس الاسدي، حاكم الإمارة المزيدية في العراق بعد والده دبيس الاسدي، في الفترة ما بين ٤٧٨-٥٠١هـ. وهؤلاء هم سلالة لمجموعة حكام في العراق ينتمون

إلى قبيلة أسد بن خزيمة ويُنسبون إلى مزيد بن مرثد بن الديان. وكان هؤلاء منتشرين بصحراء القادسية (صحراء النجف) على الضفة الغربية لنهر الفرات بين بغداد والكوفة. بدأ ظهور المزيديين كقوة سياسية زمن معز الدولة أبو الحسن بن بويه عندما عهد إلى مزيد بن مرثد في منتصف القرن الرابع الهجري ببعض الأعمال العسكرية في حماية بعض المدن المهمة من هجمات أعداء الدولة ومنهم قبيلة خفاجة كثيرة الشغب. أما تأسيس الإمارة المزيدية فكان على يد علي بن مزيد الأسدي في عام ٣٨٨هـ (٩٩٨م) بمنطقة الحلة، وقد تلقى دعماً من البويهيين المسيطرين على مقاليد الحكم في بغداد، حيث أضفوا على قوة المزيديين صفة الإمارة بشكل رسمي. وكان لهذه الإمارة الشيعية دور مهم وفاعل في تاريخ الدولة العباسية دام نحو قرن ونصف من الزمان. انظر: الحلي، أبو البقاء هبة الله، المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية، تحقيق محمد عبد القادر خريسات وصالح موسى درادكه (العين، ٢٠٠٠م)، ج١، ص ١٨-٢٦، لوحة ١٢، ص ٢٧٣-٢٧٨؛ ناجي، عبد الجبار، الإمارة المزيدية الأسدية في الحلة (قم، ١٤٣١هـ)، ص ٩٠-١٠١.

(٤٠) أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج ١٧، ص ٣١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢١٧٣.

(٤١) المستعصم بالله بن المستنصر بالله بن محمد الظاهر بالله: وهو يحمل الرقم ٣٧ من حكام العباسيين وآخرهم، وقد تولى السلطة في العام ٦٤٠هـ حتى غزو المغول للعراق ومقتله على أيديهم في العام ٦٥٦هـ، فكانت مدة حكمه حوالى ١٧ سنة. لم يكن المستعصم شخصية ذات حكمة وإدارة وكفاءة بارزة للحكم كما يشير العديد من المؤرخين والكتاب. فقد أهمل أمور الأمة، في حين كان يُنفق على المظاهر والحفلات الخاصة وعلى المطربين والمطربات والجواري، ويبخل بخلاً شديداً على نفقات الجيش وتحصين الدولة ضد الأعداء وأهمهم في تلك الفترة المغول، وهم على أطراف الدولة العباسية شرقاً. كما كان مولعاً ببناء القصور والإنفاق عليها بسخاء واقتناء التحف النفيسة، وضرب الفساد أركان الدولة في عهده فصار أغلب الأمراء والقادة سُراقاً. ويذكر المؤرخ بن واصل في مفرج الكروب بأن المستعصم "استبد بتدبير الخلافة أرباب دولته، وقد حسَّن له أصحابه مسالمة التتر وقالوا له: هذه الطائفة قد ملكوا معظم بلاد الإسلام ولم يقف أحد من الملوك قدامهم، فالحزمُ مهاداتهم ومهادنتهم، وأن يُحمل إليهم في كل سنة من المال ما يُرضيهم ليكفوا وينكفوا". انظر: بن واصل، جمال الدين محمد بن سالم، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق حسنين محمد ربيع، (القاهرة، ١٩٥٣م)، مج ٥، أحداث سنة أربعين وستمائة (١٢٤٢م)، ص ٣٢١-٣٢٢؛ ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبدالرزاق أحمد الشيباني، مجمعُ الآداب في معجم الألقاب، تحقيق محمد الكاظم، ط١ (طهران، ١٤١٦هـ)، مج ١، ص ١٨؛ الهادي، يوسف، إعادة كتابة التاريخ: الغزو المغولي للعراق أنموذجاً، ط٢ (طهران، ٢٠١٢م)، ص ٣٦-٤٧.

(٤٢) أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل، مختصر تاريخ البشر، (القاهرة، د. ت.)، ج ٣، ص ١٩٣-١٩٤؛ مجهول، كتاب الحوادث، تحقيق بشار عواد معروف وعماد عبد السلام رؤوف، (قم، ١٣٨٣هـ)، ص ٣٥٩.

(٤٣) مجهول، الحوادث، تحقيق بشار عواد معروف وعماد عبد السلام رؤوف، ص ٣٦٠؛ الهمذاني، رشيد الدين فضل الله، جامع التواريخ: تاريخ المغول، تعريب محمد صادق نشأت وآخرون، (القاهرة، ١٩٦٠)، مج ٢ ج١، ص ٢٩٥-٢٩٦؛ الهادي، يوسف، إعادة كتابة التاريخ: الغزو المغولي للعراق أنموذجاً، ص٢٤٧.

(٤٤)العزاوي، عباس، تاريخ العراق بين احتلالين، ط١، (بيروت، ٢٠٠٤)، ص ١٩٥-١٩٨؛ بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، تعريب نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط ٨ (بيروت، ١٩٧٩م)، ص٣٩٠.

(٤٥) العزاوي، عباس، تاريخ العراق بين احتلالين، ص٧٧-٨٣.

(٤٦)إمارة المشعشعين العربية: عندما ضعف سلطان المغول على منطقة العراقين، تمكنت أسرة عربية تنتسب إلى الإمام موسى الكاظم عليه السلام، في منطقة (الأحواز) إقليم عربستان، من إنشاء إمارة بقيادة محمد بن فلاح بن هبة الله المشعشع أو المشعشعي، حافظت على وجودها نحو ثلاثة قرون بين أعوام ٨٤٣- ١١٤١ هـ (١٤٣٩-١٧٢٩م)، عرفت باسم إمارة المشعشين العربية، وعاصمتها مدينة الحويزة. ومن أمراء الإمارة الأوائل الذين أسسوا كيانها وحافظت على استقلالها حتى دانت لإحدى القوتين الصفوية والعثمانية بعد العام ٩١٤هـ (١٥٠٨م)، سيد محمد بن فلاح، ومحسن بن محمد، وعلي بن محسن. ثم ظهر جيل آخر من المشعشعين حين في فترة الصراع الصفوي- العثماني، حين أكملت هذه الإمارة سيطرتها على باقي (الأحواز) والمناطق المجاورة لها في عهد أقوى حكامها مبارك بن عبدالمطلب بن بدران المشعشعي (١٥٨٨-١٦١٦م). وقد عاشت هذه الإمارة بين مد وجزر وهي تجاور قوى عسكرية وسياسية في ذلك الزمان في إيران والعراق، أمثال الصفويين، والافشاريين، والزنديين، والقاجاريين، وحكام العراق في الفترة العثمانية. كما عاصرت وصول القوى الأوروبية الغازية للمنطقة مثل البرتغاليين والهولنديين والانجليز والفرنسيين. وأخيراً انتهى حكم الدولة المشعشعية عام ١٧٢٩م، عندما قامت دولة أحوازية ثانية هي إمارة بني كعب، أي الإمارة الكعبية، التي اعترفت بها الدولتان الصفوية والعثمانية واستطاعت مد نفوذها على نواحي عربستان كلها. انظر: الغياث، عبد الله بن فتح الله البغدادي، التأريخ الغياثي، الفصل الخامس، تحقيق طارق نافع الحمداني، (بغداد، ١٩٧٥م) المقدمة، ص ٢٧٣-٢٧٦، ٣٩٠، ٣٩٤،؛ الزبيدي، محمد حسين، إمارة المشعشعين أقدم إمارة عربية في عربستان، (بغداد، د.ت).

(٤٧)آل طعمة، عبد الجواد الكليدار، تأريخ كربلاء وحائر الحسين عليه السلام، ص ٢٠٣-٢٠٦؛ الزبيدي، محمد حسين، إمارة المشعشعين أقدم إمارة عربية في عربستان، ص ٤٧.

(٤٨)الغياث، عبد الله بن فتح الله البغدادي، التأريخ الغياثي، ص ٣٠٨-٣٠٩؛ العزاوي، عباس، موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين، ج ٣، ص ١٥٣-١٥٤.

(٤٩)أنظر حول هذه الفترة: لونگريك، ستيڤن همسلي، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث؛ السيد، كمال، نشوء وسقوط الدولة الصفوية (قم، ٢٠٠٥م)؛ جعفريان، رسول، صفوية از ظهور تا زوال ٩٠٥-١١٣٥هـ. (طهران، ١٣٧٨هـ)؛ فلسفي، نصر الله، زندكاني شاه عباس أول (طهران، ١٣٥٨هـ.) ج٤-٥؛ بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ط٨؛ أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية (استانبول، ١٩٨٨م)؛ حليم، ابراهيم بك، تاريخ الدولة العثمانية العلية (بيروت، ١٩٨٨م)؛

Kunt، Metin، and Woodhed، Christine، Süleyman the Magnificent and His Age (New York، 1995)

(٥٠)لونگريك، ستيڤن همسلي، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث؛ ص ٨١-٨٤؛ أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ص ٤٦٨-٤٦٩؛ العزاوي، عباس، موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين، ج ٤، ص٢٢٨-٢٤١.

(٥١)النجدي، عثمان بن عبد الله بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، ط ٤، (الرياض، ١٩٨٢)، ج ١، ٢٥٧-٢٥٨.

(٥٢)الخليلي، جعفر، موسوعة العتبات المقدسة: قسم كربلاء، ج ٨، ص ١٢٥.

(٥٣)محمد نجيب باشا: من أسرة معروفة في العاصمة التركية استانبول، وكان من المقربين للسلطان العثماني مراد الثاني. تولى حكم بغداد بين ١٨٤٢-١٨٤٩م. كان يتميز بروح قومية تركية بحته في نظرته للآخرين من العرب والأجانب.

(٥٤)العزاوي، عباس، موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين، ج ٧، ص ٧٨-٨١.

(٥٥)الكرباسي، محمد صادق، دائرة المعارف الحسينية: تاريخ المراقد، ج٢، ص ٢١١.

(٥٦)علي بن أبي بكر بن علي الهروي: رحالة ومؤرخ، أصله كما هو واضح من اسمه، من منطقة «هرات» الأفغانية، ومولده في مدينة الموصل العراقية، وتوفي بحلب عام ٦١١هـ (١٢١٤م.) وكان له فيها رباط. عُرف بالسائح الهروي، لأنه قضى حياته مرتحلاً في أنحاء المشرق والمغرب الإسلامي والهند وغيرها. ذكر في كتابه الإشارات، بأن كربلاء «قرية بها جسد الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، ورأسه بمصر، عمره ست وخمسون سنة، ولد بالمدينة، وعنده جماعة من أهله قتلوا معه هناك». الهروي، ابو الحسن علي بن أبي بكر، الإشارات إلى معرفة الزيارات، تحقيق علي عمر (القاهرة، ٢٠٠٢م)، ص ٦٨-٦٩؛ الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط١٧ (بيروت، ٢٠٠٧)، ج٤، ص ٢٦٦.

(٥٧)الطنجي، محمد بن عبد الله اللواتي، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ط ١ (بيروت، ١٩٩١)، ١٠٤. وصف الطنجي كربلاء، بأنها مدينة صغيرة ولم يقل قرية، و"بها مشهد الحسين بن علي عليه السلام. تحف بها حدائق النخيل، ويسقيها ماء الفرات، والروضة المقدسة داخله، والضريح المقدس عليه قناديل الذهب والفضة، وعلى بابه الحجاب والقومة لا يدخل أحد إلا بإذنهم فيقبّل العتبة الشريفة وهي من الفضة". ويبدو بأن مشهد الإمام قد تطور مع الزمن، فبدت بجانبه مدرسة دينية عظيمة وزاوية كريمة.

(٥٨) **The Travels of Pedro Teixeira، trans. W. F. Sinclair (Nendeln/Liechstenstein، 1902)، pp. 15-53.**

(٥٩)نيبور، كارستن، رحلة إلى شبه الجزيرة العربية وإلى بلاد أخرى مجاورة لها، ط ١ (بيروت، ٢٠٠٧)، ج ٢، ص٢١٩- ٢٢٠. وصف نيبور أسوار كربلاء وعمارتها ومساكنها، وقال إنها كثيرة ومعظمها مبني من الآجر (الطين المشوي)، والأسوار بها خمس بوابات رئيسة إنما قد انهار بأكمله. وأن كربلاء أكبر من مشهد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام التي زارها قبل ذلك في نفس الشهر، وأكثر سكانا آنذاك، وتم جر مياه الفرات إليها وتكثر بها النخيل (مكان الجنائن).

(٦٠)جون أشر: جغرافي ورحالة انجليزي من أصل ايرلندي. بدء برحلة إلى ما يُعرف في الغرب بمنطقة الشرق الأوسط وكتب عنها في كتابه الصادر العام ١٨٦٥ تحت عنوان (**A Journey from London to Persepolis**)، وترجمه المترجم العراقي علي يوسف البصري عام ١٩٥٨م. من الفارسية إلى العراقية تحت عنوان (رحلة إلى العراق). توفي (أشر) عام ١٨٧٤. عطية، جليل، (إعداد)، نظرة المستشرقين والرحالة إلى الروضة الحسينية (بيروت، ٢٠٠٧م)، ص ٦٧-٦٨.

(٦١) وقد زار (أشر) كربلاء وقال إنها مدينة في ذاك الزمن، كما وصف ساحة الصحن المحيطة بالضريح المقدس حينها ولم تكن مبلطة، والمحاطة هي الأخرى بالبيوت المتراصة بجانب بعضها البعض. وشاهد جموعاً غفيرة من زوار الإمام الحسين عليه السلام تتقاطر لزيارته. وقال بأن أثرياء القوم يدفعون ثمناً باهظاً لدفن موتاهم في الصحن الشريف، وأضعاف ذلك لدفن الميت داخل الحرم. وأن عامة الناس يدفنون موتاهم في أرض كربلاء للاعتقاد بأن من يُدفن هناك له وجاهة يوم القيامة. والحكومة العثمانية تفرض ضريبة على كل تابوت يدخل كربلاء.انظر:

U.، John، A Journey from London to Persepolis (London، 1865)، pp. 453-460.

(٦٢) السيد محمد ابن السيد أحمد الحسيني: المعروف بالمنشئ البغدادي. كان من موظفي المقيمية البريطانية في بغداد، وعمل بها حتى العام ١٢٣٥هـ (١٨٢٠م) وعُرف خلالها بالسيد محمد آغا الفارسي. رافق المقيم البريطاني في التنقيب في خرائب نينوى، وفي مشاهدة القرى في أنحاء الموصل. وتجول في بلاد الأكراد وبقية مدن وقرى العراق ودون ذلك هذه في العام ١٢٣٧هـ، (١٨٢١م.). انظر: الحسيني، السيد محمد بن السيد أحمد، رحلة المنشي البغدادي، نقلها عن الفارسية عباس العزاوي المحامي (بغداد، ١٩٤٨م)، ص ٥-٦.

(٦٣) الحسيني، السيد محمد بن السيد أحمد، رحلة المنشي البغدادي، ص ٩٧. وقد ذكر المنشي بأن من قرى بغداد قصبة كربلاء، وبها نحو خمسة آلاف بيت تحيط بمرقد الإمام الحسين عليه السلام. وفي كربلاء ولمسافة أربعة فراسخ بساتين يُزرع بها تمر مشهور بالجودة. ومن الفرات أشتُق نهر يذهب إلى كربلاء يقال له (نهر الحسينية).

(٦٤) عطية، جليل، (إعداد)، نظرة المستشرقين والرحالة إلى الروضة الحسينية، ص ٩٩-١٠١.

(٦٥) الكرباسي، محمد صادق، دائرة المعارف الحسينية: تاريخ المراقد، ج٢، ص ٢٢٠.

(٦٦) نقاش، اسحق، شيعة العراق، ترجمة عبدالإله النعيمي، ط٢ (دمشق، ٢٠٠٣م.)، ص ٢٧٥-٢٧٦، نقلاً عن:

Extract from Administrative Report of Political Officer، Hilla، Regarding Karbala and Status of Mujtahids، 5 April 1920،FO 371/5074/5285.

(٦٧) آل طعمة، عبد الجواد الكليدار، تأريخ كربلاء وحائر الحسين عليه السلام، ص ١٢٩.

(٦٨) إذاعة الهدى، **http://al-hodaonline.com/**

(٦٩) يُذكر أنه في ذلك العام صادفت زيارة الأربعين عطلة نصف السنة الدراسية، فقام نظام البعث بتأخير امتحانات نصف السنة عشرة أيام حتى تتعارض الأربعين مع امتحانات نصف السنة، مما حرم آلاف الزوار في تلك السنة من زيارة الأربعين في موعدها وهو العشرون من صفر. وزاد ذلك من حقد الناس على نظام البعث. أنظر للمزيد حول تلك السنوات: علي محسن التميمي، زيارة الأربعين عام ١٩٧٧ و١٩٧٨ وعام ٢٠١٣ (ملحمة الخلود)، ٢٠١٣م، موقع وكالة أنباء براثا، المقالات، تاريخ الاسترجاع ١٠/ يونيه/ ٢٠١٧م، من: **http://burathanews.com**

(٧٠) الكرباسي، محمد صادق، دائرة المعارف الحسينية: تاريخ المراقد، ج٣، ص ٢٠٣.

(٧١) الكرباسي، محمد صادق، دائرة المعارف الحسينية: تاريخ المراقد، ج٣، ص ٢٢١-٢٢٣.

(٧٢) الكرباسي، المرجع نفسه، ص ٢٢٥.

(٧٣) الكرباسي، محمد صادق، دائرة المعارف الحسينية: تاريخ المراقد، ج٢، ص ٢٣٠.

(٧٤) الكرباسي، محمد صادق، دائرة المعارف الحسينية: تاريخ المراقد، ج٢، ص ٢٣٦.

(٧٥) انظر: موقع مجلس محافظة كربلاء المقدسة؛ الكفيل. نت.

(٧٦) موقع السومرية الإخباري. **www.alsumaria.tv/news**

(٧٧) لماذا – يتغافل – الإعلام – الغربي – عن – زيارة – الأربعين – المليونية؟! **http://alwaght.com/**؛ **http://al-hodaonline.com/**

(٧٨) مركز كربلاء للدراسات والبحوث، العتبة الحسينية المقدسة، النشرة الإحصائية السنوية لزيارة الأربعين المباركة للعام ١٤٣٩هـ، اعتماداً على: وزارة الخارجية العراقية، الدائرة القنصلية، بموجب كتابها ذو العدد ٦/ ٣/ د/ س/ ١٩٦٨، المؤرخ في ١٢/ ١٢/ ٢٠١٧م والعتبة العباسية المقدسة، مركز الكفيل للمعلومات والدراسات الإحصائية.